مركز دراسات الوحدة العربية

النظام الإقليمي العربي والقوى الكبرى

دراسة في العلاقات العربية - العربية والعربية - الدولية

الدكتور فواز جرجس

النظام الإقليمي العربي
والقوى الكبرى

دراسة في العلاقات العربية - العربية والعربية - الدولية

مركز دراسات الوحدة العربية

النظام الإقليمي العربي والقوى الكبرى

دراسة في العلاقات العربية - العربية والعربية - الدولية

الدكتور فواز جرجس

الفهرسة أثناء النشر - إعداد مركز دراسات الوحدة العربية

جرجس، فواز

النظام الإقليمي العربي والقوى الكبرى: دراسة في العلاقات العربية - العربية والعربية - الدولية/ فواز جرجس.

٣٤٨ ص.

ببليوغرافية: ص ٣٢٥ - ٣٣٨.

يشتمل على فهرس.

١. النظام الإقليمي العربي. ٢. العلاقات العربية. ٣. البلدان العربية - العلاقات الدولية. أ. العنوان.

327.56

«الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة
عن اتجاهات يتبناها مركز دراسات الوحدة العربية»

عنوان الكتاب بالإنكليزية

The Superpowers and the Middle East:
Regional and International Politics, 1955-1967

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور» شارع ليون ص.ب: ٦٠٠١ - ١١٣ - بيروت - لبنان

تلفون: ٨٦٩١٦٤ - ٨٠١٥٨٢ - ٨٠١٥٨٧

برقياً: «مرعربي» - بيروت

فاكس: ٨٦٥٥٤٨ (٩٦١١)

الطبعة الأولى

بيروت، حزيران/يونيو ١٩٩٧

الاهداء

إلى ذكرى أخي بسام جرجس،

الرائد في مغاوير الجيش اللبناني،

الذي ضحى بحياته، ليبقى لبنان

حراً، ومتسامحاً، ومتحداً.

المحتويات

كلمة شكر

ما كان لهذا الكتاب أن يرى النور لولا الدعم الفكري والمعنوي والمادي الذي بذله عدد من الأساتذة والزملاء والمؤسسات. إني مدين بالدرجة الأولى ديناً خاصاً لأستاذي في جامعة أوكسفورد البريطانية آفي شليم الذي دأب مدة ست سنوات على قراءة مسودات متعددة لمخطوطتي على نحوٍ نقدي ومتأنٍ. لقد تعلمت الكثير من هذا الرجل الذي غرس فيّ شيئاً بعينه، ألا وهو أنْ أسعى لأكون موضوعياً، وأن أقبل التحدي الناشئ عن نقدي لمجتمعي. وأرجو أن يُظهر عملي بجلاء أنني قد نجحت في ذلك.

وأود أن أقدم شكري، عما قدم لي من أفكار نيّرة وتعليقات، وما أبدي لي من تفهم، إلى المرحوم ألبرت حوراني الذي أثقلت على صبره كثيراً، وإلى المرحوم آر. جي. فينسينت، وإلى دي. سي. واط، و روجر أوين، وآدم روبرتز، ووليام كوانت، وفيليب خوري، وكمال صليبي، ومايك ماهوني، وسعاديا توفال، وزاكاري لوكمان، وآيرين غندزير، وسايروس بينا، وهيرمان فريدريك إيلتز، وديفيد ليش، وكريس تايلور، وطارق تل، وجرجس عوض. هذا وقد تم دعم البحوث الخاصة بهذه الدراسة بمنح قدمتها مؤسسة كريم رضا سعيد في لندن ومؤسسة فورد وصندوق سيريل فوستر في جامعة أوكسفورد وغرفة التجارة البريطانية ـ العربية في لندن.

لقد قمت بإجراء البحوث وكتابة جل هذا الكتاب حين كنت في كلية سانت أنطوني في جامعة أوكسفورد من عام ١٩٨٦ حتى عام ١٩٩٢. وأود أن أشكر الأساتذة المشرفين والتلاميذ في جامعة أكسفورد، وبالأخص في كلية سانت أنطوني وهيئتيهما الدراسيتين على ما قدموه من نقاش نقدي ومثير. كما أود أن أشكر الهيئة التدريسية لمركز دراسات الشرق الأوسط في جامعة هارفرد الأمريكية لتعيينها إياي باحثاً زائراً للعام الدراسي ١٩٩٢ ـ ١٩٩٣ الأمر الذي مكنني من إتمام هذا الكتاب.

وأقدم امتناني العميق لزوجتي نورا كولتون التي شدت من أزري بصداقتها الحميمة ودعمها الودود طوال رحلة البحث الطويلة.

أما ولدي بسّام الذي ولد خلال كتابتي هذه الدراسة فقد كان مصدر فرح في حياتي، وأمدني بالنور. وإني أشكر أمي سارة بشور وأبي أنيس جرجس (متري) لحبهما اللامتناهي لي وثقتهما التي لا تتزعزع بي.

وأخيراً أقول، وما قولي هذا من قبيل الصيغة التقليدية، إنني سعيد بتحمل المسؤولية الكاملة عن أي خطأ وقعت فيه في الحكم والتقدير وعن أي خلل يعتور التحليل الذي قمت به.

فواز جرجس

جامعة هارفرد/ كمبريدج ١٩٩٣

مقدمة

قد نرجع البصر ذات يوم إلى التسعينيات، مستفيدين من ملكة التبصّر في الماضي، فنجد أن نهاية الحرب الباردة كانت سبباً من الأسباب المهمة التي أدت إلى التوصل إلى اتفاقٍ سلمي لحل الصراع العربي ـ الإسرائيلي. ولئن صحّ هذا فسيكون دليلاً آخر على مدى ما بلغه العالم من ترابط في الوقت الحاضر. إن الأحداث التي تجري في موسكو وواشنطن لها مضاعفات في القاهرة والقدس. غير أن هذا الترابط كان موجوداً منذ أمدٍ طويل ابتداءً من أواسط الخمسينيات كما يبين د. فواز جرجس في دراسته الممتازة التي يتضمنها كتاب **النظام الاقليمي العربي والقوى الكبرى**.

إن حكاية الشرق الأوسط في السنوات الحاسمة الممتدة من ١٩٥٥ إلى ١٩٦٧ قد رويت غير مرة. ويشتمل المشهد الافتتاحي على مبيعات الأسلحة السوفياتية إلى مصر؛ ثم يظهر الفصل الختامي عقم المجهود العربي لتحدي إسرائيل في ساحة القتال. وغالباً ما كان منظور الكتابات التي روت هذه الحكاية مقتصراً على المنظور الغربي أو الإسرائيلي، وليس هذا بمستغرب لأن معظم مصادر البحث كانت أمريكية وأوروبية وإسرائيلية. ولم تتوفر المصادر العربية على نطاق واسع إلا في السنوات الأخيرة؛ أما المصادر السوفياتية فلا يزال الحصول عليها أمراً صعباً.

يأتي د. فواز جرجس عند تحليل هذه الحقبة المهمة بالعديد من نقاط القوة، فهو مطلع كل الاطلاع على الرواية التقليدية للأحداث، كما أنه يستخدم المصادر التي رفعت عنها السرية مؤخراً في الغرب وذلك لإيضاح عدد من النقاط المثيرة للجدل. أما إسهامه الأكثر وضوحاً فيتجلى في حبكه الرواية التاريخية بالمعلومات الواردة في المصادر العربية المتزايدة العدد التي تتعلق بهذه الحقبة. ولأول مرة فإن الصورة تبدو ثلاثية الأبعاد.

إن ما كتبه فواز جرجس يغوص بشكل ثابت في إطار تحليلي وطيد الصلة بالموضوع فضلاً عن كونه سرداً موضوعياً للتاريخ. إنه، أولاً، يمعن النظر في التفاعل الجاري بين الدول العظمى والفاعلين الاقليميين قائلاً إن «القوى الكبرى» لم تتمكن إلا نادراً من فرض إرادتها على البلدان الصغيرة في الوطن العربي. كان بوسع الدول الاقليمية في الغالب أن تحظى بمجالٍ للتصرف وقوة للدفع إزاء الدول الراعية لها وذلك على الأخص

عند اشتداد التنافس بين الدول العظمى. أما في فترات الوفاق بينها فقد كان مجال المناورة محدوداً في أغلب الأحيان.

والنقطة المهمة الثانية التي نادراً ما يذكرها الباحثون الغربيون هي أن الصراع العربي ـ الإسرائيلي يعتبر في الغالب مصدر شقاق في السياسات العربية ـ العربية أكثر مما هو مدعاة للوحدة. لقد أثار مالكولم كير هذه النقطة قبل سنين في كتابه المعروف المعنون **الحرب العربية الباردة**، ويبين فواز جرجس في دراسته الحالية أن مشكلة التعامل مع إسرائيل تسبب توتراً شديداً في المنظومة العربية. وحين انتهت مرحلة مؤتمرات القمة العربية في منتصف عام ١٩٦٦ وأخذت كل دولة عربية بمفردها تشعر بأنها حرة في اختيار السبيل الذي تسلكه، كانت مسألة إسرائيل هي القضية التي تستخدمها البلدان العربية في تحديها لأندادها من البلدان العربية الأخرى.

تمكن فواز جرجس كذلك من إلقاء الضوء على التطورات التي جرت في داخل مصر، والتي دفعت الرئيس جمال عبد الناصر إلى اتخاذ «القرارات المصيرية..» في أيار/ مايو ١٩٦٧. كان قراء كتب المذكرات العربية يعرفون أن عبد الناصر وقائد قواته الحربية عبد الحكيم عامر كانا منهمكين في منافسة مريرة، واستمرت معرفة أولئك القرّاء بهذا الأمر أمداً، أما الآن فإن بوسع القرّاء الغربيين أن يطلعوا على أمرٍ آخر وهو كيف أن السياسات المصرية الداخلية وما رافقها من سياسات إقليمية متغيرة حوّلت أزمة كان يمكن السيطرة عليها وإدارتها، إلى حرب فادحة الأضرار.

وأخيراً، يظهر المؤلف مهارة في رصد النتائج غير المقصودة للأعمال. إن كثيراً من أبناء الشرق الأوسط يكونون، عند مواجهتهم أحداثاً متراكبة معقدة، عرضة لإيجاد مؤامرة تقدم تفسيراً ملائماً. ليس الأمر هكذا بالنسبة إلى هذا المؤلف. إنه يتمسك بالدليل، ويقر بأن الأمور لا تعمل كلها وفق خطة مدبرة ومدروسة. وهو يذكرنا كذلك بأن الفاعلين المحليين غالباً ما ينظرون إلى أهميتهم نظرة مبالغاً فيها، الأمر الذي يقودهم إلى سوء التقدير. إنها محاور تمتاز بالعقلانية والديمومة، في كتاب يحفل بدقائق الأمور وبالأحكام الصائبة. والكتاب، بما يتحلى به من هذه الصفات، سيأخذ مكانه مع عددٍ من كتبٍ أخرى يكتبها المؤرخون الجدد للشرق الأوسط وهم من أبناء المنطقة الذين يتجنبون الشعارات العقائدية ويحتفون بالأدلة ويصرون على أن تكون النتائج مقرونة بالدليل من خلال التحليل.

ما إن يتبلور تاريخ تلك السنوات الحاسمة حتى يكون على الإسرائيليين والعرب نبذ بعض الأساطير التي خلقوها. إن الاتفاق مع التاريخ كما هو فعلاً، قد يكون عنصراً أساسياً من عناصر إعداد الشرق الأوسط للسلام ولمطالب القرن القادم. وبهذه الصفة تكمن أهمية هذه الدراسة في ما يمكنها فعله من أجل المستقبل مثلما تكمن في ما تخبرنا به عن الماضي.

وليام كوانت

الفصل الأول

إطار لتحليل علاقات
الدول العظمى مع البلدان العربية
في الشرق الأوسط

كانت إحدى السمات الدائمة لدراسة الشرق الأوسط هي التأكيد على العلاقات، الاقتصادية ـ الاجتماعية منها والدينية والسياسية، بين العالم الخارجي والمنطقة ذاتها. أما الجانب الخاص الذي حظي باهتمام بعض الباحثين فهو الدور الناشط، الطويل الأمد، الذي لعبته الدول العظمى في المنطقة. ولا يمكن فهم التاريخ الحديث للشرق الأوسط إلا بالتركيز على تدهور الامبراطورية العثمانية وانهيارها وما رافق ذلك من بروز الهيمنة الغربية. لقد كان لهذه التجربة السياسية ذاتها تأثير كبير في المؤسسات والمواقف والأعمال السياسية الشرق أوسطية(1).

يقول كارل براون إن نتيجة الإرث الإمبريالي الغربي وتدخله المستمر في الشرق الأوسط هي أن هذه المنطقة قد أصبحت «المنظومة الفرعية الأكثر اختراقاً من بين منظومات العلاقات الدولية في عالم اليوم»(2). بيد أن هذا لا يعني أن على اللاعبين المحليين كلهم أن يكونوا مجرد بيادق في السياسات الدولية. على العكس، فقد قام بعض هؤلاء باستغلال المنافسة بين الدول الكبرى خدمةً لمصالحهم الخاصة. إن هذه المنافسة الجارية بين الدول الكبرى تفسّر جزئياً عجز أي دولة منها عن تحقيق الغلبة في المنطقة.

ونتج عن تراجع النفوذ الأوروبي بعد عام ١٩٤٥ حدوث تحول جذري في التطور الداخلي والخارجي للشرق الأوسط وفي السياسات العالمية. إن معظم الأقطار الخاضعة لنظام الانتداب الذي وضعته عصبة الأمم قد اكتسبت بالتدريج صفات السيادة السياسية وأصبحت غيورة جداً على استقلالها. وكان الزعماء الجدد الذين تسلموا مقاليد السلطة في الخمسينيات أكثر استجابة لعواطف الأهالي القومية من الاستجابة لأي مذهب فلسفي(3). لقد كانوا مصممين على إبراز مصالحهم وعلى القيام بدور ناشط في الشؤون الاقليمية والدولية.

(١) Leon Carl Brown, *International Politics and the Middle East: Old Rules, Dangerous Game* (London: I. B. Tauris; Princeton, NJ: Princeton University Press, 1984), p. 3.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤ ـ ٥.

(٣) M. E. Yapp, *The Near East since the First World War,* vol. 2 (London; New York: Longman, 1991), p. 4.

في الوقت عينه حلت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي محل بريطانيا العظمى وفرنسا بصفتهما الدولتين العظميين الجديدتين. ونتيجةً لخلافاتهما العقائدية أصيب النظام الدولي بالاستقطاب بين الشرق والغرب وأخذت واشنطن تقود المعسكر الرأسمالي، وموسكو تقود المعسكر الاشتراكي. وفي بحثهما عن حلفاء وتحالفات أخذت الدولتان العظميان تنافس إحداهما الأخرى لكسب قلوب وعقول الدول المتحررة حديثاً. وأتاحت هذه المنافسة بدورها فرصة للدول المحلية لتستغل المنازلة الأمريكية ـ السوفياتية سعياً وراء مصالحها. وانجذب الشرق الأوسط إلى حلبة التنافس بين الدولتين العظميين، وأخذ الاستقطاب الثنائي ينعكس على السياسات الاقليمية.

أولاً: أسئلة وملاحظات وفرضيات

تركز هذه الدراسة على العلاقات بين الدول العظمى والشرق الأوسط العربي اعتباراً من عام ١٩٥٥ حتى عام ١٩٦٧. ولتصوير طبيعة تلك العلاقات سيحلل هذا الكتاب الأحداث الأساسية المؤثرة التي وقعت في تلك الحقبة ابتداءً من حلف بغداد، فصفقة الأسلحة المصرية ـ السوفياتية، فأزمة السويس، والتدخل الأمريكي في لبنان، وانتهاءً بحرب حزيران/يونيو ١٩٦٧، وهي الحرب العربية ـ الإسرائيلية الفاصلة. ومع أن الكتاب يركز أساساً على طبيعة العلاقة بين الدول العظمى والبلدان العربية المشرقية وعلى القوى المحركة لهذه العلاقة، غير أن ذلك لن يجري بمعزل عن العوامل المحيطة بالموضوع، الإقليمية منها والعالمية، كإسرائيل من جهة والعلاقات بين الدول العظمى ذاتها، فقد كان لهذه العوامل تأثير مهم في التفاعلات التي جرت بين البلدان العربية والدول العظمى.

ولغرض الإحاطة بتعقيدات هذه العلاقات المتشابكة وحل غموضها فإن هذا الكتاب سيطلق مجموعة جديدة من الأسئلة ذات الصلة المتداخلة ويوجهها لمعالجة المسائل التاريخية ذاتها بمنهج نقدي متجدد: ما هي القضايا الأساسية التي دارت حولها العلاقات بين البلدان العربية والدول العظمى؟ وما هي العوامل التي حددت شكل العلاقات بين الأطراف العربية الفاعلة والقوى الخارجية؟ ماذا كان لدى واشنطن وموسكو من وسائل ضغط، وما مدى فعالية هذه الوسائل؟ كيف أثرت التغييرات التي جرت في الزعامة الأمريكية والزعامة السوفياتية، والتغييرات التي جرت على مصالحهما العالمية، في علاقاتهما بالبلدان العربية؟ ماذا كانت آثار الصراع بين الشرق والغرب على النظام الاقليمي؟ وما هي الفوائد التي جنتها دول المنطقة والأضرار التي عادت عليها من هذا الصراع؟

ونسأل على سبيل المثال هل كان دور مصر حاسماً، وهل نجحت القاهرة في سعيها لتحديد جدول عمل السياسة الخارجية للمشرق العربي؟ وإلى أي مدى أدت الحملة المصرية لتولي الزعامة العربية إلى استقطاب المنطقة على أسس ثورية مقابل أسس محافظة؟

وماذا كان تأثير المنازعات العربية ـ العربية في استقرار المنطقة؟ وما هو الدور الذي قامت به إسرائيل في السياسات الاقليمية؟ وبأية وسائل استخدم الحكام العرب الصراع الفلسطيني ـ الإسرائيلي وأساؤوا استخدام ذلك الصراع؟ وهل أعطى هؤلاء الحكام أسبقية للأمور المحلية على الأمور الدولية؟

سنأتي الآن على ذكر ثلاث ملاحظات أو فرضيات. أولاً، إن العلاقة بين الدول العظمى ودول المنطقة خلال الخمسينيات والستينيات لم تكن هرمية تُملى من قمة عليا بل كانت علاقة معقدة وغامضة جداً. كانت قدرة الدول العظمى على السيطرة على أعمال اللاعبين الاقليميين وتدبّر أمرهم قدرة محدودة. لقد وجدت كل من واشنطن وموسكو نفسها أكثر من مرة غير قادرة على التأثير في مجرى الأحداث في الشرق الأوسط، ولم تستطع كل منهما أن تترجم قوتها العسكرية والاقتصادية المتفوقة إلى نفوذ سياسي مباشر. كانت الأطراف المحلية الفاعلة هي التي تأخذ المبادرة كلما رأت أن مصالحها الأساسية تتعرض للخطر، ولم تكن هذه الأطراف تتعرض للتهديد أو الإكراه من قبل الدولة العظمى الراعية لها. لا بل كانت تجرؤ حتى على تحدي قطبي العلاقات الدولية الأساسيين ـ الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ـ وذلك بصياغة سياسات خارجية وتطبيقها بمحض اختيارها.

كانت قدرة الدول الصغيرة على رسم علاقاتها مع الدول العظمى متوقفة على وجود شروط وظروف معينة مثل السياق الهيكلي للحرب الباردة. لقد أدى التعميق في الاستقطاب الدولي بين الشرق والغرب إلى إعطاء أدوار جديدة للأطراف الفاعلة في العالم الثالث، فمكنتها من الاستحصال على تنازلات من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي. ومع أن الحرب الباردة فرضت قيوداً شديدة على الدول العظمى إلا أنها منحت اللاعبين المحليين حرية عمل واسعة، الأمر الذي يفسّر لماذا في الشرق الأوسط تهز الذيولُ الكلاب في أحيان كثيرة»، على حد قول فيليب ويندسور؟[(٤)] إن المصالح الواسعة، السياسية منها الاستراتيجية والاقتصادية، لكل من واشنطن وموسكو في الوطن العربي التي كانت تفسر الروابط الوثيقة مع دول المنطقة، وكانت تمنح الدول الصغيرة قدرةً على المناورة ومراكز مساومة قوية في تعاملها مع الدول العظمى.

هذا وإن قدرة الدول الصغيرة على العمل بشكل مستقل عن الدول الكبرى كانت تتوقف إلى حد كبير على التماسك النسبي للنظام الإقليمي. فلئن كان للوسط العربي أن

(٤) Philip Windsor, «Superpowers and Client States: Perceptions and Interactions,» in: Moshe Efrat and Jacob Bercovitch, eds., *Superpowers and Client States in the Middle East: The Imbalance of Influence* (London; New York: Routledge, 1991), pp. 37 and 45.

انظر أيضاً الكتاب المراجع من قبل: Michael N. Barnett, «Superpowers and Client States in the Middle East: The Imbalance of Influence,» *American Political Science Review*, vol. 87, no. 1 (March 1993) pp. 256-257.

يمارس نفوذاً في المنظومة الدولية فقد كان من الضروري لتحقيق ذلك وجود مركز إقليمي قوي. لقد كان نجاح مصر في الخمسينيات في صياغة سياسات خارجية اختارتها بنفسها وفي تنفيذ تلك السياسات مرتبطاً كل الارتباط بمركزها النافذ في الوطن العربي ولا سيما في المعسكر الثوري، كما كان مرتبطاً كذلك بعدم وجود مقاومة ذات أثر لهيمنتها. بيد أن تراجع مصر في الستينيات عن ذلك المركز وتصاعد حدة التنافس بين البلدان العربية قد أضعفا من قوة البلدان العربية على المساومة إزاء الدول العظمى.

وكما ذكرنا آنفاً فإن فهم العلاقات بين البلدان العربية والدول العظمى في الخمسينيات والستينيات يتطلب مدخلاً أوسع نطاقاً يأخذ بالاعتبار دور العوامل الاقليمية والعالمية معاً. إن هذا ينقلنا إلى ملاحظتنا الثانية وهي أن العلاقات بين الدول العظمى نفسها قد أثرت في علاقاتها مع البلدان العربية. إن التنازع الحاد بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي جعلهما يتنافسان بضراوة من أجل الحصول على دعم من العالم الثالث، ذلك العالم الذي صار موقعاً لاختبار استراتيجيات الدول العظمى وأسلحتها. وواقع الأمر أن قوة المساومة للدول الصغيرة إزاء الدول الكبرى قد تزايدت على نحو مطرد مع العداء المتعاظم بين هذه الدول بالذات. مثلاً، في خلال ذروة التنازع الأمريكي ـ السوفياتي في الخمسينيات وأوائل الستينيات استطاعت مصر أن تثير إحدى الدولتين العظميين ضد الأخرى وتتلقى مقادير ضخمة من المساعدات من كلٍ منهما. وعلى العكس من ذلك أدى تراخي التوتر بين واشنطن وموسكو إلى إضعاف الاستقلال النسبي الذي كانت تتمتع به الدول الصغيرة.

أما ملاحظتنا الثالثة فتتعلق بإسرائيل كمتغير في العلاقات العربية ـ العربية وفي العلاقات بين البلدان العربية والدول العظمى. ومع أن ما كانت تؤثر به إسرائيل في السياسات العربية البينية كان محدوداً خلال الخمسينيات فإن ذلك قد ازداد زيادة دراماتيكية طوال الستينيات. وبدلاً من أن توحد قضية فلسطين (المسألة الإسرائيلية ـ الفلسطينية) الصف العربي لعبت دوراً يؤدي إلى الانقسام في السياسات العربية المذكورة. وقد أدى تنشيط سياسة إسرائيل تجاه العرب في الستينيات بالإضافة إلى تصاعد وتيرة المنافسات العربية ـ العربية إلى قيام عدد من الزعماء العرب بالمزايدة بعضهم إزاء بعض بشأن القضية الفلسطينية وبشأن استخدام إسرائيل كعصا يضربون بها منافسيهم من العرب. وبعبارة أخرى تشابكت هذه القضية مع قضايا الحرب العربية الباردة التي زجت بالمحافظين ضد الثوريين وبثوريين ضد ثوريين. فلا غرابة أن تشهد الستينيات تصعيداً خطيراً في العلاقات العربية ـ الإسرائيلية بلغ أوجه في حرب عام ١٩٦٧.

يضاف إلى هذا أن الأهمية المتزايدة لإسرائيل بالنسبة إلى النظام العربي أثرت في علاقات البلدان العربية بدول العالم، ذلك أن المسألة الإسرائيلية خفضت من قدرة الفاعلين المحليين على مقاومة النفوذ والضغوط الخارجية. إن تفاقم النزاع العربي ـ الإسرائيلي ألهب مناخ عدم الثقة بين البلدان العربية والدول الغربية وجعل العرب أكثر اعتماداً على معونة السوفيات وحسن نيتهم. وهكذا فإن الاستقطاب الثنائي في المسرح

الدولي قد انعكس على المستوى الإقليمي. وتحددت حرية البلدان العربية في العمل كما ضعف مركزها في المساومة إزاء الدول العظمى.

ثانياً: المفهوم الخاص بمنظومة فرعية دولية أو إقليمية

تستخدم الدراسة الحالية مفهوم المنظومة الفرعية بصفته إطاراً مفاهيمياً وتحليلياً. وقد جرى إدخاله أول مرة في الدراسات الشرق أوسطية من قبل الباحثين المعترضين على النموذج المنفرد، الشامل للسياسات العالمية الذي ركز على التفاعل بين الشرق والغرب وصولاً إلى استبعاد الفاعلين الأقل شأناً(٥). أما الآن فينظر الدارسون إلى المنظومة السياسية الدولية بصفتها شبكة أو مجموعة متراكبة من المنظومات الفرعية المترابطة والمعتمدة بعضها على بعض، سواء كانت منظومات عالمية أو إقليمية أو قومية أو محلية(٦). وهذا المدخل يختزل التعقيد والعمومية ويقر بأن العلاقات الدولية تعمل على مستويات متعددة. لذا يجب تحديد مستوى التحليل بوضوح، كما يجب تفحص المنظومات والمنظومات الفرعية بشكل دقيق(٧).

يجب كذلك التفريق المنهجي بين معنيَين أو استخدامين لتحليل المنظومات في العلوم الاجتماعية. **أولاً**، من الممكن أن يعني تحليل المنظومات مجموعة من التقنيات أو يعني بؤرة التحقيق، التي تسهّل تنظيم مادة البحث لكنها لا تطمح إلى الوصول إلى فكرة مثالية نظرية. وبهذا المعنى «هي طريقة لتنظيم البيانات وأسلوب لوصف كل من الطريقة التي تتواصل بها الأجزاء والطريقة التي تتغير بها أنماط التفاعل»(٨). **ثانياً**، من الممكن استخدام تحليل المنظومات كتفسير محتمل يضم مجموعة متكاملة من المفاهيم والفرضيات والطروحات

---

(٥) Leonard Binder, «The Middle East as a Subordinate International System,» *World Politics,* vol. 10, no. 3 (April 1958), pp. 409-411; Michael Brecher, «The Middle East Subordinate System and Its Impact on Israel's Foreign Policy,» *International Studies Quarterly,* vol. 13, no. 2 (June 1969), pp. 117-139; William R. Thompson, «The Arab Subsystem and the Feudal Pattern of Interaction, 1965,» *Journal of Peace Research,* vol. 7, no. 2 (1970), p. 152, and «The Contribution of Regional Studies to an Understanding of World Politics,» *International Studies Quarterly,* vol. 12 (March 1968), p. 113.

(٦) William R. Thompson, «The Regional Subsystem: A Conceptual Explication and a Propositional Inventory,» *International Studies Quarterly,* vol. 17, no.1 (March 1973), p. 90.

(٧) John Burton, *Systems, States, Diplomacy, and Rules* (Cambridge: Cambridge University Press, 1968), pp. 14-15 and 109.

(٨) Stanley Hoffmann, «An American Social Science: International Relations,» *Daedalus,* vol. 106, no. 3 (1977), p. 51; J. S. Goodman, «The Concept of «System» in International Relations Theory,» *Background,* vol. 8 (February 1965), pp. 257-268, and Robert J. Lieber, *Theory and World Politics* (London: George Allen and Unwin, 1973), p. 122.

القابلة للتطبيق في مناحي المعرفة الإنسانية كلها[٩]. إن هذا التفريق بين المنظومة البنيوية والمنظومة التحليلية يعكس في أوساط الطلاب تفضيلاً فلسفياً لاختيار أحد تعريفين لتحليل المنظومات وهما التعريف الذي يأخذ بالحد الأدنى من المعاني والتعريف الذي يأخذ بالحد الأقصى منها. وبهذا المعنى فإني أستخدم مفهوم المنظومة الفرعية كإطار تحليلي لتنظيم البيانات - لا بصفته تفسيراً وإنما بصفته مركزاً للتحقيق[١٠].

وعلى نحو مماثل، عرّف ريموند آرون المنظومة الدولية في عملها كإطار للتحليل بأنها «تجميع تشكله وحدات سياسية تحتفظ بعلاقات منتظمة إحداها مع الأخرى وهي كلها وحدات قابلة لأن تتورط في حرب كبيرة»[١١]. أما هدلي بُلْ فقد رأى أن المنظومة الدولية «هي منظومة تظهر للوجود حين يكون لدى دولتين أو أكثر من الاتصال في ما بينها، ويكون لديها من التأثير إحداها في قرارات الأخرى، ما يكفي لكي يجعلها تتصرف - بقدرٍ ما في الأقل - كأجزاء من كل واحد»[١٢]. كذلك رأى تشارلز ماكليلاند وجون بورتون أن المنظومة الدولية إنما تتكون من مجموعات من الروابط والعلاقات بصفتها شكلاً موسعاً لاثنين من الأطراف الفاعلة المتفاعلة في ما بينها. لذا فإن التعريف الذي يأخذ بالحد الأدنى من المعاني والخاص بالمنظومات والمنظومات الفرعية إنما ينظر إليها كأنماط افتراضية للتفاعل. إن التعقيد في المنظومة الفرعية يتزايد بتزايد مستوى التفاعل ودرجته[١٣].

تحتاج المسائل المفاهيمية الأخرى مزيداً من الإيضاح مثل كيفية تحديد صفات وحدود

---

(٩) Oran R. Young, *Systems of Political Science* (Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall, 1968), p. 19; Goodman, Ibid., pp. 257-268, and James E. Dougherty and Robert L. Pfaltzgraff, (Jr.), *Contending Theories of International Relations: A Comprehensive Survey*, 2nd ed. (New York: Harper and Row, c1981), pp. 134-135.

(١٠) Stanley Hoffmann, *Comtemporary Theory in International Relations* (Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall, 1960), pp. 7 - 8.

(١١) Raymond Aron, *Peace and War: Theory of International Relations*, translated from the French by Richard Howard and Annette Baker Fox (London: Weidenfeld and Nicolson, 1962), p. 49.

انظر أيضاً ستانلي هوفمان الذي يقدم تعريفاً مشابهاً لتعريف آرون في: Stanley Hoffmann, *The State of War* (London: Pall Mall Press, 1965), p. 90.

(١٢) Hedley Bull, *The Anarchical Society: A Study of Order in World Politics* (New York: Columbia University Press, 1977), pp. 9 - 10.

(١٣) Charles McClelland, *Theory and the International System* (New York; London: Collier - Macmillan, 1966), p. 20; Burton, *Systems, States, Diplomacy, and Rules*, pp. 4 - 6, and Dougherty and Pfaltzgraff (Jr.), *Contending Theories of International Relations: A Comprehensive Survey*, pp. 136 - 137.

المنظومات الفرعية الدولية منها والإقليمية، ولا يوجد إجماع على ذلك في الأدبيات المكتوبة عن الموضوع. أدرج وليام تومسون، في عرضه لهذه الأدبيات، إحدى وعشرين صفة تستخدم كثيراً في تحديد معالم المنظومة الفرعية الإقليمية. إن هذا التباين في المفاهيم الذي يعبّر عنه هذا التعدد في الصفات يعكس حقيقة مفادها أن فكرة المنظومة الفرعية الإقليمية تعني أموراً مختلفة بالنسبة إلى المحللين المختلفين. يضاف إلى هذا أن الأدبيات المكتوبة عن الإقليمية لا تعطي تعريفاً موحداً للإقليم أو تعريفاً مقبولاً بشكل عام له، ولو أن فكرة الأرض المستمرة جغرافياً تعتبر على نطاق واسع - وإن ليس على نطاق عام - بمثابة نقطة انطلاق(١٤).

بينت دراسة بروس روسيت للأقاليم الدولية أن تعاريف الاقليم تختلف اختلافاً واسعاً بناءً على الطرق والصفات التي يستخدمها الاختصاصيون في نظرية الاقليم. مثلاً، يعرف بعضهم الاقليم من حيث انعزاله أو انفصاله كإفريقيا جنوب الصحراء؛ أو من حيث الانسجام النسبي في الولاء والوطنية كالوطن العربي؛ أو من حيث مشكلة تخص المنطقة كجنوب شرق آسيا؛ أو من حيث الوسيلة لتفعيل السيطرة كالشرق الأوسط. إن هذه القائمة المتنوعة تشمل عناصر وصفية وإرشادية. ولا غرابة أن يوصف مفهوم الاقليمية بأنه مفهوم متعدد الجوانب وبأنه «ليس شيئاً واحداً بل أشياء متعددة»(١٥).

هذا ولا يوجد إجماع كذلك بشأن رسم حدود الأقاليم أو المنظومات الفرعية أو عضويتها. أكد إنييس كلود: «ان العالم لا ينقسم بسهولة في واقع الأمر وفق خطوط مرسومة بشكل دقيق. إن من الصعب تثبيت التقسيمات الإقليمية الموضوعة على نحو عقلاني، كما أن الحدود المقررة لخدمة غرض ما ليست بالضرورة مناسبة لخدمة أغراض أخرى، أما الخطوط الفاصلة التي يجري اختيارها بدقة تامة فهي ذات طريقة غير مناسبة للتغيير أو متطلباته، وكذلك لتداخل بعضها ببعض»(١٦).

---

(١٤) Thompson, «The Regional Subsystem: A Conceptual Explication and a Propositional Inventory,» pp. 92 - 95, and Michael Banks, «Systems Analysis and the Study of Regions,» *International Studies Quarterly*, vol. 13, no. 4 (December 1969), p. 338.

(١٥) Bruce Russett, *International Regions and the International System: A Study in Political Ecology* (Chicago, IL: Rand McNally, 1967), pp. 2 - 3; Rupert B. Vance, «The Regional Concept as a Tool for Social Research,» p. 124, and Louis Wirth, «Limitations of Regionalism,» p. 392, in: Merrill Jensen, ed., *Regionalism in America* (Madison, WI: University of Wisconsin Press, 1951), and Bahgat Korany, *Social Change, Charisma, and International Behaviour: Toward a Theory of Foreign Policy-Making in the Third World* (Geneve: A. W. Sijthoff; Leiden: Institut universitaire de hautes études internationales, 1979), p. 141.

(١٦) Inis L. Claude, *Swords into Plowshares: The Problems and Progress of International Organizations*, 3rd ed. (New York: Random House, 1959), p. 96.

وبموجب هذا الرأي يعتبر تثبيت الحدود مسألة ذاتية لا يمكن تحديدها وفق النهج القاضي بأن الأسباب لها آثار تحدثها. إن الدول تلعب أدواراً متفاوتة في شدتها في منظومات فرعية متعددة في أوقات مختلفة، لذا فإن من المهم جداً، برأي وليام تومسون، الإحجام عن تثبيت حدود نهائية للمنظومات الفرعية لا تكون متفقة مع التصرفات الظاهرة للدول المعنية. ويذهب ميشيل بانكس إلى أبعد من ذلك فيقول إن تحديد العضوية لأي إقليم أو منظومة فرعية هو قرار تقييمي: «إن الأقاليم هي ما يريدها الساسة والشعوب أن تكون»(١٧).

غير أن رأي بانكس يجب ألا يؤخذ على علاته. إن الإقرار بالتقييدات التي ينطوي عليها رسم الحدود للمنظومات الفرعية لا يعني التخلي عن البحث عن معيار لهذه المنظومات والاستعاضة عن ذلك بقيام كل طرف بالسير وفق هواه العقائدي. ذلك أن تحديد العضوية في منظومة فرعية إقليمية هو مسألة تجريبية (إمبريقية) وليس مسألة نظرية. قال تومسون: «إذا كنا نعني بـ (المنظومة الفرعية الإقليمية) نمطاً منتظماً نسبياً ومكثفاً من التفاعلات يكون معترفاً به داخلياً وخارجياً بصفته مضماراً متميزاً، ويجري إنشاؤه والحفاظ عليه من قبل طرفين متجاورين أو أكثر، فسيكون من الممكن تقرير تكوين هذه المنظومة من حيث أطرافها الفاعلة من دون الاعتماد بشكل قاطع على رأي ذاتي»(١٨).

وباختصار فإن تحديد الصفات الأساسية التي تكوّن المنظومات الفرعية الإقليمية وتقرر عضويتها ينبغي ألا يكون اعتباطياً. إن من الممكن استخدام مجموعة من «الشروط الضرورية والكافية» لتحديد وجود منظومةٍ فرعية ما. وهذه الشروط تتضمن، برأي عدد من المحللين، أربعة عناصر أو معايير مشتركة هي(١٩):

---

(١٧) Banks, «Systems Analysis and the Study of Regions,» p. 338; William R. Thompson, «Delineating Regional Subsystems: Visit Networks and the Middle Eastern Case,» *International Journal of the Middle East*, vol. 13 (1981), p. 217, and Russett, *International Regions and the International System: A Study in Political Ecology*, p. 6.

(١٨) Thompson, Ibid., p. 213.

(١٩) Thompson, «The Regional Subsystem: A Conceptual Explication and a Propositional Inventory,» pp. 96 - 97 and 101; Korany, *Social Change, Charisma, and International Behaviour: Toward a Theory of Foreign Policy-Making in the Third World*, pp. 34 and 37; Robert Jervis, «Systems Theories and Diplomatic History,» in: Paul Gordon Lauren, ed., *Diplomacy: New Approaches in History, Theory and Policy* (New York: Free Press, 1979), pp. 212 - 216; Louis J. Cantori and Steven L. Spiegel, *The International Politics of Regions: A Comparative Approach* (Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall, 1970), pp. 2 and 6-7; Michael Brecher, «International Relations and Asian Studies: The Subordinate State System of Southern Asia,» *World Politics*, vol. 15, no. 2 (January 1963), pp. 219 - 220, and J. M. Mackenzie, *Politics and Social Science* (London: Penguin Books, 1967), p. 100.

ـ وجود اثنين في الأقل وربما أكثر من الأطراف الفاعلة.

ـ تشترك هذه الوحدات بصفات ومميزات مشتركة، وتتفاعل في ما بينها بانتظام وقوة فتقيم بذلك نمطاً من العلاقات والروابط بينها. ونتيجةً لذلك يؤدي التغيير في بعض الأجزاء من المنظومة الفرعية إلى التغيير في الأجزاء الأخرى.

ـ يعترف بالمنظومة الفرعية من قبل اللاعبين الداخليين والخارجيين بصفتها مسرح عمليات متميزاً.

ـ تكون الأطراف الفاعلة متجاورة بشكل عام.

لا بد من التنويه هنا بأن المعايير المذكورة آنفاً تدل بوضوح على عدم وجود تعريف مقبول عموماً للمنظومة الفرعية الإقليمية أو الدولية، ذلك أن هذا المفهوم لا يخضع للدقة العلمية. إن معظم المحللين يولون وزناً متساوياً للمتغيرات الذاتية والموضوعية في محاولتهم رسم الحدود وتحديد الصفات المشتركة للمنظومة الفرعية. لهذا فإن استخدام الشروط أو المعايير الأربعة الآنفة الذكر في هذه الدراسة لا يحسم التباين في المفاهيم والافتقار للإجماع حول هذه المسألة. لكن استخدامها يضع مجموعة واسعة من المتغيرات التي يستفاد منها كاختبار من أجل تحديد المنظومات الفرعية الإقليمية أو الدولية.

ثالثاً: الوطن العربي كمنظومة فرعية إقليمية

هل كان الوطن العربي في الخمسينيات والستينيات يشكل منظومة فرعية إقليمية متميزة وفق المعايير الأربعة المذكورة آنفاً؟ أم أنه كان يؤلف الأساس لمنظومة فرعية شرق أوسطية أوسع نطاقاً؟ إن التمييز بين هذين الصنفين ليس مجرد أمر شكلي بل هو أمر سياسي وعقائدي. إن جعل الساحة العربية وحدة منفصلة من وحدات التحليل يعكس قراراً متقصداً لجعل دراسة الشرق الأوسط مقتصرة على كيان بعينه (منطقة الوحدة العربية) أو على الأمة الإسلامية[(٢٠)]. ومع أن عدداً من الباحثين يستخدمون مصطلح الشرق الأوسط إلا أنهم يقرون بغموض طبيعة هذا المصطلح وحدوده. ويقول بيريس إنه على الرغم من الاستخدام الواسع لمصطلح الشرق الأوسط الذي يلجأ إليه فريق من الدارسين وكذلك الدوريات ووسائل الإعلام فإنه لا يوجد رسم قياسي للحدود يمكن بواسطته توصيف منطقة الشرق الأوسط توصيفاً جغرافياً دقيقاً[(٢١)].

يساوي بعض المحللين الشرق الأوسط بالوطن العربي مستبعدين إيران وتركيا

---

(٢٠) Bassam Tibi, «Regional Subsystems and World Order: The Case of Inter-Arab State Relations, 1967 - 1982,» paper presented at: The Annual Meeting of the British Society of Middle Eastern Studies, Exeter, 12 - 15 July 1987, p. 4.

(٢١) George Etzel Pearcy, «The Middle East, an Indefinable Region,» *Department of State Bulletin* (March 1959), pp. 407 - 416.

وباكستان وأفغانستان وإسرائيل. ويحدد محللون آخرون الشرق الأوسط بشكل أوسع ليشمل تركيا وأفغانستان وباكستان والمغرب العربي وإسرائيل والبلدان العربية. كما يأخذ آخرون برأي هو أوسع من ذلك، فينظرون إلى الشرق الأوسط على أنه يعني العالم الإسلامي المترامي الأطراف الممتد من المغرب في الغرب إلى شرق الباكستان والهند وتركمانستان في الشرق. ويرى بعض الاختصاصيين في علم النفس وعلم الأجناس أن الشرق الأوسط ينبغي أن يحدد سيكولوجياً أو ثقافياً وليس جغرافياً[٢٢].

إن عرض المفاهيم المذكور آنفاً يبين أن التباين في التعاريف ليس بالأمر الغريب. فتعاريف الأقاليم تختلف اختلافاً واسعاً استناداً إلى الطرق والصفات التي يستخدمها الاختصاصيون في نظرية الإقليمية. يضاف إلى هذا أن الشرق الأوسط ما هو إلا مفهوم مجرد وضع في القرن التاسع عشر، وهو عبارة عن مفهوم استراتيجي اخترعته السلطات البريطانية لتصنيف منطقة من مناطق المصالح محاذية للخليج، ذلك المفهوم الذي رافق انهماكها ذاته في البلدان العربية. ولم يبدأ استخدام مصطلح الشرق الأوسط من قبل الدارسين وصانعي السياسة في الغرب إلا في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وإن كان ذلك قد جرى من دون اتفاق في الرأي على حدوده الجغرافية[٢٣].

لذلك ارتأى بعض المراقبين العرب أن فكرة المنظومة الفرعية الشرق أوسطية لم يكن لها أي واقع جغرافي أو تاريخي وإنما هي مفهوم سياسي يعكس المصالح الاستراتيجية للدول الكبرى، وهو في الوقت عينه يخفق في الإحاطة بالديناميات والعمليات الإقليمية. هؤلاء المراقبون أحلوا محل هذه الفكرة مفهوماً لمنظومة فرعية عربية هي بنظرهم أصدق تمثيلاً للتفاعلات والعلاقات في المنطقة. وهذه المنظومة الفرعية العربية تشمل البلدان العربية كلها من موريتانيا إلى الخليج. أما أعضاء هذه المنظومة فيربطهم الامتداد الجغرافي كما أنهم يشتركون بخصائص لغوية وثقافية وتاريخية واجتماعية متماثلة[٢٤].

ولئن كان الشرق الأوسط إقليماً غير متجانس العناصر فإن الوطن العربي يتميز هو أيضاً بالتنوع والاختلاف. لهذا فإن من الخطأ أن نصف كلا المصطلحين بالانسجام والوحدة. فإن المعيار الذي يقاس به وجود منظومة فرعية إقليمية ليس هو مدى الوحدة بل درجة الاشتراك. لنا أن نسأل، في حالة الوطن العربي، ما الذي تشترك فيه موريتانيا مع لبنان والأردن؟ والجواب: ليس الشيء الكثير. وما هي أنواع العلاقات القائمة بين

---

(٢٢) Roderic H. Davison, «Where Is the Middle East?,» in: Richard H. Nolte, ed., *The Modern Middle East* (New York: Prentice-Hall, 1963), p. 27.

(٢٣) Nikki R. Keddie, «Is there a Middle East?,» *International Journal of Middle East Studies,* vol. 4, no. 3 (1973), pp. 255 - 271, and Davison, Ibid., p. 409.

(٢٤) جميل مطر وعلي الدين هلال، **النظام الاقليمي العربي**، ط ٣ (القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٣)، ص ٢٤ ـ ٣١.

شمال إفريقيا والمشرق العربي؟ والجواب: علاقات ضئيلة في أحسن الأحوال. لذا فإن أساس تحديد منظومة فرعية شرق أوسطية أو عربية هو نمط الروابط الوثيقة والتفاعلات بين الأعضاء.

إن نمطاً قوياً من الروابط والتفاعلات كان قائماً بين عدد من البلدان العربية في الخمسينيات والستينيات. وهذه البلدان التي تشكل صلب المشرق العربي هي مصر والعراق وسوريا والسعودية والأردن ولبنان واليمن، بالإضافة إلى الشعب الفلسطيني. وقد لعبت إسرائيل دوراً دقيقاً كفاعل متطفل في السياسات الداخلية والخارجية للبلدان العربية المذكورة. هذا ولا يكفي الاعتقاد بوجود منظومة فرعية عربية مشرقية، وإنما يجب أن نسأل هل تمت في هذه الحالة تلبية الشروط الأربعة المبينة سابقاً؟

إن الشرط الأول المتعلق بوجود طرفين اثنين فاعلين كحد أدنى هو شرط متحقق، ذلك أن صلب النظام العربي يتألف من ثمانية بلدان على الأقل. ثانياً، تتمتع هذه البلدان بالانسجام الثقافي، كما أنها ذات لغة مشتركة وديانة مشتركة فضلاً عن الصلات المؤسسية المتمثلة بالوشائج الاجتماعية والسياسية التي تربط العرب عبر حدود دولهم. إن هذه الصلات قد سهلت تدفق الاتصالات والمعلومات والأفكار في ما بين البلدان العربية وجعلت شعوبها مدركة للقضايا السياسية وما يدور حولها من مناقشات، ومهتمة بها، في أرجاء المنطقة العربية بأسرها. وكانت النتيجة ظهور روابط وثيقة ومباشرة وتطور شعور بالانتماء أرسيت قواعده في مبدأ القومية العربية[٢٥].

قال بول نوبل إن هذا الشعور بالانتماء قد ولّد نزعة قوية لدى الحكومات والأفراد في التدخل في سياسات الآخرين الداخلية والخارجية. ويشجع هذا الشعور كذلك على نمو جماعات اجتماعية وتحالفات سياسية عابرة للأقطار والحدود العربية، وعلى ظهور جمعيات سياسية عبر قطرية مثل حزب البعث وحركة الإخوان المسلمين. يضيف نوبل قائلاً: «بالنظر إلى هذه الروابط وبسببها كانت الأنظمة السياسية للدول العربية مترابطة ترابطاً وثيقاً في ما بينها ومتغلغلة بعضها ببعض. لكأن المنظومة العربية شبيهة بقاعة واسعة تتجاوب فيها أصداء المعلومات والأفكار والآراء من دون اعتبار لحدود الدول»[٢٦]. لهذا فإن الخطوط بين السياسات الداخلية والخارجية في الوطن العربي هي خطوط غير واضحة المعالم.

---

(٢٥) Paul C. Noble, «Regional Arrangements and the Management of Conflict under the United Nations: The Case of the Arab System,» (Doctoral Dissertation, McGill University, Montreal, 1972), pp. 24 - 28 and 229 - 231; Thompson, «The Arab Subsystem and the Feudal Pattern of Interaction, 1965,» p. 161, and Cantori and Spiegel, *The International Politics of Regions: A Comparative Approach*, p. 44.

(٢٦) Noble, Ibid., pp. 47 - 48 and 231 - 232.

يضاف إلى هذا أن قوة التجربة التاريخية المشتركة التي تضرب بجذورها في ذكريات الإمبراطورية العربية قد شكلت أساساً كاملاً للضمير والوجدان العربيين. قال ميشيل هدسون إن اسم الأمة العربية قد استخدم كثيراً في معجم السياسة العربية بحيث لا يمكن طرحه جانباً كمصطلح خيالي أو بلاغي؛ كانت الجماهير العربية مستعدة للثورة والقتال، بل للموت بسبب ما في هذا المصطلح من قوة روحية. إن الماضي الاستعماري المشترك والتجربة المشتركة في نيل الاستقلال قد شدّا البلدان العربية التي تؤلف صلب النظام العربي بعضها إلى بعض. إن لدى هذه الدول مصلحة مشتركة في الحفاظ على حريتها من تدخل الدول العظمى، وكذلك في حل المعضلة الفلسطينية(٢٧).

وبالنظر إلى الروابط الواسعة بين البلدان العربية المذكورة كان مستوى التفاعل في ما بينها عالياً جداً. ويضع نوبل المنظومة الفرعية العربية بمرتبة ذات أعلى مستوى من التفاعل بين أعضائها بالنسبة إلى كل المنظومات الفرعية الإقليمية الأخرى الموجودة في العالم النامي. بيد أن هذا التفاعل لم يكن إيجابياً وتعاونياً بشكل قطعي؛ لقد كان في واقع الأمر سلبياً وخصامياً في أحيان كثيرة. لكن، تظل الحقيقة القائلة بأن البلدان العربية كانت تتفاعل في ما بينها بانتظام وبشكل مكثف وعلى أساس متعدد الأطراف في الحقول الدبلوماسية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية. ونتيجة لذلك فإن التطورات التي تجري في قطر عربيّ ما يسري أثرها إلى العلاقات الداخلية والخارجية لسائر الدول الأخرى(٢٨). إن أقوال وأفعال الأطراف الفاعلة المحلية تتأثر بالطبيعة المشتركة بين الأقطار العربية المختلفة للسياسات العربية. مثلاً، إن الحكام العرب الذين يتبعون سياسات ترمي فقط إلى خدمة المصالح القطرية في حدها الأعلى يشعرون بأن عليهم الدفاع عن قضايا الوحدة العربية بمعسول الكلام على الأقل؛ إنهم يدركون كل الإدراك ما هي بنية المنظومة الفرعية العربية وما هي القيود التي تضعها على سلوكهم.

إن هذا الاهتمام بقضايا الوحدة العربية لا يعني أن المنظومة الفرعية العربية هي منظومة متكاملة أو موحدة. فبالإضافة إلى كون المنطقة متشرذمة سياسياً فإنها تفتقر إلى التماسك الاجتماعي والاقتصادي. ووجود الأقليات الدينية والقبلية والعرقية في أقطار عربية معينة وعبر حدودها يضيف بعداً جوهرياً إلى السياسات العربية. يضاف إلى هذا أن

(٢٧) Michael C. Hudson, «The Integration Puzzle in Arab Regional Politics,» in: Michael C. Hudson, ed., *The Arab Future: Critical Issues,* CCAS Studies in Arab Development (Washington, DC: Georgetown University, Center for Contemporary Arab Studies, 1979), p. 87; Charles Davis Cremeans, *The Arabs and the World: Nasser's Arab Nationalist Policy* (New York: Praeger, 1963), p. 12, and Walid Khalidi, «Thinking the Unthinkable: A Sovereign Palestinian State,» *Foreign Affairs,* vol. 56, no. 4 (July 1978), p. 696.

(٢٨) Hudson, Ibid., p. 85; Noble, Ibid., pp. 47 - 48, and Brecher, «The Middle East Subordinate System and Its Impact on Israel's Foreign Policy,» p. 121.

غلبة المنافسات والمنازعات العربية تفيد بأن «التشابه الثقافي الأساسي بعيد جداً عن البيئة السياسية لذا فإنه لا يعتبر منبئاً بالتكامل»(٢٩). هذا وكما جرى التأكيد سابقاً فإن من الخطأ مساواة المنظومة الفرعية بالتماثل أو الانسجام أو الوحدة(٣٠). إن مدى الاشتراك هو الذي يعتبر حاسماً، والواقع أن البلدان العربية تشترك في صفات ومميزات مشتركة تفوق كثيراً ما فيها من تنوع مختلف.

قال تشارلز كريمينز: «مع أن الساحة العربية معقدة ومتنوعة فهي ككل واحد أكثر فهماً من كونها أجزاء منفصلة. وقد لعبت بشأن عدد من القضايا دوراً في الشؤون الخارجية وذلك بصفتها إقليماً لا بصفتها مجموعة من الدول المنفردة»(٣١). إن اللاعبين المحليين يدركون الطابع المتميز لمنظومتهم الفرعية ويعملون وفق ذلك. إنهم يعرفون الكلفة السياسية التي تترتب على الخروج على الإجماع العربي، كما أن تصويتهم في الجمعية العامة للأمم المتحدة، وكذلك سلوكهم تجاه القضايا الرئيسية التي تؤثر في مصير المنظومة الفرعية العربية، يعكسان بوضوح معرفتهم هذه(٣٢).

إن الوضع العربي في السياسات الدولية يهدف، برأي كريمينز، إلى (١) الاستفادة من الموارد المحلية والخارجية لغرض التنمية الاقتصادية والتحديث؛ (٢) الحفاظ على الاستقلال عن السيطرة الخارجية ومعارضة الانحياز إلى الدول الكبرى واتباع سياسة الحياد الإيجابي إزاء الصراع بين الشرق والغرب؛ (٣) تعبئة الدعم العالمي من أجل القضية الفلسطينية وعزل إسرائيل في الساحة الدولية ولا سيما في الأمم المتحدة؛ (٤) الدعوة للقومية العربية والوحدة العربية وكذلك التضامن الأفرو ـ آسيوي لغرض تعزيز مركز المساومة الدولي للبلدان العربية(٣٣).

أخيراً، وبالنظر إلى أن الدول العربية التي تؤلف عصب المشرق العربي هي دول متجاورة جغرافياً، فقد تحقق الشرط الأخير لتصنيفها كمنظومة فرعية منفصلة. وباستثناء مصر المنعزلة جغرافياً فإن الساحة العربية صغيرة نسبياً، وتشترك بروابط جغرافية قوية.

---

(٢٩) Michael C. Hudson, «The Middle East,» in: James Rosenau, Kenneth W. Thompson and Gavin Boyd, *World Politics: An Introduction* (New York: Free Press, 1976), pp. 468 and 483; Hudson, Ibid., pp. 82 - 83, and Cantori and Spiegel, *The International Politics of Regions: A Comparative Approach,* p. 50.

(٣٠) Korany, *Social Change, Charisma, and International Behaviour: Toward a Theory of Foreign Policy-Making in the Third World,* pp. 150 - 151.

(٣١) Cremeans, *The Arabs and the World: Nasser's Arab Nationalist Policy,* p. 16.

(٣٢) Cantori and Spiegel, *The International Politics of Regions: A Comparative Approach,* pp. 50 - 51, and Hudson, «The Integration Puzzle in Arab Regional Politics,» p. 85.

(٣٣) Cremeans, Ibid., p. 14.

فروابط النقل والاتصالات على ضعفها كثيفة نوعاً ما نظراً لحجم الساحة الصغير نسبياً ولأن الأرض منبسطة نسبياً أيضاً(٣٤).

يقول ريموند آرون، خلافاً لبروس روسيت الذي يجعل الفضاء الجغرافي والمادي أقل أهميةً من الفضاء الاجتماعي، إن هذين الفضاءين يعزز أحدهما الآخر. وهو يؤكد على ما في البعد من مغزى للإنسان، وعلى التعزيز المتبادل الناشئ عن العلاقات التاريخية، وعلى القرب المكاني. ويسأل آرون لماذا زلزلت الأرض في أمريكا اللاتينية بعد الثورة الكوبية ولكن ليس بعد الثورة الصينية؟ والجواب بالنسبة إليه بسيط، وهو: «أن الثورات التي تندلع بعيداً من قبل شعب يتكون من أجناس أخرى لا تثير العواطف نفسها. قد تكون الإنسانية واحدة، إنما لا تتمتع الشعوب بإدراك واضح لوحدتها. إن المجتمعات الإقليمية تظل أقوى من المجتمع الإنساني»(٣٥).

وبما أن الأطراف الفاعلة العربية متجاورة جغرافياً فإنها تنحو إلى أن تكون أكثر استجابةً للتطورات المحلية وأشد ارتباطاً بها. هذا وإن تراكب الفضاءين الاجتماعي والمادي قد سهّل تدفق الأفكار في أرجاء البلدان العربية، فكانت النتيجة عدم استطاعة هذه الدولة العربية أو تلك حماية نفسها حقاً من التيارات السياسية والعقائدية المتلاطمة في أرجاء المنطقة. إن الأطراف الفاعلة العربية على كونها مترابطة في ما بينها فإنها مع ذلك لم تؤلف مجتمعاً سياسياً متجانساً ولم تحظ بوحدة سياسية أساسية. غير أنه ما من تعريف للمنظومة الفرعية يتطلب وجود مثل هذا المعيار.

رابعاً: المنظومة الفرعية العربية والقوى الاقليمية والخارجية

على أن المنظومة الفرعية العربية ليست مغلقة. فعلى الرغم من مساعي بعض البلدان العربية لإبقاء بوابات الساحة العربية موصدة بوجه القوى الخارجية فإن دولاً متطفلة، إقليمية وعالمية معاً، قد نجحت في اختراق الجدران المشيدة حديثاً في الوطن العربي. بل إن بعض المحللين يعرّف المنظومة الفرعية العربية من حيث علاقتها بالصراع العربي - الإسرائيلي. واقترح ميشيل بريشير أن إسرائيل تمثل التهديد الرئيسي للأمن القومي للأنظمة العربية فكانت بذلك عامل توحيد في السياسات العربية. كذلك جعل يائير إفرون المنظومة الفرعية العربية تتركز حول أمكنة جغرافية معينة تدور فيها الصراعات، ومنها النزاع العربي - الإسرائيلي. ويرى طارق إسماعيل أيضاً أن ظهور المنظومة الفرعية العربية يتصل اتصالاً مباشراً بالمأساة الفلسطينية، وأن قيام إسرائيل بدحر البلدان العربية قد شحذ

---

(٣٤) Noble, «Regional Arrangements and the Management of Conflict under the United Nations: The Case of the Arab System,» p. 225.

(٣٥) Aron, *Peace and War: A Theory of International Relations*, pp. 390 and 397.

طاقات هذه الأخيرة وشحن مواردها(٣٦).

إن المحنة الفلسطينية كانت ولم تزل قضية عاطفية جداً، وقد ظلت الأحلام والآمال بالنسبة لكثيرين من العرب من دون أن تتحقق، لذا صار الكفاح من أجل فلسطين عاملاً من عوامل التعبئة في السياسات العربية البينية. بالإضافة إلى ذلك، فإن تصورات الزعماء العرب للتهديد الإسرائيلي عزز مخاوفهم من «جارهم اليهودي» الذي نجح في إقلاقهم. هذا ومنذ الستينيات، حين تشابك العداء العربي - الإسرائيلي بالتنازع الأمريكي - السوفياتي، تصاعدت حدة الصراع إلى درجات الخطر فغدت المنطقة هي مكان الصراع الرئيسي. لهذه الأسباب جميعاً يكون من الضروري أخذ دور إسرائيل بعين الاعتبار، وهو الدور «الذي يعتبر حضوره ضرورياً لإدراك سياسات المنطقة عموماً»(٣٧).

من جهة أخرى ينبغي لنا أن نحذّر من المبالغة في تأثير إسرائيل في السياسات العربية الإقليمية. لم تكن إسرائيل البؤرة المركزية للمنظومة الفرعية القائمة بين البلدان العربية في الخمسينيات باستثناء فترة حرب السويس. كان الحكام العرب منشغلين كل الانشغال أحدهم بالآخر ومنهمكين كل الانهماك بمنافسة حادة لكسب القوة والنفوذ. ومع أن خطابات الحكام العرب كانت حافلة بذكر القضية الفلسطينية والعدوان الإسرائيلي، إلا أن أعمالهم كانت تتركز على التطورات الداخلية كالتحالفات والتنازعات العربية - العربية. بل إن الصراع العربي - الإسرائيلي لم يصبح عاملاً مسيطراً في السياسات الإقليمية خلال الستينيات إلا لأن هذا الصراع كان يتصل اتصالاً مباشراً بتصاعد حدة الحرب الباردة العربية.

رأى مالكوم كير أن الحكام العرب استخدموا ذلك الصراع كعصا يضرب بها أحدهم الآخر(٣٨). قبل حرب ١٩٦٧ كان العرب من المحافظين والثوريين على السواء يناكفون مصر لسياستها الساكنة تجاه إسرائيل. واتهمت مصر بالإخفاق في أداء مسؤوليتها التاريخية نحو الشعب الفلسطيني. إن مناخ الاتهام هذا يفسر ولو جزئياً قرارات عبد الناصر التي اتخذها في أيار/مايو ١٩٦٧ بإرسال تعزيزات عسكرية إلى سيناء، وطلبه

---

(٣٦) Brecher, «The Middle East Subordinate System and Its Impact on Israel's Foreign Policy,» pp. 120 - 129; Yair Evron, *The Middle East: Nations, Superpowers and Wars,* International Relations Series; vol. 5 (London: Elek Books; New York: Praeger, 1973), pp. 192 - 200, and Tareq Y. Ismael, *International Relations of the Contemporary Middle East: A Study in World Politics* (Syracuse, NY: Syracuse University Press, 1986), pp. 3 - 13.

(٣٧) I. William Zartman, «The Composition of Subordinate Systems,» paper presented at: The Annual Meeting of the American Political Science Association, Chicago, Illinois, 1974, p. 5.

(٣٨) Malcolm H. Kerr, «Regional Arab Politics and the Conflict with Israel,» in: Paul Hammond and Sidney S. Alexander, ed., *Political Dynamics in the Middle East,* The Middle East: Economic and Political Problems and Prospects (New York: American Elsevier, 1972), p. 61.

بسحب قوات الأمم المتحدة الموجودة هناك، وغلق خليج العقبة بوجه الملاحة الإسرائيلية. اعتبرت الزعامة الإسرائيلية هذا العمل الأخير سبباً ومبرراً لإعلان الحرب وشنت هجوماً ساحقاً ضد مصر وسوريا والأردن. لذا فإن من المضلل القول بأن القضية الفلسطينية وحدت البلدان العربية في حين أنها كانت منقسمة بشأن القضايا الأخرى كلها. عبّر كير عن ذلك بقوله: «سيكون من الأصوب القول إنه حين يكون العرب في مزاج تعاوني فإن من شأن ذلك أن يتم التعبير عنه بإجراء اتفاق على تحاشي العمل بشأن فلسطين، أما حين يختارون الخصام فإن سياستهم الفلسطينية تصبح فعلياً موضوعاً للنزاع»(٣٩).

ومع أن الباحثين المشار إليهم أعلاه يعرّفون المنظومة الفرعية العربية من زاوية الصراع العربي الإسرائيلي، فثمة آخرون يعرّفونها من زاوية المنافسات بين الدول الكبرى التي دارت في المنطقة. قال رودريك ديفسون، مثلاً، إذا كان هناك مبدأ توحيد في المنطقة «فقد كان هذا دائماً هو المصالح السياسية والاستراتيجية لدول خارجية»(٤٠). إن المنطق الكامن وراء هذا التفكير هو أن وحدات القوة في منظومة فرعية دولية إنما تكون تابعة وذات مرتبة أدنى ولوحدات في منظومة عالمية مؤلفة من دول كبرى. ولحل رموز سلوك وعمل المنظومة الفرعية التابعة يرى جورج مودلسكي وبريشير أن من الضروري فهم أثر هذه العلاقة الهرمية، أي أن تعريف أية منظومة فرعية إقليمية يجب أن يتضمن الدور السيادي للدول الكبرى ذات القوى العالمية(٤١).

ويمكن القول إن التبعية ليست شرطاً ضرورياً لوجود المنظومات الفرعية، ذلك أن درجة التبعية ومداها ليسا على نحو واحد بالنسبة إلى المنظومات الفرعية كلها، كما أنها ليست متسقة على الدوام بالنسبة إلى أية منظومة فرعية منفردة. لهذا فالسؤال هو إلى أي مدى تكون منظومة فرعية بعينها خاضعة للتبعية ووفق أية شروط ونحو من؟(٤٢). إن مودلسكي وبريشير يقيسان القوة من حيث شكلها الخام إذ يقولان: بما أن لدى الدول الكبرى قدرات ضخمة، وبما أنها متفوقة على الدول الصغيرة فهي تستطيع لذلك أن تمارس نفوذاً على اللاعبين المحليين. إن مصير سياسات هذه الدول واقتصاداتها يتقرر على مستوى عالمي أعلى. لذا فإن النماذج ذات القطبية الثنائية التي وضعها كينيث والتز

---

(٣٩) Malcolm H. Kerr, *The Arab Cold War: Gamal Abd al-Nasir and His Rivals, 1958 - 1970*, 3rd ed. (London: Oxford University Press, 1971), p. 114.

(٤٠) Davison, «Where Is the Middle East?,» p. 27.

(٤١) George Modelski, «International Relations and Area Studies: The Case of South-East Asia,» *International Relations*, vol. 2, no. 3 (April 1961), pp. 148 - 149, and Brecher, «International Relations and Asian Studies: The Subordinate State System of Southern Asia,» p. 220.

(٤٢) Thompson, «The Regional Subsystem: A Conceptual Explication and a Propositional Inventory,» pp. 98 - 99.

ومورتون كابلان تكون هي المفضلة على غيرها(٤٣).

بيد أن الدول الكبرى تجد في الغالب أنها غير قادرة على ترجمة مواردها المادية المتفوقة إلى سيطرة سياسية مباشرة. إن هيكل المنظومة الدولية يقيد قدرة هذه الدول على السيطرة على فعاليات الدول الصغيرة. يقول سايروس بينا إن تشعب العلاقات الاجتماعية للعالم الرأسمالي وتشابك العلاقات الدولية هما اللذان يقيدان مواقف الدول الكبرى في الهيمنة(٤٤). وقد اتخذت الأطراف الفاعلة المحلية مبادرات دقيقة تجاه الدول العظمى وتمسكت باستقلالها النسبي إزاءها. من ذلك على سبيل المثال صفقة الأسلحة المصرية ـ السوفياتية في عام ١٩٥٥، وقيام عبد الناصر بتأميم شركة قنال السويس في عام ١٩٥٦؛ والوحدة المصرية ـ السورية في عام ١٩٥٨؛ وتوجيه الأنظمة العربية ضرباتها القاصمة ضد الشيوعيين المحليين؛ والإطاحة الدموية في العراق بالحكم الملكي الموالي للغرب في عام ١٩٥٨؛ وخصام عبد الناصر مع خروتشوف في عام ١٩٥٩؛ والسلوك المصري ـ الإسرائيلي في أزمة أيار/مايو ١٩٦٧. وفي هذا يقول ياب: «إن الحرب الباردة لم تصدّر إلى الشرق الأوسط. بل إنها استوردت من قبل دول المنطقة لخدمة أغراضها»(٤٥).

لهذا لا يمكن تحليل العلاقة بين القوى العظمى والدول الصغيرة عن طريق سياسات القوة. كانت هذه العلاقة معقدة وغامضة وكانت طبقاتها المتعددة بحاجة إلى فهم ودراسة. يقرر كريستوفر شوميكر وجوزيف سبانيير أن العلاقة بين الدول العظمى والدول السائرة في ركابها في الشرق الأوسط كانت علاقة مساومة حاول فيها كل طرف من أطرافها أن يبتز الطرف الآخر للحصول على تنازلات ذات قيمة كبيرة بأقل كلفة(٤٦). كان ذلك باختصار طريقاً ذا ممرين. لهذا تدعو الحاجة إلى تفسير دقيق وأكثر دينامية للعلاقة المذكورة تأخذ في الاعتبار التفاعل المتبادل بين الساحات القطرية والإقليمية والدولية. غير أن هذه الساحات الثلاث ليست متغيرات بسيطة بل هي جزء من هيكل ذي اتجاه هرمي.

---

(٤٣) Kenneth Waltz, *Theory of International Politics* (Reading, MA: Addison-Wesley, 1979), and Morton Kaplan, *System and Process in International Politics* (New York: John Wiley, 1957).

(٤٤) Cyrus Bina: «A Prelude to Internationalization of the Post-War Economy,» *Journal of Economic Democracy*, vol. 2, no. 2 (January-March 1992), pp. 1 - 5, and «The Rhetoric of Oil and the Dilemma of War and American Hegemony,» *Arab Studies Quarterly*, vol. 15, no. 3 (Summer 1993).

(٤٥) Yapp, *The Near East since the First World War*, vol. 2, p. 438.

(٤٦) Christopher C. Shoemaker and John Spanier, *Patron-Client State Relationships: Multilateral Crises in the Nuclear Age* (New York: Praeger, 1984), p. 58, and Jacob Bercovitch, «Superpowers and Client States: Analyzing Relations and Patterns of Influence,» in: Efrat and Bercovitch, eds., *Superpowers and Client States in the Middle East: The Imbalance of Influence*, pp. 9 - 32.

إن هذا المدخل يتحاشى الاعتقاد السائد بالتركيز بقوة بالغة على السياسات الخارجية للدول الكبرى ومصالحها، وهو يركز بدلاً من ذلك على تصورات الدول المحلية واهتماماتها. لم يعد تاريخ المنطقة يكتب وكأن «الدول هي خشب يطفو في بحر الشؤون الدولية، ومصائرها تتحدد بقرارات الآخرين»(٤٧). وفي الوقت عينه لا ينحدر هذا المدخل إلى مستوى الرأي المعاكس الذي يشدد على أهمية البيئة الإقليمية قبل البيئة الدولية. إن محرك التغيير الرئيسي بموجب هذا الرأي هو محرك داخلي وليس خارجياً. يرتأي ياب مثلاً، في استعراضه المختصر للعلاقات الدولية للشرق الأوسط، أن واشنطن وموسكو لم يكن تأثيرهما أو نفوذهما كبيراً على حلفائهما وأعدائهما المحليين. ويضيف ياب أن الدول العظمى وجدت نفسها في أغلب الأحيان عرضة للاستغلال من قبل شريكاتها العربية(٤٨).

وعلى خلاف هذين المنظورين المتعارضين فإن غايتي من هذا الكتاب هي النظر في العلاقة بين الدول العظمى والمنظومة الفرعية العربية من وجهتي النظر المغاليتين المذكورتين وكذلك النظر في هذه العلاقة في داخل البنية العالمية التي كانت موجودة في الفترة من عام ١٩٥٥ إلى عام ١٩٦٧. وخير ما يمكن به فهم سلوك البلدان العربية في تلك الحقبة هو التركيز على اهتمامات هذه البلدان وأولوياتها وكذلك على ما كان يشغل تفكير الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي. إن تحليلي يأخذ بالحسبان مدى الاختراق المتبادل والتوافق بين الدول العظمى والأطراف الفاعلة الإقليمية من دون استبعاد المداخلات الخارجية والنفوذ الأجنبي ومن دون أن أوحي ضمناً بتوخي إجراء تقسيمات.

إن نموذج عدم الاستمرارية [أو فصل وحدة الأجزاء] كما طوره أوران يونغ يعبر عن جوهر وجهة نظري. فخلافاً للنماذج ذات القطبية الثنائية التي تبرز سيادة محور منفرد من محاور الصراعات «يشدد نموذج عدم الاستمرارية على أهمية العوامل الإقليمية والعوامل الخاصة بالمنظومات ويشدد على الأنماط المعقدة للاختراق المتبادل فيها تاركاً مجالاً لمعرفة أي نوع من العوامل هو السائد وتنقّل أهميته من هذا العامل إلى ذاك»(٤٩). بعبارة أخرى تأخذ دراستي بالحسبان مجموعة من العوامل العلمية والإقليمية في تفسيرها ديناميات العلاقة بين الدول العظمى والبلدان العربية.

في الفترة التي تغطيها الدراسة، هناك عوامل متعددة حددت شكل العلاقات بين الأطراف الفاعلة العربية والدول من خارج الإقليم. أحد هذه العوامل هو توجهات

---

(٤٧) Yapp, Ibid., vol. 2, p. 3, and I. William Zartman, «Political Science,» in: Leonard Binder, ed., *The Study of the Middle East: Research and Scholarship in the Humanities and Social Sciences* (New York: John Wiley, 1976), p. 299.

(٤٨) Yapp, Ibid., vol. 2, pp. 5, 437 - 438 and chap. 16.

(٤٩) Oran R. Young, «Political Discontinuities in the International System,» *World Politics*, vol. 20, no. 3 (April 1968), p. 371.

السياسة الخارجية للبلدان العربية المختلفة. لقد وجهت كل دولة من الدول العظمى ضغطاً كبيراً على اللاعبين المحليين لجعل سياساتهم الخارجية متفقة مع سياساتها التي تعبر عن مصالحها. حاولت بريطانيا العظمى والولايات المتحدة خصوصاً، إغراء دول المنطقة بالانضمام إلى مواثيق الدفاع الغربية وإلى التحالف مع الغرب. ومع أن بعض البلدان العربية المحافظة رحبت بتلك المقترحات الغربية وقبلت بها إلا أن مصر وغيرها من البلدان العربية عارضت بشدة مثل تلك المقترحات على أساس أن من شأنها التفريط بمركز المساومة الدولي الذي تتمتع به البلدان العربية، وأنها تضعف استقلالها الذي حازته حديثاً. وأدى ذلك إلى حدوث انقسام كبير بين المحافظين العرب والثوريين وكذلك بين هؤلاء والدول الغربية.

يكمن في صميم هذه المواجهة صراع على القوة. فمن جهة أرادت الدول الغربية، ولا سيما الولايات المتحدة، المحافظة على الوضع الراهن لتحفظ بذلك مركزها الاقتصادي ـ الاستراتيجي في المنطقة، وكذلك لاحتواء الاتحاد السوفياتي. ومن جهة أخرى تحدت مصر الوضع الراهن باتباعها سياسة عدم الانحياز في الشؤون الخارجية. وبالنسبة إلى الدول الغربية كان اتباع مصر لسياسة خارجية مستقلة وحازمة متصلاً بتطور خطير آخر: ففي الخمسينيات والستينيات كان مبدأ عبد الناصر في القومية العربية، وديناميكيته في نيل الزعامة العربية يهددان مصالح تلك الدول ويهددان أمن النظام العربي المحافظ.

وكانت الدول الغربية، ولا سيما بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة تنظر، في مراحل معينة، إلى القومية العربية الراديكالية كقوة مخربة في المنطقة، وإلى عبد الناصر كرجل يعيق ما يجري في المنطقة باعتزامه فصم علاقات الصداقة التقليدية القائمة بين الغرب والبلدان العربية. وخشيت تلك الدول أيضاً أن تؤدي سياسات عبد الناصر إلى فتح الباب على مصراعيه للسوفيات في المنطقة، وما لم يجر تبديله أو الوقوف بوجهه بشكل فعال فإن النفوذ السوفياتي قد يعرض للخطر مصادر المنطقة النفطية، وهي حيوية جداً للغرب. لذا قامت الدول الغربية باتخاذ سلسلة من الإجراءات لإحداث توازن بوجه مصر في الوطن العربي ولتقوية معارضيها في المنطقة. وقد زجت هذه الإجراءات بالجبهة التي تقودها مصر ضد الغرب. وفي أواخر الخمسينيات حاول الزعماء السوفيات، وهم كذلك قلقون من توسع النفوذ المصري ومن تزايد شعبية عبد الناصر في المنطقة، تقوية النظام العسكري الجديد في بغداد لإجراء توازن بوجه القاهرة. وقد ثار نزاع مرير وعلني بين خروتشوف وعبد الناصر استمر حتى عام ١٩٦١.

هناك عامل ثانٍ يحدد شكل العلاقات بين الأطراف الفاعلة العربية والدول العظمى وهو الصراع العربي ـ الإسرائيلي. اعتبر المسؤولون الأمريكيون هذا الصراع عنصراً يزعزع الاستقرار في المنطقة ويربك سياساتها، واعتبروه كذلك مصدراً للتوتر الدائم بين العرب والغرب. إن هذا الصراع بنظر هؤلاء المسؤولين أتاح للاتحاد السوفياتي فرصة ذهبية ليمد نفوذه في المنطقة. فلا غرابة أن تحاول الإدارات الأمريكية المتعاقبة إيجاد صيغة توفق بين

العرب وإسرائيل. وأدى إخفاق هذه المساعي إلى تكوين قناعة لدى صانعي القرار في الولايات المتحدة بأن الأجدى تجميد الصراع العربي - الإسرائيلي، وكانت هذه الاستراتيجية قد لاقت نجاحاً نسبياً في الخمسينيات إذ تعلم كلا الطرفين دروساً من أزمة السويس، كما أن عبد الناصر - الذي حافظ وضعه الدفاعي في مواجهة إسرائيل على السلام - قد عزز مركزه في الوطن العربي.

أما في الستينيات فقد تضاعف عدد الحوادث العسكرية على الجبهة العربية - الإسرائيلية. وقد رافق هذا التصعيد في التوتر تدهور مطرد في العلاقات بين الولايات المتحدة والثوريين العرب، وتغلغل سوفياتي عميق في المنطقة. وكانت النتيجة تشابك الصراع العربي - الإسرائيلي بالحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي. فحين كانت إدارة الرئيس جون كينيدي في السلطة بدأت حكومته في عام ١٩٦٢ بتزويد إسرائيل بالأسلحة بشكل مباشر. وجاء بعده الرئيس ليندون جونسون فكان متعاطفاً جداً مع إسرائيل، كما كان مصمماً على إقامة علاقات أوثق معها. وفي مؤتمر القمة العربي الأول المنعقد في عام ١٩٦٤ قرر الزعماء العرب أن تقام علاقات الأقطار العربية بالدول الأجنبية على أساس مواقف الأخيرة من القضية الفلسطينية. لم يرتدع جونسون فقرر زيادة مبيعات الأسلحة الأمريكية إلى إسرائيل، كما أنه جعل المساعدات الأمريكية إلى البلدان العربية متوقفة على تجميدها للقضية الفلسطينية. إن هذه التوترات صعدت من مناخ الشك والمواجهة بين الوطن العربي من جهة والغرب من جهة أخرى.

ثمة قضايا أخرى عقّدت العلاقة بين البلدان العربية والدول الكبرى. ففي الستينيات كانت المواجهة المصرية - السعودية في اليمن مصدراً لعدم الاستقرار في المنطقة، كما كانت عاملاً مهماً في تدهور العلاقات بين واشنطن ولندن، وكذلك بين واشنطن والقاهرة. لم تؤيد إدارة كينيدي منذ الابتداء معارضة السعودية للوجود المصري في اليمن، في حين أيدت الحكومة البريطانية هذه المعارضة. كان المسؤولون البريطانيون حذرين تجاه عبد الناصر، وكانوا قلقين من آثار حرب اليمن على مركز بريطانيا في عدن. كذلك أرادت إدارة جونسون التقليل من نفوذ عبد الناصر وإضعاف ما ينادي به من قومية عربية راديكالية. لقد أشهر عبد الناصر تهديداً للمصالح الغربية الحيوية وأهمها النفط وذلك بمد تأثيره إلى اليمن.

يضاف إلى هذا أن مواقف عبد الناصر في الساحتين الإقليمية والدولية - كموقفه من أزمة الكونغو ودعوته الحكام العرب والشعوب العربية إلى إزالة القواعد العسكرية الغربية من أقطارهم - أقنعت الزعماء الغربيين بأنه يضمر العداء لهم ودفعتهم إلى زيادة ضغطهم عليه. كذلك شعر الزعماء السوفيات بالإحباط لعدم قدرتهم على ممارسة نفوذ حقيقي في المنطقة العربية، فقد كانت الأطراف الفاعلة العربية تكيل الضربات للشيوعيين المحليين وتتجاهل مصالح حليفهم القوي وكان على مسؤولي الكرملين أن يختاروا، المرة تلو الأخرى، بين مقتضيات علاقات الدولة وهموم رفاقهم العقائديين من الشيوعيين العرب.

كانوا يختارون الأمر الأول دائماً. إن الزعامة السوفياتية، كانت مهتمة أساساً بتوجهات السياسة الخارجية للدول العربية الراديكالية، فنبرة الأخيرة المناهضة للغرب كانت تستهوي المسؤولين السوفيات المنشغلين بالحرب الباردة ضد الولايات المتحدة. وهكذا ضحى صناع القرار السوفيات بحلفائهم من الشيوعيين العرب من أجل مصالحهم السياسية الواقعية.

خامساً: تفاعل العلاقات العربية ـ العربية

لكي نفهم العلاقات بين الأطراف الفاعلة العربية والدول الأجنبية علينا أن نتذكر أهمية الديناميات العربية ـ العربية. يبين التحليل التجريبي أن العلاقة بين الدول العظمى والوطن العربي خلال الفترة موضوع الدراسة لا يمكن فهمها إلا بالتركيز على الشؤون العربية. وعلى المنافسات في ما بين البلدان العربية. إن سلوك الحكام العرب في المضمارين الإقليمي والدولي كان يتقرر إلى حدٍ كبير من خلال مواقعهم في المنظومة الفرعية وضرورات التحالفات المحلية. كما أن إقحام الصراع بين الشرق والغرب في السياسات الإقليمية أسهم في تصاعد حدة الحرب الباردة العربية. إن معظم التحليل التاريخي في هذا الكتاب يركز على هذه الرابطة بين التفاعلات العربية ـ العربية والسياسات الإقليمية الدولية.

مثلاً، بعد انفصال سوريا في عام ١٩٦١ عن الوحدة مع مصر وانعزالها في الساحة العربية اتبع الحكام السوريون سياسات متشددة إقليمياً ودولياً، وكان ذلك يرمي إلى حدٍ كبير إلى تحاشي تهميشهم سياسياً. ونتيجة لذلك لعب النظام السوري دوراً حاسماً في التصعيد على الجبهة العربية ـ الإسرائيلية، قبيل حرب ١٩٦٧، وهذا الدور يصور الرابطة الوثيقة بين السياسات الداخلية والإقليمية والدولية. لهذا سنوجه عناية خاصة إلى شدة التفاعلات الجارية في ما بين البلدان العربية.

في المرحلة موضوع هذه الدراسة كانت إحدى السمات المتميزة للنظام العربي تتجلى في الانقسام بين الثوريين والمحافظين. ففي ظل القيادة الكارزمية لعبد الناصر كانت مصر تمثل قوة الدفع وراء المعسكر الثوري. وكان نوري السعيد، رئيس وزراء العراق، يقود الكتلة المحافظة حتى عام ١٩٥٨ حين أطاحت مجموعة من «الضباط الأحرار العراقيين» بالملكية. وفي أعقاب هذه الثورة في بغداد تصاعد الصراع بين السعودية وعبد الناصر. هذا وينبغي ألا يؤخذ هذا الانقسام الدقيق بين الثوريين والمحافظين مأخذ الأمر المفروغ منه، فقد كانت الحدود العقائدية الفاصلة متداخلة في غالب الأحيان، كما كانت هناك انقسامات عميقة في داخل كلٍ من المعسكرين المحافظ والثوري[٥٠].

---

(٥٠) Malcolm H. Kerr, «Persistence of Regional Quarrels,» in: Jacob Coleman Hurewitz, ed., *Soviet-American Rivalry in the Middle East* (New York: Columbia University Press, Academy of Political Science, 1969), pp. 230 - 232.

أنظر، على سبيل المثال، إلى النزاع الحاد بين الضباط الأحرار من المصريين والعراقيين الذي كان أشد عنفاً من الخصومة بين الثوريين المصريين والملكيين العراقيين. وبعد أن انفصلت سوريا من الجمهورية العربية المتحدة أصبح نظامها العدو اللدود لمصر. وكان المحافظون العرب يتخاصمون أيضاً، ومن ذلك التنازع التقليدي بين الأسرة السعودية الحاكمة والأسرة الهاشمية الحاكمة في العراق والأردن. لكن النظام المحافظ كان على العموم أكثر تماسكاً من نظيره الثوري، إذ لم يكن يسعه المغامرة لأن بقاءه السياسي كان على المحك. إن التأثيرات في السياسات الخارجية للبلدان العربية يصبح أكثر وضوحاً بتفحص التفاعلات المختلفة للسياسات العربية ـ العربية.

سادساً: التقسيم التاريخي

تنطوي التقسيمات التاريخية عموماً على عنصر اعتباطي، ولا تستثنى من ذلك الفترة موضوع الدراسة وهي من عام ١٩٥٥ إلى عام ١٩٦٧. لكن اختياري هذه الفترة مشروع لأنها تعتبر حقبة حاسمة، ومن الممكن أن نُرجع إليها أهم الأحداث السياسية التي ما تزال تتفاعل آثارها على الساحة الشرق أوسطية اليوم. فقبل عام ١٩٥٥ لم يكن الاتحاد السوفياتي يتدخل في الساحة العربية إلا قليلاً. وبقيام عبد الناصر بعقد صفقة الأسلحة مع موسكو في عام ١٩٥٥ فإنه دعا بذلك السوفيات إلى المشاركة في دبلوماسية الشرق الأوسط، وكذلك كسر الاحتكار الغربي لتجهيزات السلاح إلى المنطقة. وبمبادرته هذه دشن بدايةً لعهدٍ جديد في العلاقات الإقليمية والدولية للوطن العربي.

ولئن كان عام ١٩٥٥ قد أنبأ بميلاد نظام عربي جديد فإن عام ١٩٦٧ حدد تاريخ سقوطه. إن الهزيمة الساحقة والمؤلمة التي ألحقتها إسرائيل بجيرانها أضعفت من مصداقية القوميين العرب وفتحت أبواب الوطن العربي أمام لاعبين خارجيين ومعتقدات دخيلة. وأدى الاعتماد المتزايد من قبل البلدان العربية على الدول العظمى إلى تقييد حريتها في العمل وإلى التفريط باستقلالها. وقد فقدت المنظومة الفرعية للبلدان العربية ما كانت قد حققته من استقلال ذاتي هامشي في السنوات القليلة السابقة لعام ١٩٦٧.

لقد جرى تنظيم هذه الدراسة وفق الترتيب الزمني، فقد اخترت للتحليل الأحداث الكبرى التي وقعت في الفترة من عام ١٩٥٥ إلى عام ١٩٦٧. وقد قمت على وجه الخصوص بتقدير الأهمية النسبية تقديراً صارماً للقوى الداخلية والخارجية وراء تلك التطورات وذلك بموجب الدليل التاريخي. كذلك ستجري محاولة لاستخلاص بعض الاستنتاجات العامة على أساس ذلك الدليل التاريخي. هذا وان التاريخ المادي والتحليلي هو الأساس الصحيح الوحيد لاستخلاص استنتاجات إيجابية وتوفير بصائر جديدة من الأحداث الماضية.

الفصل الثاني

انشغال الدول العظمى
في الشرق الأوسط عام ١٩٥٥

سأبحث في هذا الفصل العلاقات الدولية للمنظومة الفرعية العربية المشرقية مع الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي من شباط/ فبراير إلى أيلول/ سبتمبر ١٩٥٥. تحفل هذه الفترة بأحداث تاريخية ابتداءً من التوقيع على حلف بغداد، وانتهاءً بصفقة الأسلحة التشيكية التي جرى ترتيبها سراً بين مصر والاتحاد السوفياتي. أدت هذه الأحداث إلى تغييرات أساسية في طبيعة ومنطق العلاقات العربية مع الدول الكبرى والعلاقات العربية البينية. من الناحية الإقليمية، ونتيجةً لانضمام سوريا إلى المعسكر المصري في نهاية عام ١٩٥٥، أضحت مصر زعيمة للمعسكر العربي الثوري، والمتحدي الرئيسي للوضع الراهن وللهيمنة الغربية. ومن الناحية العالمية أدى دخول الاتحاد السوفياتي إلى الساحة العربية وعقد صفقة الأسلحة مع مصر في ربيع عام ١٩٥٥ إلى إنهاء عهد من الهيمنة الغربية الكلاسيكية المقتصرة على الغرب في المنطقة.

أولاً: الدور الرئيسي لمصر في المنظومة الفرعية العربية

كانت مصر بؤرة العلاقات الدولية العربية في ذلك الوقت. ونذكر على سبيل المثال أن لاعبين مهمين في داخل الحكومة الأمريكية كانوا يعتبرون مصر «مفتاح الدخول إلى تأسيس منظمة دفاعية شرق أوسطية وإلى إقامة علاقات جديدة بين الغرب والدول العربية»[(١)] كان الاتحاد السوفياتي يشاطر الولايات المتحدة هذا الرأي، كما أن القاهرة قد كانت من أمدٍ طويل مركز الثقل في العالم العربي والإسلامي نظراً إلى وزنها الثقافي والسياسي والسكاني[(٢)].

---

(١) مذكرة من نائب مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى وجنوبي آسيا وافريقيا (جيرنيغان) الى وزير الخارجية، واشنطن، ٣٠ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٢، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1952 - 1954: The Near and Middle East*, vol. 9, part 2 (Washington, DC: Government Printing Office, 1986), pp. 1926, 1929, 1991, 2281 and 2291 - 2292.

(٢) Adeed I. Dawisha, *Egypt in the Arab World: The Elements of Foreign Policy* (London: Macmillan, 1976), p. 2 =

يضاف إلى هذا أن صناع السياسة الغربيين، وعلى رأسهم جون فوستر دالاس وزير خارجية أمريكا، وأنطوني إيدن رئيس وزراء بريطانيا، كانوا يعتبرون عبد الناصر الزعيم الوحيد صاحب النفوذ الأكبر في الساحة العربية. إن الشخصين المذكورين، بمبالغتهما في التأكيد على أهمية شخصية عبد الناصر، قد تجاهلا تيارات وقوى مهمة مثل القومية والحياد والاستقلال التي كانت تحدد شكل المستقبل في المنطقة(٣). وقد أسهمت أقوال عبد الناصر وأفعاله إلى حدٍ غير قليل في خلق ذلك التصور عن شخصه. لقد كان يحمل في فكره لمصر دوراً قيادياً في السياسات الإقليمية والدولية، ويفصح عن ذلك في خطبه ومنها قوله: «ولست أدري لماذا يخيل إلي دائماً أن في هذه المنطقة التي نعيش فيها دوراً هائماً على وجهه يبحث عن البطل الذي يقوم به. ثم لست أدري لماذا يخيّل إلي أن هذا الدور الذي أرهقه التجوال في المنطقة الواسعة الممتدة في كل مكان حولنا قد استقرّ به المطاف متعباً منهوك القوى على حدود بلادنا يشير إلينا أن نتحرك وأن ننهض بالدور ونرتدي ملابسه، فإن أحداً غيرنا لا يستطيع القيام به. وأبادر هنا فأقول إن الدور ليس دور زعامة، إنما هو دور تفاعل وتجاوب مع كل هذه العوامل يكون من شأنه تفجير الطاقة الهائلة الكامنة في كل اتجاه من الاتجاهات المحيطة بنا...»(٤).

كانت قدرة عبد الناصر على ممارسة السلطة والنفوذ في السياسات الدولية العربية تكمن في حقيقة مفادها أنه كان ينادي بقيم «عليا»، وهي قيم صار يتنادى بها الناس في الوطن العربي. وكان من ضمن تلك المثل العليا ما يتعلق بالقومية العربية والوحدة والاستقلال وتضامن العالم الثالث والحياد والاشتراكية(٥). إن دور مصر القيادي في المشرق العربي كان نتيجة تبني عبد الناصر لهذه المثل العليا كبرنامج لحكومته. وقد مكّنه استخدام هذه الشعارات ببراعة من تحديد جدول العمل للعلاقات العربية الإقليمية والدولية في الخمسينيات.

= انظر أيضاً: Paul C. Noble, «Regional Arrangements and the Management of Conflict under the United Nations: The Case of the Arab System,» (Doctoral Dissertation, McGill University, Montreal, 1972), pp. 235 - 238.

(٣) السفارة في مصر الى وزارة الخارجية، القاهرة، ١٩ نيسان/ابريل ١٩٥٦، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1955 - 1957: Arab-Israeli Dispute, January 1 - July 26, 1956*, vol. 15 (Washington, DC: Government Printing Office, 1989), p. 557.

(٤) جمال عبد الناصر، **فلسفة الثورة**، كتب قومية، مكتبة الرئيس جمال عبد الناصر؛ العدد ٣٠٣ (القاهرة: الدار القومية، [د. ت.])، ص ٥٩ و٧٧، والذي ترجم كالتالي: Gamal Abdel-Nasser, *The Philosophy of the Revolution*, with an introduction by John S. Badeau; biographical sketch by John Gunther, Economica Books; E - 16 (Buffalo: Smith, Keynes and Marshall, 1959), pp. 61 and 78.

(٥) Albert Habib Hourani, *A History of the Arab Peoples* (London: Faber and Faber, 1991), p. 401.

لم يكن السؤال هل تبنّي مصر لهذه المثل العليا كان يرمي إلى خدمة مصالحها الوطنية الضيقة، بل هل كان يجري تصورها على هذا النحو من قبل العرب في أرجاء المنطقة؟ لقد كانت المسألة تتعلق كذلك بأهمية هذه المثل العليا للنظام العربي وهل تعتبر ذات قيمة بالنسبة إلى هذا النظام. إن أهمية تلك الصفات المشتركة تكمن، في التحليل النهائي، في التأثير النفساني الذي جعلها واقعاً سياسياً يحسب له حساب في السياسات العربية(٦). لقد أصبحت ترمز إلى الثورة ضد الغرب.

يرجع ارتقاء مصر سدّة الزعامة في الساحة العربية إلى استراتيجية عبد الناصر في الوقوف بوجه بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة، وفي تحديه لهيمنتها في المنطقة. إن مصر، في سعيها لتوكيد استقلال العرب، غدت مركز النفوذ في المنطقة متبعةً سياسات ثورية تجاه الدول العظمى. وسيظهر التحليل أن دور مصر كان ريادياً ومسيطراً، هذا وسيجري كذلك تقييم أدوار البلدان العربية الأخرى وإسرائيل.

ثانياً: عرض موجز للعلاقات بين البلدن العربية والدول العظمى قبل عام ١٩٥٥

بعد الحرب العالمية الثانية أصبحت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي رهينتين لبيئة الحرب الباردة. ولم تنج أية منطقة من مناطق العالم من الشرارات الملتهبة لهذا الصراع الجديد، والخطر، على القوة بين الدولتين العظميين. ولم يكن الوطن العربي استثناءً من ذلك. هذا، وينبغي التأكيد أن بريطانيا وفرنسا كانتا حتى أواسط الخمسينيات الدولتين المهيمنتين فيه. وقد أدى تقسيم الوطن العربي بين الدول الأوروبية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وأوائل القرن العشرين إلى عدم تطوير منظومة فرعية إقليمية متماسكة ومستقلة. إن وجود منطقة عربية متشرذمة وتابعة تسهل إدارتها من لندن وباريس كانت تلائم المصالح الاستعمارية على خير وجه(٧).

كان من الصعب تغيير هذا الوضع لأسباب متعددة منها: **أولاً**، إن أية محاولة محلية لتغيير الترتيبات الاستعمارية كانت تلاقي مقاومة أوروبية، مثلاً التدخل العسكري البريطاني في العراق والفرنسي في سوريا ولبنان في الأربعينيات. **ثانياً**، إن عدم وجود زعامة محلية حازمة حال دون ظهور مركز إقليمي مسيطر. كانت هناك مراكز قوة متعددة، كمصر والعراق والسعودية وحتى شرق الأردن، تتنافس في ما بينها على هذا الدور، وتزايد هذا التنافس من جراء التنازع التقليدي بين مصر والعراق، وكذلك بين الهاشميين

---

(٦) Malcolm H. Kerr, *The Arab Cold War: Gamal Abd al-Nasir and His Rivals, 1958 - 1970*, 3rd ed. (London: Oxford University Press, 1971), p. 1.

(٧) Tareq Y. Ismael, *International Relations of the Contemporary Middle East: A Study in World Politics* (Syracuse, NY: Syracuse University Press, 1986), pp. 42 - 43.

والسعوديين. **ثالثاً**، إن غالبية أفراد النخبة الحاكمة العربية كانت مدينة بمراكزها لسادتها الاستعماريين السابقين ففضلت الاستمرار في التعاون مع الغرب للحيلولة دون وصول الزعماء القوميين الاستقلاليين إلى السلطة(٨).

أما العامل **الرابع** - والمهم جداً - فهو عدم وجود قوة عالمية تتحدى الهيمنة الغربية وتزود الدول العربية بمصدر بديل للسلاح والتجارة. ذكر خروتشوف في مذكراته أن الزعماء السوفيات أدركوا واقعياً قبل عامي ١٩٥٥ - ١٩٥٦ أن ميزان القوى في الشرق الأوسط لم يكن في صالحهم. ومن هنا كان ستالين يتعامل مع المنطقة على أنها منطقة نفوذ غربية، ولم يكن السوفيات على استعداد للتدخل في الشؤون الإقليمية العربية. كان ستالين وخروتشوف كلاهما معادياً في البداية لانقلاب الضباط الأحرار المصريين، وكان كلاهما يعتقد أن الانقلاب «ما هو إلا استيلاء عسكري آخر على السلطة مما هو معهود في أمريكا الجنوبية»(٩).

كان ستالين ورفاقه قد اعتبروا الانقلاب إما كنتيجة لتنازع أنغلو - أمريكي أو كمؤامرة أمريكية مقنّعة لإجهاض ثورة شعبية حقيقية(١٠). فلا غرابة أن يصف المحلل السوفياتي الكبير للشؤون المصرية فاتولينا ثوريي القاهرة بأنهم «رجعيون، وإرهابيون، ومناهضون للديمقراطية وغوغائيون»(١١). ولم تكتف وسائل الإعلام السوفياتية بمهاجمة معاهدة الجلاء الأنغلو - مصرية (تموز/يوليو ١٩٥٤) باعتبارها على الضد من المصالح الوطنية المصرية وعلى الضد من مصالح الأقطار العربية الأخرى، بل إنها أصرت على نعت عبد الناصر بأنه تابع «فاشستي» مطيع للغرب، واتهمته بالخيانة وحرضت المصريين على الثورة(١٢).

أما على مستوى أعمق فإن زعماء الكرملين لم يقيموا الساحة السياسية للبلدان العربية آنذاك تقييماً إيجابياً. إن نظرة عابرة إلى الخريطة العربية من خلال عيون سوفياتية تكشف عن مناطق نفوذ متناثرة مكونة من جمع من الكيانات التقليدية - القبلية والملكية وقد حشدت معاً وقسمت بين الدول الغربية. كانت الصورة، سواء في العراق أو سوريا أو

---

(٨) المصدر نفسه، ص ٤٣ - ٤٤.

(٩) Strobe Talbott, ed., *Khrushchev Remembers* (London: Book Club Associates; Deutsch, 1971), pp. 431 - 432.

(١٠) Mohammed Hasanayn Heikal, *Sphinx and Commissar: The Rise and Fall of Soviet Influence in the Arab World* (London: Collins; New York: Harper, 1978), p. 53.

(١١) نقلاً عن: Walter Zéev Laqueur, *Communism and Nationalism in the Middle East* (London: Routledge and Kegan Paul, 1956), p. 262.

(١٢) المصدر نفسه، و Kennett Love, *Suez: The Twice-Fought War: A History* (New York: McGraw-Hill, 1969), p. 235.

السعودية أو الأردن أو لبنان، تبدو قاتمة في أنظار موسكو. ففي عام ١٩٤٥ مثلاً وصفت الصحافة السوفياتية الجامعة العربية عند تأسيسها بأنها «أداة للإمبريالية البريطانية»(١٣).

ولم تكن الأنظمة العربية في ذلك الحين مستعدة لتقبل أفكار تصدر من موسكو. كانت تلك الأنظمة حذرة، وحتى معادية، للخطاب الصادر من موسكو. أما الأحزاب الشيوعية العربية فكانت صغيرة وعرضة للقمع. وقد قام عبد الناصر، بعد إبرام معاهدة الجلاء، بتوجيه ضربة قاصمة للشيوعيين المصريين متهماً إياهم بالتخريب وبنشر عدم الاستقرار والفوضى. ويرى عبد الناصر أن الغرض الأساسي للشيوعيين المحليين هو خدمة سادتهم الأجانب، هذه إشارة إلى الاتحاد السوفياتي. وكان الأعضاء الآخرون في مجلس قيادة الثورة في مصر يشاطرون عبد الناصر عدم ثقته بالدعاية الشيوعية السوفياتية، التي كان من المحتمل أن يؤدي تأثيرها إلى استقطاب الطبقة العاملة المصرية(١٤).

لم تكن مصر هي البلد العربي الوحيد الذي يهاجم النفوذ الشيوعي السوفياتي. كان التصادم في المصالح والمعتقدات موجوداً بشكل عام بين القوميين العرب والشيوعيين. مثلاً، كان حزب البعث ينظر إلى الشيوعيين العرب بصفتهم أعداء لحركة القومية العربية. وحذر الحزب موسكو من دعم الشيوعيين العرب المحليين لئلا تؤدي مثل هذه السياسة إلى تعريض العلاقات العربية ـ السوفياتية للخطر(١٥). أما الأنظمة المحافظة العربية، فقد كانت أكثر عداءً للشيوعية والاتحاد السوفياتي من الأنظمة القومية. كانت الشيوعية والصهيونية تعتبر إحداهما صنو الأخرى بنظر العراق والأردن والسعودية، وتمثلان بنظره تهديداً مميتاً للنظام العربي المحافظ الذي تنتهجه(١٦).

إن التقييم السلبي الذي أبدته الزعامة السوفياتية بشأن الوسط السياسي العربي قد أثر في قرارها بالاعتراف بتأسيس إسرائيل منذ عام ١٩٤٧، فقد كان المسؤولون السوفيات

---

(١٣) Robert Owen Freedman, *Soviet Policy toward the Middle East since 1970* (London; New York: Praeger, 1975), p. 10.

(١٤) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الأول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨** (القاهرة: مصلحة الاستعلامات، [د. ت.])، ص ٢٠٤. انظر المقابلة مع خالد محيي الدين في: محمد عودة، فيليب جلاب وسعد كامل، **قصة السوفيات مع مصر** (بيروت: دار ابن خلدون، [د.ت.])، ص ٥٤ و٥٦.

(١٥) حزب البعث العربي الاشتراكي، **نضال البعث: القيادة القومية، ١٩٥٥ ـ ١٩٦٢، من تشكيل القيادة القومية حتى نهاية الانفصال**، ط ٢، ج ٨ (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧١)، ص ٤٧، وصلاح الدين البيطار، **السياسة العربية بين المبدأ والتطبيق** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٠)، ص ١٣٧.

(١٦) **مجموعة خطب الملك حسين: ٢٥ عاماً من التاريخ، ١٩٥٢ ـ ١٩٧٧** (لندن: مؤسسة سمير مطاوع للنشر، ١٩٧٨)، ص ١٤٩، والعراق، مجلس النواب، **الحقائق في السياسة العربية** (بغداد: مطبعة الحكومة، ١٩٥٥)، ص ٦.

يرون في إسرائيل جزيرة تقدمية في بحر من رجعية عربية. لم يمثل الاعتراف بإسرائيل حلاً محتملاً فحسب للقضية اليهودية في الاتحاد السوفياتي وأوروبا الشرقية، بل يمثل كذلك جسراً محتملاً يمتد النفوذ السوفياتي عبره إلى المنطقة(١٧).

من الصعب فهم السلبية في سياسة موسكو الخارجية تجاه الوطن العربي في أوائل الخمسينيات. ولم يحدث حتى عام ١٩٥٤ أي تغيير في ذلك إلى أن بدأ خروتشوف، وبعد وفاة ستالين، بالقيام بدور سوفياتي ناشط في المنطقة. كانت هذه الفاعلية المتزايدة جزءاً من تحول إيجابي واسع النطاق في توجه الاستراتيجية السوفياتية نحو العالم النامي(١٨).

غير أن الأمر استغرق مرور سنتين وتطلب حدوث حدثين كبيرين ـ صفقة الأسلحة مع مصر وأزمة السويس ـ لكي تكتسب سياسة موسكو الموالية للعرب قدراً من الاتساق. لقد جرت، بعد وفاة ستالين في عام ١٩٥٣ وتولي خروتشوف السلطة، إعادة تقييم للعلاقات السوفياتية مع الأنظمة القومية غير الاشتراكية. وجرى شيء من التساهل في تفسير النظرية الماركسية التي تأخذ بالحسبان العوامل المحلية المختلفة. مثل التجربة البرجوازية العربية. ثمة دافع آخر للتحول في مفاهيم الكرملين وقد جاء من التغييرات الثورية الجذرية في البيئة الإقليمية ذاتها(١٩).

ثالثاً: حلف بغداد

جرى التغيير في توجه السياسة السوفياتية نحو العالم الثالث في وقتٍ واحد مع بروز القوى القومية المناهضة للإمبريالية في الوطن العربي بزعامة عبد الناصر. وفي الخمسينيات جاءت المساعي الأنغلو ـ أمريكية لتعزيز الأمن الغربي في المنطقة عن طريق مواثيق عسكرية، فلم تؤد تلك المساعي إلا لشحن المشاعر المناهضة للغرب في البلدان العربية. وأصبحت المنظومة الفرعية العربية موضع استقطاب بين عرب يرون تقدم المنطقة ومصيرها في تحالف وثيق مع الغرب، وعرب يفضلون اتباع سياسة مستقلة وغير منحازة بين الكتلتين الغربية والشرقية.

يرى أحد المحللين أن المعاهدة العراقية ـ التركية التي عقدت في شباط/فبراير

---

(١٧) Hashim S. H. Behbehani, *The Soviet Union and Arab Nationalism, 1917 - 1966* (London: Routledge and Kegan Paul, 1986), p. 70 - 83, and Heikal, *Sphinx and Commissar: The Rise and Fall of Soviet Influence in the Arab World,* pp. 49 and 52.

(١٨) هيلين كارير دانكوس، **السياسة السوفياتية في الشرق الأوسط، ١٩٥٥ ـ ١٩٧٥**، ترجمة عبد الله اسكندر (بيروت: دار الكلمة للنشر، ١٩٨٣)، ص ٢٥ ـ ٢٦ و٣١ ـ ٣٣.

(١٩) Adeed I. Dawisha, «The Soviet Union in the Arab World: The Limits to Superpower Influence,» in: Adeed I. Dawisha and Karen Dawisha, eds., *The Soviet Union in the Middle East: Policies and Perspectives* (London: Heinemann for the Royal Institute of International Affairs, 1982), p. 8.

١٩٥٥ ـ التي تطورت في ما بعد إلى ما يعرف بحلف بغداد ـ كانت «أهم متغير يجري في سياسات القوة الإقليمية والذي أدى إلى تغيّر تام في شكل التكوين للقوى المختلفة في المنطقة، فأحدث ذلك ظهور استقطابات للقوة وتكتلات جديدة»[٢٠]. إن الحلف الذي عقده نوري السعيد مع تركيا وباكستان ـ وهما دولتان غير عربيتين ـ قد نظر إليه في مصر والسعودية على أنه يمثل تحدياً مباشراً لأمنهما، وكذلك للاستقلال الذاتي للساحة العربية[٢١].

كذلك كانت العلاقات الأنغلو ـ سعودية متوترة في أوائل الخمسينيات نتيجةً لتأييد بريطانيا للهاشميين ومعارضتها للمطالب السعودية بشأن نزاعات الحدود مثل قضية البريمي[٢٢]. وكان الملك سعود ضد الأحلاف الدفاعية الغربية التي تضم أنداده التقليديين من الهاشميين الحاكمين في العراق والأردن. ولا غرابة أن يرى سعود في حلف بغداد تهديداً لوجود مملكته، وقد كافح إلى جانب مصر لمنع الأردن من الانضمام إليه[٢٣].

أما من وجهة نظر عبد الناصر، فإن حلف بغداد قد فرّط في المركز التساومي لمصر والعرب بشأن نزاع السويس الذي لم يكن قد حسم بعد مع بريطانيا، وكذلك بشأن القضية الفلسطينية. وهو لن يشجع على التدخل الغربي في الشؤون الداخلية العربية فقط، بل يؤدي كذلك إلى استفزاز السوفيات للإنتقام من العرب في حالة حدوث مواجهة سوفياتية مع الغرب. يضاف إلى هذا أن الرئيس المصري كان يخشى من انضمام سوريا والأردن ولبنان إلى الحلف تحت الضغط فتنعزل بذلك مصر وتحرم من إمكانية الحصول على الأسلحة، وتواجه الخطر الإسرائيلي بمفردها. كان عبد الناصر يعتقد أن الدفاع عن المنطقة ينبغي أن ينظم من قبل البلدان العربية نفسها، لا أن يفرض ذلك عليها من الخارج. كما أنه أكد من جديد دور مصر القيادي في تنظيم مثل هذه المنظومة الدفاعية والعمل على تعزيزها[٢٤].

حين قام جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكي بزيارة مصر في عام ١٩٥٣ قال له عبد الناصر إنه يرتاب بالأحلاف التي تعقد بين البلدان العربية والدول الكبرى،

---

(٢٠) Dawisha, *Egypt in the Arab World: The Elements of Foreign Policy*, p. 11.

(٢١) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الأول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨**، ص ٢٩٤ و٥٠٦.

(٢٢) وزارة الخارجية الى القنصلية العامة في جنيف، واشنطن، ٥ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٥، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1955 - 1957: Arab-Israeli Dispute, 1955*, vol. 14 (Washington, DC: Government Printing Office, 1989), p. 716.

(٢٣) Mordechai Abir, *Saudi Arabia in the Oil Era: Regime and Elites; Conflict and Collaboration* (London: Croom Helm, 1988), p. 70.

(٢٤) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الاول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨**، ص ٢٨٧، و Mohammed Hasanayn Heikal, *Cutting the Lion's Tail: Suez through Egyptian Eyes* (London: Corgi Books, 1986), pp. 67 - 68.

سواءً كانت غربية أو شرقية، ذلك لأن حلفاً بين قوي وضعيف يؤدي إلى هيمنة الأول على الثاني. وجاء في كلامه: «إن الدول الصغيرة الداخلة في نطاق الأحلاف لا يمكنها أن تقف على قدم المساواة مع الدول الكبيرة ولا يمكنها أن تناقش الأمور على أساس المساواة»[٢٥]. وبعبارة أخرى كانت الزعامة المصرية تعتبر اشتراك الدول الكبرى بتنظيم الدفاع عن المنطقة بمثابة «إمبريالية مقنعة»[٢٦].

اتفقت وكالات الاستخبارات الأمريكية مع هذا التقييم الذي ذكره عبد الناصر، ففي رأيها أن الغرض الأساسي لسياسة مصر الخارجية هو الاحتفاظ بالحرية من الهيمنة الأجنبية وذلك باتخاذ موقف مستقل تجاه كتل الدول الكبرى[٢٧]. ولتجنب التورط مع أي من المعسكرين أكد عبد الناصر على حاجة العرب إلى الحفاظ على جبهة متحدة فقال: «إن شعوب المنطقة لا تستطيع الدفاع عن أنفسها ومصالحها ضد الدول الكبرى ما لم يكن كفاحها موحداً. والدرس واضح أمام أعيننا، فحين اتحدت الأقطار العربية تمكنت دائماً من مواجهة العدوان وإيقافه»[٢٨].

أما نوري السعيد فكان يفكر على نحو آخر، إذ كان يرى أن خطر الاتحاد السوفياتي والشيوعية خطر حقيقي، وأن الصهيونية والشيوعية هما خطران كامنان يهددان أمن العراق والوطن العربي، كما أن النخبة الحاكمة العراقية كانت تعتبر «التهديد السوفياتي هو الخطر الأعظم والمباشر بدرجة أكبر»[٢٩]. لقد قال أحد الصحفيين العرب المخضرمين إن «عقدة» نوري السعيد هي خوفه من الشيوعية. لقد حظر التعاون مع موسكو لخشيته من أن يؤدي ذلك إلى الخضوع التام للكرملين. هذا وكانت القيادة العراقية تحاجج بالقول إن التعاون مع الغرب أمر طبيعي، حتى إنه مشمول بميثاق الجامعة العربية، شريطة إمكان التوصل إلى اتفاق على قضيتي السويس وفلسطين[٣٠].

---

(٢٥) Egypt, Ministry of Information, *President Gamal Abdel-Nasser's Speeches and Press Interviews* (Cairo: Information Department, 1960), p. 152.

(٢٦) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الاول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨**، ص ٧٤١.

(٢٧) تقرير استخباراتي بتقدير موقف، بعنوان: نظرة تطلعية لاستقرار مصر وسياستها الخارجية، واشنطن، ١٥ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٥، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1955 - 1957: Arab-Israeli Dispute, 1955*, vol. 14, pp. 751 and 764.

(٢٨) Egypt, Ministry of Information, *President Gamal Abdel - Nasser's Speeches and Press Interviews* (Cairo: Information Department, 1959), p. 594.

(٢٩) Waldemar J. Gallman, *Iraq under General Nuri: My Recollections of Nuri al-Said, 1954 - 1958* (Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press, 1964), p. 27, and

محمد فاضل الجمالي، **العراق الحديث، آراء ومطالعات في شؤونه السياسية** (بيروت: [د. ن.]، ١٩٦٩)، ص ١٨ و١١٧.

(٣٠) ناصر الدين النشاشيبي، **الحبر أسود... أسود: قصة الصحافة والحكام والثوار في الشرق الأوسط** (باريس: قرطاج، ١٩٧٧)، ص ١٠١.

إن العراق، سواءً وافقته الجامعة العربية أو لم توافقه، كان سينضم إلى حلف بغداد لأنه حلف موحى به من بريطانيا، فقد كان الحكم الملكي فيه قد ربط مقادير العراق بمقادير بريطانيا. وكان نوري السعيد على الخصوص «ملتزماً التزاماً أعمى بالبريطانيين». وكان تحالفه مع بريطانيا يمثل المبدأ الأساسي لسياسته الخارجية طوال حياته السياسية، كما كان يعتقد فعلاً أن مستقبل العراق يتوقف على نيات لندن الحسنة تجاهه(٣١). وعلى الضد من عبد الناصر كان نوري السعيد يعتقد بأن الدول الصغيرة لا يسعها التمتع بترف الحياد بين الكتلتين الشرقية والغربية، وأن الحياد لا يعني إلا عدم قدرة هذه الدول على إسماع صوتها في المحافل الدولية. وكان نوري السعيد يرتئي أن على العرب أن يختاروا بين اتباع سياسة عملية، وناشطة، وإيجابية أو البقاء في الخطوط الجانبية، مهمشين وضعفاء. كذلك أكد فاضل الجمالي، وهو رئيس وزراء عراقي سابق، أن العراق لا يسعه أن يكون محايداً إذ إنه تحالف مع الغرب لمكافحة سريان «الوباء» الشيوعي(٣٢).

وعلى هذا الأساس سار العراق في أواسط الخمسينيات على خط مناهض للسوفيات، وسعى نحو التوصل إلى حلفاء من خارج أسرة البلدان العربية. بلغت هذه العملية ذروتها في كانون الثاني/ يناير ١٩٥٥ حين علّق نوري السعيد العلاقات الدبلوماسية مع موسكو، ووقع في الشهر التالي حلف بغداد. من ثم انضمت إلى الحلف بريطانيا وتركيا وإيران، أما الولايات المتحدة فقد أيدته بشكل غير مباشر. كان نوري السعيد يأمل أن يؤدي هذا الحلف الجديد إلى تقوية الدور القيادي للعراق في الساحة العربية وإلى إضعاف مصر وعزلها. لكنه كان يعرف كذلك أن العراق لا يستطيع أن يسير في هذا الطريق إلى النهاية بمفرده متحدياً المشاعر الجماعية العربية. كان عليه أن يسكت الانتقادات المصرية لسياسته الخارجية. وليس هذا فحسب بل إنه كان كذلك بحاجة إلى إقناع بلدان عربية أخرى بالانضمام إلى العراق في حلف بغداد(٣٣). وتم إرسال فاضل الجمالي على عجل إلى سوريا ولبنان للدعوة إلى الحلف.

---

(٣١) Hanna Batatu, *The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq: A Study of Iraq's Old Landed and Commercial Classes of Its Communists, Ba'thists and Free Officers* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1978), p. 31;
محمد مهدي كبة، **مذكراتي في صميم الاحداث، ١٩١٨ ـ ١٩٥٨** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٥)، ص ٣٦٧، وناصر الدين النشاشيبي، **ماذا جرى في الشرق الاوسط؟** (بيروت: المكتب التجاري، ١٩٦١)، ص ٤٢ و٦١.

(٣٢) الجمالي، **العراق الحديث، آراء ومطالعات في شؤونه السياسية**، ص ١٠٧ ـ ١٠٩؛ العراق، مجلس النواب، **الحقائق في السياسة العربية**، ص ٣٠ و٣٣ ـ ٣٤، و Lord Birdwood, *Nuri as-Said: A Study in Arab Leadership* (London: Cassell, 1959), p. 228.

(٣٣) توفيق السويدي، **مذكراتي: نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية** (بيروت: دار الكاتب العربي، ١٩٦٩)، ص ٥٦٨ ـ ٥٦٩؛ Majid Khadduri, *Republican Iraq: A Study in Iraqi Politics since the Revolution of 1958* (London; New York: Oxford University Press, 1969), p. 12, and Gallman, *Iraq under General Nuri: My Recollections of Nuri al-Said, 1954 - 1958*, pp. 40 - 41.

كان على النظام الحاكم في العراق كذلك أن يهدىء المعارضة الداخلية، ولا سيما بعد أن اندلعت الاضطرابات ضد الحلف في بغداد في شباط/فبراير ١٩٥٥، وقد نجحت قوات نوري السعيد في قمع الأصوات المعارضة التي «كانت في حالة شلل»، لكنه بذلك كان قد استعدى الرأي العام بشتى أشكاله التي يعبر عنها القوميون والشيوعيون والانعزاليون. وقد كلف ذلك الملكيين في ما بعد عرشهم وحياتهم أيضاً. ولم يكن من السهل تحويل البلدان العربية المترددة بقرار إلى جانب العراق[٣٤]. وكانت الحاجة إلى الدعم الغربي ملحّة.

كان من المؤكد أن تقدم بريطانيا مساعدتها، فقد كانت راعية حلف بغداد والقوة المحركة من ورائه. أما موقف الولايات المتحدة فقد كان غامضاً بعض الشيء. فمع أن دالاس هو الذي اقترح فكرة الحزام الشمالي أصلاً، ووعد من أجل ذلك بدعم أمريكي، إلا أن إدارة آيزنهاور رفضت الانضمام إلى الحلف. لم يكن نوري السعيد راضياً بهذا الالتزام الفاتر، وكان يريد من إدارة آيزنهاور التوقيع على الحلف لكي يتبين لموسكو أن واشنطن ملتزمة بالدفاع عن المنطقة، وبالتالي يصار إلى إقناع بلدان عربية أخرى بالانضمام كذلك[٣٥]. كانت استراتيجيته ترمي إلى استخدام مصادر خارجية لتعزيز مركزه الداخلي والاقليمي. في هذه الحالة كانت سياسات العراق الدولية امتداداً لسياساته المحلية.

كيف يمكن تفسير رفض إدارة آيزنهاور الانضمام إلى حلف بغداد؟ وكيف يمكن تعليل الغموض وحتى عدم الانسجام في موقف الولايات المتحدة؟ كانت الولايات المتحدة في البداية قد قامت بدور ناشط في محاولتها تنظيم الدفاع عن الشرق الأوسط

---

(٣٤) ثمة إجماع لدى الدارسين لشؤون العراق بأن معظم العراقيين كانوا معارضين لحلف بغداد. كان هؤلاء ينظرون الى المساعي الغربية لإخراج العراق بالقوة من وحدته الطبيعية مع الشعوب العربية على أنها امبريالية بمعنى الكلمة، ترمي أساساً الى خدمة المصالح الاستراتيجية البريطانية والامريكية: إن فكرة حلف غير عربي كانت مثيرة جداً لاشمئزاز العراقيين لأن ولاءهم يتجه نحو الأمة العربية الاوسع. انظر: Caractacus, *Revolution in Iraq: An Essay in Comparative Public Opinion* (London: Gollancz, 1959), pp. 63 - 65; Batatu, *The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq: A Study of Iraq's Old Landed and Commercial Classes of Its Communists, Ba'thists and Free Officers*, pp. 679, 689 and 766;

كبة، **مذكراتي في صميم الاحداث، ١٩١٨ ـ ١٩٥٨**، ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦، ٣٧٣ و٣٨٤ ـ ٣٩١، و Norman Daniel, «Contemporary Perceptions of the Revolution in Iraq on 14 July 1958,» in: Robert A. Fernea and William Roger Louis, eds., *The Iraqi Revolution of 1958: The Old Social Classes Revisited* (London: I. B. Tauris, 1989), pp. 2 - 5.

(٣٥) غولمان الى وزارة الخارجية، بغداد، ٢١ كانون الاول/ديسمبر ١٩٥٤، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1952 - 1954: The Near and Middle East*, vol. 9, part 1 (Washington, DC: Government Printing Office, 1986), pp. 562 - 563, and Gallman, Ibid., pp. 58 - 59 and 63.

وفق ترتيب الحزام الشمالي. وكانت حكومتها قد أرسلت تعليماتها إلى سفرائها في المنطقة لإخبار المسؤولين فيها أنها تؤيد الحلف كل التأييد وأنها تعارض تشكيل أي ائتلاف من البلدان العربية لمناهضته؛ كما أنها أبدت ترحيبها بانضمام بلدان عربية أخرى إلى الحلف في المستقبل(٣٦).

يضاف إلى هذا أن السفير الأمريكي في بغداد ذكر أن مسؤولي حكومته وجهوا ضغطاً بشكل غير مباشر للتأثير على البلدان العربية للانضمام إلى الحلف، وذلك بربط قدرتها على الحصول على مساعدات خارجية أمريكية بمخططات الدفاع الإقليمي. وحين أشار نوري السعيد، بفعل الضغط العربي، أنه قد يمتنع عن الانضمام إلى الحلف المقترح، هدد دالاس بإيقاف إرسال المعونات إلى العراق. وقيل للسعيد بصراحة تامة أن يبتعد عن أي حلف يضم مصر أو الجامعة العربية وأن يركز اهتمامه على الحلف التركي ـ الباكستاني الذي يمثل «الأساس الوحيد لتخطيط دفاعي واقعي وفعال في الشرق الأوسط». بل إن دالاس أيد علناً الحلف المقترح ووصفه بأنه تطور بناء جداً(٣٧).

ولكن ما إن أبرم حلف بغداد واتضح مدى المعارضة المصرية ـ السعودية له حتى أخذت الولايات المتحدة تعيد النظر في الأمر. وبحلول نهاية عام ١٩٥٥ أخذت إدارة آيزنهاور تنظر في محاولة إجراء مصالحة مع عبد الناصر. لذا فإن أحد الأسباب الرئيسية وراء تردد الولايات المتحدة في الانضمام إلى الحلف أو ترددها في تشجيع الأردن ولبنان على ذلك هو الخوف من استعداء عبد الناصر. كذلك كانت الإدارة الأمريكية مترددة في الانضمام إلى الحلف لأنها كانت عندئذٍ ستتعرض لضغط شديد لتقديم ضمانة أمنية إلى إسرائيل. لم يكن دالاس ميالاً إلى إعطاء إسرائيل أي التزام أمني إلى أن يخف التوتر القائم بينها وبين البلدان العربية(٣٨).

جاء في ورقة لمجلس الأمن القومي وضعت في ما بعد أن انضمام الولايات المتحدة كان يحول دونه منذ الابتداء رد الفعل العربي إزاء وجود العراق في الحلف، وضرورة

---

(٣٦) وزارة الخارجية الى السفارة الامريكية في القاهرة، واشنطن، ١٥ ايلول/سبتمبر ١٩٥٥، في:
United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1955 - 1957: Arab-Israeli Dispute, 1955*, vol. 14, pp. 471 and 494.

(٣٧) وزير الخارجية الى السفارة الامريكية في العراق، واشنطن، ٣١ آب/اغسطس ١٩٥٤، في:
United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1952 - 1954: The Near and Middle East*, vol. 9, part 1, pp. 547, 541 - 545 and 565, and Gallman, Ibid., pp. 45 - 46, 58 - 59 and 63.

(٣٨) وزير الخارجية الامريكي دالاس الى وزير الدولة للشؤون الخارجية البريطاني ماكميلان، واشنطن، ١٩ آب/اغسطس ١٩٥٥؛ وزارة الخارجية الى القنصلية العامة في جنيف، واشنطن، ٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٥، ووزارة الخارجية الى السفارة الامريكية في بريطانيا، ٥ كانون الاول/ديسمبر ١٩٥٥، في:
United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1955 - 1957: Arab-Israeli Dispute, 1955*, vol. 14, pp. 367, 547, 713 and 821.

تقديم ضمانات أمنية موازية إلى إسرائيل، والرأي العربي القائل بأن عضوية بريطانيا جعلت الحلف أداةً إمبريالية. في تلك المرحلة لم تكن إدارة آيزنهاور تريد لسياستها أن تتطابق مع السياسات الاستعمارية لحليفاتها الأوروبيات. لكل هذه الأسباب قرر آيزنهاور ودالاس دعم الحلف بنشاط مع تأجيل الانضمام إليه(٣٩).

وسارع عبد الناصر إلى إعلان الحرب على حلف بغداد، فأخذ بتعبئة بلدان عربية أخرى ضد العراق للوقوف بوجه خروجه من الصف العربي. وقد قام بدعوة رؤساء الحكومات للدول العربية المستقلة كلها إلى اجتماع عقد في القاهرة في كانون الثاني/يناير ١٩٥٥، وحضرته السعودية وسوريا والأردن ولبنان. ومع أن نوري السعيد تذرع في البداية بـ «مرض دبلوماسي» يحول دون حضوره، إلا أنه تراجع بعدئذٍ وأرسل فاضل الجمالي إلى القاهرة للدفاع عن موقف العراق. وانتهت المحادثات إلى طريق مسدود، إذ لم تكن سوريا والأردن ولبنان مستعدة للوم العراق. عندئذٍ أرسل المؤتمرون وفداً إلى العراق لإجراء مزيد من المفاوضات مع نوري السعيد لكن الوفد أخفق في إقناعه بالعدول عن الانضمام إلى التحالف مع تركيا، وهو الذي وقعه رسمياً في شباط/فبراير ١٩٥٥.

رابعاً: الصراع من أجل سوريا

هكذا رسمت خطوط مواجهة سياسية وعقائدية في المنظومة الفرعية العربية. وأصبحت سوريا أرضاً للمعركة التي يحسم فيها النزاع بشأن حلف بغداد. وأدرك الزعماء المصريون في وقت مبكر دور سوريا الأساسي في الصراع من أجل القوة في المنطقة. قال محمود رياض، سفير مصر في سوريا للرئيس عبد الناصر إن موقف سوريا تجاه الحلف هو الذي سيقرر مواقف البلدان العربية الأخرى(٤٠). وقد عبر عن ذلك بصراحة تامة الصاغ صلاح سالم، وهو عضو بارز في مجلس قيادة الثورة المصري، إذ قال إنه كان من الواضح أن المعركة بين سياستنا وسياسة العراق ستدور حول سوريا. إن القضية ببساطة هي كما يلي: إذا استطاع العراق وتركيا كسب سوريا إلى جانبهما فسرعان ما سيحذو الأردن ولبنان حذوها وتكون مصر قد عزلت تماماً. لقد قررنا مقاومة ذلك(٤١).

---

(٣٩) NSC, «U.S. Policy toward the Near East, NSC 5820, 30 October 1958,» (Oxford: Center for Lebanese Studies), pp. 50 - 51.

(٤٠) محمود رياض، **مذكرات محمود رياض** (بيروت: دار المستقبل العربي، ١٩٨٦)، ج ٢: **بين الانجاز والفشل**، ص ٦٣ ـ ٦٤، وتقرير استخباراتي بتقدير موقف بعنوان: نظرة تطلعية لاستقرار مصر وسياستها الخارجية، واشنطن، ١٥ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٥، في: United States, Department of State, Ibid., p. 768.

(٤١) نقلاً عن: Patrick Seale, *The Struggle for Syria: A Study of Post War Arab Politics, 1954 - 1958* (London: Oxford University Press, 1965), p. 212, and Heikal, *Cutting the Lions's Tail: Suez through Egyptian Eyes*, p. 87.

أثار موقف الحكومة السورية خلال مؤتمر رؤساء الوزراء العرب في القاهرة في أوائل عام ١٩٥٥ قلق المصريين. كان كل من رئيس الوزراء السوري فارس الخوري ووزير الخارجية فيضي الأتاسي، وكلاهما معروف بتوجهه نحو الغرب، قد اتخذ موقفاً غير قطعي. فقد وافقا من جهة على عدم إلزام سوريا بالانضمام إلى أي حلف أجنبي، ولكنهما لم يوافقا من جهة أخرى على إدانة نوري السعيد[٤٢]. أما عبد الناصر فبالإضافة إلى مهاجمته تعاون هذا الأخير مع الإمبرياليين فإنه قام بشن حملة نفسانية شديدة لمنع سوريا والأردن ولبنان من الانضمام إلى الحلف على أقل تقدير[٤٣]. إن الخط القومي الذي اتبعه عبد الناصر قد أصاب وتراً حساساً في سوريا، ففي أوائل شباط/فبراير نجح ائتلاف مكون من عناصر متنوعة ومتذمرة ومن موالين لمصر في الإطاحة بالحكومة.

كتب خالد العظم، السياسي السوري الذي قام بدور فعال في معارضة الحلف، يقول إن فارس الخوري وفيضي الأتاسي كانا سينضمان إلى الحلف لولا التحالف التكتيكي بين العسكريين والقوى القومية الأخرى في سوريا[٤٤]. كان سقوط حكومة فارس الخوري نقطة تحول في المعركة من أجل الأحلاف العسكرية، وكان بمثابة فوز مصر بجولة أولى حاسمة في صراعها ضد العراق. ثم جاء التعاون بين حزب البعث والشيوعيين ليدفع بسوريا خطوة أخرى للدخول في منطقة النفوذ المصرية ولولوج الحرب الباردة[٤٥]. وكان تأليف حكومة صبري العسلي في ١٣ شباط/فبراير ودخول خالد العظم فيها وزيراً للخارجية ووزيراً للدفاع بالوكالة تأكيداً للتوجه السياسي الجديد الذي انتهجته سوريا.

هذا وقد حسم إبرام الحلف المصري - السوري - السعودي في آذار/مارس ١٩٥٥ بشكل نهائي موضوع الصراع من أجل سوريا لصالح مصر، وحُكم على مصير حلف بغداد ومصير نوري السعيد. وقد وجد العراق نفسه منعزلاً في الوطن العربي، إذ لم يكن لبنان ولا الأردن بمركز هو من القوة سياسياً بحيث يتيح الانضمام إلى المعسكر العراقي. كان رياض مصيباً في النصيحة التي قدمها إلى عبد الناصر وخلاصتها أن معارضة سوريا لحلف بغداد ستؤدي إلى تحييد بقية البلدان العربية[٤٦]. وواقع الأمر أن انضمام سوريا إلى

---

(٤٢) رياض، **مذكرات محمود رياض**، ج ٢، ص ٦٣ - ٦٤، والنشاشيبي، **ماذا جرى في الشرق الأوسط؟**، ص ٣٩٣ - ٣٩٩.

(٤٣) صلاح نصر، **مذكرات: ثورة ٢٣ يوليو بين المسير والمصير، الاصول** (القاهرة: مؤسسة الاتحاد، ١٩٨٦)، ج ١، ص ٢٣٨، ورياض، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٣ و٦٦.

(٤٤) خالد العظم، **مذكرات خالد العظم**، ٣ ج (بيروت: الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٢)، ج ٢، ص ٣٣٣ - ٣٣٦.

(٤٥) Seale, *The Struggle for Syria: A Study of Post War Arab Politics, 1954 - 1958,* pp. 217 - 218.

(٤٦) رياض، **مذكرات محمود رياض**، ج ٢، ص ٦٦.

المعسكر المصري ثبت مركز مصر بصفتها زعيمة إقليمية وساعدها على أن تكون هي التي تقرر جدول عمل السياسة الخارجية للمنظومة العربية للسنوات الست القادمة. وبهذا تتضح الرابطة المباشرة بين السياسات الإقليمية والسياسات الدولية في الوطن العربي. إن العلاقات الدولية للمنظومة الفرعية العربية لا يمكن فهمها فهماً كاملاً إلا بالتركيز على التوجهات والتكتلات والديناميات الإقليمية.

كان عبد الناصر ونوري السعيد كلاهما يعرف جيداً أن سياق القوة بين بلديهما إنما يتقرر على مستوى إقليمي لا على مستوى عالمي، ويدرك كذلك الأهمية البارزة للمحيط الإقليمي في السعي من أجل خدمة مصالح بلده الداخلية والخارجية. كانت إمكانيات النجاح بالنسبة إلى الزعيمين المذكورين تعتمد في نهاية المطاف على قوة مركزهما المحلي في المنطقة، فلا غرابة أنهما قد أنفقا كثيراً من الوقت والطاقة والمصادر الشحيحة في محاولة جذب البلدان العربية التي لم تتخذ قرارها للانضمام إلى معسكريهما[٤٧].

وقد كان كلاهما يحاول استخدام هيبة الدول الكبرى ونفوذها لكي يقف بوجه الآخر ويعزز مركزه الداخلي والإقليمي. فإذا نظرنا إلى الأمور على ضوء ذلك نجد أن العلاقات الدولية العربية المعاصرة كانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالسياسات الإقليمية. كان سلوك الحكام العرب في الساحتين الإقليمية والدولية يتقرر إلى حدٍ كبير بموجب مراكزهم في المنظومة الفرعية العربية، وبموجب مقتضيات التحالفات المحلية في المنطقة. لهذا فإن من المهم جداً ملاحظة تكتلات القوى والتوجهات الإقليمية للتعرف على منطق المواقف العربية نحو الدول الكبرى ومبررات هذه المواقف.

كان نوري السعيد يرجو من توقيعه حلف بغداد أن يرسخ وقوفه التقليدي مع البريطانيين، ويقيم كذلك علاقة مثمرة مع الولايات المتحدة، وهي الدولة العظمى الجديدة في العالم الغربي. وكان من شأن هذه العلاقة أن تمكنه من إعادة هيكلة تحالفه الاستراتيجي مع بريطانيا بحيث يضفي عليه الشرعية ويبرره أمام شعبه. كان يخطط كذلك للحصول على معونات غربية لاستخدام الشراكة مع تركيا وبريطانيا والولايات المتحدة لخلق نظام إقليمي جديد يلعب فيه العراق الدور الرئيسي. إن غياب مصر عن هذا النظام المقترح كان سيمكنه من أن يتولى مركزاً قيادياً في المنطقة[٤٨].

وعلى هذا الأساس أخذ نوري السعيد ينظر إلى الجامعة العربية باستخفاف. كان

---

(٤٧) العراق، مجلس النواب، **الحقائق في السياسة العربية**، ص ٣٠، و Seale, Ibid., pp. 58 - 59 and 63 - 64.

(٤٨) Nicholas G. Thacher, «Reflections on U.S. Foreign Policy toward Iraq in the 1950's,» in: Fernea and Louis, eds., *The Iraqi Revolution of 1958: The Old Social Classes Revisited,* p. 67; Erskine B. Childers, *The Road to Suez: A Study of Western-Arab Relations* = (London: McGibbon and Kee, 1962), p. 189, and

ممثلوه يحاججون بالقول إن الجامعة هي منظمة قومية أكثر منها إقليمية، وإنها غير قادرة على أداء وظائف الأمن الجماعي. ووفقاً للرأي العراقي يتطلب تحويل الجامعة إلى منظمة إقليمية فعالة أن تدخلها إيران وتركيا وباكستان وحتى أفغانستان. كما أن التعاون مع الغرب كان أمراً ضرورياً لرخاء المنطقة كلها وأمنها. كان نوري السعيد يحتاج كذلك إلى إلغاء المعاهدة البريطانية ـ العراقية المعقودة في عام ١٩٣٠ والتي لم تحظ بالقبول لدى الشعب(٤٩).

لهذا كله ليس من الصعب أن نعرف من كان يستغل من في هذه العلاقة. إن تحالف نوري السعيد مع الغرب وعداءه للشيوعية والمعسكر الشيوعي كانا بدافع الاهتمامات الإقليمية إلى حد كبير، وكذلك كانت معارضة عبد الناصر لحلف بغداد. وقد جرى في القاهرة تصور انضمام العراق إلى حلف بغداد على أنه تحدٍ مباشر للزعامة المصرية في الساحة العربية(٥٠). إن التنازع المصري ـ العراقي حول الحلف ينبغي أن ينظر إليه كصراع من أجل زعامة الوطن العربي؛ أما توجهات البلدين الدولية فكانت تابعة وثانوية لهذا الهدف. ويبين ذلك بروز المستوى الاقليمي والأهمية التي يوليها الفاعلون المحليون له. إن حيازة السيطرة من قبل الحكام العرب على محيطهم المباشر كانت أولوية عليا بالنسبة إليهم. وكانت علاقة البلدان العربية مع العالم الخارجي تتقرر إلى حدٍ كبير بموجب مراكزهم في المنظومة الفرعية الإقليمية ووفق مقتضيات التحالفات المحلية في المنطقة. لم تكن دول المنطقة مجرد بيادق في اللعبة السياسية للدول الكبرى، بل إنها سعت حثيثاً للحفاظ على استقلالها وترسيخه وذلك باستغلال التنازع بين الدول العظمى. وكانت أهدافها تتلخص بتحاشي التبعية وكسب المعونات والحصول على النفوذ.

خامساً: المسألة الإسرائيلية والأسلحة والأحلاف في علاقات مصر مع الدول العظمى

لماذا اتجه عبد الناصر نحو موسكو للحصول على الأسلحة؟ وهل كان قراره بشراء الأسلحة السوفياتية مدفوعاً بدافع عواطف عقائدية أو سياسات القوة أو اعتبارات إقليمية أو عدم تمكنه من الحصول على الأسلحة من الغرب؟ ولفهم الأسباب الكامنة وراء عقد

= السويدي، **مذكراتي: نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية**، ص ٥٥٤ ـ ٥٥٥ و٥٦٨ ـ ٥٦٩.

(٤٩) العراق، مجلس النواب، المصدر نفسه، ص ٣٢ ـ ٣٣؛ الجمالي، **العراق الحديث، آراء ومطالعات في شؤونه السياسية**، ص ١١٣ و١١٧، والسويدي، المصدر نفسه، ص ٥٣٨ ـ ٥٣٩.

(٥٠) تقرير استخباراتي بتقدير موقف بعنوان: نظرة تطلعية لاستقرار مصر وسياستها الخارجية، واشنطن، ١٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٥، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1955 - 1957: Arab-Israeli Dispute, 1955*, vol. 14, p. 754, and Khadduri, *Republican Iraq: A Study in Iraqi Politics since the Revolution of 1958*, pp. 184 and 221.

صفقة الأسلحة المصرية ـ السوفياتية في عام ١٩٥٥ من الضروري وضع تلك الصفقة في السياق المحلي والخارجي. كان الرأي السائد في مجلس قيادة الثورة في البداية يفيد بأن الكتلة الاشتراكية ليس لديها شيء محدد تعرضه لمصر، كما كان بعض الضباط الأحرار المصريين حذرين من الشيوعية حذراً عقائدياً، وذلك لخشيتهم من استقطاب محتمل للطبقة العاملة(٥١).

والمفارقة هي أن الضباط الأحرار كانوا يميلون نحو الولايات المتحدة معتقدين أنها ستزودهم بالمساعدات، وتقدم على الاستثمار، وتساعدهم في الضغط على بريطانيا للانسحاب من مصر. وكانوا مقتنعين كذلك بأن الولايات المتحدة تقف ضد الإمبريالية وتؤيد حق الدول الصغيرة بتقرير المصير. واتضح الود الذي يسود العلاقات الأمريكية ـ المصرية من حقيقة مفادها أن حكومة الولايات المتحدة ساعدت في تنظيم أجهزة الاستخبارات المصرية وفي تدريبها(٥٢). ووفقاً لما ورد في الوثائق الأمريكية فإن الضباط الأحرار قاموا، عند توليهم السلطة في عام ١٩٥٢، بالاتصال بالسفارة الأمريكية في القاهرة وأبدوا استعدادهم للتعاون التام مع واشنطن في مناهضة الشيوعية لقاء «تجهيزات عسكرية ومساعدات مالية من الولايات المتحدة». بل إنهم أعربوا حتى عن استعدادهم للاشتراك في منظمة للدفاع عن الشرق الأوسط(٥٣).

في هذه المرحلة، ما بين عامي ١٩٥٢ و ١٩٥٤، لم يكن عبد الناصر ولا زملاؤه يحلمون بالسعي للحصول على دعم من الكتلة الاشتراكية. وفي خلال المفاوضات الأنغلو ـ مصرية حول قاعدة السويس في عام ١٩٥٣ ذكر أن عبد الناصر قال للمسؤولين الأمريكيين إنه لا يرى أي سبب يحول دون تعاون مصر في تنظيم خطط الدفاع عن الشرق الأوسط بعد الاتفاق على مسألة القاعدة في السويس(٥٤). إن هذا الوعد،

---

(٥١) مقابلة أجريت مع خالد محيي الدين ذكرت في: عودة، جلاب وكامل، **قصة السوفيات مع مصر**، ص ٥٢ ـ ٥٦ و١٤٥ ـ ١٤٦.

(٥٢) أحمد حمروش، **قصة ثورة ٢٣ يوليو**، ٥ ج، ج٤: **شهود ثورة يوليو** (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٨٤)، ص ١٧٨؛ أنور السادات، **يا ولدي هذا عمك جمال** (القاهرة: مكتبة العرفان، [١٩٥٨])، ص ٦٧ ـ ٦٩ و٩٥؛ صلاح نصر، **عبد الناصر وتجربة الوحدة** (القاهرة: الوطن العربي، ١٩٧٦)، ص ١٤؛ **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الاول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨**، ص ٦٥٦، ورياض، **مذكرات محمود رياض**، ج ٢، ص ٤٥.

(٥٣) من السفير الامريكي في مصر، كافري، الى وزارة الخارجية، القاهرة، ١٨ ايلول/سبتمبر ١٩٥٢، ومن وزير الخارجية الى وزير الدفاع، لوفيت، واشنطن، ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٢، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1952 - 1954: The Near and Middle East*, vol. 9, part 2, pp. 1860 - 1861 and 1889.

(٥٤) من السفير الامريكي في مصر الى وزارة الخارجية، القاهرة، ١٧ آذار/مارس ١٩٥٣، في: المصدر نفسه، ص ٢٠٢٥؛ محمد نجيب، **مذكرات محمد نجيب: كنت رئيساً لمصر**، ط ٥ (القاهرة: =

والتعهدات السرية الأخرى التي قدمها بعض أعضاء مجلس الثورة، قد حفزت السفير الأمريكي في القاهرة، جفرسون كافري، على أن يستنتج أن الفلسفة السياسية لنظام الحكم المصري هي «ضد الشيوعية ومع الغرب نسبياً»[٥٥].

أما التغير اللاحق في المشاعر المصرية فقد كان نتيجة لتصورات الزعامة المصرية بأن إدارة آيزنهاور تتبع سياسات في غير مصلحة مصر القومية. وبالنسبة إلى عبد الناصر وزملائه فإن المحاولات الأنغلو ـ أمريكية لإقامة أحلاف عسكرية في الساحة العربية في الخمسينيات ساهمت في استقطاب الوطن العربي وعملت على تأكيد المشاعر المناهضة للغرب. وقد استنكروا كذلك بمرارة تدخل الولايات المتحدة في الصراع العربي ـ الإسرائيلي ورفضها بيع الأسلحة إلى مصر، وهو ما حاولت الحصول عليه منذ عام ١٩٥٢ من دون نجاح[٥٦]. ومن الأسباب المحتملة لعدم استعداد واشنطن لتزويد مصر بالأسلحة ما ذكر عن الضغوط الداخلية القوية التي مارسها اللوبي المناصر لإسرائيل في الولايات المتحدة، مضافاً إلى ذلك التعنت البيروقراطي في الدوائر الرسمية الأمريكية[٥٧].

لم يكن هذا الاستنتاج أمراً مبالغاً فيه، فقد جاء في برقية وردت إلى السفارة الأمريكية في القاهرة من وزارة الخارجية الأمريكية أن النظر في بيع الأسلحة إلى مصر يتوقف على تصميمها أن تأخذ في اعتبارها تسوية سلمية مع إسرائيل[٥٨]. كان المسؤولون الأمريكيون منهمكين في المساعي الرامية إلى عقد معاهدة سلام مصرية ـ إسرائيلية، وكانوا يعتبرون الصراع العربي ـ الإسرائيلي تهديداً للاستقرار الإقليمي وللمصالح الغربية. لهذا

= المكتب المصري الحديث، ١٩٨٨)، ص ٣١١ و٣١٣، وصلاح الشاهد، **ذكرياتي في عهدين** (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٦)، ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧.

(٥٥) من السفير الامريكي في مصر الى وزارة الخارجية، القاهرة، ٥ نيسان/ابريل ١٩٥٤، في:
United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1952 - 1954: The Near and Middle East*, vol. 9, part 2, pp. 2259, 2191 and 2211.

(٥٦) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الاول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨**، ص ٦٥٦؛ السادات، **يا ولدي هذا عمك جمال**، ص ٩٦ ـ ٩٧ و١١٠، ورياض، **مذكرات محمود رياض**، ج ٢، ص ٤٦.

(٥٧) Sherman Adams, *First-Hand Report: The Inside Story of the Eisenhower Administration* (London: Hutchinson, 1962), p. 197; Miles Copeland, *The Game of Nations: The Amorality of Power Politics* (London: Weidenfeld and Nicolson, 1969), pp. 131 - 132;
مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الاول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨، ص ٤٢٤ ـ ٤٢٧، والسادات، المصدر نفسه، ص ١١٨.

(٥٨) مذكرة محادثات، وزارة الخارجية، واشنطن، ١١ تموز/يوليو ١٩٥٥، ومن وزارة الخارجية الى السفارة الامريكية في مصر، واشنطن، ٢٠ ايلول/سبتمبر ١٩٥٥، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1955 - 1957: Arab-Israeli Dispute, 1955*, vol. 14, pp. 285 and 491.

ربط المسؤولون الأمريكيون مسألة المساعدات العسكرية الأمريكية باستعداد عبد الناصر على أن يأخذ بالاعتبار جدياً عقد اتفاق مع جارته الدولة اليهودية. كانت هذه صورة واحدة من الصور التي تبين كيف تؤثر المسألة الإسرائيلية في العلاقة بين الدول الكبرى والبلدان العربية. إن هذه القضية قد لعبت دوراً غير صغير في تدهور العلاقات بين العرب والغرب.

يضاف إلى هذا ما أفاد به المسؤولون المصريون من أن واشنطن أبلغتهم استعدادها تزويد مصر بالأسلحة لقاء عقد حلف أمني متبادل(٥٩). وواقع الأمر أن المسؤولين الأمريكيين حاولوا حثيثاً استخدام مغريات المساعدة العسكرية الأمريكية لإغواء مصر بالانضمام إلى منظومة دفاع إقليمية موالية للغرب - وجعلت ذلك مشروطاً بتنازلات يقدمها عبد الناصر بشأن تسوية عربية - إسرائيلية. بعبارة أخرى استخدمت إدارة آيزنهاور قضية المساعدات كأداة ضغط سياسية(٦٠).

بيد أن نظام عبد الناصر لم يكن ميالاً لقبول المطالب الأمريكية أو للتصرف وفق شروط الولايات المتحدة. كان عبد الناصر يرى أن الأكلاف والمخاطر الناجمة عن التورط في الدخول في إطار التحالف الغربي وعن التفريط بالقضية الفلسطينية تزيد كثيراً على المنافع المحتملة(٦١). لقد كان مهتماً بموقعه في المنظومة الفرعية العربية. إن موقفه يعكس مجدداً أهمية المحيط الإقليمي والقيود الإقليمية المفروضة على الزعماء المحليين والفرص الإقليمية المتاحة لهم. إن هؤلاء الزعماء يدركون كل الإدراك الطبيعة الحاسمة للقضايا والديناميات الإقليمية ويعارضون اتخاذ أي قرار من شأنه أن يعرض مراكزهم للخطر، حتى وإن كانت مثل هذه القرارات تعني استعداء الدول الكبرى.

إن الضغوط الأمريكية، السياسية منها والاقتصادية، بما في ذلك المماطلة في موضوع المساعدات العسكرية، وتأخير العون بشأن بناء السد العالي في أسوان، كل ذلك أقنع المسؤولين المصريين أن الولايات المتحدة لا تتعاطف مع طموحاتهم الإقليمية(٦٢).

---

(٥٩) Anwar El-Sadat, *In Search of Identity: An Autobiography* (London: Collins, 1978), p. 127, and محمد حسنين هيكل، **نحن... وامريكا** (القاهرة: دار العصر الحديث، ١٩٦٧)، ص ٦٧ - ٦٩، تتضمن الوثائق الامريكية اشارة الى هذا الطلب. مذكرة الى مدير ادارة العمليات الخارجية، الموضوع: منح مساعدات عسكرية الى مصر، ١٢ آب/اغسطس ١٩٥٤، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1952 - 1954: The Near and Middle East*, vol. 9, part 2, p. 2297.

(٦٠) William J. Burns, *Economic Aid and American Foreign Policy toward Egypt, 1955 - 1981* (Albany, NY: State University of New York Press, 1985), pp. 8 and 13 - 23.

(٦١) المصدر نفسه، ص ٣٣.

(٦٢) تقرير استخباراتي بتقدير موقف بعنوان: نظرة تطلعية لاستقرار مصر وسياستها الخارجية، واشنطن، ١٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٥، في: United States, Department of State, *Foreign* =

وهكذا بدأ هؤلاء المسؤولون بالتفكير بما لم يكن وارداً التفكير فيه، ألا وهو دعوة السوفيات إلى المشاركة في دبلوماسية الشرق الأوسط، فكسروا بذلك الهيمنة الغربية في المنطقة. وقد وجدت مصر، في مناخ الاستقطاب الدولي السائد في الخمسينيات، فرصة ذهبية لخدمة مصالحها. كانت الدول الصغيرة مثل مصر قد تمكنت في هذا السياق من تحاشي التهميش والتبعية وذلك باستغلال التنازع بين الدول العظمى.

جاءت نقطة التحول في الثامن والعشرين من شباط/فبراير ١٩٥٥ حين شنت إسرائيل هجوماً مدمراً على غزة وقتلت عشرات الجنود المصريين وأحدثت دماراً شديداً. كان الضباط الأحرار قد أولوا، قبل وقوع هذه الغارة، أولوية عليا للقطاعين الاقتصادي والمدني تفوق الأولوية العسكرية، فكانوا يشددون على الفعاليات التي تهدف إلى الإصلاح الاجتماعي لا على الانفاق العسكري. وجاء الهجوم على غزة ليغير هذا كله. وبما أن ذلك الهجوم قد وقع بعد أيام من التوقيع على حلف بغداد فقد اقتنع عبد الناصر بوجود علاقة وثيقة بين الاثنين، ورأى في الحلف والهجوم جزءاً من «مؤامرة» غربية لتحطيم نظام حكمه وإعادة السيطرة على الوطن العربي بأسره[٦٣].

لقد كان الهجوم على غزة الصخرة التي تحطمت عليها آمال المصريين بشأن نيات الولايات المتحدة في الشرق الأوسط. اعتقد المسؤولون المصريون أن مصر صارت تتعرض للعقوبة لمعارضتها حلف بغداد ورفضها القبول بمقترحات أمريكية لعقد سلام مع إسرائيل. كانوا يقولون لدعم هذا الاعتقاد ان إسرائيل ما كانت لتبدأ بعملية كهذه من دون علم سابق أو موافقة من واشنطن. وعبّر عبد الناصر ذلك بقوله إن إسرائيل كانت تعمل كأداة للإمبريالية في المنطقة[٦٤]. إن الهجوم فتح أبواباً كثيرة على مصراعيها بمعنى أن الصراع العربي ـ الإسرائيلي سيصبح أكثر أهمية في السياسات الإقليمية، كما أنه سيصبح متشابكاً ومتداخلاً بالمنازلة بين الشرق والغرب.

= *Relations of the United States, 1955 - 1957: Arab-Israeli Dispute, 1955*, vol. 14, p. 767;
هيكل، المصدر نفسه، ص ٥٠ ـ ٥١، والسادات، **يا ولدي هذا عمك جمال**، ص ١٠٧ ـ ١٠٨.

(٦٣) عبد اللطيف البغدادي، **مذكرات عبد اللطيف البغدادي** (القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٧٧)، ج ١، ص ١٩٧؛ **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الاول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨**، ص ٤١٨ و٦٩٠ ـ ٦٩١؛ نصر، **مذكرات: ثورة ٢٣ يوليو بين المسير والمصير، الاصول**، ص ٢٤١، والسادات، المصدر نفسه، ص ١٣٨ و١٤٠. حين يكون أمن نظام الحكم الثوري وبقاء صفوة رجاله على المحك يتوقع المرء اتخاذ عمل حاسم. وهذا ما حدث بالضبط في مصر بعد الغارة على غزة.

(٦٤) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الأول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨**، ص ٦٩١؛ السادات، المصدر نفسه، ص ١٤٠، ونصر، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٤١ ـ ٢٤٣. يمثل تصريح عبد الناصر رأياً عربياً واسع الانتشار، وهذا الرأي لا يسعه أن يتصور وجود عملية صنع قرار اسرائيلي تكون مستقلة. إن افتقار العرب الى المعرفة بالمجتمع الاسرائيلي والسياسات الاسرائيلية أدى الى نتائج وخيمة، ولا سيما خلال أزمة ١٩٦٧.

تعرض عبد الناصر بعد الهجوم على غزة إلى ضغط هائل من الجيش للحصول على السلاح لإصلاح الخلل في الميزان العسكري مع إسرائيل حتى لو كان هذا يعني التوجه نحو الكتلة الاشتراكية. وأصبح الدفاع عن مصر والاحتفاظ بولاء الجيش من أولويات عبد الناصر العليا. الأمر الذي يعكس مرة أخرى الرابطة الوثيقة بين السياسات الداخلية والسياسات الخارجية. وتوصل عبد الناصر إلى نتيجة مفادها أن إنشاء جيش قوي هو شرط مسبق للبناء والتنمية. وقد قال لمبعوث دالاس الخاص جورج ألن إن من العبث بناء المدارس والمستشفيات وسدود الري إذا لم يكن من الممكن الدفاع عنها. إن حاجة القاهرة إلى الأسلحة ورفض واشنطن تلبية ذلك قد اضطر عبد الناصر إلى أن يعيد تقييم علاقاته مع الدول العظمى، فقال في هذا الصدد: «إن حاجتنا للحصول على الأسلحة أصبحت مرتبطة بمهمتنا في تحديد معنى شخصيتنا على المسرح الدولي»[٦٥].

كانت إدارة آيزنهاور، كما ذكرنا آنفاً، قد ماطلت في قضية بيع السلاح إلى مصر ووضعت شروطاً سياسية لذلك كانت تنطوي على المخاطرة بالنسبة إلى عبد الناصر الذي اعتبرها شروطاً غير مقبولة. ثمة تعريفان متباينان للأمن هما في صميم الخلاف بين الدولتين. كانت الولايات المتحدة، بصفتها زعيمة العالم الغربي، مهتمة أساساً بردع الخطر السوفياتي المحتمل، أما ما دون ذلك فهو كله يأتي بمرتبة ثانية تابعة له. كان المسؤولون الأمريكيون يصنفون الدول من حيث مواقفها ضد الشيوعية ومن حيث استعدادها للانضمام إلى الأحلاف العسكرية الغربية. لذا كان قيام الدول باتباع أي خيار آخر يعتبر من قبل الولايات المتحدة عملاً غير ودي، ويفسر عداء آيزنهاور ودالاس لفكرة الحياد وعدم الانحياز. وعلى حد تعبير آيزنهاور كيف يمكن أن يكون المرء محايداً بين الحق والباطل، بين الخير والشر، بين الصالح والطالح؟

إن التعريف الذي كانت تضعه إدارة آيزنهاور للأمن الإقليمي لم يكن يحظى بقبول المصريين، وما كان بوسع الضباط الأحرار أن يقدروا انشغال الولايات المتحدة بالتهديد السوفياتي أو تسوية النزاع العربي ـ الإسرائيلي. وقد قال عبد الناصر لدالاس عند اجتماعه به إن الشعب المصري لا يعتبر الاتحاد السوفياتي عدواً، وأوضح أن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية القلقة هي التهديد الحقيقي للسلام والاستقرار في المنطقة. لذا ينبغي التشديد على التنمية الاقتصادية والاجتماعية لا على إقامة أحلاف عسكرية.

---

(٦٥) Egypt, Ministry of Information, *President Gamal Abdel-Nasser's Speeches and Press Interviews* (1959), p. 603;

مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الاول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨، ص ٦٩٢؛ من السفير الامريكي في مصر الى وزارة الخارجية، القاهرة، تشرين الاول/اكتوبر ١٩٥٥، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1955 - 1957: Arab-Israeli Dispute, 1955*, vol. 14, p. 538, and

نصر، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٤٤.

أما بشأن التهديدات الخارجية المحتملة فإن المصريين والعرب عموماً كانوا يربطون ذلك بإسرائيل وبالوجود الاستعماري البريطاني والفرنسي. ولكي ينجح أمر الأمن الاقليمي لا بد لذلك، برأي عبد الناصر، أن يعمم على التهديدات الخارجية بأجمعها، بما فيها التهديد من قبل الاتحاد السوفياتي. يضاف إلى هذا أن عبد الناصر كان يرتئي ألا تكون الدول الكبرى هي التي تنظم الدفاع عن الساحة العربية، بل ينبغي أن تكون الجامعة العربية هي المسؤولة عن ذلك. كما أنه ربط بين مصير مصر ومصير الوطن العربي والعكس بالعكس، واعتبر أن أمن مصر هو امتداد للأمن العربي(٦٦). كان معنى هذا عملياً، بالنظر إلى وزن مصر السياسي العسكري والاقتصادي، أن مصر هي التي ستلعب الدور الرئيسي في تنظيم منظومة الدفاع الإقليمية.

كان عبد الناصر يريد لمصر أن تلعب دوراً نشطاً أكبر في المنطقة وما وراءها. ولم يكن من الممكن تحقيق هذه الغاية إلا بالابتعاد عن الدولتين العظميين بل حتى بضرب إحداهما بالأخرى، وإلا بتولي القيادة بشأن المعضلة الفلسطينية. وسرعان ما اكتشف عبد الناصر عدم الانحياز، الأمر الذي زوده بالسند النظري لأفكاره. وقد كان لاشتراكه في مؤتمر عدم الانحياز في باندونغ في اندونيسيا في نيسان/ابريل ١٩٥٥ ضد رغبات الولايات المتحدة تأثير كبير في نظرته السياسية. كان الحصول على السلاح ومؤتمر باندونغ بنظر عبد الناصر جولتين في الحرب من أجل ترسيخ الاستقلال(٦٧).

أما المنتفع الرئيسي من هذا الموقف الجديد فكان الاتحاد السوفياتي. ومع أن خروتشوف كان مرتاباً في البداية من فكرة عدم الانحياز إلا أنه وجد فيها في ما بعد فرصة لضم صفوفه مع الكتلة الافريقية ـ الآسيوية الحديثة النشوء. كانت أغلبية الدول المنتمية إلى هذه الكتلة ذات مواقف مناهضة للغرب بسبب ارتباط الغرب بالإرث الاستعماري. إن مناداتها بالاستقلال السياسي والعدالة الاقتصادية وإنهاء الإمبريالية جاء متفقاً تماماً مع أهداف السياسة الخارجية للكرملين(٦٨).

ما إن أدركت الزعامة السوفياتية في أوائل عام ١٩٥٥ أن الحياد وعدم الانحياز

---

(٦٦) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الاول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨**، ص ٦٨٩؛ فؤاد مطر، **بصراحة عن عبد الناصر: حوار مع محمد حسنين هيكل**، ط ٢ (بيروت: دار القضايا، ١٩٧٥)، ص ٧٩ ـ ٨١ و١٣٦، ومحمد السيد سليم، **التحليل السياسي الناصري: دراسة في العقائد والسياسة الخارجية**، سلسلة اطروحات الدكتوراه؛ ٣ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٣)، ص ١٠٣، ١١١ ـ ١١٢ و١٤٢.

(٦٧) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الاول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨**، ص ٦٩٢.

(٦٨) Riad Najib El-Rayyes and Dunia Nahas, eds., *The Dragon and the Bear: A Study of Communist Involvement in the Arab World* (Beirut: An-Nahar Arab Report Research Staff, 1973), pp. 15 - 16.

يمكن أن يعطى لهما مضمون مناهض للإمبريالية قررت التعاون مع الأنظمة البرجوازية، غير الاشتراكية، القائمة في العالم الثالث. كان هذا جزءاً من استراتيجية سوفياتية جديدة جرى وضعها نظرياً في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي، وهي تحكم استراتيجية على الدول على أساس مواقفها من قضايا السياسة الخارجية. وأصبحت البراغماتية تحكم جوهر تفكير خروتشوف بشأن العلاقات الدولية، وكان ذلك يعني أن المسؤولين السوفيات سيتعاملون من الآن فصاعداً مع العالم الخارجي كما هو لا كما يجب أن يكون. كذلك وجد المشاركون في مؤتمر باندونغ في الاتحاد السوفياتي قوة دولية بديلة يمكنهم التعاون معها والاعتماد عليها لإقامة التوازن بوجه الهيمنة الغربية(٦٩).

إن هذا التلاقي في المصالح بين موسكو والقاهرة قد أثمر صفقة الأسلحة السوفياتية ـ المصرية في أيلول/سبتمبر ١٩٥٥. كان عبد الناصر قد طلب من شو إن لاي عند حضور مؤتمر باندونغ أن يستفسر من السوفيات إن كانوا على استعداد لبيعه سلاحاً. وقد دهش عبد الناصر من استجابة موسكو الإيجابية والسريعة. فهي ليست فقط مستعدة لتزويد القاهرة بأية كمية تريد من الأسلحة بالدفع الآجل بالقطن والأرز المصريين، وإنما هي جاهزة كذلك لمساعدة مصر في أي مشروع صناعي تختاره. كانت الدول الغربية وحركة عدم الانحياز هي الهدف المباشر المقصود من عرض موسكو السخي إلى القاهرة. وكان السوفيات يسجلون بذلك امتعاضهم الشديد من الاحتكار الغربي السائد في الشرق الأوسط، كما أنهم أرادوا أن تعي دول العالم الثالث وجود اختيارات وبدائل أخرى(٧٠).

كان عبد الناصر سيفضل حتى في ذلك الوقت شراء أسلحة أمريكية(٧١). لقد اتصل بإدارة آيزنهاور لعقد جولة أخيرة من المباحثات لمعرفة هل يمكنه الحصول على السلاح منها. وعليه اجتمع الرئيس المصري بتاريخ ٢٢ أيار/مايو بالسفير الأمريكي في القاهرة، هنري بايرود، وأخبره بالعرض السوفياتي بشأن السلاح. قام بايرود بإبلاغ السفير البريطاني في القاهرة بأنه أرسل تقريراً بمحادثاته مع عبد الناصر إلى رؤسائه في واشنطن، وأنه أكد على هؤلاء ضرورة أخذ التهديد الذي لوّح به عبد الناصر مأخذ الجد.

---

(٦٩) دانكوس، **السياسة السوفياتية في الشرق الاوسط، ١٩٥٥ ـ ١٩٧٥**، ص ٢٥، ٣١ ـ ٣٣، ٣٦ و٣٩ ـ ٤٢، و Behbehani, *The Soviet Union and Arab Nationalism, 1917 - 1966,* pp. 112 - 134.

(٧٠) دانكوس، المصدر نفسه، ص ٢٣، و Anthony Nutting, *Nasser* (London: Constable, 1972), p. 101.

(٧١) كان بعض المسؤولين الامريكيين يعتقد أنه لو استطاع عبد الناصر أن يحافظ على استقلاله وسمعته من خلال ترتيب مع الغرب فإنه سيفضل ذلك على علاقة وثيقة مع السوفيات. من مدير وكالة الاستخبارات المركزية (الى دالاس)، واشنطن، ٢٩ تشرين الاول/اكتوبر ١٩٥٥، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1955 - 1957: Arab-Israeli Dispute, 1955,* vol. 14, p. 679.

إن بايرود قد شدد كذلك على المضاعفات البعيدة المدى التي ستنتاب المصالح الأمريكية من جراء صفقة أسلحة سوفياتية ـ مصرية محتملة(٧٢).

لم يرد أي جواب رسمي على تقرير بايرود المستعجل، فلم يكن دالاس يعتقد بأن الزعامة السوفياتية ستبيع سلاحاً إلى عبد الناصر، وظن أن الزعيم المصري كان يناور. كذلك لم يقدر دالاس حق التقدير ما يتمتع به المسؤولون السوفيات من دقة تمييز سياسية وإقدام. إن تفكيره يلقي الكثير من الضوء ليس فقط على مشكلة سوء التصور في السياسات العالمية وإنما أيضاً على طبيعة العلاقات بين الدول الكبرى والصغرى. كان وزير الخارجية الأمريكية قد قلل أكثر من مرة من شأن قدرة عبد الناصر على العمل على وجه الاستقلال وبصورة جريئة ضد رغبات الولايات المتحدة(٧٣). وعلى الرغم من تحذير بايرود لم يكن دالاس مستعداً لقبول الرأي القائل بأن دولةً محليةً ما كمصر ستخرج على إرادة دولة عظمى. إن هذا يعكس تصور دالاس للسياسات العالمية، ذلك التصور الذي تغور جذوره في افتراضات واقعية عن القوة والجبروت. لم يكن قد استيقظ بعد على الحقيقة ومفادها أن مجال السياسات الدولية لم يعد الامتياز المقتصر على الدول الكبرى فقط وأن هذه السياسات قد اتسعت لتشمل الفاعلين الصغار.

لم يكن أمام عبد الناصر في وجه هذا الرفض الغربي لبيعه السلاح إلا أن يقبل بالعرض السوفياتي فوقع صفقةً بذلك مع موسكو. وقد قال لصحيفة **نيويورك بوست** «إن الأمر كان مسألة حياة أو موت بالنسبة إلينا، ولم يكن أمامنا خيار آخر»(٧٤). وفي محاولةٍ لإلغاء الصفقة قامت إدارة آيزنهاور بوضع استراتيجية ذات جانبين. **أولاً**، فكّر دالاس بالاشتراك مع مسؤولين بريطانيين أن الاتحاد السوفياتي هو المكان الذي تقبر فيه الصفقة في مهدها. لذلك حاولوا تغيير موقف الزعامة السوفياتية وذلك بشرح المخاطر الكامنة في بيع السلاح لدول شرق أوسطية.

مثلاً، في العشرين من أيلول/ سبتمبر اجتمع دالاس بوزير الخارجية السوفياتي مولوتوف وأخبره بقلق الولايات المتحدة بشأن بيع الأسلحة إلى بلدان عربية معينة. وأوضح دالاس أن هذا العمل سيؤدي إلى الاضطراب في الميزان العسكري الذي كانت الولايات المتحدة تحاول الحفاظ عليه في المنطقة، وقام بتحذير مولوتوف من وقوع مضاعفات محتملة يمكن أن تؤدي إلى الحرب وقال إن واشنطن ستجد من الصعب عليها

---

(٧٢) Humphrey Trevelyan, *The Middle East in Revolution* (London: Macmillan, 1970), pp. 28 - 29.

(٧٣) إن سحب العرض الامريكي لتمويل سد أسوان يمثل حالة أخرى من سوء تصور دالاس وخطأ حساباته. في كلتا الحالتين حدثت مضاعفات خطيرة.

(٧٤) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الاول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨**، ص ٤٢٥.

أن تكون غير مهتمة بذلك على الإطلاق(٧٥).

ثانياً، وجّه المسؤولون الأمريكيون ضغطاً مباشراً لمصر لكي تقوم بإلغاء صفقة الأسلحة من جانب واحد. قال كرميت روزفلت، الذي كان رئيس شعبة الشرق الأوسط في وكالة المخابرات الأمريكية، لعبد الناصر في اجتماع عقده معه في أيلول/ سبتمبر ١٩٥٥ إن صفقة الأسلحة تمثل ضربة شديدة لسياسة دالاس الخاصة بإيقاف تحركات الاتحاد السوفياتي في المنطقة. وأكد روزفلت أن الصفقة ستقوض الميزان العسكري بين الدول العظمى. وجرى تحذير عبد الناصر بأن دالاس سيضطر إلى اتخاذ عمل «شديد» ضد مصر مثل قطع العلاقات الدبلوماسية معها أو فرض حصار اقتصادي عليها(٧٦). كتب عبد اللطيف البغدادي، وهو زميل لعبد الناصر كان حاضراً الاجتماع، يقول إن عبد الناصر استشاط غضباً عند سماعه ذلك الكلام، وأكد أن الاستقلال المصري عن السيطرة الأجنبية، سواءً كانت من الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفياتي، هو الذي سيقرر سياسة مصر الخارجية القائمة على أساس مصالحها القومية. ثم قال لروزفلت براحة تامة ان السياسة الأمريكية الحالية «ستضطرنا إلى مقاتلتكم في المنطقة حتى إذا كان علينا أن نعمل سراً»(٧٧). وبصرف النظر عن هذه الأقوال لم يكن المسؤولون المصريون أو الأمريكيون يريدون الاصطدام حول صفقة الأسلحة. لقد كان لكلا الطرفين مصلحة في عدم التصعيد في المواجهة الكلامية، وكذلك في التخفيف من الخلافات.

كان الضباط الأحرار في مصر على إدراك تام بتكتلات القوى في المنظومة الدولية، وبقدرة الولايات المتحدة على زعزعة الاستقرار لنظام حكمهم. إن تحدي أغراض الولايات المتحدة الأمنية في الشرق الأوسط سيعني بالتأكيد حدوث مواجهة طويلة الأمد ومحفوفة بالأخطار. لهذا حرص عبد الناصر على أن يطمئن الإدارة الأمريكية، من خلال سفيره في واشنطن أحمد حسين، أن صفقة الأسلحة ما هي إلا عملية تجارية من دون شروط سياسية مربوطة بها. أخبر السفير المصري وزير الخارجية دالاس أن مصر مصممة على مقاومة انتشار النفوذ الشيوعي في المنطقة ومنع هذا الانتشار، وكرر له كذلك رغبة عبد الناصر باستمرار العلاقات الحسنة بين مصر والولايات المتحدة. هذا وقد أوضح عبد الناصر في خطبه التي ألقاها على الجماهير وفي مقابلاته مع الصحفيين أن صفقة الأسلحة لا تعني أي تحول في علاقات مصر الدولية، مؤكداً أن بلاده ستسير على سياسة مستقلة وغير منحازة(٧٨).

---

(٧٥) ملاحظة من المحرر، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1955 - 1957: Arab-Israeli Dispute, 1955,* vol. 14, pp. 483, 506, 509 - 510, 529 - 532 and 576.

(٧٦) البغدادي، **مذكرات عبد اللطيف البغدادي**، ج ١، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

(٧٧) نقلاً عن: المصدر نفسه، ص ٢٠٥.

(٧٨) مذكرة محادثات، وزارة الخارجية، الموضوع: زيارة السفير المصري للوزير، واشنطن، ١٧ =

ومع أن الزعماء الأمريكيين قد غضبوا من عبد الناصر إلا أنهم كانوا ضد اتخاذ إجراءات عقابية من شأنها أن تزيد في استعدائه. وقامت وكالات الاستخبارات الأمريكية بتحذير الإدارة من مغبة إنهاء المساعدات المقدمة إلى مصر لئلا يؤدي ذلك إلى تزايد النفوذ السوفياتي و«تعريض مركز الدول الغربية للخطر في أرجاء الشرق الأوسط»(٧٩). وعلى حد تعبير دالاس «إن مصر محايدةً ستكون مقبولة أكثر من كونها تابعة شيوعية»(٨٠). جرى كذلك التشديد على أهمية مصر في الساحة العربية، فقال دالاس إن معاقبة مصر ستبعد عنا الوطن العربي، وتضعه في صف المعسكر الاشتراكي، الأمر الذي يجعل ذلك العالم أكثر تقبلاً للتغلغل الشيوعي، وأضاف: «علينا ألا نسمح للتطورات أن تسير في هذا الاتجاه لأن نفط الشرق الأوسط مهم ليس لمنظمة حلف شمالي الأطلسي وحدها بل للعالم الغربي أيضاً»(٨١).

كانت أهمية صفقة الأسلحة بالنسبة إلى زعماء الغرب لا تكمن فقط في زيادة الإمكانات العسكرية المصرية وإنما تكمن كذلك في أنها تنطوي على دعوة موجهة إلى موسكو لدخول المنطقة. وكان أولئك الزعماء قلقين بشأن إمكانية تحول البلدان العربية إلى الكتلة الشرقية وبذلك يجري التنازل عن مساحة استراتيجية ذات أهمية من حيث مصادرها النفطية ومن حيث موقعها القريب من الحدود غير القابلة للتحصين للاتحاد السوفياتي(٨٢). إن تلك الدعوة قد تؤدي إلى تخندق الاتحاد السوفياتي كدولة كبرى لها الاهتمام نفسه بالمنطقة وقد تؤدي كذلك إلى تعريض المصالح الغربية الحيوية إلى الأخطار. هذا ولا بد من التأكيد على أن استبعاد الاتحاد السوفياتي من المشاركة في دبلوماسية الشرق الأوسط كان منذ أمدٍ طويل هدفاً أمريكياً رئيسياً. وقد أوصى وزير الخارجية الأمريكية دبلوماسيي الولايات المتحدة بأن يراقبوا هذا الوضع بعناية شديدة إذ إن واشنطن لا يسعها أن تكرر الأخطاء التي ارتكبتها في الصين فتقع بأمثالها في الشرق الأوسط أو افريقيا(٨٣).

= تشرين الاول/اكتوبر ١٩٥٥، في: United States, Department of State, Ibid., vol. 14, p. 606, and **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الاول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨**، ص ٤٠٩ ـ ٤١٣.

(٧٩) تقرير استخباراتي بتقدير موقف بعنوان: نظرة تطلعية لاستقرار مصر وسياساتها الخارجية، واشنطن، ١٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٥، في: United States, Department of State, Ibid., vol. 14, p. 771.

(٨٠) مذكرة محادثات، وزارة الخارجية، واشنطن، ٣ تشرين الاول/اكتوبر ١٩٥٥، في: المصدر نفسه، ص ٥٤٣.

(٨١) المصدر نفسه.

(٨٢) Elizabeth Monroe, *Britain's Moment in the Middle East, 1914 - 1956*, Britain in the World Today (Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press, 1963), p. 178.

(٨٣) مذكرة محادثات، وزارة الخارجية، واشنطن، ٣ تشرين الاول/اكتوبر ١٩٥٥، في:
= United States, Department of State, Ibid., p. 550;

يمكننا إذن أن ندرك بعد هذا أن العامل الرئيسي في التفكير الأمريكي حيال صفقة الأسلحة كان هو العنصر السوفياتي لا العنصر العربي. إن تنازع واشنطن مع موسكو كان يحجب كل شيء آخر. ولم تكن كلتاهما ترى أن الديناميات والتطورات الإقليمية مهمة بذواتها. وكانت النتيجة إجراء تبسيط، بل حتى تشويه، للسياسات والاصطفافات المحلية في المنطقة. بيد أنه لم تكن هناك وحدة في الرأي داخل الإدارة الأمريكية بشأن مضاعفات صفقة الأسلحة.

وجاءت تقارير الدبلوماسيين الأمريكيين من العواصم المختلفة مختلفةً كثيراً عن تقارير زملائهم في واشنطن. فمع أن السفير الأمريكي في القاهرة، بايرود، حث رؤساءه في وزارة الخارجية على أن ينظروا إلى صفقة الأسلحة السوفياتية ـ المصرية كضرورة داخلية لعبد الناصر، إلا أن كبار المسؤولين في واشنطن لم ينظروا إليها إلا من حيث المنافسة بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة. وهكذا كان المنظور الصادر عن المنطقة يقدر الوضع الخاص لمصر على النقيض من وجهة نظر واشنطن التي كانت منعزلة تماماً عن الواقع[٨٤]. كانت وجهة النظر هذه، التي تنظر إلى المنطقة من الخارج لا من الداخل، مسؤولة عن أخطاء كثيرة وقعت فيها الولايات المتحدة سواء في الحكم على الأمور أو في السياسة.

بحلول كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٥ توصلت الولايات المتحدة إلى نتيجة مفادها أن من الضروري المباشرة بخطة لتمويل بناء سد أسوان. كانت تلك الخطة بمثابة محاولة لاجتذاب مصر إلى جانب الغرب وإنقاذها من السقوط في فلك المعسكر الاشتراكي والإبقاء عليها في جانب العالم الغربي. كان هذا البرنامج المقترح لتقديم مساعدة مالية غربية ينطوي على قيام مصر بإظهار استعدادها للتوصل إلى نوع من التفاهم الحقيقي مع إسرائيل والتوقف كذلك عن مزيد من التورط في المعسكر السوفياتي. وعلى هذا الأساس قام الرئيس آيزنهاور بإرسال صديقه الشخصي روبرت أندرسون بمهمة سرية إلى مصر

=ملاحظة من المحرر (تقرير من دالاس الى مجلس الامن القومي حول الوضع في الشرق الادنى)، ومن وزير الخارجية الى وزارة الخارجية، جنيف، ٣١ تشرين الأول/اكتوبر ١٩٥٥، في: المصدر نفسه، ص ٧٩٧.

(٨٤) من السفارة الامريكية في مصر الى وزارة الخارجية، القاهرة، ٢١ ايلول/سبتمبر ١٩٥٥، في: المصدر نفسه، ص ٤٩٧ ـ ٤٩٨، ٥٠٨ ـ ٥٠٩، ٥١٧ و٥٢٤ ـ ٥٢٦، و Copeland, *The Game of Nations: The Amorality of Power Politics*, pp. 126 - 127 and 180.

كان المسؤولون المصريون على اطلاع على هذا التشعب في جهاز صنع السياسة الامريكية، ولم يكونوا يستطيعون فهم السبب الذي يدفع الولايات المتحدة لأن تتكلم بأصوات متعددة. كان البيت الابيض ووزارة الخارجية ووزارة الدفاع ووكالة المخابرات المركزية يرسلون إشارات مختلفة الى مصر في أوقات مختلفة. ومع أن البيت الابيض ووزارة الخارجية كانا غير وديين، إلا أن وزارة الدفاع ووكالة المخابرات المركزية أظهرتا تعاطفاً وتفهماً. انظر: Mahmoud Fawzi, *Suez: An Egyptian Perspective* (London: Shorouk International, [n. d.]), p. 20, and Mohammed Hasanayn Heikal, *Nasser: The Cairo Documents* (London: New English Library, 1972), pp. 24 and 110.

وإسرائيل لمحاولة العثور على تسوية للصراع العربي ـ الإسرائيلي[٨٥].

سادساً: مضاعفات صفقة الأسلحة المصرية ـ السوفياتية

إن عبد الناصر، بدعوته الروس إلى الدخول إلى مصر، قد كسر الاحتكار الغربي لتجهيزات الأسلحة في المنطقة. ولا بد أن نذكر أن الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا كانت قد أصدرت البيان الثلاثي في أيار/مايو ١٩٥١، الذي نظم نقل الأسلحة في المنطقة العربية ـ الإسرائيلية. هذا وتكمن أهمية صفقة الأسلحة في الحقل السياسي أكثر مما تكمن في الحقل العسكري. وجاء اشتراك الاتحاد السوفياتي في دبلوماسية الشرق الأوسط ليحرر الأطراف الفاعلة الشرق أوسطية من اعتمادها على الغرب، ويعطيها مجالاً أوسع للمناورة في السياسات العالمية، ويدفع الدول الكبرى إلى التنافس بضراوة من أجل الحصول على مرضاة دول المنطقة وما ينجم عن ذلك من معالم. عبّر أحد المسؤولين المصريين عن ذلك بقوله: «لم يعد الغرب يضعنا في زاوية. إننا الآن في رواق ممتد، فإذا ضغط الغرب علينا كثيراً فيمكننا دائماً الخروج من الجانب الآخر»[٨٦].

يضاف إلى هذا أن انغماس الاتحاد السوفياتي في الشؤون العربية لم يكن نتاج تدخلها العسكري في المسرح المحلي أو استغلالها السياسي له. إن الزعامة السوفياتية لم تهتم اهتماماً حقيقياً بالساحة العربية حتى أواسط الخمسينيات، فقد كان ستالين ورفاقه يعتبرون الشرق الأوسط منطقة نفوذ غربية، مدركين بذلك أن ميزان القوى ليس في صالحهم. كانت إسرائيل بالنسبة إليهم تعتبر الجزيرة التقدمية الوحيدة في بحر الرجعية العربية. ولا غرابة ألا يكون ستالين ميالاً إلى التورط في السياسات العربية. لكن وفاة ستالين في عام ١٩٥٣ وتسلم خروتشوف السلطة كشفا عن تغييرات مهمة في التفكير السوفياتي. كان من أبرز تلك التغييرات ما حدث من تساهل في تفسير النظرية الماركسية وذلك للأخذ بالحسبان التجربة «البرجوازية» لدول العالم الثالث.

وتكمن أهمية هذا التغيير في أنه حرر السياسة الخارجية من التصلب العقائدي، الأمر الذي مكن خروتشوف من اتباع سياسات براغماتية ناشطة في المنطقة العربية وغيرها من المناطق. هذا النشاط المتوسع أملته تصورات الزعامة السوفياتية للطبيعة المتغيرة لمصالح وحاجات الاتحاد السوفياتي العالمية. وأدى اشتداد حدة الحرب الباردة إلى ضراوة المنافسة

---

(٨٥) مذكرة عن مناقشة في الاجتماع رقم ٢٦٨ لمجلس الامن القومي، كامب ديفيد، ولاية ميريلاند، ١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٥، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1955 - 1957: Arab-Israeli Dispute, January 1 - July 26, 1956,* vol. 15, pp. 16 and 20, and Burns, *Economic Aid and American Foreign Policy toward Egypt, 1955 - 1981,* p. 36.

(٨٦) نقلاً عن: John S. Badeau, *The American Approach to the Arab World,* Policy Books of the Council on Foreign Relations (New York: Harper, 1968), p. 11.

بين الدول العظمى من أجل الحصول على تأييد كتلة عدم الانحياز. لم يكن يسع خروتشوف وزملاءه البقاء بعيداً عن هذه المنافسة لئلا يكون الاتحاد السوفياتي منعزلاً ومطوقاً بحزام معادٍ من الأحلاف العسكرية الغربية. إن هذا السلوك يتفق مع الفرضية الثانية لهذه الدراسة، ألا وهي أن العلاقات بين الدول العظمى نفسها تؤثر في علاقاتها مع الدول المحلية. وهكذا أدى تنامي التنازع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي إلى تعميق تدخلهما في شؤون العالم النامي. هذا، وينبغي فهم المدخل السوفياتي الناشط الجديد تجاه الساحة العربية ضمن هذا السياق.

غير أن قدرة الاتحاد السوفياتي على ممارسة نفوذ كبير في الشرق الأوسط كانت محدودة جداً في النصف الأول من الخمسينيات. وجاءت دعوة مصر لموسكو للمشاركة في دبلوماسية الشرق الأوسط من خلال صفقة الأسلحة لتمثل الاختراق السياسي الكبير الأول الذي تقوم به موسكو في المنطقة، لكن زعماء الكرملين كانوا يعرفون، حتى حينئذٍ، أنهم كانوا تحت رحمة عبد الناصر الذي كان قراره قائماً على حاجته إلى الوقوف بوجه الهيمنة الغربية أكثر مما كان قائماً على تعلقه الودود الذي اكتشفه حديثاً بالشيوعيين. كانت أيدي السوفيات مغلولة إذ لم تكن لهم أية علاقة سياسية مهمة مع دول أخرى في المنطقة.

كان هذا مثلاً على قيام دولة صغيرة كمصر بمحاولة لاستغلال المنظومة الدولية المستقطبة سعياً لخدمة أغراض سياستها الخارجية. استخدمت مصر الحرب الباردة لتدويل السياسات العربية فكسبت بذلك على ما يظهر أداة ضغط لاستخلاص شروط أفضل من كلا المعسكرين(٨٧). وقد استنتج المسؤولون في الولايات المتحدة، كما ذكرنا سابقاً، أن تقديم عون مالي كبير إلى عبد الناصر هو الطريقة الوحيدة للحيلولة بينه وبين الانحياز إلى السوفيات أكثر فأكثر.

كان عبد الناصر يعرف جيداً نتائج قراره، أما استعداده للقيام بمثل تلك المبادرة الجريئة والمخاطرة بحدوث مواجهة مع الولايات المتحدة ـ إن لم نقل مع بريطانيا وفرنسا، ومن المحتمل جداً مع إسرائيل ـ فقد كان يدل على الأولوية العليا التي يوليها لتسليح مصر. إن إخفاقه في تجهيز جيشه كان سيفضح ضعف مصر العسكري؛ وليس هذا فقط بل إن ذلك كان سيعرض للخطر مركزه وقوته الداخلية. وعلى حد قول أنور السادات أصبحت قضية التسليح قضية حياة أو موت(٨٨). وبالنظر إلى الأهمية الحيوية لهذه القضية بالنسبة إلى نظام حكم عبد الناصر من المتوقع قيام الزعيم المصري باتخاذ قرارات تنطوي

(٨٧) William R. Polk, *The Arab World*, 4th ed. (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1980), p. 204.

(٨٨) السادات، **يا ولدي هذا عمك جمال**، ص ١٤٢.

على المخاطرة وذلك لتحاشي الوقوع في الفخ ولتجنب هزيمة محتملة. إن المنطق ينبئنا بأن اللاعبين المحليين سيعملون على الشاكلة نفسها كلما تصوروا أن مصالحهم الأساسية تتعرض للتهديد.

لم يقدر دالاس حاجة الحكومة المصرية الملحة للحصول على الأسلحة، كما أنه كان يقلل من قدرة الضباط الأحرار على اتخاذ خطوات ثورية لتغيير الوضع الراهن. وقد حكم حكماً خاطئاً كذلك على قوة القومية المحلية، وأساء تقدير طاقة الولايات المتحدة المحدودة على التحكم بالأحداث في المنطقة مع ما كانت تقدمه من مقادير قليلة نسبياً من المساعدات(٨٩). كان موقف دالاس نابعاً من اعتقاده بأن الأطراف الفاعلة المحلية غير قادرة على العمل بحرية على المسرح الدولي إذ لم يكن أمامها إلا أن تكون من توابع الدول الكبرى أو أن تسلم من دون قيد أو شرط بمنطق القوة وما تمليه على الغير. وكان يعتقد أن السياسات العالمية لم تزل مجالاً موقوفاً على الدول الكبرى.

على مستوى أعمق، كانت صفقة السلاح السوفياتية ـ المصرية قد أكدت التزام عبد الناصر باتباع سياسة خارجية مستقبلة وتصميمه على ذلك. وقد أعلن أن مصر سترفض الأوامر التي تصدر من لندن وواشنطن وموسكو وأنها ستظل غير منحازة بين الكتلتين الرأسمالية والاشتراكية. وقد أوضح الزعيم المصري، منذ عام ١٩٥٤، للمسؤولين الغربيين أن غرضه الأساسي في العلاقات الدولية هو أن يحقق مركزاً يستطيع بواسطته أن يقرر قراره بشأن كل مسألة من المسائل على أساس ما تستحقه موضوعياً وليس بموجب رغبات الدول الكبرى، لذلك استغل الضباط الأحرار مناخ الحرب الباردة ومن أجل خلخلة سيطرة الغرب الشديدة على المنظومة الفرعية العربية عبر كسر احتكار الغرب لقرارها في المنطقة(٩٠).

على أن الأمور التي انطوت عليها صفقة الأسلحة لم تكن كلها إيجابية. كان من الآثار السلبية للوجود السوفياتي الجديد حدوث التعقيد والتفاقم في السياسات العربية البينية إذ صارت هذه السياسات حلبة للتنازع الحاد بين الدول الكبرى. إن المنازعات العربية ـ العربية والعربية ـ الإسرائيلية تشابكت مع الصراع العقائدي بين الشرق والغرب. ومن هنا غدت المنظومة الفرعية الإقليمية مخترقة تماماً، الأمر الذي كانت له نتائج وخيمة

---

(٨٩) Burns, *Economic Aid and American Foreign Policy toward Egypt, 1955- 1981,* pp. 33 - 34.

(٩٠) مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الاول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨، ص ٣١٢، ٥٠٧، و Bahgat Korany and Ali E. Hillal Dessouki, «The Global System and Arab Foreign Policies: The Primacy of Constraints,» in: Bahgat Korany and Ali E. Hillal Dessouki, eds., *The Foreign Policies of the Arab States* (Boulder, CO: Westview Press, 1984), p. 31.

بالنسبة إلى أمن واستقرار المنطقة بأسرها. ويجعل كيث كايل صفقة الأسلحة سبباً رئيسياً من أسباب أزمة السويس ويقول: «إن عبد الناصر قد عبر خط اللارجعة»[٩١].

كانت شعبية الزعيم المصري قد تصاعدت كثيراً في البلدان العربية، وجرى التهليل لصفقة الأسلحة بصفتها تأكيداً جزئياً للاستقلال عن الوصاية الغربية وتحركاً فعالاً جداً نحو التغلب على تفوق إسرائيل العسكري. وكانت النتيجة برأي إحدى دوائر الاستخبارات الأمريكية أن يقدم نظام عبد الناصر على السعي لتحقيق أغراضه في المنطقة بحيوية متزايدة وآمال أكبر بالنجاح. وقد اتفقت وكالة المخابرات المركزية ووزارة الخارجية الأمريكية كلتاهما مع هذا التقييم[٩٢].

والواقع أن عزيمة نظام حكم عبد الناصر ومعنوياته قد تعززتا بعد عقد صفقة الأسلحة السوفياتية ـ المصرية. وما إن توسعت أمام ذلك الحكم خياراته السياسية حتى اشتدت رغبته بالحصول على الزعامة الإقليمية والاعتراف الدولي، فكان عليه لهذا الغرض أن يلعب دوراً أكبر في المنطقة وما وراءها. بيد أن الضباط الأحرار في مصر أدركوا أن هذا الهدف الطموح لا يمكن تحقيقه إلا باتباع سياسة قومية عربية تستهوي فئة واسعة من الأنصار في الوطن العربي. وصار شعار الاستقلال والوحدة العربية، مع الخطب التي تلقى عن الكفاح الفلسطيني جزءاً لا يتجزأ من عناصر هذه الاستراتيجية. كان الهدف الذي يرمي إليه عبد الناصر هو تشكيل ائتلاف من الدول العربية الثورية تسير بقيادة مصر إقليمياً وتعمل موحدةً في الساحة الدولية.

لم يكن تأكيد عبد الناصر على الدائرة العربية يعني تجاهله للبعد الخارجي، بل على العكس. لم يكن يعتقد بالفصل بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية، وكانت هاتان السياستان مرتبطتين بنظره كل الارتباط. إن قدرة مصر على اتباع سياسة خارجية مستقلة كان يعتمد على مركزها الإقليمي، لذا فإن الاعتراف الدولي بها والتأييد الدولي لمواقفها قد رفعا من مصداقيتها في أعين اللاعبين المحليين والمنافسين في المنطقة. مثلاً، أدت صفقة الأسلحة التي عقدها عبد الناصر مع موسكو إلى كسبه مكانة عالية ومركزاً قيادياً في الوطن العربي. كذلك قام عبد الناصر بتولي دور قيادي في الدعوة، إلى حركة عدم الانحياز بصفتها الأساس النظري للسياسة الخارجية للعالم الثالث، وبضمن ذلك السياسة الخارجية للبلدان العربية. كان أسلوبه هو الوقوف باستمرار بوجه الدول العظمى لتحقيق

---

(٩١) Keith Kyle, *Suez* (New York: St. Martin's Press, 1991), p. 78.

(٩٢) مذكرة عن محادثة، وزارة الخارجية، واشنطن، ٢٩ تموز/يوليو ١٩٥٥، ومن وزارة الخارجية الى بعثة اجتماعات وزراء الخارجية في جنيف، واشنطن، ٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٥، في:
United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1955 - 1957: Arab-Israeli Dispute, 1955*, vol. 14. pp. 333, 679, 719 and 768.

التوازن وذلك بضرب إحداها بالأخرى.

كان لا بد لجهود مصر من أجل البروز الإقليمي أن تلاقي مقاومة من الأطراف الفاعلة بالمنطقة التي كانت تجهد ساعيةً لبلوغ المركز ذاته، كما كانت تغار من تصاعد المكانة المصرية وترتاب منها كذلك. أما الدول الكبرى فقد رفضت مباركة أي دور مستقل وقيادي لمصر في المنطقة، إذ إن هذا الدور سيعني خسارة تلك الدول لسيطرتها وتضاؤل نفوذها هناك. لذا كان على عبد الناصر أن يكافح على جبهتين، إقليمية ودولية. وبتحدي التيارات السائدة للسياسات المحلية والدولية أخذت مصر تسير على طريق محفوف بالأخطار الجسيمة حيث تفوق المجازفة بهذه الأخطار أي مكسب محتمل.

الفصل الثالث

أزمة السويس: الصراع من أجل السيطرة على الشرق الأوسط ١٩٥٥ ــ ١٩٥٦

يركز هذا الفصل على تطور العلاقات بين البلدان العربية والدول العظمى في الفترة من أيلول/ سبتمبر ١٩٥٥ إلى نهاية عام ١٩٥٦. وأهم هذه التطورات قرار عبد الناصر بتأميم شركة قنال السويس وما أعقب ذلك من الغزو الأنغلو ـ فرنسي ـ إسرائيلي لمصر. إن أزمة السويس تمثل تحولاً جذرياً في ميزان القوى الدولي وميزان القوى الإقليمي. لقد حلت واشنطن وموسكو محل لندن وباريس بصفتهما القوتين الدوليتين المهيمنتين في الشرق الأوسط. أما مصر الناصرية فقد برزت كدولة مهيمنة في المنظومة الفرعية العربية. وأخذ عبد الناصر كذلك يتخذ مركز المثال القومي العربي والناطق باسم القومية العربية وباسم الاستقلال عن الدول الكبرى. وكانت النتيجة أن أضحت مصر قوة كبيرة يحسب حسابها من قبل الأطراف الفاعلة الخارجية.

أولاً: اصطفاف جديد للقوى في الوطن العربي

إن دعم الجمهور العربي الدافق لعبد الناصر من جراء صفقة الأسلحة التي عقدها مع الكتلة الاشتراكية قد أقنعته بالحاجة إلى اتباع سياسة عربية أكثر نشاطاً من السابق. كان هدف هذه السياسة تعبئة موارد البلدان العربية بحيث يمكن لهذه البلدان أن تعمل كوحدة واحدة في المسرح الدولي، وقد كان عبد الناصر قد أدرك، قبل صفقة الأسلحة بأمد طويل، مركز الصدارة للدائرة العربية، فهو يقول: «لا شك في أن الدائرة العربية هي أهم الدوائر وأوثقها صلة بنا. إن تاريخها يمتزج بتاريخنا. لقد قاسينا الشدائد نفسها وعشنا الأزمات نفسها وحين سقطنا تحت حوافر خيل الغزاة سقطت الدائرة العربية معنا»[1].

بيد أن عبد الناصر لم يتوصل إلى معرفة القيمة الاستراتيجية لتشكيل ائتلاف من حلفاء محليين متعاطفين معه إلا عندما اندلع الصراع بشأن حلف بغداد. لقد أدرك أن مركز الثقل يكمن في محيطه المباشر، وأن نجاح سياسته في نهاية المطاف يتوقف على قدرته على تحديد جدول الأعمال الداخلية وجدول الأعمال الخارجية للمنظومة الفرعية العربية.

(١) جمال عبد الناصر، **فلسفة الثورة**، كتب قومية، مكتبة الرئيس جمال عبد الناصر؛ العدد ٣٠٣ (القاهرة: الدار القومية، [د. ت.])، ص ٦٢.

وقد استغل الزعيم المصري التصاعد المفاجىء لشعبيته بعد عقد صفقة الأسلحة السوفياتية ـ المصرية فتحرك سريعاً لترسيخ مركزه الإقليمي وتعزيزه. ففي تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٥٥ وقعت مصر وسوريا ميثاقاً للدفاع المشترك ينص على إنشاء قيادة عسكرية موحدة، فأصبح بذلك وقوف سوريا إلى جانب مصر تاماً[٢]. كما أن ترسيخ التحالف المصري ـ السعودي ـ السوري قد جعل ميزان القوى الإقليمي يميل إلى صالح مصر بشكل كبير جداً.

كانت سياسة سوريا الإقليمية والخارجية تمر بمرحلة توجه ثوري جديد، الأمر الذي قرع جرس الإنذار في واشنطن ولندن. وقد أعرب دالاس عن قلقه العميق بشأن ميثاق الدفاع المصري ـ السوري وبشأن أن تصبح سوريا بيد السوفيات. وكان فزع مجلس الأمن القومي كبيراً من انتشار النفوذ الشيوعي في سوريا حتى إن المجلس نظر في إمكانية السماح للعراق باتخاذ عمل عسكري للإطاحة بنظام الحكم السوري[٣].

نظرت إدارة آيزنهاور، ولمرةٍ أخرى، للتطورات الإقليمية من خلال تحليل النزاع بين واشنطن وموسكو. إن إنشغال تفكير الولايات المتحدة بالتهديد السوفياتي الممكن الوقوع قد فاق الاعتبارات الأخرى جميعها. أما الأطراف الفاعلة المحلية في المنطقة فقد استنكرت معاملتها كبيادق في لوحة الشطرنج الأمريكية ـ السوفياتية، وفضلت أن تشترك بفعالية في السياسات الدولية وأن تكون مسؤولة عن مصيرها. ولتحاشي التبعية للدول العظمى كانت البلدان العربية مستعدة لاستخدام الوسائل كافة التي تحت تصرفها مثل الانضمام إلى ائتلافات إقليمية أو محاولة استغلال المنظومة الدولية المستقطبة. ومع أن المقاومة العربية لضغوطات الدول الكبرى اتخذت أشكالاً متعددة فإن جوهر السياسة العربية كان الاستقلال الوطني.

إن توقيع سوريا على ميثاق دفاعي مع مصر أدى أيضاً إلى توتر علاقاتها مع تركيا، فقد كان رد فعل هذه الأخيرة ضد الميثاق قوياً وهددت باتخاذ العمل المناسب ضد سوريا. كان التزايد في قوة مصر ونفوذها متعارضاً مع المساعي التركية لإحباط مطامح مصر الإقليمية[٤]. كتب خالد العظم في مذكراته، وكان وزيراً للدفاع في سوريا، بقول إنه لم

---

(٢) Patrick Seale, *Asad of Syria: The Struggle for the Middle East,* with the assistance of Maureen McConville (London: I. B. Tauris, °1988), p. 51.

(٣) مذكرة عن محادثة، السفارة البريطانية، باريس، الموضوع: طلب اسرائيل الحصول على حساب ائتمان لشراء أسلحة وعلى ضمانة أمنية، ٢٦ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٥٥، ومذكرة مباحثة جرت في الاجتماع رقم ٢٦٣ لمجلس الأمن القومي، في ٢٧ تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٥٥، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1955 - 1957: Arab-Israeli Dispute, 1955,* vol. 14 (Washington, DC: Government Printing Office, 1989), pp. 654 and 662.

(٤) تقرير استخباراتي بتقدير موقف، في: المصدر نفسه، ج ١٤، ص ٧٥٥؛ خالد العظم، **مذكرات خالد العظم،** ٣ ج (بيروت: الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٢)، ج ٢، ص ٤٦٩؛ = Gordon H. Torrey, *Syrian Politics and the Military, 1945 - 1958* (Columbus, OH Ohio State

يجد أمامه خياراً سوى الطلب من السوفيات تزويده بالأسلحة وبالضمانات لحماية سوريا ضد الاستفزاز الغربي والتركي. وقد قام مولوتوف، وزير الخارجية السوفياتي، بطمأنة العظم أن تركيا لن تجرؤ على مهاجمة سوريا، وأن موسكو مستعدة لتزويدها بالسلاح من دون شروط وبأسعار معقولة(٥).

ووفقاً لتحليل العظم النهائي كانت الضغوط الغربية والتركية مسؤولة عن دفع سوريا عميقاً نحو موسكو، ويكشف هذا التحليل عن وجود عقلية الشعور بالمحاصرة في دمشق في نهاية عام ١٩٥٥ وبداية عام ١٩٥٦. ولا غرابة «أن تكون سوريا قد شعرت بتعرضها إلى الأخطار شعوراً شديداً جداً». وبعد أن قام العظم بالاجتماع مع مولوتوف شعر بالاطمئنان بأن سوريا والوطن العربي ليسا وحدهما أمام الهجمة الإمبريالية الغربية. وذهب العظم إلى أبعد من ذلك بقوله إن البلدان العربية ما كانت لتتمكن من البقاء مستقلة لولا الدعم السوفياتي المتواصل(٦).

كانت آثار هذا الاصطفاف الإقليمي الجديد قد انعكست في أرجاء المشرق العربي، فقد قامت مصر بمحاولات شديدة لجلب الأردن ولبنان للدخول في التحالف الثلاثي المصري ـ السعودي ـ السوري. وعلى الرغم من الوعود التي قطعتها الدولتان المذكورتان المواليتان للغرب بالانضمام إلى المحور الثلاثي إلا أنهما بقيتا خارجه. لم تُجدِ الضمانات التي ترجى من الترتيبات الأمنية الإقليمية ولا العروض بتقديم معونات اقتصادية في إقناع الرئيس كميل شمعون والملك حسين بالتخلي عن روابطهما الغربية(٧).

إن الأهمية الحقيقية للتحالف الثلاثي كانت تكمن في تأثيرها النفساني والسياسي، فقد كان هذا التحالف بمثابة تحذير للأنظمة العربية الأخرى من الانضمام إلى حلف بغداد الموحى به من بريطانيا والولايات المتحدة. وقد مضى بعض الوقت قبل أن يتفهم الأردن ما تنطوي عليه هذه الترتيبات الإقليمية الجديدة، وأن يدرك قوة المشاعر القومية السائدة. وعلى سبيل المثال شجع الملك على قيام السير جيرالد تمبلر رئيس الأركان البريطاني بزيارة إلى الأردن في كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٥ لإقناع حكومته بالإنضمام إلى حلف بغداد.

University Press, 1964), p. 284, and Tabitha Petran, *Syria,* Nations of the Modern World = (London: Ernest Benn, 1972), pp. 112 - 113.

(٥) العظم، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٢٧ ـ ٤٢٨.

(٦) المصدر نفسه، ص ٤١٨، ٤٢٩ و٤٧٤، و Seale, *Asad of Syria: The Struggle for the Middle East,* p. 51.

إن ما يذكره العظم مبالغ فيه بعض الشيء. صحيح أن الاستفزازات الغربية والتركية أفلحت في دفع سوريا أقرب فأقرب نحو القاهرة وموسكو، الا أن إسهام العظم نفسه كان حاسماً في هذا المضمار. كان وزير الدفاع السوري على طول الخط أحد الدعاة الرئيسيين من اجل صلات وثيقة مع موسكو. وقد أثرت صلته بالاتحاد السوفياتي في حياته السياسية وتكوين أنصار له في الحقل السياسي في البلاد.

(٧) Peter John Snow, *Hussein: A Biography* (London: Barrie and Jenkins, 1972), p. 73.

وشن عبد الناصر حملة دعائية شديدة ضد الأردن متهماً إياه بمحاولة الانضمام إلى المعسكر الإمبريالي. واندلعت الاضطرابات ضد الحكومة الموالية للغرب في عمان، فكان على الحكومة أن تستقيل بسببها فحدثت أزمة وزارية وأنحى الملك بالمسؤولية في الاضطرابات على عاتق الشيوعيين. وقال إن تصرفه نابع من حاجته إلى الحصول على مساعدات اقتصادية وعسكرية من بريطانيا، ومدفوع بما يحلم به من توحيد العرب في حلف دفاعي ضد الشيوعية السوفياتية(٨). ولم يتمكن الأردن من تأليف حكومة جديدة تكون مستعدة للانضمام إلى حلف بغداد. وفي كانون الثاني/يناير ١٩٥٦ عين سمير الرفاعي رئيساً للوزراء فأعلن أن حكومته لن تنضم إلى أية أحلاف جديدة(٩).

أظهر إخفاق المهمة التي قام بها تمبلر الواقع الجديد للعلاقات العربية المحلية والدولية، كما كشف ذلك الإخفاق عن وجود روابط شديدة وعميقة تمتد عبر الحدود القطرية في الوطن العربي، وعن بروز مصر بصفتها مركز السياسات العربية. وعلى الرغم من تصميم الملك على دخول حلف بغداد وضم الأردن إلى صفوف الغرب فقد أجبرته الاعتبارات الداخلية على التراجع عن ذلك(١٠).

إن الدعوة إلى الوحدة العربية المتصاعدة من القاهرة ودمشق قد أصابت وتراً حساساً لدى شعب الأردن. ورافق ذلك حملة مصرية لزعزعة الملكية في العراق والأردن(١١). وكان العاهل الأردني سيعرّض بقاء الحكم الملكي للخطر لوسار ضد التيار السائد في أوساط الرأي العام وضد العقيدة السائدة في المنظومة الفرعية العربية. كانت السياسات العربية كلها مترابطة ترابطاً حميماً في هذه الحالة. وقد ألقى تراجع الملك ضوءاً على أهمية الوسط المحلي أي المستوى الإقليمي وعلى تأثيره في خيارات السياسة الخارجية المتاحة أمام البلدان العربية. فعلى الرغم من الوعود الأمريكية والبريطانية بتقديم المساعدات المالية والعسكرية لم يشأ الملك تجاهل واقع السياسات العربية.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، وبالنظر إلى قوة المعارضة الوطنية في الأردن، لم يستطع الأمريكيون والبريطانيون المساعدة في تعزيز وضع الملك داخلياً. إن هذه الحقيقة تتفق مع إحدى حججي الرئيسية ومفادها أن قدرة الدول الكبرى على التأثير في مجرى

---

(٨) Hussein (King of Jordan), *Uneasy Lies the Head: An Autobiography* (London: Heinemann, 1962), pp. 83, 89 and 92.

(٩) Snow, Ibid., p. 79.

(١٠) سعد أبو دية، **عملية اتخاذ القرار في سياسة الاردن الخارجية: الضوابط والمقدمات** (عمّان: دائرة الثقافة والعلوم، ١٩٨٣)، ص ٢٠٢، و John Bagot Glubb, *A Soldier with the Arabs* (London: Hodder and Stoughton, 1957), p. 422.

(١١) هزاع المجالي، **مذكراتي** (عمّان: [د. ن.]، ١٩٥٨)، ص ١٧٢، وصلاح نصر، **مذكرات: ثورة ٢٣ يوليو بين المسير والمصير، الاصول** (القاهرة: مؤسسة الاتحاد، ١٩٨٦)، ج ١، ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ و٢٤٢.

الأحداث في المنطقة تقيدها الحاجات والاهتمامات الداخلية. كان التعقيد في الديناميات المحلية يعيق في غالب الأحيان محاولات الدول الكبرى لتحقيق هيمنة مطلقة لا منازع لها.

ثانياً: سياسة أمريكية جديدة في المنطقة: البحث عن سلام عربي - إسرائيلي

كان المسؤولون الأمريكيون يعتقدون في أوائل عام ١٩٥٦ أن مصر قد برزت كلاعب مسيطر في السياسات العربية. وقد نظرت إدارة آيزنهاور بشكل جدي في فكرة تقديم «دعم بأشكال شتى للوحدة العربية وللزعامة المصرية لتحقيقها». بيد أن دعم الولايات المتحدة للقاهرة سيكون متوقفاً على استعداد عبد الناصر لتولي زمام الأمور في التوصل إلى تسوية عربية - إسرائيلية، وعلى عدم قيامه بشراء مزيد من الأسلحة من موسكو. كانت صفقة الأسلحة المصرية - السوفياتية وما أعقبها من بيع السلاح السوفياتي إلى سوريا تعتبر بنظر الولايات المتحدة أمراً زاد كثيراً من فرص حدوث أعمال عدائية بين العرب والإسرائيليين[١٢].

وشعر بعض المسؤولين الإسرائيليين بالخطر من صفقة الأسلحة السوفياتية - المصرية، أما بعضهم الآخر فقد رأوا فيها فرصة ذهبية قد تمكن إسرائيل من الحصول على مزيد من الأسلحة من الغرب ثم تقوم بمهاجمة مصر. كان ديفيد بن غوريون، بشكل خاص، يرتئي شن حرب وقائية لعزل مصر والتخلص من عبد الناصر، وقد قال: «يجب علينا أن نتخذ موقف الهجوم، وأن نضلل العدو ونربكه ونباغته وندمره»[١٣]. وعلى هذا قام الدبلوماسيون الإسرائيليون بإخبار نظرائهم الأمريكيين بمخاوف إسرائيل من تزايد القوة المصرية، مؤكدين حاجتهم إلى كميات كبيرة من الأسلحة الغربية. وقد أعرب أولئك الدبلوماسيون عن تصميم إسرائيل على القيام بعمل مستقل لتقليل الخطر المصري إذا

---

(١٢) من وزير الخارجية الامريكي الى روبرت اندرسون في القاهرة، واشنطن، ٢٠ كانون الثاني/يناير ١٩٥٦، وتقرير استخباراتي خاص بتقدير موقف، الموضوع: جوانب دقيقة في الوضع العربي - الاسرائيلي، واشنطن، ٢٨ شباط/فبراير ١٩٥٦، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1955 - 1957: Arab-Israeli Dispute, January 1 - July 26, 1956*, vol. 15 (Washington, DC: Government Printing Office, 1989), pp. 39, 41 and 248; Townsend Hoopes, *The Devil and John Foster Dulles* (Boston: Little, Brown, 1973), pp. 331 - 332, and William J. Burns, *Economic Aid and American Foreign Policy toward Egypt, 1955 - 1981* (Albany, NY: State University of New York Press, 1985), p. 36.

(١٣) David Ben-Gurion, *Ben-Gurion Diary*, reproduced in: Selwyn Ilan Troen and Moshe Shemesh, eds., *The Suez - Sinai Crisis* (New York: Columbia University Press, 1990), pp. 296 - 297, and Selwyn Ilan Troen, «The Sinai Campaign as a «War of No Alternative»,» in: Troen and Shemesh, eds., Ibid., pp. 184 - 185.

أخفقت في الحصول على السلاح سريعاً. لذا كانت حكومة الولايات المتحدة قلقة جداً من احتمال حدوث مواجهة عسكرية بين إسرائيل ومصر. وقد قرّ قرارها بضرورة إيجاد حل للصراع العربي ـ الإسرائيلي، واعتبر آيزنهاور ودالاس ذلك الصراع بأنه العقبة الرئيسية التي تواجه الغرب في سعيه لتحقيق علاقات أوثق مع الوطن العربي، كما أنه يجعل من السهل على السوفيات التغلغل في المنطقة(١٤).

حاول آيزنهاور أن يعالج المشكلة باتباع مقاربة ذات مسارين: مسار فني ومسار سياسي. وقد جرى إرسال أندرسون بمهمة سياسية إلى مصر وإسرائيل بقصد تحقيق مصالحة بين الدولتين وبالتالي عقد معاهدة سلام. في الوقت عينه أرسلت الإدارة الأمريكية تعليماتها إلى السفير إريك جونستون لتكثيف مساعيه لجعل العرب والإسرائيليين يتعاونون فنياً بشأن خطة للاستخدام المشترك لنهر الأردن(١٥). إن التوجه الأمريكي القائم على عقلانية اقتصادية لم يأخذ بالاعتبار الحواجز السياسية والنفسانية التي تعيق التوصل إلى تسوية عربية ـ إسرائيلية. لقد عرض المسؤولون الأمريكيون على كل من إسرائيل ومصر حوافز مجزية لقاء تعاونهما، إذ حاولوا من جهة تطمين إسرائيل بتزويدها ببعض الأسلحة وبإلغاء الاعتراضات السابقة على تجهيزها بطائرات حربية فرنسية، وقدموا من جهة أخرى وعداً لمصر بإجراء مفاوضات عاجلة وناجحة حول سد أسوان(١٦).

كان المفروض أن يجري تمويل السد بمشروع مشترك بين البنك الدولي لإعادة الإعمار والتنمية والولايات المتحدة وبريطانيا. وكان الضباط الأحرار في مصر يرغبون كل الرغبة ببناء السد بمساعدة غربية، إذ أرادوا إجراء توازن بين شراء الأسلحة السوفياتية والحصول على معونات مالية وتقنية غربية لأن مثل هذا التوازن يفضي إلى حيادٍ حكيم، كما أنهم لم يكونوا يريدون وضع الاقتصاد المصري تحت رحمة موسكو(١٧). لكن، وعلى الرغم من حاجة عبد الناصر إلى مساعدة اقتصادية أمريكية فإنه لم يكن مستعداً لأن يعرّض

---

(١٤) من الوفد في اجتماعات وزراء الخارجية الى وزارة الخارجية الامريكية، جنيف، ٢٦ تشرين الاول/اكتوبر ١٩٥٥، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1955 - 1957: Arab-Israeli Dispute, 1955,* vol. 14, pp. 657 - 659, 698 - 699, 725 and 784 - 786.

(١٥) البيت الابيض، ١ كانون الثاني/يناير ١٩٥٦، وفقرة كتبها رئيس الجمهورية في مفكرته اليومية، واشنطن، ١٩ كانون الثاني/يناير ١٩٥٦، في: المصدر نفسه، ج ١٤، ص ٢٠ و٢٣.

(١٦) من الرئيس الامريكي آيزنهاور الى رئيس الوزراء الاسرائيلي ديفيد بن غوريون، واشنطن، ٢٧ شباط/فبراير ١٩٥٦، ومن الرئيس الامريكي آيزنهاور الى الرئيس جمال عبد الناصر، واشنطن، في ٢٧ شباط/فبراير ١٩٥٦ في: المصدر نفسه، ج ١٤، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣.

(١٧) عبد اللطيف البغدادي، **مذكرات عبد اللطيف البغدادي** (القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٧٧)، ج ١، ص ٢٠٤. قال عبد الناصر للسفير البريطاني الى مصر تريفيليان وللسفير الامريكي اليها بايرود أنه يفضل تمويلاً غربياً على تمويل سوفياتي للسد. انظر: Humphrey Trevelyan, *The Middle East in Revolution* (London: Macmillan, 1970), p. 50.

إلى الخطر شعبيته الحديثة العهد في البلدان العربية بإقدامه على توقيع معاهدة سلام مع إسرائيل. رفض الزعيم المصري شروط الولايات المتحدة لأنها تقيد الاقتصاد وتحد من حرية عمله في المسرح الدولي وتمكن واشنطن من أن تملي شروطها، قال عبد الناصر لمراسل مجلة **إيكونوميست** توم ليتيل إن المسؤولين الأمريكيين يستغلون حاجة مصر لقرض لغرض بناء السد وذلك للضغط عليه لكي يعقد سلاماً مع إسرائيل، وكان هذا الربط بين الأمرين أمراً غير مقبول بالنسبة إليه(١٨).

استاء آيزنهاور ودالاس من عدم استعداد عبد الناصر للموافقة على آرائهما بشأن تسوية عربية ـ إسرائيلية، وقد حددا المشكلة بأنها تتعلق بشعور الزعيم المصري بقوته المتزايدة التي اكتسبها من صلته بموسكو ومن اعتقاده بأن في إمكانه أن يبرز بصفته الزعيم الأوحد للوطن العربي. وقد وضع الرئيس آيزنهاور مسؤولية إخفاق مهمة أندرسون على عاتق الزعيم المصري شخصياً، وأخذ ينظر إليه على أنه يزداد عنجهية يوماً بعد يوم، وأنه كذلك «لا يهتم بمصالح أوروبا الغربية ومصالح الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط»(١٩).

إن رفض عبد الناصر تولي زمام الأمور لتحقيق مصالحة مع إسرائيل كان بنظر الولايات المتحدة هو السبب المباشر لتدهور العلاقات الأمريكية ـ المصرية. لقد أدت مسألة إسرائيل مرة أخرى إلى تسميم جو العلاقات بين الدول الغربية والبلدان العربية، وهذا ما أضعف مركز المساومة للبلدان العربية حيال الدول الكبرى. إن هذا مثل آخر على أثر التطورات الإقليمية في العلاقات بين الأطراف الفاعلة المحلية والأخرى الخارجية. ثمة قضايا خلافية أخرى لوثت بدورها الجو بين واشنطن والقاهرة وفي مقدمها رفض عبد الناصر التوقف عن شراء مزيد من الأسلحة من الكتلة الاشتراكية، وهجومه المتواصل على حلف بغداد، وموقفه المتصلب بشأن الاتفاق المقترح عن سد أسوان(٢٠).

كان آيزنهاور ودالاس ينظران إلى عبد الناصر على أنه عنصر مثير للاضطراب في المنطقة، وأنه عازم على وضع حد لعلاقات الصداقة القائمة بين الولايات المتحدة والبلدان

---

(١٨) Mohammed Hasanayn Heikal, *Nasser: The Cairo Documents* (London: New English Library, 1972), p. 65, and Kennett Love, *Suez: The Twice-Fought War: A History* (New York: McGraw-Hill, 1969), p. 307.

(١٩) فقرات كتبها رئيس الجمهورية في مفكرته اليومية، ١٣ و٢٨ آذار/مارس ١٩٥٦، ومذكرة عن مباحثة جرت في الاجتماع رقم ٢٧٩ لمجلس الأمن القومي، واشنطن، ٨ آذار/مارس ١٩٥٦، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1955 - 1975: Arab-Israeli Dispute, January 1 - July 26, 1956*, vol. 15, pp. 329, 342 and 425.

(٢٠) مذكرة عن محادثة، مقر إقامة الوزير دالاس، الموضوع: الشرق الأوسط، واشنطن، ٣ نيسان/ابريل ١٩٥٦، ومن وزارة الخارجية الامريكية الى السفارة في مصر، واشنطن، ٣ نيسان / ابريل ١٩٥٦، في: المصدر نفسه، ج ١٥، ص ٤٣١ و٤٥٣.

العربية الأخرى، كما أنهما كانا يخشيان أن سياساته قد فتحت أبواب المنطقة للسوفيات، وأنه ما لم يغير أو يجرِ الوقوف بوجهه بشكل فعال فإن «هذا الوضع يمكن أن يؤدي إلى كارثة كبرى». كانت مصادر المنطقة بالنسبة إليهما حيوية جداً للمصالح الأمنية للغرب بحيث ينبغي ألا يسمح لأية قوة معادية أن تسيطر عليها، وقد اقترحا القيام بتنفيذ إجراءات حاسمة لتغيير الوضع(٢١).

في آذار/مارس ١٩٥٦ بدأت إدارة آيزنهاور تنظر في خيارات معينة لمعاقبة مصر وللتقليل من نفوذها، وعزلها في المنطقة، فقررت من الناحية الاقتصادية تأجيل المفاوضات حول سد أسوان وتخفيض حجم المساعدات الأمريكية إلى مصر. أما من الناحية السياسية فقد جرى وضع برنامج واسع النطاق يرمي إلى تعزيز المركز الغربي في البلدان العربية المعتدلة. قال آيزنهاور إن جوهر السياسة الأمريكية في الوطن العربي يتلخص بتشجيع السعودية على أن تتولى الزعامة فيه «وببناء الملك سعود ليكون شخصية ذات مقام يكفي لجعل وزنه مساوياً لوزن عبد الناصر للوقوف بوجهه». كان الرئيس الأمريكي يرى أن تحقيق انشقاق بين مصر والسعودية هو أمر ضروري لإضعاف الائتلاف الإقليمي الذي يقوده عبد الناصر(٢٢).

حاول المسؤولون الأمريكيون، بالإضافة إلى ذلك، تقوية مركز الكتلة العربية المحافظة المناهضة لمصر بالشكل الآتي: **أولاً**، تشجيع التعاون بين العراق والأردن. **ثانياً**، تعزيز مركز حكومة نوري السعيد وذلك ببذل مساع حازمة. **ثالثاً**، تقوية العناصر الموالية للغرب في لبنان بتقديم مساعدة اقتصادية فورية لها(٢٣).

في نهاية آذار/مارس ١٩٥٦ صادق آيزنهاور على اتخاذ هذه الإجراءات، وكان الغرض من هذه السياسة الأمريكية الجديدة إقناع عبد الناصر بضرورة قطع العلاقات المصرية مع الكتلة السوفياتية والتعاون مع واشنطن. وقد كان دالاس يرى أن على عبد الناصر أن يدرك أنه لا يمكنه بأن يتعاون مع السوفيات وأن يتمتع في الوقت نفسه

---

(٢١) مذكرة عن محادثة، البيت الابيض، الموضوع: سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأدنى، واشنطن، ٢٨ آذار/مارس ١٩٥٦، ومن وزارة الخارجية الى السفارة في مصر، ٣ نيسان/ابريل ١٩٥٦، في: المصدر نفسه، ج ١٥، ص ٤٢٣ و٤٥٣.

(٢٢) من وزير الخارجية الامريكي الى وزارة الخارجية الامريكية، كراتشي، ٨ آذار/مارس ١٩٥٦؛ من نائب وزير الخارجية الامريكي الى وزير الخارجية، واشنطن، ١٢ آذار/مارس ١٩٥٦؛ فقرة كتبها رئيس الجمهورية في مفكرته اليومية، واشنطن، ١٣ آذار/مارس ١٩٥٦؛ مدير دائرة شؤون الشرق الأدنى (ويلكينز)، الموضوع: سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأدنى، واشنطن، ١٤ آذار/مارس ١٩٥٦، ومذكرة عن مؤتمر مع رئيس الجمهورية، البيت الابيض، واشنطن، ٢٨ آذار/مارس ١٩٥٦، في: المصدر نفسه، ج ١٥، ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦، ٣٤١، ٣٤٣، ٣٥٥، ٣٦٢ و٤٢٢ ـ ٤٢٣.

(٢٣) مكتب شؤون الشرق الأدنى وجنوبي آسيا وافريقيا، الموضوع: سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأدنى، واشنطن، ٢٨ آذار/مارس ١٩٥٦، في: المصدر نفسه، ج ١٥، ص ٤١٦ ـ ٤١٧.

بمعاملة الدولة الأفضل من قبل واشنطن. كانت الولايات المتحدة مصممة، بالتعاون الوثيق مع بريطانيا، على إجبار عبد الناصر على إصلاح الطرق التي يسير عليها لتتلاءم مع الآخرين(٢٤). لقد تم رسم الخطوط للمواجهة بين مصر والدول الغربية.

ثالثاً: ما قبل العاصفة

لن يكون من قبيل المبالغة القول إن منشأ أزمة السويس يكمن في صفقة الأسلحة التشيكية وما أعقب ذلك من تحول عدائي في سياسة الحكومتين الأمريكية والبريطانية. إذ ما إن أخفقت الحكومتان في جلب عبد الناصر إلى جانبهما حتى قررتا تطويعه وتركيعه. لقد أرسل دالاس تحذيراً قوياً إلى القاهرة عبر تصلبه في مفاوضات تمويل سد أسوان، وبدعمه معارضي مصر في المنطقة. كانت الرسالة تفيد بأن أعمالاً عقابية أخرى ستترى إلا إذا تراجع عبد الناصر وأجرى وفاقاً مع واشنطن.

كان تصرف الولايات المتحدة مثالاً كلاسيكياً على محاولة دولة عظمى فرض إرادتها على تصرف دولة صغيرة. إن رئيس جمهورية أمريكا ووزير خارجيته قد شاركا في نموذج واقعي للسياسات الدولية وفيه تسود الدول الكبرى، فالدول الصغيرة بالنسبة إليهما عبارة عن بيادق في لوحة الشطرنج للمنظومة الدولية أو في أحسن الأحوال مجرد بيادق في نزاع الشرق والغرب. فعبد الناصر المتكبر برفضه قبول مطالب الولايات المتحدة يكون قد شذ عن الطريق، والحاجة تدعو إلى أن يوضع في مكانه. إن هذا الموقف الأمريكي، وهو نتاج أزمات سالفة، قد أخفق في أن يأخذ بالحسبان القوى الصاعدة للقومية المحلية والظروف الدولية المتغيرة.

أبدت السفارة الأمريكية في مصر نبرة تحذير، بل حتى نبرة معارضة، إذ كتب السفير بايرود إلى وزارة خارجيته محذراً من وضع المسؤولية كلها على عاتق عبد الناصر. كان الزعيم المصري بالنسبة إلى بايرود نتاج منطقة ونتاج عصر، وأنه قد غدا رمزاً للقوى القومية وقائداً لها كذلك. كان ذلك الدبلوماسي المحنك يحاجج بالقول إن من الخطأ التركيز على شخصية واحدة وتجاهل تيارات ومؤثرات مهمة مثل القومية وعدم الانحياز والاستقلال(٢٥). كذلك حذر بايرود رؤساءه من تقبل التقارير الاستخباراتية عن عبد الناصر على علاتها، مضيفاً أن التصادم بين المصالح الغربية والمصالح العربية يمكن تفسيرها ببساطة بالإحالة إلى الديناميات المحلية ومعارضة الاستعمار والأحلاف الدفاعية

---

(٢٤) من وزير الخارجية الامريكي الى رئيس الجمهورية، واشنطن، ٢٨ آذار/مارس ١٩٥٦، والبيت الأبيض، ٢٨ آذار/مارس ١٩٥٦، في: المصدر نفسه، ج ١٥، ص ٤١٩ و٤٢٢. انظر:

Burns, *Economic Aid and American Foreign Policy toward Egypt, 1955 - 1981,* pp. 36, 72 - 73 and 76.

(٢٥) من السفارة الأمريكية في مصر الى وزارة الخارجية، ١٩ نيسان/ابريل ١٩٥٦، في: المصدر نفسه، ج ١٥، ص ٥٥٧.

الغربية وإسرائيل وأنماط التجارة المضادة، ومؤكداً أن هذه العناصر كلها لا علاقة لها بشخصية عبد الناصر. كان ذلك السفير يرى أن استجابة الولايات المتحدة لهذه الديناميات هي التي ستقرر دورها في المنطقة في المستقبل، وأن عليها أن تدرك أن الصعوبات التي تواجهها في المنطقة «لا ترجع بالأساس إلى صدام عقائدي بين نوع ديمقراطيتنا والشيوعية»[٢٦].

أما الخطر الحقيقي فينبع من المصاعب الاقتصادية. وقد كان بايرود يرى أن اتساع النفوذ السوفياتي في الوطن العربي كان مرتبطاً بالتجارة؛ وأن افتقار مصر إلى العملة الصعبة جعل التجارة السوفياتية المدعومة مالياً من الحكومة أمراً جذاباً للغاية. ولكي تنجح السياسة الأمريكية يجب عليها أن تأخذ بالحسبان الاهتمامات والمخاوف المحلية. انتقد بايرود السياسة الجديدة لحكومته التي كانت تعرقل كل الأمور المتعلقة بمصر، وقال إن توجهاً كهذا سيؤدي إلى نتائج عكسية لأن عبد الناصر لن يخضع للضغط الأمريكي، لذا فإن توجهاً منافساً سيكون أجدى كما سيكون عملياً أكثر من غيره[٢٧].

كان ما ينطق به بايرود صوتاً معارضاً وحيداً داخل إدارة آيزنهاور. وكان المزاج السائد في واشنطن يميل إلى مواجهة عبد الناصر لا إلى مهادنته لكي يغير من سلوكه ويوافق على المقترحات الأمريكية. وقد قلل بعض المسؤولين الأمريكيين من وزن التيارات العارمة للقومية العربية الثورية ومن السهولة التي كان عبد الناصر يعبىء بها تلك التيارات، وكانوا يعتقدون أن من السهل تحييد مصر ونقل راية الزعامة العربية إلى السعودية، ومن هنا جاء التأكيد على دعم الملك سعود.

كان أولئك المسؤولون مخطئين في كلا الأمرين: **أولاً**، إن السعوديين كانوا في هذه المرحلة مترددين في الانضمام إلى المعسكر المناهض لعبد الناصر والموالي للغرب[٢٨]. وخلاف السعودية مع بريطانيا بشأن قضية البريمي، وارتيابها بالهاشميين كانا يفوقان في الأهمية تحذيرات الغرب بشأن مكائد مصرية مزعومة رامية لخلع الملك سعود، **ثانياً**، أثبت عبد الناصر أنه كان واسع الحيلة تجاه الضغط وشديد المقاومة له بدرجة أكبر بكثير مما كانت تتوقع واشنطن. لقد ردّ على المحاولة الأمريكية ـ البريطانية لعزله بتوسيع روابطه العسكرية والاقتصادية والسياسية مع الكتلة الاشتراكية، وكان اعترافه بالصين في ١١ أيار/مايو ١٩٥٦ من الأدلة على ذلك.

وفي خلال الزيارة التي قام بها خروتشوف إلى بريطانيا في نيسان/ابريل صرح قائلاً إنه سيرحب بقيام الدول العظمى بفرض حظر على شحن الأسلحة إلى الشرق الأوسط

---

(٢٦) المصدر نفسه، ج ١٥، ص ٥٥٧ ـ ٥٥٨.

(٢٧) المصدر نفسه، ج ١٥، ص ٥٥٨ ـ ٥٥٩.

(٢٨) نائب مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشؤون الشرق الأدنى وجنوبي آسيا وافريقيا (راونتري) الى وزير الخارجية، واشنطن، ٢٣ أيار/مايو ١٩٥٦، في: المصدر نفسه، ج ١٥، ص ٦٦٤.

بأسره. أثار هذا التصريح مخاوف عبد الناصر، وساوره القلق لئلا يعقد الزعيم السوفياتي صفقة مع الغرب ويوقف إرسال الأسلحة إلى مصر، واشتم في تصريحه رائحة لعبة من الدول العظمى للهيمنة على الوطن العربي. وهداه تفكيره إلى ضرورة الحصول على مصدر جديد للسلاح لا يكون ملزماً بتنفيذ حظر محتمل على تصدير الأسلحة إلى المنطقة تفرضه الأمم المتحدة. كان ذلك المصدر هو الصين الشيوعية، ذلك أنها لم تكن عضواً في الأمم المتحدة ويمكنها تزويد مصر بالسلاح في حالة الطوارىء. سارع عبد الناصر إلى الاعتراف بالصين مستبقاً بذلك أي تهديد حقيقي أو خيالي لآلته العسكرية(٢٩).

إن عبد الناصر باعترافه بالصين قد أكد استقلاله، وأظهر كذلك قدرته على تطويق محاولات الدول الكبرى الرامية إلى عزله. كان إنجازه قائماً إلى درجة كبيرة على قدرته على استغلال الاستقطاب السائد في المنظومة الدولية. يدل هذا حتى في هذه المرحلة المبكرة من سيادة الدول العظمى، على أن قدرتها على التحكم بأعمال الأطراف الفاعلة المحلية كانت قدرة محدودة جداً. إن الدول الصغيرة، كما سبق أن قلت، تتخذ قرارات حاسمة كلما شعرت بخطر جسيم يهدد مصالحها الوطنية. وفي هذا الصدد نجد أن سمعة عبد الناصر وقوته كانتا ستتعرضان للضرر لو فرضت الأمم المتحدة حظراً على السلاح. فلا غرابة أن يغامر بذلك الشكل ويعترف بالصين مخاطراً بحدوث مواجهة مع الولايات المتحدة.

رابعاً: سحب العرض الأمريكي لتمويل سد أسوان

لم يكن قرار عبد الناصر بالاعتراف بالصين وليد الساعة بل إن ثمة سلسلة من الأحداث أقنعت الزعيم المصري بعداوة الغرب له، ومنها: التقارير الصحفية عن شحنات الأسلحة الغربية إلى إسرائيل، وإعادة تقييم السياسة الأمريكية تجاه مصر، والتهجمات العلنية البريطانية عليها. وكان تصريح خروتشوف بمثابة القشة الأخيرة. من ناحية ثانية، كانت مغامرة عبد الناصر بالاعتراف بالصين الشيوعية تعني، بنظر الولايات المتحدة، أنه قد انضم نهائياً إلى المعسكر المناهض لها(٣٠). قال دالاس للسفير المصري في واشنطن أحمد

---

(٢٩) نصر، **مذكرات: ثورة ٢٣ يوليو بين المسير والمصير، الأصول**، ج ١، ص ٢٥٥، ومحمد حسنين هيكل، **نحن... وأمريكا** (القاهرة: دار العصر الحديث، ١٩٦٧)، ص ١١٣ ـ ١١٤. قال عبد الناصر للسفيرين البريطاني والأمريكي في ما بعد أن اعترافه بالصين الشيوعية كان مدفوعاً برغبة في الابقاء على قناة مفتوحة لتجهيز السلاح. من السفارة في مصر الى وزارة الخارجية الأمريكية، القاهرة، ١٥ شباط/فبراير ١٩٥٧، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1957: Arab-Israeli Dispute*, vol. 17 (Washington, DC: Government Printing Office, [n. d.]), p. 175, and Trevelyan, *The Middle East in Revolution*, p. 34.

(٣٠) وزارة الخارجية، الموضوع: العلاقات الأمريكية ـ المصرية، واشنطن، ١٧ أيار/مايو ١٩٥٦؛ من راونتري الى وزير الخارجية، ٢٣ أيار/مايو ١٩٥٦، ومن السفارة الأمريكية في مصر الى وزارة =

حسين إن ذلك الاعتراف هو «صفعة على وجه الولايات المتحدة». واستهجن كثيراً قرار مصر هذا وأضاف قائلاً لقد مسّ نقطة من أشد النقاط حساسية لواشنطن. وقال كذلك إن عبد الناصر يثير المنطقة ويؤلب سواد الناس فيها على الغرب وأن كثيراً من الناس في الولايات المتحدة يعتقدون «أن عبد الناصر قد عقد صفقة مع الشيطان على أمل تطوير سطوته وإقامة إمبراطورية تمتد من الخليج الفارسي حتى المحيط الأطلسي»[٣١].

اعتبر دالاس أن عمل عبد الناصر هو بمثابة تدخل في سياسات العالم ولذا فهو غير مقبول. وكان الشعور في واشنطن أن مصر تضرب الشرق بالغرب وذلك بابتزازهما معاً. وقد قرر وزير الخارجية الأمريكي الانتقام بسحب عرض الولايات المتحدة لتمويل سد أسوان. كان يدرك تماماً أهمية السد لعبد الناصر إذ إن الزعيم المصري كان قد جعل منه قضية سياسية ذات أولوية عليا. إن هذا التحرك الأمريكي كان جواباً محسوباً يهدف إلى تعرية الضعف في نظام عبد الناصر. وقد اعتقد كل من دالاس ورئيس البنك الدولي لإعادة الإعمار والتنمية يوجين بلاك، أنه إذا لم يستطع الزعيم المصري بناء السد فإن ذلك سيعني «نهاية عبد الناصر»[٣٢].

لم يعر دالاس اهتماماً لتحذيرات وكالة المخابرات المركزية وتحذيرات مصر بوجود عرض سوفياتي لتمويل السد، وكان يعتقد أن زيارة وزير الخارجية السوفياتي ديمتري شبيلوف لم تشمل عرضاً سوفيتياً، وإلا لما كان المصريون قد قبلوا المقترح الأمريكي الأصلي ولما كانوا قد سحبوا مقترحاتهم المقابلة. وأكد أن السوفيات سيلحقون ضرراً بمصالحهم على المدى الطويل بتوليهم تمويل المشروع المصري. وقد ذكر دالاس في رسالة وجهها إلى آيزنهاور أن عبد الناصر يخادعهم بادعائه أنه قد تسلم عرضاً سوفيتياً، وتوصل في تلك الرسالة إلى نتيجة مفادها أن على الإدارة الأمريكية أن تكشف خديعة عبد الناصر وذلك بسحب عرضها[٣٣].

= الخارجية، القاهرة، ٢٣ أيار/مايو ١٩٥٦، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1955 - 1957: Arab-Israeli Dispute, January 1 - July 26, 1956,* vol. 15, pp. 645, 664 and 670.

(٣١) وزارة الخارجية، ١٧ أيار/مايو ١٩٥٦، في: المصدر نفسه، ج ١٥، ص ٦٤٦ ـ ٦٥٠.

(٣٢) من راونتري الى وزير الخارجية، الموضوع: السد العالي في أسوان، واشنطن، ٦ حزيران/يونيو ١٩٥٦، في: المصدر نفسه، ج ١٥، ص ٧١٧، و Dwight Eisenhower, *The White House Years: Waging Peace, 1956 - 1961* (New York: Doubleday, 1960), p. 31.

انظر المقابلة مع يوجين بلاك، في: Muhammad Abd el-Wahab Sayed-Ahmed, *Nasser and American Foreign Policy, 1952 - 1956* (London: Laam, 1989), p. 120, and Burns, *Economic Aid and American Foreign Policy toward Egypt, 1955 - 1981,* p. 76.

(٣٣) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الأول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨** (القاهرة: مصلحة الاستعلامات، [د. ت.])، ص ٤٦١؛ وزارة الخارجية، الموضوع: سد أسوان، ايران، السعودية، واشنطن، ٢٥ حزيران/يونيو ١٩٥٦؛ من مدير وكالة المخابرات المركزية =

لم يكن من الصعب على دالاس إقناع زملائه بالحكمة في تحليله. كان معظم المسؤولين في الولايات المتحدة ضد تمويل السد، كما كانت أغلبية أعضاء الكونغرس كذلك. وكانت جماعات الضغط مثل مزارعي القطن، ومؤيدي إسرائيل، واللوبي الصيني تعارض كذلك مساعدة عبد الناصر. كان عبد الناصر، بإقامته علاقات دبلوماسية مع الصين وتعاونه مع الكتلة الاشتراكية ورفضه «الحلول الوسط» بشأن قضية فلسطين، ينظر إليه في الولايات المتحدة على أنه يعمل على تقويض مركز الغرب اقليمياً وعالمياً(٣٤).

ومرةً أخرى جاء الصوت المعارض الوحيد من قبل السفير بايرود الذي قال لرؤسائه انهم ليسوا واقعيين تماماً في تحديد أهداف الولايات المتحدة، وذكر أن بلاده قد خسرت أصلاً خسارة فادحة في المنطقة من جراء موقفها المبني على المواجهة. وضرب بايرود مثلاً بأن إيقاف مساعدات عن مصر لن ينجح في شيء، بل إنه سيعرض نفوذ الولايات المتحدة ومركزها في المنطقة إلى الخطر، ودعا حكومته إلى قبول مبدأ الحياد لأن توقع «المزيد الآن ربما لن يؤدي إلى نتيجة»(٣٥).

إن منظور بايرود النابع من وجوده في موقع الأحداث، وما في هذا المنظور من إدراك للمغزى الحقيقي لسياسات عبد الناصر من أجل مصر، كان يتناقض بحدة مع ما ساد في الحرب الباردة من مفاهيم وقوالب جاهزة عشوائية كانت هي التي توجه آراء صانعي السياسة الأمريكية في واشنطن. بيد أنه لم يعد بوسع وزارة الخارجية الأمريكية أن تتحمل معارضة بايرود، فقام دالاس بإخباره في حزيران/يونيو ١٩٥٦ بقرار رئيس الجمهورية بنقله إلى جنوب افريقيا. لقد أشار هذا النقل إلى تصلب في موقف الولايات المتحدة تجاه مصر. كان الرأي السائد في واشنطن ينادي بتشديد الخناق على عبد الناصر لإجباره على تحويل مساره، وقد تجلى ذلك في تموز/يوليو ١٩٥٦ بالسحب المباغت والعلني للعرض الأمريكي بتمويل سد أسوان (السدّ العالي). قال دالاس للسفير المصري أحمد حسين: إن الأمريكيين يعتقدون أن مصر تعمل بشكل وثيق مع أولئك المعادين

= (ألن دالاس) الى وزير الخارجية، الموضوع: زيارة شبيلوف الى مصر، واشنطن، ٢٧ حزيران/يونيو ١٩٥٦؛ مذكرة عن مناقشة جرت في الاجتماع رقم ٢٨٩ لمجلس الامن القومي، واشنطن، ٢٨ حزيران/يونيو ١٩٥٦، وملاحظة تحريرية، في: United States, Department of State, Ibid., vol. 15, pp. 750 - 755 and 827, and Eisenhower, Ibid., pp. 33 and 39.

(٣٤) وزارة الخارجية، ٢٥ حزيران/يونيو ١٩٥٦؛ وزارة الخارجية، الموضوع: سد أسوان، واشنطن، ١٩ تموز/يوليو ١٩٥٦، ومذكرة عن محادثة هاتفية بين وزير الخارجية ومدير وكالة الاستخبارات المركزية، واشنطن، ١٩ تموز/يوليو ١٩٥٦، في: United States, Department of State, Ibid., vol. 15, pp. 750, 849 - 850 and 863 - 864, and Robert Bowie, «Eisenhower, Dulles and the Suez Crisis,» in: R. Louis and Roger Owen, eds., *Suez 1956: The Crisis and Its Consequences* (Oxford: Clarendon Press; New York: Oxford University Press, 1989), p. 194.

(٣٥) من السفارة الأمريكية في مصر الى وزارة الخارجية، القاهرة، ٧ حزيران/يونيو ١٩٥٦، في: United States, Department of State, Ibid., vol. 15, p. 721.

لمصالح الولايات المتحدة. وأضاف: «يبدو أن بلدينا ليسا على اتفاق من نواحٍ متعددة»(٣٦).

خامساً: تأميم قنال السويس

كان عبد الناصر قد استشاط غضباً، فقال لمحمود فوزي، ومحمد حسنين هيكل: «إن هذا ليس سحباً لعرض، بل هو هجوم على النظام ودعوة موجهة إلى شعب مصر للإطاحة به»(٣٧). واعتقد الضباط الأحرار أن الغاية من إجراء الولايات المتحدة لم يكن فقط الإطاحة بعبد الناصر وإنما تدمير ثورتهم كذلك، وشعروا أن عليهم أن يبادروا إلى العمل سريعاً للمحافظة على مصداقيتهم وعلى قوة الدفع في تصاعد اسم مصر ومكانتها في الوطن العربي. رد عبد الناصر الصاع صاعين بتأميمه شركة قنال السويس في ٢٦ تموز/يوليو ١٩٥٦(٣٨).

كان قرار عبد الناصر بإجراء هذا التأميم متفقاً مع جوهر استراتيجيته بتأكيد استقلال القرار السياسي إزاء الدول الكبرى. وكان يأمل كذلك في إقناع أنصاره العرب بأن عصر الاستعمار قد ولّى إلى الأبد هو وما كان يمارسه من دبلوماسية الإنذارات والزوارق المسلحة، وصرح يقول: «إن جوابنا اليوم هو أننا لن نسمح بهيمنة القوة والدولار»(٣٩).

في خطاب التأميم الذي ألقاه عبد الناصر شن هجوماً على المساعي الإمبريالية الغربية الرامية إلى تعطيل الاستقلال المصري، وكرر تصميمه على السير في سياسة الاستقلال التام خارجياً. وأدان رفض الولايات المتحدة المساعدة في تمويل سد أسوان، ورفض ادعاء وزارة الخارجية الأمريكية أن الاقتصاد المصري هو اقتصاد غير سليم. كانت مزاعم الولايات المتحدة وبريطانيا بنظر عبد الناصر ليست سوى مؤامرة للحط من قدر مصر ومعاقبتها على رفضها الانضمام إلى الأحلاف الدفاعية الغربية. وقد أفاد في خطابه أن العوائد التي ستجنى من تأميم شركة قنال السويس ستمكن مصر من بناء السد من دون الحاجة إلى مساعدات أمريكية(٤٠).

---

(٣٦) وزارة الخارجية، الموضوع: السد العالي، واشنطن، ١٩ تموز/يوليو ١٩٥٦، في: المصدر نفسه، ص ٨٦٨ ـ ٨٦٩. في ٢٠ تموز/يوليو ١٩٥٦، أعلنت بريطانيا كذلك سحب عرضها لمساعدة مصر في بناء السد.

(٣٧) نقلاً عن: Heikal, *Nasser: The Cairo Documents*, p. 70.

(٣٨) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الأول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨**، ص ٦٢٨، وأنور السادات، **يا ولدي هذا عمك جمال** (القاهرة: مكتبة العرفان، [١٩٥٨])، ص ١٦٤ ـ ١٦٥ و١٦٩.

(٣٩) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الأول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨**، ص ٥٤٧.

(٤٠) المصدر نفسه، ص ٥٤٨ ـ ٥٥٨.

سادساً: ردود فعل محلية وإقليمية ودولية

اتخذ عبد الناصر قراره بتأميم قناة السويس وهو ينظر إلى النتائج التي يحتمل أن تنشأ عنه محلياً وإقليمياً ودولياً. كان يعلم أن قراره سيحظى بشعبية بالغة في البلاد، وكان على صواب في ذلك إذ هلل المصريون لعمله البطولي الهادف إلى تحطيم آخر معقل للهيمنة الأجنبية. وقد نظروا إلى ذلك العمل بصفته رمزاً للكرامة التي وُعِدوا بها دائماً. وعلى حد قول أنور السادات حوّل هذا التأميم عبد الناصر إلى بطل مصري أسطوري(٤١).

أما على المستوى الإقليمي، فإن تدفق التأييد الجماهيري العربي لصفقة الأسلحة المصرية ـ السوفياتية كان قد أقنع الضباط الأحرار بأن تأميم القنال سيعزز دور مصر القيادي في الوطن العربي. كان عبد الناصر قد طور بحلول ذلك الوقت سياسة عربية كاملة تقوم على مبدأ القومية العربية. وبالنسبة إليه كان نجاحه في سعيه للاستقلال السياسي وللاعتراف به دولياً يتوقف في نهاية المطاف على قدرته على تعبئة موارد المنظومة الفرعية العربية. وقد أكد في خطاب التأميم على أن الاستقلال الاقتصادي والسياسي الحقيقي لن يتأتى إلا نتيجة التعاون والتضامن العربيين(٤٢).

تعالت الإشادة بتأميم القنال في أرجاء الوطن العربي، حتى في العراق. وجاء في تقرير استخباراتي أمريكي أن هذا التحدي الدرامي قد رفع مقام عبد الناصر في المنطقة إلى الأعالي. وقد أجبرت قوة الرأي العام حتى السياسيين العرب المحافظين على الاعتراف بإنجاز مصر الوطني. وأبرق الملك حسين بتهانيه القلبية إلى عبد الناصر قائلاً: «إن شبح الاستغلال المالي أخذ يختفي من البلدان العربية»(٤٣).

أجبرت قوة المشاعر القومية في العراق المسؤولين فيه على أن يعلنوا أن قرار مصر هو من حقوق السيادة التي تتمتع بها، لكن رد الفعل في الصحافة العراقية وفي أوساط

---

(٤١) Anwar El-Sadat, *In Search of Identity: An Autobiography* (London: Collins, 1978), p. 143; Ali E. Hillal Dessouki, «Nasser and the Struggle for Independence,» in: Louis and Owen, eds., *Suez 1956: The Crisis and Its Consequences*, pp. 37 - 38; سيد مرعي، **أوراق سياسية: من أزمة مارس الى النكسة** (القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٧٨)، ج ٢، ص ٣٥٤، و Trevelyan, *The Middle East in Revolution*, p. 101.

(٤٢) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الأول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨**، ص ٥٤٨.

(٤٣) تقرير استخباراتي خاص بتقدير موقف، عبد الناصر والوضع في الشرق الأوسط، ٣١ تموز/ يـوليو ١٩٥٦، فـي: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States: Suez Crisis, 1956*, vol. 16 (Washington, DC: Government Printing Office, 1989), pp. 79, 84 and 89; Charles Hepburn Johnston, *The Brink of Jordan*, with a preface by Harold Macmillan (London: Hamilton, 1972), p. 8, and Seale, *Asad of Syria: The Struggle for the Middle East*, p. 52.

الجمهور كان أقوى من ذلك. وأعرب أحد زعماء المعارضة، وهو محمد مهدي كبة، عن مشاعر أغلبية العراقيين بقوله إن قرار عبد الناصر «قد أثلج قلوب العرب». ومع أن العلاقات بين مصر وليبيا كانت قد توترت بسبب زيارة الملك إدريس إلى تركيا ولبنان في آب/أغسطس ١٩٥٥ بسبب علاقة الملك الوثيقة ببريطانيا إلا أن رئيس الوزراء الليبي مصطفى بن حليم أشاد بتأميم القنال بصفته «خطوة حكيمة وشجاعة». كذلك أعربت السعودية ولبنان وسوريا عن تأييدها التام لموقف مصر[٤٤].

بيد أن الردود الدولية كانت متذبذبة. إن الزعامة المصرية قد عولّت على دعم الرأي العام العالمي والكتلة الأفرو ـ آسيوية لتحويل الميزان إلى جانبها. واعتقد عبد الناصر أن بوسع حركة عدم الانحياز، كقوة ثالثة في العالم، أن تلعب دوراً حاسماً في الأزمة وذلك بكبح جماح الميول العدوانية للدول الغربية. وقد حاول الرئيس المصري، في مقابلاته الصحفية وخطبه العامه أن يصور نزاع السويس كعرض من أعراض نزاع أوسع وشديد الأهمية بين الدول الصغيرة والكبيرة، وأكد أن القضية الحقيقية ليست هي شركة قنال السويس وإنما هي قضية الدول الصغيرة وهل سيسمح لها بممارسة حقوقها في السيادة وبالحفاظ على استقلالها[٤٥].

كانت الدول الغربية تمثل، بنظر المسؤولين المصريين، التهديد الرئيسي لمصر، وكان هؤلاء يعرفون أن بريطانيا وفرنسا تقومان بالبحث عن مبرر سياسي للهجوم على مصر وقلب نظام الحكم فيها، ولكنهم لم يستطيعوا حل رموز الموقف الأمريكي. على أن ثمة أمرين كانا واضحين للزعامة المصرية: (١) وجود خلافات بين واشنطن من جهة وبريطانيا وفرنسا من جهة أخرى؛ و (٢) إن المسؤولين الأمريكيين سيترددون، إبان حملة الرئاسة الانتخابية الجارية، في الاشتراك بأي عمل عسكري خارجي أو التشجيع عليه. لم يكتفِ عبد الناصر باستغلال التنازع الواقع بين الشرق والغرب، بل استغل كذلك الخلافات القائمة بين الدول الغربية الثلاث[٤٦].

---

(٤٤) محمد مهدي كبة، **مذكراتي في صميم الاحداث، ١٩١٨ ـ ١٩٥٨** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٥)، ص ٤١٥ ـ ٤١٦؛ تقرير استخباراتي خاص بتقدير موقف، ٣١ تموز/يوليو ١٩٥٦، في: United States, Department of State, Ibid., vol. 16, pp. 89 - 91;
من الملك سعود الى الرئيس عبد الناصر، في: محمد حسنين هيكل، **ملفات السويس: حرب الثلاثين سنة** (القاهرة: مركز الاهرام للترجمة والنشر، ١٩٨٦)، ص ٧٩٩، و John L. Wright, *Libya,* Nations of the Modern World (London: Ernest Benn, 1969), p. 236.

(٤٥) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الأول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨**، ص ٥٤٨، ٥٧٣ و٥٧٦ ـ ٥٧٧، و Mohammed Hasanayn Heikal: *Cutting the Lion's Tail: Suez through Egyptian Eyes* (London: Corgi Books, 1986), p. 148, and *Sphinx and Commissar: The Rise and Fall of Soviet Influence in the Arab World* (London: Collins; New York: Harper, 1978), p. 71.

(٤٦) نصر، **مذكرات: ثورة ٢٣ يوليو بين المسير والمصير، الأصول**، ج ١، ص ٢٦٢؛ Amin =

لكن، وعلى الرغم من ارتياب الضباط الأحرار بالولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، فقد فضلوا البقاء على مبعدة من موسكو. قام عبد الناصر بإخبار المسؤولين الأمريكيين أن السوفيات لا علاقة لهم بتأميم شركة قنال السويس، وقال لهم إنه لم يتشاور معهم قبل إعلانه قراره على الجمهور. كما أنه لم يسأل السوفيات ما الذي سيفعلونه إذا هوجمت مصر. إن عدم التشاور مع موسكو كان مؤشراً على رغبة عبد الناصر بالاحتفاظ باستقلالية عمل تامة في الشؤون الدولية(٤٧). هذا وقد كان كسب تعاطف العالم يتطلب تركيز الانتباه على حق مصر الذي لا يتجزأ في تأميم القنال، وليس على وجود أية صلة سوفياتية.

ولا غرابة أن يجري إنفاق الكثير من الوقت والجهد في القاهرة في محاولة تحليل ردود الفعل السوفياتية المحتملة الخاصة بقرار التأميم. فقد اقتضى الأمر اللجنة المركزية في موسكو مدة أربع وعشرين ساعة بكاملها لإصدار بيان بتأييد مصر. ومع أن الزعامة السوفياتية كانت على ما يبدو مستعدة لمساعدة مصر عسكرياً ودبلوماسياً، إلا أنها لم تعمل وكأنها ملتزمة تماماً بالجانب المصري. لقد أراد السوفيات إبقاء النزاع محصوراً بين مصر والدول الغربية فقط. كانت السياسة السوفياتية في تلك المرحلة قد ظلت سلبية في المنطقة إلى حدٍ كبير، على الرغم من الفرص الملموسة التي أتاحتها لها مصر في عام ١٩٥٥(٤٨).

غير أنه على العموم، لعب العامل السوفياتي دوراً مهماً في قرار عبد الناصر تأميم القنال، فهو ما كان سيقدم على مثل تلك الخطوة المحفوفة بالأخطار من دون تلقي بعض التطمينات أو الوعود من المسؤولين السوفيات بشأن مساعدة مصر في قيامها بالتصنيع. وهناك من الأدلة ما يفيد بأن الزعامة السوفياتية كانت قد عرضت على عبد الناصر شروطاً جيدة لتمويل سد أسوان، وقام المصريون بإخبار الولايات المتحدة بذلك(٤٩). لهذا فإن

Hewedy, «Nasser and the Crisis of 1956,» in: Louis and Owen, eds., *Suez 1956: The Crisis and Its Consequences*, pp. 166 - 167 and 171, and Heikal, *Nasser: The Cairo Documents*, pp. 110 - 111.

(٤٧) من السفارة الأمريكية في مصر الى وزارة الخارجية، ٣٠ تموز/يوليو ١٩٥٦، ومن السفارة الأمريكية في مصر الى وزارة الخارجية، القاهرة، ١٦ كانون الاول/ديسمبر ١٩٥٦، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States: Suez Crisis, 1956*, vol. 16, pp. 55 and 1317.

(٤٨) سينتقد عبد الناصر في ما بعد استجابة موسكو وتأييدها لمبادرته، وكانتا في البداية فاترتين، انظر: هيلين كارير دانكوس، **السياسة السوفياتية في الشرق الأوسط، ١٩٥٥ ـ ١٩٧٥**، ترجمة عبد الله اسكندر (بيروت: دار الكلمة للنشر، ١٩٨٣)، ص ٤٧ ـ ٤٩؛ **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الأول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨**، ص ٥٥٦ و٥٧٨؛ Hewedy, Ibid., p. 171, and Heikal, *Sphinx and Commissar: The Rise and Fall of Soviet Influence in the Arab World*, p. 68.

(٤٩) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الأول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨**، ص ٤٦١ و٥٥٥ ـ ٥٥٦؛ السادات، **يا ولدي هذا عمك جمال**، ص ١٦٢، ودانكوس، المصدر نفسه، ص ٤٧.

أهمية العنصر السوفياتي تكمن في حقيقة مفادها أن الاتحاد السوفياتي قد طمأن عبد الناصر وشجعه على تحدي الغرب.

سابعاً: الردود الغربية على تأميم قنال السويس

منذ البداية رأى أنطوني إيدن رئيس وزراء بريطانيا وغي موليه رئيس وزراء فرنسا في تأميم قنال السويس فرصة ذهبية للتخلص من عبد الناصر. كان موليه يريد معاقبة عبد الناصر على دعمه المادي والسياسي للوطنيين الجزائريين الذين كانوا يقاتلون من أجل استقلالهم عن فرنسا(٥٠). أما بالنسبة إلى إيدن فالحكاية كانت أكثر تعقيداً. كانت قد حدثت تطورات إقليمية متعددة قادت إيدن إلى أن يستنتج أن عبد الناصر يمثل تهديداً فتاكاً للمصالح البريطانية في الشرق الأوسط.

كان إيدن يرى أن إذاعة صوت العرب المصرية القوية ـ الناطقة باسم الحكومة المصرية ـ قد أحدثت ضرراً جسيماً لبريطانيا بتصويرها كقوة استعمارية، وبهجومها على أصدقائها بوصفهم ذيول الإمبريالية. وجرى اعتبار الإحباط الذي أصاب المساعي البريطانية لتنظيم الدفاع عن المنطقة على أنه نتيجة مباشرة لحملة الدعاية التي شنها عبد الناصر على حلف بغداد، وأدت إلى عزلة العراق، الحليف الحازم لبريطانيا في السياسات العربية. كذلك يعزى إخفاق لجنة تمبلر التي كانت ترمي إلى إدخال الأردن في الحلف المذكور إلى هجمة عبد الناصر الدعائية(٥١).

يضاف إلى هذا أن إيدن أنحى باللائمة على عبد الناصر بشأن قرار الملك حسين بعزل الجنرال غلوب باشا قائد الجيش الأردني في آذار/مارس ١٩٥٦. وقد ذكر وزير الدولة البريطاني للشؤون الخارجية في ذلك الوقت، أنطوني ناتنغ، أن إيدن وضع اللوم كله على عاتق عبد الناصر وأراد إقصاءه عن السلطة، فكتب يقول: «وأخيراً وجد إيدن ذريعة لشن حملة شعواء من الضغوط السياسية والاقتصادية والعسكرية على مصر، وذلك لكي يقضي، وإلى الأبد، على صورة عبد الناصر كزعيم للقومية العربية»(٥٢). ويقول ناتنغ أيضاً إن سلسلة أحداث السويس قد بدأت في حقيقة الأمر حين أعلن إيدن حرباً شخصية على عبد الناصر في أعقاب عزل الجنرال غلوب باشا بصورة مباغتة(٥٣). ونقل عن رئيس الوزراء البريطاني قوله في اجتماع طارىء لمجلس الوزراء «يجب ألا يتاح

---

(٥٠) Maurice Vaisse, «France and the Suez Crisis,» in: Louis and Owen, eds., *Suez 1956: The Crisis and Its Consequences*, pp. 135, 138 and 143.

(٥١) Keith Kyle, «Britain and the Crisis, 1955 - 1956,» in: Louis and Owen, eds., Ibid., p. 109.

(٥٢) Anthony Nutting, *No End of a Lesson: The Story of Suez* (London: Constable, 1967), p. 47.

(٥٣) المصدر نفسه، ص ٢٧ ـ ٣٥.

لعبد الناصر أن ينجو بجلده من هذا الأمر». وقد أعرب في رسالة له إلى آيزنهاور عن قلقه بشأن السطوة المتزايدة التي يملكها عبد الناصر، وارتأى أنه إذا أخفق الغرب هذه المرة في إيقاف الزعيم المصري عند حد فإن النفوذ الغربي سيتهاوى في أرجاء المنطقة كلها بشكل لا مرد له، فقال إيدن إنه مستعد لاستخدام القوة لكي «يعيد عبد الناصر إلى عقله»(٥٤).

أما إدارة آيزنهاور فكانت تواجه محنة حقيقية، فكيف سترد على تحدي عبد الناصر وكيف تقوم في الوقت نفسه بجعل الموقف البريطاني والفرنسي يتسم بالتروي؟ لكن أمراً واحداً كان واضحاً للولايات المتحدة وهو أنها لن تنسحب من الشرق الأوسط ولن تقلص مسؤولياتها كدولة كبرى. اتفق آيزنهاور ودالاس على أن من المحتم عليهما التحرك بقوة في المنطقة لئلا يواجه المركز الغربي حالة من التحدي. حدد آيزنهاور منذ البداية الخطوط الرئيسية لمدخل وموقف الولايات المتحدة من أزمة السويس: «يجب علينا اتباع سياسة حازمة ويجب علينا في الوقت عينه ألا نعرض للخطر وضعنا في المدى الطويل بعمل متعجل»(٥٥).

عند عودة دالاس من زيارة إلى أمريكا اللاتينية قال لآيزنهاور إنه كان على صواب في التروي في مسألة استخدام القوة. كان آيزنهاور ودالاس كلاهما غير مستعد أن يكون نهباً للهستيريا، فيتسرع في اللجوء إلى الحرب. وقرر رئيس الجمهورية إرسال روبرت مورفي، نائب مساعد وزير الخارجية، إلى لندن في الحال لمحاولة كبح جماح الحلفاء في الناتو، وكان هذا مزوداً بتعليمات تقضي بأن يسير على أساس أكثر اعتدالاً لكنه أساس حازم، يرمي إلى إنشاء إدارة لقنال السويس تكون مستقرة وكفوءة(٥٦).

كان هذا الموقف المعتدل الذي اتخذته حكومة الولايات المتحدة يتناقض بشدة مع المواقف البريطانية والفرنسية المتشددة جداً. وفي اجتماع مع مورفي عقده إيدن ووزير ماليته هارولد مكميلان طلبا منه فيه نقل رسالة سرية جداً إلى آيزنهاور ودالاس تقول بأن الوزارة البريطانية قد قررت إخراج عبد الناصر من مصر باستخدام وسائل عسكرية، وقالا إن هذا قرار لا يتزحزح وأنهما مصممان في نهاية الأمر على استخدام

(٥٤) ملاحظة تحريرية، ومن رئيس الوزراء ايدن الى الرئيس آيزنهاور، ٢٧ تموز/يوليو ١٩٥٦، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States: Suez Crisis, 1956*, vol. 16, pp. 2 and 9 - 10.

(٥٥) مؤتمر مع رئيس الجمهورية، البيت الابيض، واشنطن، ٢٧ تموز/يوليو ١٩٥٦، ومن وزارة الخارجية الى وزير الخارجية في ليما، واشنطن، ٢٨ تموز/يوليو ١٩٥٦، في: المصدر نفسه، ج ١٦، ص ١٢ و٢٥.

(٥٦) المصدر نفسه، محادثة هاتفية بين رئيس الجمهورية في غيتيزبرغ، ولاية بنسلفانيا، ووزير الخارجية، واشنطن، ٢٩ نيسان/ابريل ١٩٥٦؛ محادثة هاتفية بين رئيس الجمهورية ووزير الخارجية، واشنطن، ٣٠ تموز/يوليو ١٩٥٦، ومن وزارة الخارجية الى السفارة في المملكة المتحدة، واشنطن، ٣٠ تموز/يوليو ١٩٥٦، في: المصدر نفسه، ج ١٦، ص ٣٨ و٤٧ ـ ٤٨.

القوة للقضاء على عبد الناصر[٥٧].

قام آيزنهاور بإخبار مستشاريه بأن هذا القرار البريطاني قرار غير حكيم للغاية، وقال إنه يظن أن البريطانيين يفكرون بشكل لا ينسجم مع روح العصر، فاستعمال القوة يعتبر خياراً خطيراً في الظروف الراهنة. وحاجج رئيس الجمهورية بالقول إن نهج العمل هذا سيستعدي العالم العربي والإسلامي وسيعرض للخطر إمدادات النفط إلى الغرب. قرر آيزنهاور إرسال دالاس إلى لندن على الفور لإقناع إيدن وموليه بضرورة حل الأزمة سلماً[٥٨].

أكد آيزنهاور في جوابه المرسل إلى إيدن الخطر الملازم لبدء العمليات العدائية في الشرق الأوسط، وحذر حليفته بريطانيا من استخدام القوة من جانب واحد، الأمر الذي ستكون له نتائج واسعة الانتشار داخل الولايات المتحدة وخارجها. وأضاف الرئيس يقول: «سيكون رد الفعل الأمريكي والدولي شديداً»[٥٩]. عند وصول دالاس إلى لندن قام بإخبار نظرائه البريطانيين أنه يتفق معهم بشأن إيجاد طريقة تجعل عبد الناصر «يتخلى عن سرقته»، بيد أنه أضاف أنه يجب إجبار عبد الناصر على هذا التخلي بوسائل غير عسكرية إذ إن واشنطن لا يسعها الاشتراك في أية مهمة عسكرية في الوضع الحاضر[٦٠].

أوضحت الإدراة الأمريكية بجلاء أنها تفضل إجراء تسوية سلمية لنزاع السويس، وكان جوهر هذا الموقف يتلخص بأن الحرب ستودي بالمصالح الغربية في آسيا وافريقيا فتقودها إلى الكارثة[٦١]. ووفقاً لما يقوله شيرمان أدامز كان آيزنهاور مدركاً لاعتماد الغرب على النفط العربي، وأنه كان يخشى أن أي اندلاع لعمليات معادية كبيرة في المنطقة سيعرض للخطر حصول الغرب على هذا المصدر الحيوي من مصادر الطاقة. يضاف إلى

---

(٥٧) من السفارة الأمريكية في المملكة المتحدة الى وزارة الخارجية، لندن، ٣١ تموز/يوليو ١٩٥٦، في: المصدر نفسه، ج ١٦، ص ٦١.

(٥٨) مذكرة عن مباحثات مع الرئيس، البيت الابيض، واشنطن، ٣١ تموز/يوليو ١٩٥٦، في: المصدر نفسه، ج ١٦، ص ٦٣ ـ ٦٥ و٦٧.

(٥٩) من الرئيس آيزنهاور الى رئيس الوزراء ايدن، واشنطن، ٣١ تموز/يوليو ١٩٥٦، في: المصدر نفسه، ج ١٦، ص ٧٠ ـ ٧١.

(٦٠) مذكرة مباحثات، وزارة الخارجية البريطانية، لندن، ١ آب/اغسطس ١٩٥٦، في: المصدر نفسه، ج ١٦، ص ٩٥ ـ ٩٦.

(٦١) حاجج البريطانيون والفرنسيون بالقول إن الولايات المتحدة لم تقدر الاهمية التي كانوا هم يولونها الى السويس. بالنسبة إليهم، لم يكن الامر ينطوي فقط على مجرد القتال بل على الوضع الاوروبي كله في الشرق الأوسط. إن انتصاراً يسجله عبد الناصر سيعرض للخطر انظمة الحكم الموالية لبريطانيا وفرنسا في المنطقة ويؤدي الى تراجع النفوذ الذي تتمتع به لندن وباريس فيها. انظر: مذكرة عن محادثة، شقة الوزير دالاس في فندق ولدورف أستوريا، نيويورك، ٥ تشرين الأول/اكتوبر ١٩٥٦، في: المصدر نفسه، ج ١٦، ص ٦٤٠ ـ ٦٤٢.

هذا أن المسؤولين في الولايات المتحدة كانوا يعتقدون أن استخدام القوة سيؤدي إلى زيادة نفوذ عبد الناصر في الوطن العربي لا إلى نقصانه، وأنه سيعزز مركزه بصفته الناطق باسم القومية العربية، وبصفته رمزاً لها كذلك(٦٢).

إن استخدام القوة سيقوض شرعية الحكام العرب المحافظين الموالين للغرب ويقوض الاستقرار في أنظمتهم، وقد أوضح هؤلاء للمسؤولين الأمريكيين أنهم ضد هذا الاستخدام، وأنهم سيؤيدون مصر إذا هوجمت. مثلاً، قال الملك السعودي للمبعوث الرئاسي الأمريكي روبرت أندرسون إن أي هجوم يقع على مصر يعتبر هجوماً على الوطن العربي بأسره، وحذره أن السعودية «لا يسعها أن تكون عدوة لمصر». إن البدء بعمليات عدائية ستؤدي، بنظر الولايات المتحدة، إلى زعزعة الاستقرار في أنظمة موالية للغرب في إيران وباكستان وحتى الحبشة وذلك بجعلها جميعاً أكثر تقبلاً للتغلغل السوفياتي(٦٣).

يضاف إلى هذا أن آيزنهاور ودالاس كليهما كان قلقاً بشأن شرعية العمل العسكري ضد مصر. فمنذ الثامن والعشرين من تموز/يوليو ١٩٥٦ كانت وزارة الخارجية الأمريكية ترى أن تأميم قنال السويس هو من حقوق مصر. لذلك قال دالاس: «إن استخدام القوة انتهاك للميثاق الدولي، وسيقضي على الأمم المتحدة»(٦٤). إن الولايات المتحدة، لكونها قوة عالمية من حيث الوضع الراهن، كانت مهتمة جداً بالمحافظة على النظام الدولي ضد أية تحديات ترمي إلى تغييره وتوسيع نطاقه.

لهذه الأسباب كلها عارضت الولايات المتحدة استخدام القوة، وليس من بين هذه الأسباب التعاطف مع عبد الناصر، بل على العكس كان معظم المسؤولين الأمريكيين لا يثقون بعبد الناصر ويعتبرونه ملتزماً بالهدف الواسع الرامي إلى تقويض النفوذ الغربي في العالم النامي. وقد ذهب فرانسيس راسل، المساعد الخاص لدالاس، إلى أبعد من ذلك، ففي بحث طويل كتبه قارن أسلوب عبد الناصر في الزعامة بأسلوب هتلر، وزعم أن غاية الرئيس المصري هي مزج «عواطف وموارد الشرق الأوسط وأفريقيا في هجمة واحدة

---

(٦٢) المصدر نفسه، ج ١٦، ص ٦٤٠؛ تقدير موقف استخباراتي، ٣١ تموز/يوليو ١٩٥٦، في: المصدر نفسه، ج ١٦، ص ٧٩ و٨٩ ـ ٩١، و Sherman Adams, *First-Hand Report: The Inside Story of the Eisenhower Administration* (London: Hutchinson, 1962), pp. 196 - 197.

(٦٣) من القنصلية العامة في الظهران الى وزارة الخارجية الأمريكية، الظهران، ٢٣ آب/اغسطس ١٩٥٦؛ من السفارة في مصر الى وزارة الخارجية، القاهرة، ٢٨ آب/اغسطس ١٩٥٦؛ شقة الوزير دالاس، ٥ تشرين الاول/اكتوبر ١٩٥٦، ومن وزير الخارجية الى رئيس الجمهورية، نيويورك، ٥ تشرين الاول/اكتوبر ١٩٥٦، في: United States, Department of State, Ibid., vol. 16, pp. 273 - 274, 642 and 648.

(٦٤) البيت الابيض، واشنطن، ٢٨ تموز/يوليو ١٩٥٦، في: المصدر نفسه، ج ١٦، ص ٢٨، و John C. Campbell, «The Soviet Union, the United States, and the Twin Crises of Hungary and Suez,» in: Louis and Owen, eds., *Suez 1956: The Crisis and Its Consequences*, p. 244.

ضد الحضارة الغربية»[٦٥].

بعبارة أخرى، أراد المسؤولون في الولايات المتحدة أن يروا عبد الناصر «محجّماً»، مستخدمين وسائل غير عسكرية. ففي الاجتماعات التي عقدها دالاس مع المسؤولين البريطانيين في لندن أعرب عن اشمئزازه من عبد الناصر وقطع على نفسه عهداً بجعله يتخلى عما حصل عليه بتأميمه قناة السويس. ونظراً إلى ذلك أقنع دالاس حلفاءه المترددين من بريطانيين وفرنسيين بالانضمام إليه في الدعوة إلى مؤتمر للدول البحرية يعقد في لندن في السادس عشر من آب/أغسطس ١٩٥٦. كانت استراتيجية الغرب الأساسية من وراء مؤتمر لندن الأول هي تأسيس هيئة دولية تتولى وتدير قناة السويس[٦٦]. لكن نجاح هذا المؤتمر كان يتوقف في نهاية الأمر على استعداد عبد الناصر للموافقة على شكل من أشكال السيطرة أو الإشراف الدوليين على القنال[٦٧].

ثامناً: الاستراتيجية المصرية

كان المصريون على علم بمعارضة إدارة آيزنهاور لاستخدام القوة، وحاولوا استغلال ذلك بتشديد قبضتهم على القنال. وكان عبد الناصر يضرب على وتر العدالة والإنصاف الموجود في الولايات المتحدة ليقارع به الدول الأوروبية الاستعمارية. كانت استراتيجيته تقوم على نزع فتيل الأزمة وذلك بمساعدة دالاس في مساعيه لكبح جماح إيدن وموليه. وكان هذا الأمر يتطلب من مصر أن تبقى بعيدة عن الأنظار فلا تستفز أحداً، وأن تبقي القنال في حالة عمل تامة. وبعد بضعة أيام من التأميم التقى عبد الناصر السفير الأمريكي الجديد ريموند هير وطمأنه «بأن القنال سيظل مفتوحاً ويتم تشغيله بكفاءة»[٦٨].

---

(٦٥) تقدير موقف استخباراتي، ٣١ تموز/يوليو ١٩٥٦، وورقة كتبها المساعد الخاص لوزير الخارجية راسل، الموضوع: سياسات الولايات المتحدة نحو عبد الناصر، واشنطن، ٤ آب/اغسطس ١٩٥٦، في: United States, Department of State, Ibid., vol. 16, pp. 86 and 142.

(٦٦) مذكرة عن مؤتمر رئيس الجمهورية، ٣١ تموز/يوليو ١٩٥٦؛ وزارة الخارجية البريطانية، ١ آب/اغسطس ١٩٥٦، والبيان الثلاثي الصادر في لندن، ٢ آب/اغسطس ١٩٥٦، في: المصدر نفسه، ج ١٦، ص ٦٤ ـ ٦٥، ٩٥ و١٢٧؛ John C. Campbell, *Defense of the Middle East: Problems of American Policy* (New York: Harper, 1958), p. 79, and Robert Bowie, «Eisenhower, Dulles and the Suez Crisis,» in: Louis and Owen, eds., Ibid., p. 199.

(٦٧) على الرغم من هذا الاتفاق الظاهري، كانت هناك انقسامات عميقة بين واشنطن من جهة، ولندن وباريس من جهة اخرى. أصرت الحكومة الأمريكية على احتفاظها بحرية العمل، أي معارضة اللجوء الى القوة، حتى لو فشل مؤتمر لندن. وعلى الضد من ذلك كان ايدن وموليه يأملان في استخدام رفض عبد الناصر لشروط المؤتمر كمبرر لمهاجمته عسكرياً. ونتيجة لهذه الآراء المتناقضة والمتباينة كان لا بد من اصطدام الشركاء الغربيين.

(٦٨) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الأول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨**، ص ٥٨٣؛ نصر، مذكرات: **ثورة ٢٣ يوليو بين المسير والمصير، الاصول**، ج ١، =

في اليوم التالي أصدر عبد الناصر بياناً رسمياً يؤكد فيه تصميم مصر على احترام التزاماتها الدولية كافة المتعلقة بحرية الملاحة في قنال السويس. أوفى هذا الوعد بأحد الاهتمامات الرئيسية للإدارة الأمريكية منذ بداية أزمة السويس. لم يكن من الممكن لهذه الإدارة من الناحية النظرية أن تتصور قيامها بمباركة اللجوء إلى القوة إلا إذا أدى عمل عبد الناصر إلى العرقلة الفعلية لحركة المرور الحيوية في الطريق المائي. لذلك حرص المصريون على ضمان سير العمل في القنال بشكل رتيب وكفوء. كان النجاح الفني الذي أحرزه المصريون قد ساعد عبد الناصر على كسب الوقت وتعبئة الرأي العام العالمي لتحقيق تسوية سلمية(٦٩).

كان عبد الناصر يعرف أن واشنطن ستمارس نفوذاً كبيراً لدى حلفائها الأوروبيين بشأن قضية السلم أو الحرب في السويس، وبناءً عليه أبقى الرئيس المصري خطوط اتصالاته مفتوحة مع واشنطن وظل على مبعدة من موسكو. وعلى سبيل المثال قام عبد الناصر بإخبار المسؤولين الأمريكيين بأن الكرملين لا علاقة له بقراره تأميم القنال. وأكد كذلك أنه أمم شركة قنال السويس كبديل لقبوله مساعدة سوفياتية لتمويل سد أسوان (فالإيرادات التي تجنى من القنال ستستخدم في بناء السد). وأضاف أن على الغرب أن ينظر إلى عمله كبرهان على رغبته في تجنب الاعتماد على موسكو(٧٠).

ولا بد أن نذكر أن مغازلة عبد الناصر للولايات المتحدة كانت حركة تكتيكية وليست جزءاً من قرار جديد يهدف إلى جعل السياسة المصرية تقف بصف واحد مع سياسة واشنطن. إن اصطفافاً استراتيجياً جديداً للعلاقات الأمريكية ـ المصرية كان أمراً خارج الصدد بالنظر إلى الافتقار التام للثقة المتبادلة بين الطرفين. كان الدافع الحقيقي وراء

= ص ٢٦٢؛ Mahmoud Fawzy, *Suez: An Egyptian Perspective* (London: Shorouk International, [n. d.]), pp. 106 and 113; Heikal, *Cutting the Lion's Tail: Suez through Egyptian Eyes*, pp. 146 - 147 and 165, and

من مصر الى وزارة الخارجية، ٣٠ تموز/يوليو ١٩٥٦، في: United States, Department of State, Ibid., vol. 16, p. 56.

(٦٩) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الأول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨**، ص ٥٦٨؛ مذكرة عن محادثات مع الرئيس، ٢٩ تموز/يوليو ١٩٥٦؛ من وزارة الخارجية الى السفارة في المملكة المتحدة، ٣٠ تموز/يوليو ١٩٥٦، ومن السفارة في مصر الى السفارة في المملكة المتحدة، القاهرة، ١ آب/اغسطس ١٩٥٦ [حاشية]، في: United States, Department of State, Ibid., vol. 16, pp. 28, 48 and 106;

البغدادي، **مذكرات عبد اللطيف البغدادي**، ج ١، ص ٣٢٧؛ مرعي، **أوراق سياسية: من أزمة مارس إلى النكسة**، ج ٢، ص ٣٥٤، و Hewedy, «Nasser and the Crisis of 1956,» pp. 166 - 167.

(٧٠) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الأول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨**، ص ٥٧٨؛ من السفارة في مصر إلى وزارة الخارجية، ٣٠ تموز/يوليو ١٩٥٦، في: United States, Department of State, Ibid., vol. 16, pp. 55 and 57, and Heikal, Ibid., p. 161.

الموقف المصري يكمن في إجراء السياق الفوري لتحييد التهديد الأوروبي وإقامة التوازن حياله.

إن مصر بصفتها دولة صغيرة لا يسعها أن تقوم بمفردها بتحدي القوة الجبارة لبريطانيا وفرنسا. كان عليها أن تستغل تكتلات القوة في العالم لتعوض عن ضعفها. وحدث الاستقطاب في المنظومة العالمية بعد عام ١٩٤٥، فمكّن الدول الصغيرة من أن تتمرد ضد مستعمريها التقليديين وأن تبدأ بالقيام بدور أكثر استقلالاً في السياسات الدولية. كان تصرف مصر خلال أزمة السويس يمثل نموذجاً مثالياً لهذا الوضع. إن هذه الأحداث تعزز المحور العام لهذا الكتاب، وهو المحور الخاص بتعقد العلاقات بين البلدان العربية والدول العظمى ودينامية هذه العلاقات.

وقد أعطى رهان عبد الناصر على الولايات المتحدة مردوده. فعلى الرغم من رفضه لاقتراح مؤتمر لندن لإنشاء هيئة دولية لإدارة القنال استمرت واشنطن في رفضها الموافقة على استخدام القوة من قبل حليفتيها. في الخامس من أيلول/سبتمبر كرر آيزنهاور التزامه بحل سلمي، وجاء ذلك عند وجود رئيس وزراء أستراليا روبرت منزيس في مصر مترئساً لجنة من خمسة أعضاء يمثلون خمس دول أرسلها مؤتمر لندن لتقديم الاقتراح إلى عبد الناصر وشرحه له(٧١).

وعندما سُئِل آيزنهاور في مؤتمر صحفي عقد في ١١ أيلول/سبتمبر هل ستؤيد حكومته بريطانيا وفرنسا إذا قررتا مهاجمة مصر أجاب قائلاً: «لن تدخل هذه البلاد حرباً أبداً وأنا أشغل منصبي الحالي». وبعد يومين من هذا التاريخ ذهب دالاس إلى أبعد من ذلك قائلاً: حتى إذا لجأت مصر إلى القوة بشأن القنال «فإننا لا ننوي التدخل». وعلى حد ما يقوله ناتنغ كان إيدن مستاء من موقف دالاس الذي يراعي مصر فقرر أن يبقي الحكومة الأمريكية غير عارفة بشأن المحادثات السرية التي تجريها بريطانيا مع فرنسا وإسرائيل بشأن ضربة عسكرية ضد مصر(٧٢).

أبدى السوفيات كذلك مساعدتهم لقضية مصر من خلال تصريحاتهم المتكررة في تأييد عبد الناصر وتبني موقفه في مؤتمر لندن. وقد أبدوا تضامنهم مع القاهرة بتحذيرهم الدول الأوروبية من البدء بأي عمل عسكري في منطقة القنال، وكانوا يؤكدون أن العمل العسكري ستكون له نتائج دولية خطيرة في المنطقة وخارجها. قال خروتشوف إن بدء

---

(٧١) غضب منزيس، ايدن ومموليه من رد رئيس الجمهورية الاستباقي ضد اللجوء الى القوة لأنه أضعف، في رأيهم مركز منزيس وأوحى الى عبد الناصر أنه ليس هناك توافق في المصالح بين الدول الغربية. ملاحظة تحريرية، ٥ ايلول/سبتمبر، ومن السفارة في مصر الى وزارة الخارجية، القاهرة، ٩ ايلول/سبتمبر ١٩٥٦، في: United States, Department of State, Ibid., vol. 16, pp. 373 and 446.

(٧٢) *Department of State Bulletin* (24 September 1956), pp. 476 - 483, and Nutting, *No End of a Lesson: The Story of Suez*, pp. 62 and 110.

الحرب أسهل كثيراً من انهائها إذ أن مصر لن تترك وحدها في معركة مسلحة ضد الغرب ـ وهذه إشارة إلى تدخل سوفياتي محتمل(٧٣).

في اليوم ذاته أدت التقارير التي نشرت عن استمرار تحشد القوات البريطانية والفرنسية في شرقي المتوسط إلى أن يرسل رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي نيكولاي بولغانين رسالة إلى إيدن ومولية حذرهما فيها «من عواقب وخيمة» إذا تغلب رأي الداعين إلى الحرب. وبعد أربعة أيام من ذلك أصدر الكرملين بياناً أعلن فيه أن الاتحاد السوفياتي لا يمكن أن يقف مكتوف الأيدي تجاه وضع يهدد المصالح الأمنية للدولة السوفياتية. إذا وضعنا الكلام العلني الرنان جانباً نجد أن القيادة في الكرملين كانت تبدي في الخفاء روحية تصالحية شديدة. فقد قدم السوفيات نصحهم إلى عبد الناصر لكي يتوصل إلى حل وسط مع الغرب. هذا من جهة، ومن جهة أخرى اتصلوا بالحكومة الأمريكية، واقترحوا مشروعاً مشتركاً أمريكياً ـ سوفياتياً لحل مشكلة قنال السويس. قال وزير الخارجية السوفياتي ديمتري شبيلوف إن عملاً كهذا «سيكون له أثر إيجابي على الوضع بأسره»(٧٤).

ومع أن اقتراح شبيلوف لم يتبلور إلا أن كون السوفيات قد خامرتهم مثل هذه الآراء كان بذاته شيئاً له دلالته. إن اقتراحهم المقدم إلى مسؤولي الحكومة الأمريكية يعكس إدراكاً حاداً لتدهور مقادير بريطانيا وفرنسا في المنطقة العربية، وبروز الولايات المتحدة بصفتها الطرف الأساسي في الشرق الأوسط. كان غرض السوفيات يتلخص بأن يعترف بهم كدولة كبرى ذات مصالح عالمية وكلاعب رئيسي في دبلوماسية الشرق الأوسط. بعبارة أخرى، كان الحل المشترك الأمريكي ـ السوفياتي سيضفي على موسكو شرعية دولية وسيمكنها من التغلغل أكثر فأكثر في المنطقة غير المفتوحة بوجهها. لكن واشنطن لم تعر الخطة السوفياتية أي اعتبار إذ إن استراتيجيتها كانت تقوم على الحد من توسع النفوذ السوفياتي في المنطقة ومنعه.

أما عبد الناصر فقد كان بحاجة إلى ترسيخ مركزه في الوطن العربي وتعزيزه وقد رأى أن اتصالاً شخصياً بالملك سعود هو من الضرورة بمكان، ولا سيما أن السعودية

---

(٧٣) Veljko Micunovic, *Moscow Diary*, translated by David Floyd; introduction by George Kennan (London: Chatto and Windus, 1980), pp. 103 - 104, and Eisenhower, *The White House Years: Waging Peace, 1956 - 1961*, p. 41.

(٧٤) مذكرة عن محادثة، السفارة السوفياتية، لندن، ١٨ آب/اغسطس ١٩٥٦، وملحق الى لجنة المراقبة، واشنطن، ٢٠ ايلول/سبتمبر ١٩٥٦، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States: Suez Crisis, 1956*, vol. 16, pp. 223 - 224 and 544; دانكوس، **السياسة السوفياتية في الشرق الأوسط، ١٩٥٥ ـ ١٩٧٥**، ص ٥٢؛ نصر، **مذكرات: ثورة ٢٣ يوليو بين المسير والمصير، الاصول**، ج ١، ص ٢٦٨؛ Oles M. Smolansky, «Moscow and the Suez Crisis, 1956: A Reappraisal,» *Political Science Quarterly*, vol. 80, no. 4 (December 1965), pp. 581 - 605, and Love, *Suez: The Twice-Fought War: A History*, p. 428.

عضو مهم في الجبهة العربية المساندة لمصر. وفي الثالث والعشرين من أيلول/سبتمبر ١٩٥٦ استقل عبد الناصر وشكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية الطائرة إلى المملكة العربية السعودية، حيث استقبلهما عند وصولهما جمهور حاشد، وفي هذا دلالة أخرى على شعبية عبد الناصر وأفكاره القومية، وعلى قدرته على مخاطبة الجماهير العربية بدون حواجز[٧٥].

كان الرئيس آيزنهاور، كما ورد آنفاً، مدركاً للوضع الاستراتيجي للسعودية في الوطن العربي وحاول أن يدق إسفيناً بين الملك سعود وعبد الناصر. ومع أن الملك كان قلقاً جداً من بعض أعمال الزعيم المصري إلا أنه كان متردداً في معارضته جهاراً في ذلك الحين، وكان يفضل العمل معه ويحاول أن يقنعه بالاعتدال. كذلك قام سعود بإخبار ممثلي الولايات المتحدة عن قلقه بشأن السويس وعن رغبته في التعاون معهم. وفي هذا السياق بالذات طلبت إدارة آيزنهاور من الملك سعود استخدام نفوذه لدى عبد الناصر لكي يوافق على فكرة دالاس بإنشاء «جمعية مستخدمي قناة السويس»[٧٦].

حاول سعود أن يقنع عبد الناصر باقتراح دالاس فلم يقتنع، وقد رفض الزعيم المصري أشكال الإشراف الدولي كلها باعتبارها «إمبريالية جماعية بشكل منظم». عندئذ قام سعود بتحذير عبد الناصر من مغبة استعداء الولايات المتحدة التي ستحتاج مصر مساعدتها لتلافي حدوث هجوم مسلح ثلاثي من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل. استخف عبد الناصر بفكرة قيام تواطؤ بين هذه الدول الثلاث واعتبر مثل هذا التحالف المباشر مستحيلاً لأنه سيعني انتحار بريطانيا وفرنسا سياسياً في الوطن العربي. هذا وكلما استطال أمد النزاع ازداد رضا عبد الناصر عن نفسه. لقد كان يتوقع أن يجري حسم أزمة السويس في الأمم المتحدة، وكان هذا بنظره حلاً مثالياً بالنسبة إلى مصر[٧٧].

---

(٧٥) يرى أبير أن زيارة عبد الناصر الى السعودية كانت نقطة تحول في الوقوف التقليدي للمملكة مع مصر وسوريا. فقد ذهل الملك سعود من المشاهد العاصفة التي صاحبت الزيارة. وأدرك الملك سريعاً أن عبد الناصر يمثل تهديداً للنظام. وغدا الملك مصمماً على مقاومة الدور المتعاظم لعبد الناصر في الوطن العربي. انظر: Mordechai Abir, *Saudi Arabia in the Oil Era: Regime and Elites; Conflict and Collaboration* (London: Croom Helm, 1988), p. 80, and Heikal, *Cutting the Lion's Tail: Suez through Egyptian Eyes*, pp. 170 - 173, and

هيكل، ملفات السويس: حرب الثلاثين سنة، ص ٥٠٧ ـ ٥١٠.

(٧٦) كان الطرح الاساسي من وراء جمعية مستخدمي قناة السويس تفويض المستخدمين بالاشتراك مع مصر في إدارة القناة بكفاءة. من وزارة الخارجية الى وزير الخارجية، ١٧ آب/اغسطس ١٩٥٦ [حاشية]، وما أعده وزير الخارجية، الموضوع: خلاصة لمقترح لتأليف «جمعية مستخدمي قناة السويس»، واشنطن، ٩ ايلول/سبتمبر ١٩٥٦، في: United States, Department of State, Ibid., vol. 16, pp. 220 and 451 - 455.

(٧٧) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الأول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨**، ص ٥٧٣، ٥٨٣ و٦٥٢ ـ ٦٥٣؛ مرعي، **أوراق سياسية: من أزمة مارس الى النكسة**، =

تاسعاً: الغزو الأنغلو ـ فرنسي ـ الإسرائيلي لمصر

لم يدرك عبد الناصر عمق التعهد الذي أخذه إيدن على نفسه بتحطيمه. ذكر إيدن في مراسلاته مع آيزنهاور أن إزاحة عبد الناصر وتنصيب نظام حكم يوالي الغرب في القاهرة هما من الأهداف البريطانية[٧٨]. لكن الأحداث أظهرت أن عبد الناصر لم يكن وحده بل معه أيضاً آيزنهاور ودالاس في عدم تقدير العزم والتصميم لدى إيدن ومولية على استخدام القوة في السويس. إن هذا يفسر الشعور بالحيرة والصدمة الذي اعترى مصر والولايات المتحدة عندما علمتا بالاجتياح الإسرائيلي لمصر في ٢٩ تشرين الأول/أكتوبر وما تلاه من اجتياح أنغلو ـ فرنسي في ٣١ من الشهر نفسه.

هزّ هذا العدوان الثلاثي أرجاء المشرق العربي هزاً، فتعالت فيه عواصف الاحتجاج وسارع الملك حسين إلى مهاتفة عبد الناصر ليعرب له عن استعداده لمساعدة مصر عسكرياً. كذلك فعل الملك سعود الذي «وضع جيشه وموارده في خدمة مصر»، وقام أيضاً بتعليق العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا وفرنسا، وفرض حصاراً نفطياً عليهما. وكانت سوريا هي الدولة العربية الوحيدة التي عرضت القتال من أجل عبد الناصر وذلك بمهاجمة إسرائيل، ولم تكتف بقطع العلاقات الدبلوماسية مع الدولتين المذكورتين بل نسفت أنبوب النفط العائد لشركة البترول العراقية (IPC) فقطعت بذلك المصدر الرئيسي لإيرادات العراق. نصح عبد الناصر حليفاته العربيات بألا تشارك في الأعمال الحربية لئلا تتخذ إسرائيل من ذلك ذريعة لاحتلال أجزاء من أراضيها. كذلك أشار على الرئيس السوري شكري القوتلي بالمضي قدماً في زيارة موسكو وكانت مقررة سابقاً[٧٩].

= ج ٢، ص ٣٥٢ و٣٥٥؛ نصر، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٦٢؛ Hewedy, «Nasser and the Crisis of 1956,» pp. 168 - 169; Heikal, *Cutting the Lion's Tail: Suez through Egyptian Eyes*, p. 173, and تقرير أعد في السكرتارية التنفيذية لوزارة الخارجية، واشنطن، ٥ ايلول/ سبتمبر ١٩٥٦، في: المصدر نفسه، ج ١٦، ص ٣٧٥.

(٧٨) من السفارة في المملكة المتحدة الى وزارة الخارجية، ٣١ تموز/يوليو ١٩٥٦، ومن رئيس الوزراء ايدن الى الرئيس آيزنهاور، لندن، ٥ آب/اغسطس ١٩٥٦، في: United States, Department of State, Ibid., vol. 16, pp. 61 and 147.

(٧٩) **مجموعة خطب الملك حسين: ٢٥ عاماً من التاريخ، ١٩٥٢ ـ ١٩٧٧** (لندن: مؤسسة سمير مطاوع للنشر، ١٩٧٨)، ص ١١٧ ـ ١١٨؛ **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الأول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨**، ص ٦١٤ ـ ٦١٥؛ محمد حسنين هيكل، **سنوات الغليان، حرب الثلاثين سنة** (القاهرة: مركز الاهرام للترجمة والنشر، ١٩٨٨) ج ١، ص ٢١١؛ **مذكرة محادثات عن الاجتماع الثلاثين لمجلس الأمن القومي**، واشنطن، ٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٦، في: المصدر نفسه، ج ١٦، ص ١٠٧٩؛ Abir, *Saudi Arabia in the Oil Era: Regime and Elites; Conflict and Collaboration*, p. 80; Nadav Safran, *Saudi Arabia: The Ceaseless Quest for Security* (Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University; Ithaca, NY: Cornell University Press, 1985), pp. 79 - 81; Seale, *Asad of Syria: The Struggle for the Middle East*, p. 52; Petran, *Syria*, p. 116; =

وضع غزو السويس خصوم مصر من البلدان العربية في حالة دفاع، فقد كان ذلك الغزو يهدد على وجه الخصوص بقاء نظام نوري السعيد. سارت مظاهرات كبيرة في بغداد وغيرها من المدن العراقية وهي تستنكر العدوان وتطالب الحكومة بمساندة مصر. وأجبرت المشاعر القومية العارمة نظام الحكم العراقي الموالي للغرب على قطع العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا وعلى استبعاد بريطانيا من مداولات حلف بغداد. وعلى الرغم من التزامات ليبيا تجاه لندن بموجب معاهدتها معها أفادت حكومتها بشكل قاطع بأنها لن تسمح لأية قوة أجنبية باستخدام أراضيها لشن هجوم على مصر. وقد طلب المسؤولون الليبيون أيضاً من بريطانيا تقديم ضمان مطلق بذلك[(٨٠)].

هذا ومن الصواب القول إنه باستثناء سوريا كان الحكام العرب سيتنفسون الصعداء لو جرى تحطيم عبد الناصر. لكن الرأي العام كان من القوة بحيث وجد الزعماء العرب أنه من اللازم التغني بلسان معسول بالتضامن العربي وبالوقوف صفاً واحداً مع مصر، الأمر الذي يبين بوضوح شدة التفاعلات والروابط في المنظومة الفرعية للبلدان العربية. إن أحداثاً تقع في أحد البلدان العربية تكون ذات أهمية كبرى للبلدان العربية الأخرى وإن لم تمس مصالحها الحيوية.

بيد أن الاعتماد كلياً على التضامن المحلي ما كان له أن ينقذ عبد الناصر مما هو فيه. وقد أدرك عبد الناصر الحاجة إلى الإسناد من الدول الكبرى إذا أراد أن يكتب لنظام حكمه البقاء. كانت خياراته محدودة؛ فمع أنه كان يعتبر السوفيات من الأصدقاء، إلا أنه كان يدرك بألم أنهم لا وجود لهم عسكرياً في المنطقة. وكان النفوذ السوفياتي الجيوسياسي اسمياً، كما أن انشغال السوفيات ببولندا والمجر في أواخر عام ١٩٥٦ كان سيمنعهم من القيام بدور حاسم في أزمة السويس. فليس من الغريب ألا يطلب عبد الناصر، ولا كان يريد، أي تدخل مباشر من موسكو[(٨١)].

Torrey, *Syrian Politics and the Military, 1945 - 1958*, pp. 323 - 324, and Snow, *Hussein: A Biography*, p. 100. =

(٨٠) كبة، **مذكراتي في صميم الاحداث، ١٩١٨ ـ ١٩٥٨**، ص ٣٦٨ ـ ٣٧١؛ Marion Farouk-Sluglett and Peter Sluglett, *Iraq since 1958: From Revolution to Dictatorship* (London: KPI, 1987), p. 44; Waldemar J. Gallman, *Iraq under General Nuri: My Recollections of Nuri al-Said, 1954 - 1958* (Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press, 1964), pp. 74 - 75, and Majid Khadduri, *Modern Libya: A Study in Political Development* (Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press, 1963), pp. 270 - 271.

(٨١) صادف حدوث صراع السويس مع الأزمة المجرية، إذ قام الجيش السوفياتي في ٢٤ تشرين الاول/اكتوبر ١٩٥٦ بدخول بودابست لسحق الانتفاضة التي قامت ضد نظام الحكم الشيوعي. استاء آيزنهاور ودالاس من هجوم الحليفتين على مصر لأنه حوّل انتباه العالم عن الانقلاب السوفياتي في المجر. انظر: نصر، **مذكرات: ثورة ٢٣ يوليو بين المسير والمصير، الاصول**، ج ١، ص ٢٦٨؛ Heikal, *Sphinx and Commissar: The Rise and Fall of Soviet Influence in the Arab World*, pp. 70 - 71, and Hewedy, «Nasser and the Crisis of 1956,» p. 171.

كانت الولايات المتحدة هي الخيار المعقول الوحيد المفتوح أمام عبد الناصر، وقد بادر إلى استخدامه، ففي الثلاثين من تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٦ طلب من السفير الأمريكي الجديد ريموند هير إبلاغ آيزنهاور رسالة مستعجلة تطالب «بدعم الولايات المتحدة ضد العدوان الأنغلو ـ فرنسي ـ الإسرائيلي». وقال إنه كان مستعداً حتى لتلقي مساعدة عسكرية أمريكية. وشدد على أن الطلب المصري طلب مخلص وقد جرى التوصل إليه بعد مداولات متأنية. ومع أن هذه كانت المرة الأولى التي يطلب فيها مثل هذه المساعدة إلا أن عبد الناصر كان قد توصل إلى نتيجة هي أن الأمر مسألة حياة أو موت بالنسبة إلى مصر[٨٢].

وسواء وقع هذا الطلب أو لم يقع كان الرد الأمريكي على الغزو الثلاثي لمصر عدائياً جداً. ففي الثلاثين من تشرين الأول/أكتوبر رفعت إدارة آيزنهاور المسألة إلى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة قبل أن يرفعها السوفيات إليه. رفضت بريطانيا وفرنسا الاشتراك في مشروع القرار المقدم، واستعملتا ضده في النهاية حق النقض، وكان القرار يدعو إلى وقف فوري لإطلاق النار وإلى انسحاب إسرائيل في الحال. وحين اتضح للولايات المتحدة مدى التواطؤ الجاري بين الدول الثلاث صارت المواجهة بين أمريكا وحليفاتها الأوروبيات أمراً محتماً لا مفر منه[٨٣].

ثمة عوامل متعددة قررت طبيعة رد الفعل الأمريكي. **أولاً**، ما إن أدرك آيزنهاور ودالاس أنهما قد خدعا من قبل شركاء الناتو حتى شعرا بالغضب الشديد من عدم استعداد هؤلاء للأخذ بنصيحة الولايات المتحدة، ومن حزمهم في رفضها. وقد شكك رئيس الجمهورية في قيمة مثل هؤلاء الحلفاء الذين لا يعوّل عليهم، وقد شعر بأنه خدع وأن شرف الولايات المتحدة صار على المحك. ووافقه دالاس في ذلك وأضاف أنه كان قلقاً كثيراً بشأن توافق الولايات المتحدة مع أمم تجري وراء مطالب استعمارية لا تتفق مع سياسات أمريكا[٨٤].

---

(٨٢) من السفارة في مصر الى وزارة الخارجية، القاهرة، ٣١ تشرين الاول/اكتوبر ١٩٥٦، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, Suez Crisis, 1956*, vol. 16, pp. 898 - 900.

إن ما كتبه معاونو عبد الناصر ومن ضمنهم هيكل، لم يأتِ قط على أية إشارة الى هذا الاجتماع المهم بين عبد الناصر وهير ولا الى الطلب الذي تقدم به الزعيم المصري.

(٨٣) البيت الأبيض، واشنطن، ٢٩ تشرين الاول/اكتوبر ١٩٥٦، في: المصدر نفسه، ج ١٦، ص ٨٣٥؛ R. Murphy, *Diplomat among Warriors* (New York: Doubleday, 1964), pp. 389 and 392, and Adams, *First-Hand Report: The Inside Story of the Eisenhower Administration*, pp. 205 - 206.

(٨٤) البيت الأبيض، ٢٩ و٣٠ تشرين الاول/اكتوبر ١٩٥٦، واشنطن، في: المصدر نفسه، ج ١٦، ص ٨٣٦ و٨٥٤.

ثانياً، وهذا عامل يتصل بالأول، وخلاصته أن دالاس كان يتخوف من أن يؤدي توافق الولايات المتحدة الوثيق مع الدول الأوروبية إلى اصطفاف إقليمي عربي ضد الغرب. وقد اعتقد أن حرب السويس قد دقت ناقوس الموت إعلاناً لزوال بريطانيا وفرنسا من العالم العربي ـ الإسلامي. كان أمام واشنطن خياران: أولهما أن تنأى بنفسها عن السياسات الإمبريالية للدول الأوروبية، وأن تحول دون انتقال الدول المستقلة حديثاً من الكتلة الرأسمالية إلى الكتلة الاشتراكية. والخيار الثاني أن تؤيد بريطانيا وفرنسا وبذلك تشاركهما مصيرهما في الشرق الأوسط. وقد قال آيزنهاور بوضوح تام إنه مع وقوفه بجانب الحلفاء الغربيين ضد الشيوعية إلا أنه لا يريد أن يقف بجانبهم في الشرق الأوسط: «كيف يمكننا مساندة بريطانيا وفرنسا إذا كنا نخسر بذلك العالم العربي بأسره؟»(٨٥).

ثالثاً، لعب العامل السوفياتي دوراً رئيسياً في حسابات الولايات المتحدة. ففي ذروة الحرب الباردة كان العالم الثالث هو الحلبة الرئيسية للتنازع الأمريكي ـ السوفياتي. كانت كلتا الدولتين العظميين تتنافس بضراوة لتوسيع نفوذها هناك. وكان ازدياد نفوذ إحداهما يعتبر خسارة للأخرى. كان آيزنهاور ودالاس كلاهما قلقاً لئلا يستغل خروتشوف أزمة السويس فيطبق على صولجان الزعامة العالمية من خلال تصدره في المناداة بحقوق الدول الصغيرة. كلاهما أراد أن يجهض أي تحرك سوفياتي في ذلك الاتجاه. وكان القيام بذلك يتطلب إعادة توكيد الزعامة الأمريكية من جديد وذلك بمعارضة العدوان الثلاثي(٨٦). إن هذا يعكس الحقيقة التي مفادها أن العلاقات بين الدول العظمى ذاتها تؤثر في علاقاتها مع البلدان العربية. لقد عمل التنازع الشديد بين الكتلتين الغربية والشرقية لصالح مصر من حيث إن مصر قد عززت قوتها التساومية حيال الدول العظمى.

رابعاً، إن الغزو الثلاثي للسويس انتهك، بنظر الولايات المتحدة، التعهدات التي وردت في البيان الثلاثي الصادر في عام ١٩٥٠، شعر كل من آيزنهاور ودالاس أنه ملزم بالوفاء بوعد الولايات المتحدة بالوقوف إلى جانب ضحايا العدوان في الشرق الأوسط. ارتأى آيزنهاور في ظل الظروف التي كانت سائدة أن على الولايات المتحدة ألا تكون ملزمة بتحالفاتها التقليدية ولكن عليها بدلاً من ذلك أن تواجه مسألة معينة هي كيف لها أن تفي بالتزامها المنصوص عليه في معاهدة. وقال إنه لا يؤيد مساعدة المصريين «لكنه شعر بوجوب الوفاء بكلمة أمريكا». وشدد القول إنه حتى ولا الانتخابات الرئاسية

---

(٨٥) محادثة هاتفية بين الرئيس ووزير الخارجية، واشنطن، ٣٠ تشرين الاول/اكتوبر ١٩٥٦، ومباحثة حول الاجتماع رقم ٣٠٢ لمجلس الأمن القومي، واشنطن، ١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٦، في: المصدر نفسه، ج ١٦، ص ٨٧٠، ٩٠٦ و٩١٠.

(٨٦) مؤتمر مع الرئيس، ٢٩ تشرين الاول/اكتوبر ١٩٥٦؛ اجتماع مجلس الأمن القومي الرقم ٣٠٢، ١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٦، ومذكرة من الرئيس، واشنطن، ١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٦، في: المصدر نفسه، ج ١٦، ص ٨٣٥، ٩٠٦، ٩١٥ و٩٢٤.

القادمة سيكون لها أي تأثير على قراره[٨٧].

أخيراً، لم يعر غزو مصر أي اعتبار لتعهدات الحلفاء، كما أنه انتهك مبادىء الأمم المتحدة. وكون الولايات المتحدة قوة راهنة كانت مهتمة بحماية الأمم المتحدة ولا يمكنها الموافقة على انتهاك حلفائها لتوجيهات هذه المنظمة لئلا يخلق ذلك سابقة يتمسك بها خصومها. وفي خطاب تلفزيوني إلى الأمة ألقاه آيزنهاور ليتحدث عن التطورات في المجر ومصر قال إنه لا يمكن أن يكون هناك سلام من دون قانون، ولا يمكن أن يكون هناك قانون إلا إذا وجدت شرعة واحدة للسلوك الدولي تطبق على الأصدقاء والخصوم على السواء[٨٨].

لهذه الأسباب كلها عارضت إدارة آيزنهاور حرب السويس، ووجهت ضغطاً شديداً نحو حلفائها لإيقاف القتال. وفي ٣١ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٦ فرضت الولايات المتحدة شيئاً من العقوبات الاقتصادية والعسكرية ضد إسرائيل. هذا ولإقناع بن غوريون أن الولايات المتحدة جادة في العمل الذي تقوم به أصدر آيزنهاور أوامر محددة إلى وزارة خارجيته لتقوم بإخبار إسرائيل بأن إدارته للأزمة لن تتأثر بالسياسات الداخلية: «إن علينا أن ندير شؤوننا كما لو لم يكن بيننا يهودي واحد في أمريكا. إن رفاه بلادنا ومصالحها المثلى ستكونان هما المعيار الوحيد الذي نعمل بموجبه»[٨٩].

كذلك قامت الحكومة الأمريكية بتفعيل ترسانتها الاقتصادية ضد شركائها في حلف الناتو. كان آيزنهاور ودالاس على علم بالحالة القلقة التي تسود الخزين النفطي واحتياطي العملة في بريطانيا، لكنهما رفضا تزويدها بالنفط. قال آيزنهاور إن على بريطانيا وفرنسا أن تتدبرا مشاكل الطاقة فيهما من دون تدخل من الغير ـ «لكي تغليا في نفطهما، كما يقال». وكان دالاس يعتقد أن أوروبا تعتمد كل الاعتماد على الولايات المتحدة من أجل الإسناد الاقتصادي والعسكري والسياسي في أرجاء العالم، وكان واثقاً أن إيدن ومولييه سرعان ما سيرضخان لرغبات الولايات المتحدة[٩٠].

---

(٨٧) مؤتمر مع الرئيس، ٢٩ و٣٠ تشرين الاول/اكتوبر ١٩٥٦، في: المصدر نفسه، ج ١٦، ص ٨٣٤ ـ ٨٣٦.

(٨٨) اجتماع مجلس الأمن القومي الرقم ٣٠٢، ١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٦، في: المصدر نفسه، ج ١٦، ص ٩١١ و٩١٤؛ *Department of State Bulletin* (12 November 1956), pp. 743 - 745, and William R. Polk, *The Arab World,* 4th ed. (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1980), p. 328.

(٨٩) مكتب الوزير دالاس، وزارة الخارجية، واشنطن، ٣١ تشرين الاول/اكتوبر ١٩٥٦؛ اجتماع مجلس الأمن القومي الرقم ٣٠٢، ١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٦، ومن الرئيس آيزنهاور الى سويد هازلت، واشنطن، ٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٦، في: المصدر نفسه، ج ١٦، ص ٨٩١ ـ ٨٩٢، ٩٠٥ ـ ٩٠٦ و٩٤٤.

(٩٠) اجتماع مجلس الأمن القومي الرقم ٢٩٩، واشنطن، ٤ تشرين الاول/اكتوبر ١٩٥٦، والبيت الأبيض، واشنطن، ٣٠ تشرين الاول/اكتوبر ١٩٥٦، في: المصدر نفسه، ج ١٦، ص ٦٣٦ و٨٧٣، و =

واصلت إدارة آيزنهاور توجيه ضغطها بلا هوادة ضد الحلفاء المتعنتين. فبعد دحر القرار الأمريكي في مجلس الأمن دعت الولايات المتحدة إلى عقد اجتماع للجمعية العامة للأمم المتحدة بموجب القرار المعروف باسم «الاتحاد من أجل السلام». وفي الأول من تشرين الثاني/نوفمبر أقرت الجمعية العامة قراراً أمريكياً يدعو إلى وقف فوري لإطلاق النار وإلى انسحاب القوات من مصر. وشددت الولايات المتحدة ضغطها الاقتصادي على حلفائها الأوروبيين وذلك بأن سمحت بمضايقة الجنيه الاسترليني من جهة، وبرفضها التدخل للتخفيف من شحّ الوقود، من جهة أخرى. في السادس من الشهر المذكور استسلم إيدن وموليه، فقد كانا محاصرين داخل بلديهما ويخضعان للضغط خارجهما، للضغوط الاقتصادية الأمريكية فوافقا على وقف فوري لإطلاق النار وعلى الانسحاب. وفي الثامن من ذلك الشهر وافقت إسرائيل على الانسحاب من بعض الأراضي التي احتلتها وليس كلها[٩١].

أما الرد الأولي للكرملين على غزو مصر فلم يكن بالقوة التي تمنتها القاهرة، على العكس من موقف الحكومة الأمريكية. ما إن وصل شكري القوتلي، رئيس الجمهورية السورية، إلى موسكو حتى طلب المساعدة باسم مصر مؤكداً الوضع اليائس الذي كانت فيه والحاجة إلى مساعدة سوفياتية عاجلة لمقاومة الغزو الثلاثي. كان جواب القادة السوفيات إلى عبد الناصر الذي حمله القوتلي والسفير المصري في موسكو هو عدم استطاعتهم تزويد مصر بأية وسائل عسكرية ذات بال لإيقاف العدوان، مشيرين على مصر أن تحاول حل الصراع من خلال القنوات الدبلوماسية والسياسية[٩٢].

لم تصبح الدبلوماسية السوفياتية أكثر نشاطاً وفعالية حتى الرابع من تشرين الثاني/ نوفمبر. ذلك أن القوات الغازية السوفياتية كانت قد نجحت بحلول ذلك التاريخ بسحق الثورة في المجر، ولأن الموقف الأمريكي نحو حرب السويس كان واضحاً تماماً، حتى لموسكو. أرسلت وزارة الخارجية السوفياتية رسالة إلى بريطانيا وفرنسا استنكرت فيها

Diane B. Kunz, «The Importance of Having Money: The Economic Diplomacy of the Suez = Crisis,» in: Louis and Owen, eds., *Suez 1956: The Crisis and Its Consequences*, pp. 216 and 226 - 227.

(٩١) ملاحظة تحريرية، ١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٦، في: United States, Department of State, Ibid., vol. 16, p. 933; Adams, *First-Hand Report: The Inside Story of the Eisenhower Administration*, pp. 210 - 215; Murphy, *Diplomat among Warriors*, pp. 392 - 393; Kyle, «Britain and the Crisis, 1955 - 1956,» p. 129, and Kunz, Ibid., pp. 227 and 230 - 231.

(٩٢) Heikal: *Sphinx and Commissar: The Rise and Fall of Soviet Influence in the Arab World*, pp. 70 - 71, and *Cutting the Lion's Tail: Suez through Egyptian Eyes*, pp. 208 - 209; Sayed-Ahmed, *Nasser and American Foreign Policy, 1952 - 1956*, p. 142, and Campbell, «The Soviet Union, the United States, and the Twin Crises of Hungary and Suez,» pp. 245 - 246.

أعمالهما غير الشرعية وألقت عليهما المسؤولية الكاملة عن كل العواقب المحتملة التي تنجم عن تلك الأعمال. وقام بولغانين كذلك بإرسال خطاب إلى آيزنهاور يقترح فيه عملاً عسكرياً مشتركاً تقوم به الدولتان، الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، لإيقاف العدوان الثلاثي(٩٣).

ومن ثم، وفي الخامس من الشهر المذكور ألقى الكرملين بقنبلته الموقوتة وكانت على شكل رسائل تهديد إلى بريطانيا وفرنسا وإسرائيل، تهدد بسحق المعتدين وإعادة السلام إلى الشرق الأوسط. قرر السوفيات في هذه المرحلة النهائية أن يدخلوا حلبة النزاع لكي يجنوا بعض المكاسب السياسية في الوطن العربي. كان ذلك القرار حركة تكتيكية ترمي إلى بث السطوة السوفياتية وتوسيعها في العالم النامي. ومع أن من الصعب تقرير جدية الرسائل السوفياتية إلا أن المسؤولين الغربيين والإسرائيليين لمسوا فيها تهديدات مبطنة بهجوم صاروخي باليستي محتمل. تكمن أهمية تلك الرسائل في أنها عجلت المداولات النهائية بين إيدن وموليه وبن غوريون للقبول بوقف فوري لإطلاق النار(٩٤).

وعلى الرغم من توقف الأعمال العدائية في ٧ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٦ لم ينسحب آخر جندي إسرائيلي من مصر حتى شهر آذار/مارس ١٩٥٧. وأدت الاتهامات والاتهامات المقابلة التي دامت أربعة أشهر إلى تعكير العلاقات الأمريكية ـ الإسرائيلية، وهي علاقات وثيقة نسبياً. كان في صميم الخلاف الأمريكي ـ الإسرائيلي رفض بن غوريون شرعية الوضع الراهن للأراضي كما نصت عليه اتفاقية الهدنة لسنة ١٩٤٩ بين مصر وإسرائيل. كانت هذه الاتفاقية بالنسبة إلى بن غوريون وثيقة ميتة، وكان يريد

---

(٩٣) سارع آيزنهاور الى رفض اقتراح بولغانين وحذره من إدخال أية قوات عسكرية الى الشرق الأوسط إذ إن واشنطن ستعارض ذلك، انظر: *Soviet News*, 6/11/1956; *New York Times*, 6/11/1956; Campbell, Ibid., p. 246; Eisenhower, *The White House Years: Waging Peace, 1956 - 1961*, pp. 89 - 90;

من بولغانين الى آيزنهاور، موسكو، ٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٦، وأخبار صادرة عن البيت الأبيض، واشنطن، ٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٦، في: United States, Department of State, Ibid., vol. 16, pp. 991 and 1007 - 1008.

(٩٤) كان فزع البريطانيين والفرنسيين شديداً من التهديدات السوفياتية. وقد اتصلوا بالحكومة الأمريكية طالبين إعادة تفعيل التعهد الأمريكي بموجب حلف الاطلسي. قال آيزنهاور «إنهم خائفون». انظر: Yaacov Ro'i, *From Encroachment to Involvement: A Documentary Study of Soviet Policy in the Middle East, 1945 - 1973* (New York: John Wiley, 1974), pp. 188 - 191; Moshe Dayan, *Diary of the Sinai Campaign* (New York: Dacapo Press, 1991), p. 185;

وزارة الخارجية، واشنطن، ٦ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٦؛ تقرير استخباراتي خاص بتقدير موقف، واشنطن، ٦ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٦؛ مدير السكريتاريا التنفيذية (هاو)، واشنطن، ٧ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٦، وغرفة الوزير دالاس في مستشفى وولتر ريد، واشنطن، ٧ تشرين الثاني/نوفمبر١٩٥٦، في: United States, Department of State, Ibid., vol. 16, pp. 1018, 1020, 1023, 1047 and 1049.

الحصول من مصر على تنازلات ملموسة لقاء الانسحاب(٩٥). بعبارة أخرى، إن النظام الإقليمي لما بعد السويس ينبغي أن يعكس ميزان قوة جديداً تكون إسرائيل فيه اللاعب المهيمن.

شعر آيزنهاور ودالاس بقلق عميق من قرار بن غوريون الإبقاء على قواته في سيناء وغزة، وهو قرار لا يمكن، بنظر آيزنهاور، إلا أن يؤدي إلى إدانة إسرائيل لانتهاكها مبادىء الأمم المتحدة وتوجيهاتها. وقد قام رئيس الجمهورية بتحذير رئيس الوزراء الإسرائيلي من أن عدم الامتثال لقرار الأمم المتحدة سيضر بالتعاون الودي القائم بين البلدين. بل إنه هدد في إحدى المراحل باتخاذ إجراءات قد تكون لها «آثار وخيمة على علاقات إسرائيل في أرجاء العالم كله»(٩٦).

بحث وزير الخارجية الأمريكية بالوكالة هربرت هوفر الابن مع الدبلوماسيين الإسرائيليين إمكانية تطبيق عقوبات اقتصادية شاملة ضد إسرائيل، وإمكانية قيام حركة ذات قاعدة واسعة لتعليق عضوية إسرائيل في منظمة الأمم المتحدة أو طردها منها(٩٧). كذلك كان موقف المسؤولين الأمريكيين غامضاً بشأن نياتهم في حالة حدوث هجوم سوفياتي ضد إسرائيل. هذا، ومن الممكن تفسير مقاربة الإدارة الأمريكية المتصلبة نحو إسرائيل بمتطلبات سياسة الولايات المتحدة في المنطقة وفي العالم. فالتشدد مع إسرائيل بنظر الولايات المتحدة سيكسب هذه الأخيرة فضلاً ونفوذاً في أوساط العرب، كما أنه سيثني البلدان العربية عن التحول نحو موسكو. كان إبعاد السوفيات عن المنطقة من الأولويات العليا للحكومة الأمريكية(٩٨).

---

(٩٥) Yaacov Bar-Siman-Tov, *Israel, the Superpowers, and the War in the Middle East* (New York: Praeger, 1987), pp. 59 - 61.

(٩٦) من الرئيس آيزنهاور الى رئيس الوزراء بن غوريون، واشنطن، ٧ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٦، في: United States, Department of State, Ibid., vol. 16, pp. 1063 - 1064; من الرئيس آيزنهاور الى رئيس الوزراء بن غوريون، واشنطن، ٢٠ شباط/ فبراير ١٩٥٧، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1957: Arab-Israeli Dispute*, vol. 17, p. 226; Eisenhower, *The White House Years: Waging Peace, 1956 - 1961*, pp. 185 - 186, and Adams, *First-Hand Report: The Inside Story of the Eisenhower Administration*, pp. 221 - 227.

(٩٧) وزارة الخارجية، واشنطن، ٧ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٦، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States: Suez Crisis, 1956*, vol. 16, p. 1066; Golda Meir, *My Life: The Autobiography of Golda Meir* (London: Futura Publications, 1976), pp. 249 - 250, and Murphy, *Diplomat among Warriors*, p. 391.

(٩٨) اجتماع عُقد في مكتب هوفر، الوزير بالوكالة، وزارة الخارجية، واشنطن، ٧ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٦، في: United States, Department of State, Ibid., vol. 16, p. 1057, and مذكرة مباحثات مع الرئيس، توماس ڤيل، جورجيا، ١٦ شباط/ فبراير ١٩٥٧، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1957: Arab-Israeli Dispute*, vol. 17, p. 179.

كانت خيارات بن غوريون محدودة جداً. إنه، من جهة، لا يمكنه أن يستغل الاستقطاب في المنظومة الدولية بالتهديد بجعل سياسة إسرائيل الخارجية تقف في صف المعسكر الشرقي، فإسرائيل كانت على أية حال متواطئة مع بريطانيا وفرنسا، كما أنها موالية للغرب بشكلٍ لا مراء فيه. وهو، من جهة أخرى، لا يستطيع التعويل على الاعتبارات المحلية في داخل الولايات المتحدة لمساعدته في مقاومة الضغوط التي كان يمارسها آيزنهاور ودالاس على إسرائيل. إن آيزنهاور قد عرض القضية على الشعب الأمريكي فحصل منه على تفويض قوي بتنفيذ سياسته الخارجية.

وهكذا لم تترك الضغوط الأمريكية والتهديدات السوفياتية أمام بن غوريون خياراً سوى الموافقة على الانسحاب. إن هذه الحالة تصور محنة الفاعل الصغير وهو يعرض أمنه للأخطار في محاولة الانضمام إلى زمرة الدول الكبيرة مبالغاً ببسط سلطته. وقد قالت غولدا مئير وزيرة الخارجية في إسرائيل: «كان الأمر كأن العالم كله كان ضدنا فعلياً». وقال عن بن غوريون كاتب سيرته وموضع ثقته ميشيل بار - زوهار إن قرار الانسحاب كان أشد الأعمال إيلاماً له في حياته العملية. فالذي حصلت عليه إسرائيل لقاء ذلك كان تعهداً أمريكياً بحقها في المرور الآمن في خليج العقبة[٩٩].

عاشراً: مضاعفات حرب السويس

من القوانين الثابتة في السياسة ذلك القانون الذي يقول إن من النادر أن تؤتي الأعمال النتائج المقصودة منها، وقد أثبتت حرب السويس ذلك. كان الهدف المبطن لبريطانيا وفرنسا وإسرائيل يرمي إلى تحطيم عبد الناصر وإلى تهميش القوى الثورية للقومية العربية التي كان يمثلها. والهدف الآخر هو إيقاف التدهور في مكانة الدولتين، بريطانيا وفرنسا، في الشرق الأوسط وإظهار مركزهما كدولتين كبريين من خلال نشر جبروتهما العسكري. وقد حدث العكس. فقد تعزز وضع عبد الناصر داخلياً، وفي المنطقة، وارتفعت شعبيته إلى الأعالي في أرجاء الوطن العربي. كما أشعل صراع السويس جذوة عواطف الناس وطاقات حركة القومية العربية. وهكذا أصبحت قوة المشاعر القومية خطراً فتاكاً يهدد النظام العربي المحافظ والموالي للغرب.

هذا، وقد حدث تطور داخلي واحد يتمثل بوقوع صدع دقيق في صفوف الحاكمين

---

(٩٩) Meir, Ibid., p. 250; Michel Bar-Zohar: *Ben-Gurion*, translated by Peretz Kidron (London: Weidenfeld and Nicolson, 1978), pp. 250 - 251, and *The Armed Prophet: A Biography of Ben-Gurion*, translated from the French by Len Ortzen (London: Arthur Barker, 1966), pp. 249 - 245, and Bar-Siman-Tov, *Israel, the Superpowers, and the War in the Middle East*, pp. 61 - 65.

من الضباط الأحرار ستكون له آثار وخيمة على فعالية صنع القرار في مصر. فقد أربكت حرب السويس علاقة الصداقة الوثيقة بين رفيقي العمر عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر قائد القوات المسلحة، إذ لم يكن الزعيم المصري مرتاحاً لأداء الجيش المصري. وألقى على قائده مسؤولية عدم كفاية الجيش. ظل هذا الخصام يتفاعل وراء الكواليس ويشتد بمرور الزمن. وكانت النتيجة أن الزعامتين المدنية والعسكرية أخذت تخذل إحداهما الأخرى من حيث تدري أو لا تدري في مناسبات حاسمة، الأمر الذي أضر بسياسة مصر الخارجية.

كذلك عملت كارثة السويس على تسريع التدهور الأنغلو ـ فرنسي في المنطقة، فقد فضحت تلك المغامرة ضعف الدولتين واعتمادهما الاقتصادي والعسكري على الولايات المتحدة. وسترث هذه الأخيرة دور بريطانيا وفرنسا في الشرق الأوسط، كما سترث مع الأسف تركتهما فيه. بعبارة أخرى، أدى ذلك الصراع إلى حدوث تغيير جذري في هيكل القوة في العالم. إن الدول التي هي من الدرجة الثانية لن يسمح لها بعد الآن بأن تتحدى مصالح الدول العظمى فتكشف بذلك عن حدود قوة لهذه الدول العظمى ذاتها[١٠٠]. لقد ظهرت مرحلة جديدة في السياسات الدولية، في مرحلة حلت فيها الدول العظمى محل اللاعبين الاستعماريين الأوروبيين فصارت هي الأقطاب المهيمنة في المنظومة العالمية.

لم يكن هذا متصلاً فقط بحرب السويس، بل كان كذلك نتيجة لتغير ميزان القوى الدولية بعد عام ١٩٤٥ وما أعقبه من تنقل تدريجي في المصالح الدولية للولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وتحول في تصوراتهما العالمية. كلتا الدولتين كانت تطمح للزعامة العالمية، وجاء ظهور زعامة جديدة وناشطة في موسكو وواشنطن في الخمسينيات ليبث القوة في هذا المسعى. كان ستالين يركز اهتمامه بالدرجة الأولى على المسرح الأوروبي بصفته الضمانة المثلى لأمن الاتحاد السوفياتي، أما خروتشوف فقد وسّع أفقه ليشمل العالم الثالث وبضمنه الساحة العربية. وبحلول أواسط الخمسينيات كانت الزعامة في الكرملين قد ثبّتت لها موطئ قدم في مصر، وأصبحت أكثر انهماكاً في مناطق أخرى من العالم. وبدأ الاتحاد السوفياتي يقدم المساعدات السياسية والعسكرية والاقتصادية للشعوب غير الأوروبية التي تناضل لتحقيق الحرية والاستقلال، فحصل بذلك على النفوذ والسمعة وهدد مصالح الدول الغربية.

وبالنظر إلى حاجات الولايات المتحدة الأمنية في العالم فإنها كانت قلقة جداً من توسع السطوة السوفياتية وامتدادها. كانت إدارتا ترومان وآيزنهاور كلتاهما مصممة على احتواء هذا الخطر المحتمل. وقد تطلبت سياسة الاحتواء هذه أن تقوم الولايات المتحدة

(١٠٠) Albert Habib Hourani, *A History of the Arab Peoples* (London: Faber and Faber, 1991), p. 368.

بتولي دور قيادي في العالم. ومع وجود بعض الخلافات الطفيفة بين الحلفاء الغربيين خلال ولاية ترومان (١٩٤٥ ـ ١٩٥٢) كانت العلاقات بينه وبين حلفائه الأوروبيين يسودها الانسجام على العموم. بيد أن العلاقات الأمريكية ـ الأوروبية مرت في الخمسينيات بتحول حاسم. إن التغيير الذي جرى في زعامة الولايات المتحدة، مصحوباً بالتغييرات في مصالحها العالمية قد أدى إلى توتر في الصلات بين شركاء حلف الأطلسي.

كان آيزنهاور ودالاس كلاهما من الدعاة المتحمسين لجبهة غربية قوية ومتماسكة تحت قيادة الولايات المتحدة وحدها. كانت حماستهما التبشيرية ومناهضتهما للشيوعية قد جعلتاهما لا يتسامحان مع أي شكل من أشكال المعارضة أو أي عمل من الأعمال المستقلة من طرف الحلفاء. يضاف إلى هذا أن رئيس الجمهورية ووزير خارجيته كانا يشعران بعدم الارتياح بشأن الإرث الاستعماري لبريطانيا وفرنسا فكانا يترددان في الاشتراك في بعض سياسات هاتين الصديقتين. فضلاً عن ذلك فإن المصالح المادية للحلفاء الغربيين كان يتصادم بعضها مع بعضها الآخر في أنحاء معينة من العالم النامي. فلا غرابة أن تصل التوترات بينها إلى حدّ الغليان كما حدث خلال أزمة السويس.

أما على الصعيد الإقليمي فقد مضت الأيام التي كان فيها مسؤولو بريطانيا وفرنسا يمارسون سيطرة كاملة على مصير المنظومة الفرعية العربية. وكان تحدي عبد الناصر في عمله العنيف والمثير وما قام به من مقاومة شيئاً يكشف إلى حدٍ ما إفلاس دبلوماسية البوارج الحربية التي كانت سائدة تقليدياً. وبهذا المعنى كانت حرب السويس قد وضعت حداً فاصلاً في تاريخ العلاقات بين البلدان العربية والدول العظمى. وقد نجحت مصر في قلب هزيمة عسكرية مريرة إلى نصر سياسي مدوٍ، وذلك بفضل قدرتها على استغلال التناقضات التي كانت قائمة في داخل المعسكر الغربي. وخلق ذلك سابقة في أعين العرب: إن بوسع دولة صغيرة أن تتحدى دولاً كبرى مع التمتع بالحصانة. لم يعد من الممكن بعد الآن أن تملي الدول الكبرى شروطها وتفرضها فرضاً. إن النظام الاستعماري القديم في الشرق الأوسط قد ولّى إلى غير رجعة وحلت محله منظومة دولية جديدة يسودها الاستقطاب ويسهل استغلالها ومقاومتها. إن عصر السيطرة الاستعمارية قد حل محله الاستقلال المحلي لا سيطرة الدول العظمى.

إن أهمية حرب السويس تكمن في ما كان لها من أثر نفساني كبير على التصورات العربية للسياسات العالمية. وقد أقنعت مواجهة مصر لبريطانيا وفرنسا عدداً من البلدان العربية بقدرتها على الوقوف بوجه الدول الكبرى وتأكيد حقوقها. إن الوطن العربي قد أضحى قوة يحسب لها حسابها على المسرح الدولي، ولم يعد بوسع الدول الكبرى أن تأخذه مأخذ الأمر المفروغ منه، وسيكون عليها معالجة الهموم والأولويات العربية بشكل جاد تماماً.

ظلت مثل هذه المواقف تواجه المقاومة خارج الشرق الأوسط، فالدول العظمى لم تزل تشترك في وجهة نظر تقليدية عن العلاقات الدولية شبيهة بوجهة النظر البريطانية والفرنسية، وهي في جوهرها هرمية بحيث تلعب الدول العظمى الدور المهيمن والحاسم في إدارة المنظومة الدولية. أما الدول المحلية فهي محض دول تشاهد ما يجري من دون وظيفة مستقلة خارجية إلا باعتبارها دولاً تابعة.

وبالنظر إلى التباين الحاد في استقراء وتحليل أزمة السويس استنتج كلا الطرفين نتائج مختلفة. بالنسبة إلى العرب كانت الأزمة تمثل نقلة نوعية في طبيعة العلاقات بين الدول الصغيرة والكبيرة. أما بالنسبة إلى الدول العظمى فقد كانت حرب السويس أمراً شاذاً لا يقاس عليه، أي أن الصدام في مصالح البلدان العربية والدول العظمى لا يمكن فهمه بعد تلك الحرب إلا بالتركيز على جدول الأعمال والمواقف التي لا يمكن التوفيق بينها لكل من الطرفين. إن الفرضية الأولى التي تقدمها هذه الدراسة قد عكست الآراء المختلفة للجانبين معاً.

الفصل الرابع

محاولة «تطويع» عبد الناصر
١٩٥٧ ــ ١٩٥٨

يركز هذا الفصل على العلاقات بين البلدان العربية والدول العظمى من عام ١٩٥٧ إلى بداية عام ١٩٥٨. بدأت هذه الفترة بإعلان الولايات المتحدة عن مبدأ آيزنهاور للدفاع عن الشرق الأوسط وانتهت بالوحدة بين مصر وسوريا في دولة واحدة باسم الجمهورية العربية المتحدة. في هذه الأثناء وقعت أزمتان إحداهما في الأردن والأخرى في سوريا. إن تحليل هاتين الأزمتين سيلقي الضوء ليس فقط على تطبيق المبدأ المذكور وإنما أيضاً على أصل تكون الوحدة المصرية ـ السورية.

أولاً: مبدأ آيزنهاور

ساعدت حرب السويس عبد الناصر على أن يقدّر تقديراً تاماً التحول الجذري الذي جرى في ميزان القوى الدولي. لم يعد بوسع بريطانيا وفرنسا، وهما الدولتان الاستعماريتان الرئيسيتان اللتان كانتا مهيمنتين في المنطقة تقليدياً، أن تلعبا دور الدول الكبرى إلاّ ضمن سياق استراتيجية الولايات المتحدة في العالم. بعبارة أخرى، حلت هذه الأخيرة محل الدولتين المذكورتين كفاعل غربي مهيمن في الشرق الأوسط. وبنظر المصريين كانت الولايات المتحدة، وليس الاتحاد السوفياتي، هي التي أجبرت في النهاية الائتلاف الثلاثي على وقف إطلاق النار والانسحاب. وقد أخبر عبد الناصر وزراءه، في أول اجتماع لهم بعد الحرب، أن آيزنهاور ودالاس هما اللذان لعبا الدور الرئيسي والأكثر فعالية في صد العدوان[1].

أدرك عبد الناصر هذا التطور الجديد، وبدا متلهفاً لتحسين علاقته مع إدارة آيزنهاور على الرغم من عدم ارتياح الكرملين لذلك. ولتبديد مخاوف الإدارة الأمريكية أخبر

---

(١) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الأول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨** (القاهرة: مصلحة الاستعلامات، [د. ت.])، ص ٦١٧؛ سيد مرعي، **أوراق سياسية: من أزمة مارس الى النكسة** (القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٧٨) ص ٣٦٢؛ صلاح نصر، **مذكرات: ثورة ٢٣ يوليو بين المسير والمصير، الاصول** (القاهرة: مؤسسة الاتحاد، ١٩٨٦)، ج ١، ص ٢٨١، و Mohammed Hasanayn Heikal, *Sphinx and Commissar: The Rise and Fall of Soviet Influence in the Arab World* (London: Collins; New York: Harper, 1978), p. 72.

المسؤولين الأمريكيين أن سياسة عدم الانحياز التي يسير عليها هي في أساسها سياسة دفاعية. وأكد أيضاً أنه ليست لديه أية نية لتعريض تجهيزات إمدادات الغرب من النفط إلى الخطر وأنه ليست لديه خطة لتعزيز التعاون مع السوفيات. وحين سأله السفير الأمريكي هير عن التحركات السوفياتية في المنطقة قال له عبد الناصر إن مصر قد كافحت طويلاً للتخلص من الهيمنة الأجنبية وإنه لا ينوي أن تتكرر تجربة الهيمنة مع السوفيات هذه المرة، وانتهى إلى القول: «إني لا أثق بأية دولة من الدول الكبرى»[٢]. وقد أضحى شك عبد الناصر بالدول الكبرى سمة دائمة من سمات تفكيره، وهكذا غلّف هذا الشك نظرته إلى العالم وأثر في هذه النظرة. كان زعماء الغرب يحملون مواقف مشابهة نحو عبد الناصر. وكان لهذا الشك أن يفضي إلى مضاعفات مهمة في العلاقات بين مصر والدول الكبرى.

تشير الأدلة المتوفرة على أن الإدارة الأمريكية لم تكن تريد مصادقة عبد الناصر بل كانت بالأحرى تريد تطويعه. كان آيزنهاور ودالاس قد قررا بعد الحرب نقل عبء الشرق الأوسط من عاتق الحلفاء الأوروبيين إلى عاتق الولايات المتحدة. كانت هذه الأخيرة متوترة الأعصاب بشأن الوضع كله، كما كانت مهتمة بشأن احتمال حدوث «فراغات قوة» في مصر وسوريا في أعقاب انسحاب القوات البريطانية والفرنسية والإسرائيلية. وكانت تنظر إلى عبد الناصر بصفته أداة سوفياتية تعمل على تسهيل تطفل النفوذ السوفياتي في الشرق الأوسط. كانت واشنطن تؤمن بوجوب ردع السوفيات هناك لأن مصالح الولايات المتحدة الحيوية كانت على المحك[٣].

اتفقت الآراء في واشنطن على أن عبد الناصر لا يمكن الوثوق به، فيجب عزله وجعله يشعر بذلك. قال آيزنهاور: «إننا نعتبر عبد الناصر شخصاً يمثل نفوذاً شريراً». بل إن دالاس شعر حتى بالأسف لأن البريطانيين انسحبوا قبل الإطاحة به. لهذا وضعت الحكومة الأمريكية مجموعة من المبادرات ترمي إلى إجراء موازنة تجاه النفوذ المصري في الوطن العربي وإلى تقوية معارضي مصر في المنطقة. كان مبدأ آيزنهاور أخذ هذه المبادرات، ومنها أيضاً تعليق البرنامج الأمريكي المتواضع الخاص بتقديم مساعدات فنية

(٢) إن هيكل، وهو موضع ثقة عبد الناصر ومن المؤتمنين على أسراره، أخبر كذلك مصدراً استخباراتياً أمريكياً أن الرئيس المصري كان مدركاً تماماً اللعبة السوفياتية في المنطقة... مذكرة الى المساعد الخاص لوزير الخارجية الأمريكي لشؤون الاستخبارات (آرمسترونغ)، واشنطن، ٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٦؛ من السفير في مصر الى وزارة الخارجية، القاهرة، ٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٦؛ من وزارة الخارجية الى السفير في مصر، واشنطن، ١٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٦، ومن السفير في مصر الى وزارة الخارجية، ١٦ كانون الاول/ ديسمبر ١٩٥٦، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States: Suez Crisis, 1956*, vol. 16 (Washington, DC: Government Printing Office, 1989), pp. 1087, 1097, 1149 and 1316 - 1317, and Heikal, Ibid., p. 74.

(٣) مؤتمر مع رئيس الجمهورية، البيت الابيض، واشنطن، ١٩ و٢٠ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٦، واجتماع مجلس الأمن القومي الرقم ٣٠٥، واشنطن، ٣٠ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٦، في: المصدر نفسه، ج ١٦، ص ١١٥٣، ١١٦٩، ١٢٢٥ و١٢٢٨ - ١٢٢٩.

ومعونات من القمح إلى مصر[٤]. ألقى آيزنهاور خطاباً أمام جلسة مشتركة للكونغرس في الخامس من كانون الثاني/ يناير ١٩٥٧ أكد فيه أهمية الشرق الأوسط للولايات المتحدة، وحذر من الخطر الذي يتهدد حكومات المنطقة من قبل الشيوعية العالمية. ثم اقترح على الكونغرس إصدار قرار يخوله استخدام القوات المسلحة الأمريكية لضمان الاستقلال السياسي لدول المنطقة التي تهاجمها دولة ذات نظام حكم يسيطر عليه الشيوعيون[٥].

تكمن أهمية مبدأ آيزنهاور في أنه يؤشر لعمق التورط الأمريكي في المنطقة، فالولايات المتحدة قد أخذت على عاتقها المسؤوليات التي كانت تتولاها شريكاتها الأوروبيات هناك. ترتبت على ذلك نتيجتان، أولاهما أن إدارة آيزنهاور ستجد نفسها في السنتين التاليتين محشورة في مواجهةٍ مع قوى القومية العربية الراديكالية. والثانية هي امتداد الحرب الباردة في الساحة العربية امتداداً كاملاً. إن المنطق وراء مبدأ آيزنهاور يلقي ضوءاً على بعض الأسئلة الرئيسية التي تثيرها هذه الدراسة ومنها: إلى أي مدى يمكن لدولة عظمى أن تفرض آراءها على فاعلين محليين من الذين لا يستجيبون للقبول بها؟ وما مدى الهرمية في العلاقة بين الدول الكبيرة والصغيرة؟

أما بنظر القوميين العرب فإن حرب السويس قد أزالت أسطورة التهديد السوفياتي لأمن المنطقة، فأخذوا يعتقدون أن تأكيد مبدأ آيزنهاور على خطر الشيوعية العالمية هو في غير محله. إن الأعداء الرئيسيين بنظرهم هم بريطانيا وفرنسا وإسرائيل. وبهذا المعنى من الممكن القول ان المبدأ المذكور لم يأخذ بالحسبان الحاجات والمخاوف العربية. قال عبد الناصر للسفير هير إن اقتراح الرئيس آيزنهاور كان غامضاً ولا يمت بصلة للمشاكل الحالية في المنطقة مثل التنمية الاقتصادية والاستقلال السياسي وقضية فلسطين. وبنظر ألبرت حوراني فإن هذه القضية الأخيرة «أصبحت مشكلة عمومية تتدخل في العلاقات السياسية كلها»[٦].

---

(٤) محادثة بين رئيس الجمهورية ووزير الخارجية دالاس في غرفته في مستشفى وولتر ريد، واشنطن، ١٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٦، ومن رئيس الجمهورية الى وزير الخارجية، أوغستا، ولاية جورجيا، ١٢ كانون الاول/ ديسمبر ١٩٥٦، في: المصدر نفسه، ج ١٦، ص ١١١٤ و١٢٩٧؛
John C. Campbell, *Defense of the Middle East: Problems of American Policy* (New York: Harper, 1958), pp. 128 - 129, and William J. Burns, *Economic Aid and American Foreign Policy toward Egypt, 1955 - 1981* (Albany, NY: State University of New York Press, 1985), p. 108.

(٥) إن القرار المتعلق بالشرق الأوسط الذي عرف فيما بعد باسم مبدأ آيزنهاور كان قد أقر من قبل مجلس الشيوخ ومن قبل مجلس النواب في ٥ و٧ على التوالي من شهر آذار/ مارس. وجرى التوقيع عليه فأصبح قانوناً في ٩ آذار/ مارس ١٩٥٧. ملاحظة تحريرية، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1957: Arab-Israeli Dispute,* vol. 17 (Washington, DC: Government Printing Office, [n. d.]), pp. 7 - 8, and *Department of State Bulletin* (21 January 1957), pp. 83 - 87.

(٦) Albert Habib Hourani, *A Vision of History: Near Eastern and Other Essays* (London: = Constable, 1961), p. 137;

ولا عجب ألا يلقى مبدأ آيزنهاور إلا تأييداً فاتراً في الوطن العربي. رفضت مصر وسوريا الطرح الذي يقوم عليه المبدأ وهو وجود فراغ في الشرق الأوسط، وكانتا تريان أيضاً أن اقتراح رئيس الجمهورية كان موجهاً ضدهما وليس ضد تهديد سوفياتي محتمل. بعبارة أخرى، كانت إدارة آيزنهاور تقاتل القومية العربية تحت ستار مقاتلة الشيوعية. إن الولايات المتحدة قد تسلمت، بنظر المصريين والسوريين، الصولجان الإمبريالي الذي كان بعهدة بريطانيا وفرنسا، وان هذا واضح من رفض الحكومة الأمريكية الاعتراف بحق الدول الصغيرة اتباع سياسات مستقلة ومن محاولتها تنظيم المنطقة تحت زعامتها(٧).

كان مما يثير امتعاض العراق والسعودية والأردن أنها لا تستطيع إظهار توافقها علناً مع مبدأ آيزنهاور. إن البيئة الإقليمية قد فرضت حدوداً وشروطاً معينة لا يسع الحكام العرب تجاهلها وإلا تعرضوا للأخطار. وكانت قدرة عبد الناصر على استثارة الجماهير وتعبئة الرأي العام العربي تعمل على ردع الأنظمة العربية الموالية للغرب عن مساندة المبدأ المذكور. مثلاً، قام الأردن بالشيء الكثير لينأى بنفسه عن برنامج آيزنهاور على الرغم من اعتماده على المساعدات الأمريكية. وقد وعد بأنه لن يتصرف من جانبه فقط ويقوم بعمل انفرادي من دون إجماع عربي(٨).

وجاء رد الفعل الدولي تجاه مبدأ آيزنهاور كرد الفعل العربي في سلبيته. ففي نظر السوفيات كان هذا المبدأ حركة أمريكية محسوبة للحلول محل النفوذ البريطاني في الشرق الأوسط ولمنع أي تقدم سوفياتي جديد، وهو أيضاً أكثر خطراً من حلف بغداد لأن واشنطن هي القوة المحركة وراءه، ولأن الاتحاد السوفياتي هو هدفه الرئيسي. واتخذ رد الكرملين شكلين، **أولهما**: التأكيد على حق البلدان العربية في ملء الفراغ الذي تركته بريطانيا وفرنسا وراءهما؛ **والثاني**: تحديد شكل السياسة السوفياتية على صورةٍ تعارض

= صلاح الدين البيطار، **السياسة العربية بين المبدأ والتطبيق** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٠)، ص ٩٧ و٩٩، ومن السفير الأمريكي في مصر الى وزارة الخارجية، القاهرة، ١٠ كانون الثاني/ يناير ١٩٥٧، في:
United States, Department of State, Ibid., vol. 17, pp. 17 - 18.

(٧) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الأول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨**، ص ٦٤٧، ٦٤٩ و٦٦٤؛ Mahmoud Fawzy, *Suez: An Egyptian Perspective* (London: Shorouk International, [n. d.]), pp. 116 - 117;

البيطار، المصدر نفسه، ص ٩٥ ـ ٩٦، ٩٩، ١٠١ و١٠٦، وخالد العظم، **مذكرات خالد العظم**، ٣ ج (بيروت: الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٢)، ج ٢، ص ٢٤.

(٨) **مجموعة خطب الملك حسين: ٢٥ عاماً من التاريخ، ١٩٥٢ ـ ١٩٧٧** (لندن: مؤسسة سمير مطاوع للنشر، ١٩٧٨)، ص ١٥٠. كانت ليبيا ولبنان هما القطرين العربيين الوحيدين آنذاك، اللذين وافقا علناً على مبدأ آيزنهاور وعلى تلقي المساعدات الاقتصادية والعسكرية التي كان يقدمها المبدأ المذكور. كان لبنان سيدفع في ما بعد ثمناً سياسياً باهظاً من جراء التزامه الصريح بمناصرة الغرب.

الولايات المتحدة[٩].

شن السوفيات سلسلة من الهجمات على المبدأ المذكور واستنكروه بصفته مظهراً من مظاهر الاستعمار الذي يهدد استقلال الدول المحلية في المنطقة. كان هذا منسجماً مع الاستراتيجية السوفياتية العمومية التي تخص المنطقة بعد حرب السويس. إن القيادة في الكرملين، على الضد من إدارة آيزنهاور، قد اعترفت بالقومية العربية كقوة رئيسية يحسب لها حسابها في المنطقة. لذا قرر السوفيات التعاون مع هذه الحركة البرجوازية وذلك لمد نفوذهم وكسب مجالات جديدة هناك. ولا غرابة أن يجري النظر إلى السياسة السوفياتية بخصوص الشرق الأوسط على أنها أكثر استجابةً للحاجات والهموم المحلية[١٠]. وكما ذكرنا سابقاً، كانت هذه السياسة الجديدة نتاج التغييرات في القيادة في الكرملين وفي مصالحها في العالم.

ثانياً: الأزمة الأردنية

كان لا بد لاشتداد حدة التوتر في الحرب الباردة أن تعقّد السياسات العربية. إن الدول الصغيرة لا تستطيع، مهما كانت مرنة، أن تعزل نفسها عن النفوذ الخارجي. وتصدق هذه الحقيقة من حقائق الحياة أكثر ما تصدق على الشرق الأوسط لأن هذه المنطقة كانت «أكثر المنظومات الفرعية للعلاقات الدولية اختراقاً في عالم اليوم»[١١]. ونتج عن ذلك ترابط السياسات المحلية والإقليمية والدولية ترابطاً وثيقاً، كان هذا صحيحاً في الأزمة الأردنية التي حدثت في نيسان/ ابريل ١٩٥٧ أكثر من أي مكان آخر.

إن التوجه المحافظ الذي كان يسير عليه الأردن جعل وضعه شاذاً مع شريحة كبيرة من القوميين الفلسطينيين الذين يعيشون في ظلّ السيادة الأردنية. وبما أن الأردن هو من أصغر أعضاء المنظومة الفرعية العربية، فإنه لم يستطع أن يحمي نفسه من رياح القومية الثورية التي كانت تهب عبر الحدود من مصر وسوريا. وتعقّد هذا التصادم بين الديناميات الداخلية وديناميات المنطقة من جراء موقف الحكم الموالي للغرب والمناهض للشيوعية وهو موقف يتسم بالتحدي. وتفاقمت الأزمة في أعقاب تعيين سليمان النابلسي رئيساً للوزراء.

---

(٩) هيلين كارير دانكوس، **السياسة السوفياتية في الشرق الأوسط، ١٩٥٥ ـ ١٩٧٥**، ترجمة عبد الله اسكندر (بيروت: دار الكلمة للنشر، ١٩٨٣)، ص ٥٨ ـ ٥٩.

(١٠) *New York Times*, 13/1/1957; Hashim S. H. Behbehani, *The Soviet Union and Arab Nationalism, 1917 - 1966* (London: Routledge and Kegan Paul, 1986), pp. 155 - 156, and **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الأول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨**، ص ٦٥٠.

(١١) Leon Carl Brown, *International Politics and the Middle East: Old Rules, Dangerous Game* (London: I. B. Tauris; Princeton, NJ: Princeton University Press, 1984), p. 4.

لم يكن النابلسي مرتاحاً من علاقة حكومته الخاصة مع الغرب ومن استعدائها لمصر، فحاول أن يضع جدول عمل جديداً للأردن في السياسات الإقليمية والدولية. كان هذا يعني محلياً أن النابلسي يزداد اقتراباً من عبد الناصر. كما أنه أكد أن عدم الانحياز هو حجر الزاوية في سياسة الأردن الخارجية. وفي هذا الصدد أعلنت الوزارة عن نيتها باستئناف العلاقات الدبلوماسية مع موسكو وبكين[١٢].

في هذه الأثناء شعر الملك شعوراً شديداً بالقلق من لهجة النابلسي القاطعة وسياساته اليسارية، فقال إنه لم يعد بوسعه أن يظل سلبياً. وكتب إلى رئيس وزرائه مهاجماً التغلغل الشيوعي في الوطن العربي ومحذراً من خطره على الدين الإسلامي. غير أن النابلسي لم يتجاوب مع ذلك. وخرجت الوزارة على الملأ بأنباء الاختلاف مع القصر فأصبحت المواجهة بينهما أمراً حتمياً. أسرع الملك إلى إقالة النابلسي ووزارته وأدت المسابقة الجارية في داخل البلاد على السلطة والسيطرة إلى غليان سياسي في الأردن. وبالنتيجة اتهم الملك مجموعة من الضباط بمحاولة القيام بانقلاب عسكري ضد الملكية ـ من دون أن تنجح في ذلك[١٣].

كانت الأزمة الأردنية تبدو في ظاهرها مجرد خلاف حكومي، ولكنها كانت أكثر من ذلك وأشد تعقيداً بكثير. كان لها ثلاثة أبعاد، بعد داخلي وآخر إقليمي وثالث خارجي. كانت الأزمة من الناحية الداخلية صراعاً على السلطة بين الوزارة والقصر، وكانت من الناحية الإقليمية صداماً بين مفهوم الدولة المنفردة وفكرة القومية العربية الشاملة. وإذا كان الملك يدافع عن السيادة الأردنية، كان النابلسي يحاول أن يدمجها بكيان عربي أوسع. أما من الناحية الخارجية فإن الأزمة كانت ذات علاقة بتقرير الصف الذي يقف فيه الأردن دولياً.

يعود نجاح الملك في التغلب على المعارضة إلى قدرته على تعبئة الإسناد الإقليمي والدولي. لقد أفرزت الأزمة الأردنية اصطفافاً جديداً للقوى في المنطقة، فقد كان عبد الناصر والقوتلي يهاجمان العاهل الأردني ويتهمانه بقمع القوميين العرب في بلاده، ولكن الملك سعود رفض السير في ركابهما وهما من حلفائه السابقين، وقرر بدلاً من ذلك أن ينضم إلى المعسكر الآخر. وذهب في ذلك بعيداً بأن وضع القوات السعودية المعسكرة في

---

(١٢) Benjamin Shwadran, *Jordan: A State of Tension* (New York: Council for Middle Eastern Affairs Press, 1959), pp. 345 - 358; Peter John Snow, *Hussein: A Biography* (London: Barrie and Jenkins, 1972), pp. 100 - 125, and Charles Hepburn Johnston, *The Brink of Jordan*, with a preface by Harold Macmillan (London: Hamilton, 1972), pp. 40 - 55.

(١٣) **مجموعة خطب الملك حسين: ٢٥ عاماً من التاريخ، ١٩٥٢ ـ ١٩٧٧**، ج ١، ص ١٤٧ ـ ١٥٠، وحسين، ملك الأردن، **مهماتي كملك** (عمّان: الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧٨)، ص ١٢٠ ـ ١٢٤.

الأردن تحت قيادة الملك حسين[١٤].

كان لخروج السعودية من الكتلة المصرية ـ السورية مضاعفات مهمة للنظام العربي. **أولاً**، أصبح هذا النظام منقسماً بشكل جدي بين معسكرين متنافسين أحدهما ثوري والآخر محافظ. ومنذ ذلك الحين صارت الخصومات العربية ـ على الأقل نظرياً ـ تجري على أسس عقائدية، فالسعودية تقود المحافظين ومصر تقود الثوريين. **ثانياً**، وجه عمل السعودية ضربة كبيرة لمعنويات المصريين فأعطى بذلك دفعة نفسانية لخصوم مصر من العرب. كان ذلك العمل إشارة مبكرة إلى انكشاف وضع عبد الناصر في المنطقة للتعرض للخطر، وأظهر أن الملك سعود يمكنه أن يكون نداً لعبد الناصر.

جاء التحول في تحالف سعود بعد عودته من زيارة رسمية قام بها إلى الولايات المتحدة في نهاية كانون الثاني/يناير ١٩٥٧. هناك أقنعه الزعماء الأمريكيون بالحاجة إلى قيامه بالوقوف بوجه عبد الناصر لأنه يمثل خطراً حقيقياً على النظام العربي المحافظ بأسره، وبضمنه السعودية. قالوا له إن هناك من الوشائج العقائدية التي تربط بين الأنظمة الملكية العراقية والأردنية والسعودية أكثر مما هناك من أية وشيجة بين السعودية ومصر. كانت استراتيجية الولايات المتحدة بعد حرب السويس ترمي إلى خطب ود السعودية لإبعادها عن المحور المصري ـ السوري وإلى تعزيز وإسناد الملك سعود ليوازن بثقله عبد الناصر[١٥].

كان آيزنهاور بالذات مأخوذاً بفكرةٍ تقول إن بوسع سعود أن يمثل بديلاً دائماً لعبد الناصر إذا قامت الولايات المتحدة بتقوية المحيطين به وتعزيز أوضاعه. قال آيزنهاور إن سعود «يجاهر بمقاومة الشيوعية ويتمتع بمقام رفيع في أوساط البلدان العربية على أسس دينية». كان المبرر وراء وجهة النظر الأمريكية يتلخص بأن القومية العربية العلمانية التي ينادي بها عبد الناصر لا يمكنها أن تنافس حلفاً إسلامياً بزعامة الملك سعود[١٦].

---

(١٤) **غسان سلامة، السياسة الخارجية السعودية منذ عام ١٩٤٥: دراسة في العلاقات الدولية**، سلسلة الدراسات الاستراتيجية؛ ٣ (بيروت: معهد الانماء العربي، ١٩٨٠)، ص ٦٣١.

(١٥) من رئيس الجمهورية الى وزير الخارجية، ١٢ كانون الاول/ديسمبر ١٩٥٦، في:
United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, Suez Crisis, 1956*, vol. 16, p. 1297; Sherman Adams, *First-Hand Report: The Inside Story of the Eisenhower Administration* (London: Hutchinson, 1962), p. 223, and Robert W. Stookey, *America and the Arab States: An Uneasy Encounter* (London: John Wiley, 1975), p. 161.

(١٦) Dwight Eisenhower, *The White House Years: Waging Peace, 1956 - 1961* (New York: Doubleday, 1960), pp. 114 - 116, and

مؤتمر مع رئيس الجمهورية، ٢٠ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٦، في: United States, Department of State, Ibid., vol. 16, p. 1153.

التقت مصالح العربية السعودية مع مصالح الولايات المتحدة الأمريكية. إن شعبية عبد الناصر التي تعاظمت بعد حرب السويس قد أفزعت الحكام السعوديين وجعلتهم يقررون المقاومة بإحياء الصلة الأمريكية. وعلى حد ما يقوله آيزنهاور قام الملك سعود، خلال مؤتمرهما الخاص، بمناشدته للحصول على مساعدات عسكرية واقتصادية من الولايات المتحدة. ووافق لقاء ذلك على تمديد إجازة القاعدة الجوية الأمريكية في الظهران مدة خمس سنوات. ما إن عاد الملك سعود من واشنطن حتى أعرب علناً عن قلقه العميق بشأن التهديد الشيوعي للإسلام وبشأن توسع النفوذ السوفياتي في المنطقة[١٧].

وأوضح الملك سعود كذلك للملوك والرؤساء العرب في اجتماعه بهم في القاهرة في شباط/فبراير ١٩٥٧ أنه ضد الحياد الإيجابي، وأنه إلى جانب السير على سياسة موالية للغرب[١٨]. وأدى هذا التغير في الميول السعودية بوكالة المخابرات المركزية إلى أن تستنتج ظهور كتلة عربية مبتعدة عن مصر وسوريا وتتألف من السعودية والأردن والعراق ولبنان. إن سعود بالذات قد تحرك بحزم متزايد لتقليل النفوذ المصري في مملكته ولمساندة المساعي التي تبذل في الاتجاه نفسه في الأردن ولبنان وسوريا[١٩].

على الصعيد الدولي تلقى العاهل الأردني دعماً قيّماً من الولايات المتحدة، إذ قام آيزنهاور بتحذير البلدان المجاورة للأردن من أي تدخل في شؤونه الداخلية. كذلك أعلن أن استقلال الأردن ووحدة أراضيه أمر «حيوي» لمصالح الولايات المتحدة. وبموجب ذلك أمرت الإدارة الأمريكية قطعاً من الأسطول السادس للتوجه نحو شرقي المتوسط، وصادقت بلا تردد على طلب الملك مساعدات مالية. وعلى حد ما جاء في تقرير للبحرية الأمريكية فإن تظاهرة القوة هذه قد أعطت الملك الإسناد الضروري لاستتباب النظام[٢٠].

قالت وزارة الخارجية الأمريكية إن عمل الولايات المتحدة له ما يبرره وفق مبدأ آيزنهاور لأن العاهل الأردني اتهم علناً الشيوعية الدولية بمحاولة قلب نظام حكمه. إن هذا قد طمأن الملك الذي عوّل كل التعويل على مبدأ آيزنهاور لدحر المعارضة لحكمه

(١٧) سلامة، **السياسة الخارجية السعودية منذ عام ١٩٤٥: دراسة في العلاقات الدولية**، ص ٦٢٦ - ٦٢٩؛ Eisenhower, Ibid., pp. 117 - 120, and Mordechai Abir, *Saudi Arabia in the Oil Era: Regime and Elites; Conflict and Collaboration* (London: Croom Helm, 1988), pp. 80 - 81.

(١٨) العظم، **مذكرات خالد العظم**، ج ١، ص ٤٩٢ - ٤٩٣.

(١٩) «Current Intelligence Weekly Summary, CIA, Office of Current Intelligence, 20 June 1957,» U.S. Archives, p. 6.

(٢٠) «A Brief History of the U.S. Sixth Fleet in the Mediterranean Area, 1950 - 1958, Marine Corps Historical Center, Washington,» U.S. Archives, p. 13, and Eisenhower, *The White House Years: Waging Peace, 1956 - 1961*, pp. 194 - 195.

على خلاف رد الفعل الذي صدر من واشنطن على الأزمة الأردنية كان رد الفعل الذي صدر من موسكو خافتاً، فقد اتهم حكومة الولايات المتحدة بالتدخل في سياسة الأردن الداخلية وبالتخطيط للهيمنة على الشرق الأوسط. لكن موسكو اقتصرت على الاقوال وأحجمت عن اتخاذ أي عمل من الاعمال.

الصادرة عن عناصر داخلية وإقليمية. كان الملك طوال الأزمة يهاجم الشيوعيين ويتهمهم بإثارة القلاقل في الأردن[٢١]. وكان هدفه إقناع المسؤولين الأمريكيين بخطورة الوضع وبالخطر الذي يتهدد مصالحهم إذا كتب النجاح للمعارضة. وبهذا المعنى حوّل الملك نزاعاً محلياً إلى أزمة دولية. إن علاقة الحالة الأردنية ببعض الآراء التي يوردها هذا الكتاب قد أصبحت واضحة الآن.

إن الدول الصغيرة، وهي أبعد شيء عن أن تكون من الأطراف الفاعلة السلبية أو الخانعة، قد استطاعت، باستغلالها التنازع العقائدي بين الدول العظمى، أن تلعب دوراً أكبر مما يخولها حجمها أو مواردها. وقد أتاح الاستقطاب في المنظومة الدولية فرصاً جديدة للمناورة للاعبين الإقليميين حيال الدول العظمى وكذلك حيال معارضيها في المنطقة. وغالباً ما استحصل الحكام العرب على دعم الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة لإسناد أوضاعهم القلقة في بلادهم.

بيد أن اللاعبين الإقليميين لم يقدروا جيداً الثمن الحقيقي لدعم الدول العظمى والأكلاف الباهظة التي تنطوي عليها مثل هذه الصفقة. كانت واشنطن وموسكو كلتاهما مدفوعة لحماية مصالحها الأمنية في العالم أكثر مما كانت مدفوعة لصيانة استقلال الدول الصغيرة. وعلى سبيل المثال كان قرار الولايات المتحدة بإرسال مساعدات عاجلة إلى الأردن منطلقاً من اعتبارات استراتيجية أهمها الحاجة إلى دحر الائتلاف المصري والذي كان ينظر إليه على أنه يوالي السوفيات[٢٢]. أما المحافظة على سلامة الأردن فقد كانت تأتي بالدرجة الثانية تماماً.

هذا وقد حصلت كذلك الزعامتان الأمريكية والسوفياتية لقاء مساعداتهما على تنازلات سياسية عرضت للخطر التأييد الوطني الداخلي الذي يعتمد عليه الحكام العرب. إن تورط الدول العظمى العميق في المنطقة واشتداد التنازع في ما بينها كان له تأثير كبير في المنظومة الفرعية العربية. لقد امتدت الحرب الباردة إلى الصعيد المحلي في المنطقة فأحدث ذلك عواقب وخيمة، ومنها أن العلاقات العربية البينية قد غدت ملتهبة وغير مستقرة. ومن حيث النتيجة نجد أن النظام العربي قد مني بخسارة حقيقية طويلة الأمد من جراء التدخل المتعسف من قبل الدول العظمى.

---

(٢١) **مجموعة خطب الملك حسين: ٢٥ عاماً من التاريخ، ١٩٥٢ ـ ١٩٧٧**، ج ١، ص ١٤٩؛ حسين، ملك الأردن، **مهماتي كملك**، ص ١٢٠ ـ ١٢١، و Adams, *First-Hand Report: The Inside Story of the Eisenhower Administration,* pp. 229 - 230.

(٢٢) *New York Herald Tribune,* 29/4/1957, and «A Brief History of the U.S. Sixth Fleet in the Mediterranean Area, 1950 - 1958, Marine Corps Historical Center, Washington,» U.S. Archives, p. 13.

ثالثاً: الأزمة السورية في منتصف صيف ١٩٥٧

شهدت الأوضاع السياسية في سوريا بعد عام ١٩٥٥ تحولاً جذرياً. فقد مال ميزان القوى إلى صالح الجماعات الثورية المؤلفة من المستقلين والبعثيين والشيوعيين. وهذا «اليسار المحايد الذي كان ينحو نحو الشيوعيين قد اكتسح المبادرة السياسية»(٢٣). وأدى وقوف الملك سعود في صفوف القوى المحافظة العربية وإلى جانب الغرب إلى تشجيع شكري القوتلي الذي كان يتعاطف مع الغرب على محاولة إيقاف الاتجاه اليساري في دمشق. بيد أن مساعي القوتلي لم تثمر شيئاً. كانت حظوظ المحافظين في سوريا تتدهور باطراد حتى بلغت دركها الأسفل في الهزيمة المنكرة في انتخابات عام ١٩٥٧(٢٤).

وقد شهدت سياسة سوريا الخارجية تحولاً ثورياً مماثلاً. فقد أخذت هذه السياسة تخضع أكثر فأكثر إلى نفوذ السياسيين الذين يتطلعون إلى الكتلة الاشتراكية من أجل الإسناد العسكري والاقتصادي والسياسي. كان الزعماء السوريون يواصلون، رسمياً، التزامهم بعدم الانحياز والحياد الإيجابي أساساً لسياستهم الخارجية. أما عملياً فقد كانوا يفرقون تماماً بين الولايات المتحدة التي يعتبرونها دولة إمبريالية، والموقف الودي والمناصر للعرب الذي يقفه الاتحاد السوفياتي(٢٥).

ازدهرت العلاقات السوفياتية ـ السورية خلال هذه الفترة. كان العظم، وزير الدفاع السوري، هو الداعية الأول لعلاقات وثيقة مع موسكو، فقد استنكر التدخل الأمريكي في شؤون سوريا الداخلية والخارجية وأراد أن يحدث توازناً في وجه الهيمنة الأمريكية في المنطقة وذلك بالحصول على مساعدات عسكرية ومالية من الكرملين. ووقّع العظم، خلال زيارته إلى موسكو في تموز/يوليو ١٩٥٧، على اتفاقية اقتصادية وعسكرية مع الزعامة السوفياتية وعدت بموجبها تلك الزعامة بتزويد دمشق ببعض الأسلحة والمساعدة في إنشاء عددٍ من مشاريع التنمية(٢٦).

---

(٢٣) Hanna Batatu, *The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq: A Study of Iraq's Old Landed and Commercial Classes of Its Communists, Ba'thists and Free Officers* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1978), p. 686.

(٢٤) العظم، **مذكرات خالد العظم**، ج ١، ص ٤٨٦ ـ ٤٩٣.

(٢٥) انظر تصريح وزير الخارجية السوري صلاح الدين البيطار **السياسة العربية بين المبدأ والتطبيق**، في صحيفة: **البعث**، ٢٩/٣/١٩٥٧؛ البيطار، **السياسة العربية بين المبدأ والتطبيق**، ص ١٠١ و١٠٦ ـ ١٠٧، والعظم، المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠ و٤٣٧.

(٢٦) العظم، المصدر نفسه، ج ١ و٢، ص ٧ ـ ١١ و٤٣٧، والبيطار، المصدر نفسه، ص ١٠٧. كان العظم، وهو سياسي محنك، يعلم أن الشعور المناهض للغرب كان قوياً جداً في سوريا. لذا قام «المليونير الاحمر» باستخدام الورقة السوفياتية لتعزيز مركزه الداخلي. أما علاقة ذلك بدراستي فتكمن في أنها تلقي ضوءاً على الرابطة بين السياسات الداخلية والخارجية.

إن مجرى الأحداث المتغير في دمشق قد أفزع المسؤولين الأمريكيين. كانت سوريا منذ أوائل عام ١٩٥٦ تعتبر بنظر الولايات المتحدة بقعة أخرى من بقع المتاعب الإقليمية، مثلها في ذلك مثل مصر. وقد توصلت وكالة المخابرات المركزية في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٦ إلى نتيجة مفادها أن انسحاب القوات الثلاثية من مصر سيترك فراغاً ثانياً للقوة في سوريا وسيقوم السوفيات بملئه بصورة أكثر جرأة مما جرى في مصر(٢٧). وبحلول منتصف شهر آب/أغسطس ١٩٥٧ تفجرت أزمة حقيقية في العلاقات الأمريكية ـ السورية تتصل، في سياقها الآني، بالتغييرات التي جرت في القيادات العليا للجيش السوري. رأت وزارة الخارجية الأمريكية ووكالة المخابرات المركزية في تلك التغييرات ما يمهد السبيل لاستيلاء الشيوعيين على البلاد(٢٨). وتطايرت الاتهامات والاتهامات المقابلة لتلبّد الجو وتؤدي إلى الطرد المتبادل لدبلوماسيين أمريكيين وسوريين.

لم تعر إدارة آيزنهاور أي التفات للديناميات الداخلية وللسياق المحلي في سوريا. وغاب عنها أن الضباط السوريين كانوا في الخمسينيات «مسيّسين إلى أقصى حد ومنقسمين فئاتٍ وفرقاً على أشد درجة عرفها العالم العربي»(٢٩). شنت تلك الإدارة حملة دعاية شعواء على النظام السوري لزعزعته. وفي ٢٤ آب/أغسطس أرسل آيزنهاور مبعوثاً رفيع المستوى هو لوي هندرسون إلى الشرق الأوسط لبحث الوضع في سوريا مع المسؤولين في تركيا والعراق والأردن ولبنان. كان جوهر الاستراتيجية الأمريكية بحسب الوزير دالاس تشجيع الدول العربية المحافظة المجاورة لسوريا على الانضمام إلى تركيا للقيام بعمل عسكري حاسم للإطاحة بنظام الحكم في دمشق، وكان من رأيه أن حكومة الولايات المتحدة على استعداد للمغامرة بمخاطر جسيمة إذا كان ذلك سيساعد على تغيير الاتجاه الحاضر [في سوريا](٣٠).

أوصى هندرسون الزعامتين التركية والعراقية بالقيام بمضايقة الحكومة السورية ثم

---

(٢٧) من مدير وكالة الاستخبارات المركزية (ألن دالاس) الى نائب وزير الخارجية الأمريكية، واشنطن، ١٠ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٦، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States: Suez Crisis, 1956,* vol. 16, p. 1101.

(٢٨) Eisenhower, *The White House Years: Waging Peace, 1956 - 1961,* p. 196.

للاطلاع على تحليل متميز وشامل للعلاقات الأمريكية ـ السورية، انظر: David W. Lesch, *Syria and the United States: Eisenhower's Cold War in the Middle East* (Boulder, CO: Westview Press, 1992).

(٢٩) Patrick Seale, *Asad of Syria: The Struggle for the Middle East,* with the assistance of Maureen McConville (London: I. B. Tauris, ©1988), p. 49.

(٣٠) وزارة الخارجية، واشنطن، ١٢ أيلول/سبتمبر ١٩٥٧، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1957: Arab-Israeli Dispute,* vol. 17, pp. 731 - 732; *New York Times,* 22/8/1957, and Tabitha Petran, *Syria,* Nations of the Modern World (London: Ernest Benn, 1972), pp. 120 - 122.

الإطاحة بها في نهاية الأمر. وفي هذا المضمار قامت الحكومة الأمريكية بالإسراع في شحن الأسلحة إلى تركيا والعراق وتعهدت بحماية جبهتهما الخلفية ضد أي تهديد سوفياتي محتمل. إن هذه الحقيقة قد أكدها وزير الخارجية العراقية آنئذٍ توفيق السويدي الذي زعم أن المبعوث الأمريكي أعطى العراق الضوء الأخضر لتبديل الزمرة العسكرية في دمشق وإحلال حكومة مدنية محلها. هذا ولم يكن العراق ولا تركيا بحاجة إلى كثير من الإقناع، فقد كان كلاهما قلقاً جداً من أن تصبح سوريا قاعدة شيوعية تصدِّر منها الشيوعية إلى المنطقة(٣١).

لذا حشدت تركيا نحو خمسين ألف جندي على حدودها مع سوريا وأجرت هناك مناورات استفزازية. كان ذلك يرمي إلى توجيه ضغط نفساني نحو نظام الحكم في دمشق إمعاناً في زعزعته. وما انفكت الحكومة الأمريكية تواصل ضغطها على سوريا بلا هوادة. قال دالاس إنه يعتقد «أن السوفيات قد حققوا قدراً كبيراً من الهيمنة الاقتصادية على سوريا وأنها كانت في طريقها إلى خسارة استقلالها السياسي». ودعا آيزنهاور الشعب السوري إلى تبديد قلق المجتمع الدولي ـ وهذه دعوة إلى هذا الشعب للإطاحة بحكومته(٣٢).

أخذ المسؤولون السوريون تلك التهديدات الأمريكية مأخذ الجد تماماً، فأنكروا التهمة الموجهة إليهم بأنهم أصبحوا وكلاء للسوفيات، وأكدوا من جديد أن عدم الانحياز هو أساس لسياستهم الخارجية. وقد رأى هؤلاء في ذلك النزاع مع الولايات المتحدة جزءاً لا يتجزأ من كفاح الدول الصغيرة من أجل تقرير المصير. كانت واشنطن بالنسبة إليهم قد ورثت الدور التقليدي للدول الاستعمارية القديمة، متمثلةً بلندن وباريس. ولا غرابة أن يظهر استياء سوريا العميق من سيطرة الدول الكبرى كما يسيطر الآباء على الأبناء، على شكل مشاعر مناهضة للغرب. كان الساسة السوريون من المشارب كافة يؤمنون بوجود مؤامرة أمريكية لقلب نظام حكمهم. وقد اتهم وزير الخارجية السورية صلاح الدين البيطار، في خطاب أمام مجلس الأمن الدولي، الإدارة الأمريكية بأنها تشجع

---

(٣١) توفيق السويدي، مذكراتي: **نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية** (بيروت: دار الكاتب العربي، ١٩٦٩)، ص ٥٦٦؛ Eisenhower, *The White House Years: Waging Peace, 1956 - 1961,* pp. 197 - 199, and United States, Department of State, *American Foreign Policy: Current Documents, 1957* (Washington, DC: Government Printing Office, 1957), p. 1037.

(٣٢) وزارة الخارجية، واشنطن، ١٢ أيلول/سبتمبر و٢٩ تشرين الاول/اكتوبر ١٩٥٧، واشنطن، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1957: Arab-Israeli Dispute,* vol. 17, pp. 732 and 777; Gordon H. Torrey, *Syrian Politics and the Military, 1945 - 1958* (Columbus, OH: Ohio State University Press, 1964), pp. 364 - 365, and Nadav Safran, *Israel: The Embattled Ally* (Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University Press, 1978), p. 362.

على التآمر ضد بلاده[٣٣].

وبالنظر إلى ما كان يدركه المسؤولون السوريون من خطر أمريكي يتهددهم فقد عززوا علاقتهم بالسوفيات وكانت وجهة النظر السوفياتية تعتبر الأزمة الأمريكية ـ السورية بمثابة فرصة أخرى لكسب السمعة وبسط النفوذ في الأقطار العربية. وقد تحرك صناع السياسة السوفياتية سريعاً للاستفادة من الوضع بتصوير أنفسهم كأصدقاء وحلفاء لبلد عربي محاصر. وأوضحوا أنهم يعارضون أي تدخل خارجي في سوريا. ففي ١٣ أيلول/ سبتمبر، على سبيل المثال، اتهم بولغانين تركيا والولايات المتحدة بالتآمر لمهاجمة سوريا، وقال محذراً إن غزواً مسلحاً لها «لن يكون محصوراً في تلك المنطقة وحدها»[٣٤].

كذلك هدد خروتشوف وغروميكو بالانتقام من تركيا إذا بدأت بأعمال عدائية عسكرية. وقد حدا هذا التهديد بدالاس لأن يصرح «بأن خروتشوف شخص متهور ولا يمكن التنبؤ بما يريده». ولكي يظهر الكرملين أنه يعني ما يقول أرسل بارجة ومدمرة إلى إحدى الموانىء السورية. وبالرغم من ذلك أظهر المسؤولون السوفيات كثيراً من ضبط النفس؛ إنهم لم يكونوا يريدون تصعيد التوتر مع الولايات المتحدة. لقد كانوا، على العكس من ذلك، أكثر اهتماماً بتحاشي سوء التقدير الاستراتيجي مع الدولة العظمى المنافسة لهم، من اهتمامهم بالدفاع عن حقوق السيادة للدول الصغيرة[٣٥].

بيد أنه لم تكن واشنطن، ولا موسكو، تستطيع وحدها أن تقرر مجرى الأحداث في سوريا. إن البعد الإقليمي كان عاملاً حاسماً في المعادلة. كان لموقف مصر في هذا الصدد أهمية كبرى. فمنذ بداية الأزمة أعرب عبد الناصر عن تضامنه مع سوريا ووعد بدعم نظام الحكم في دمشق من دون قيد أو شرط ضد أي تهديد خارجي، وقال: «إن أي هجوم على سوريا سيعتبر هجوماً على مصر». كانت الحملة ضد سوريا ترمي بنظره إلى فرض الخضوع لمطالب الولايات المتحدة؛ فجذور الصراع لا تكمن في ميل سوريا

---

(٣٣) البيطار، **السياسة العربية بين المبدأ والتطبيق**، ص ١٠٨ ـ ١٠٩، ١١٧ و١٢٢ ـ ١٢٥؛ العظم، **مذكرات خالد العظم**، ج ١، ٢، ص ١١ و٤٧٧؛ محمود رياض، **مذكرات محمود رياض** (بيروت: دار المستقبل العربي، ١٩٨٦)، ج ٢: **الأمن العربي بين الانجاز والفشل**، ص ١٨٥ ـ ١٨٦؛ «Heath to Secretary of State, Beirut, 27 August 1957, No. 556,» U. S. Archives, and Torrey, Ibid., p. 362.

(٣٤) *New York Times*, 14/9/1957; Veljko Micunovic, *Moscow Diary*, translated by David Floyd; introduction by George Kennan (London: Chatto and Windus, 1980), p. 309;

دانكوس، **السياسة السوفياتية في الشرق الأوسط، ١٩٥٥ ـ ١٩٧٥**، ص ٦٥، والعظم، المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٤٧.

(٣٥) وزارة الخارجية، ١٢ أيلول/سبتمبر ١٩٥٧، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1957: Arab-Israeli Dispute*, vol. 17, p. 732, and

دانكوس، المصدر نفسه، ص ٦٥.

نحو الكتلة السوفياتية بل في محاولات الولايات المتحدة للهيمنة على المنطقة(٣٦).

ولرفع المعنويات السورية وافق الرئيس المصري على وضع الجيشين العربيين تحت قيادة مشتركة. وفي أكتوبر/تشرين الأول قام بإرسال كتيبة مصرية إلى دمشق، ولم يكن ذلك إلا إيماءة رمزية لإعادة الطمأنينة إلى حلفائه القوميين في سوريا، ولكي يؤكد لحلفائه وخصومه على السواء حيوية زعامته الإقليمية. لقد أظهر بجرة قلم واحدة أن القوى الإقليمية الأخرى لا تقدر على تجاوزه أو تجاهل مصالحه في سوريا. لذا ينبغي النظر إلى عمل عبد الناصر كجزء من تنافسه مع نوري السعيد والملك سعود. يضاف إلى هذا أن الزعيم المصري شعر بأنه مهدد من النفوذ الشيوعي المتزايد في سوريا. وقال للسفير الأمريكي في القاهرة إن الوضع في دمشق قد تفاقم كثيراً وخرج عن السيطرة. لقد كان قلقاً من ثورية السياسات السورية وتأثيرها المحتمل على مصر(٣٧).

كان عبد الناصر يأمل، بقيامه بدور ناشط في الأزمة، أن يبدد مخاوف الولايات المتحدة ومخاوف المحافظين العرب من احتمال وقوع سوريا تحت النفوذ الشيوعي. إن الوجود الرمزي المصري في دمشق هو نوع من التطمين ضد حدوث مثل هذا الاحتمال. أراد عبد الناصر كذلك أن يحول دون الكرملين وتحقيق مكاسب إقليمية أخرى على حساب مصر. كان الشك يساوره من الدول الكبرى كلها بصرف النظر عن توجهها السياسي. إن الغزو الثلاثي لمصر قد أقنعه بأن الدول الكبرى لا يمكن الوثوق بها. فلا غرابة أنه شعر بالقلق من احتمال قيام الاتحاد السوفياتي بالعمل ضده بصفته زعيم الحركة الثورية العربية بلا منازع(٣٨).

لذا ينبغي أن ينظر إلى التدخل المصري في الأزمة السورية ضمن هذا السياق، فقد ساعد ذلك التدخل على تخفيف التوتر، وتوقف انجراف سوريا نحو اليسار بصورة موقتة. وهكذا وجد آيزنهاور ودالاس أن من الصعب جداً الحفاظ على الجبهة المناهضة لسوريا، وزاد من محنتهما الدعاية المصرية والسورية التي صورت سوريا كضحية لمؤامرة يقوم بها الخونة ووكلاء الإمبريالية. لذا شعرت الحكومات العربية الموالية للغرب، التي كانت تتماهى

---

(٣٦) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الأول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨**، ص ٧٢٠ ـ ٧٢٥، **والاهرام**، ١٩٥٧/٩/٩.

(٣٧) من السفارة الأمريكية في مصر الى وزارة الخارجية، القاهرة، ٢٤ آب/اغسطس ١٩٥٧، في:
United States, Department of State, Ibid., vol. 17, pp. 720 - 721, and
مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الأول، ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨، ص ٧٢٥.

(٣٨) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الأول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨**، ص ٦٤٦ و٦٦٤. مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى وجنوبي آسيا وافريقيا (راونتري) الى وزارة الخارجية، الموضوع: علاقاتنا مع مصر على ضوء الوضع في سوريا، واشنطن، ٤ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٧، في: United States, Department of State, Ibid., vol. 17, p. 785.

بشكل وثيق مع إدارة آيزنهاور، بأنها مجبرة الآن بأن تنأى بنفسها عن واشنطن[٣٩].

لقد أصبح قيام الحكام العرب المحافظين بتأييد سياسة الولايات المتحدة علناً فيه الكثير من المغامرة سياسياً. لم يكن يسعهم الظهور بمظهر المتعاون مع دولة أجنبية ضد دولتين عربيتين شقيقتين. لقد كانوا مقيدين بالواقع السياسي، وبالتوق إلى وحدة قومية، وبالتضامن الذي كان يفرض نفسه فرضاً[٤٠]. إن احتمال حدوث ثورة شعبية وقلاقل سياسية كان بنظر المحافظين أمراً يمثل تذكيراً دائماً بمنزلقات التشابك في تحالفات أجنبية. وهذا مثل آخر على كيفية تقييد المستوى الإقليمي لسلوك وأعمال الفاعلين المحليين. إن مقتضيات السياسات العربية تفرض حدوداً معينة لا يمكن الزعماء العرب التغاضي عنها إلا على حساب تعرضهم للأخطار.

كان الملك سعود أول الزعماء العرب المحافظين الذي غيّر اتجاهه وتخلى عن توجّه واشنطن المتشدد. فبالنسبة إليه كانت المساعي الأمريكية للإطاحة بالمجموعة العسكرية في دمشق تهدد بوقوع سوريا تحت الهيمنة العراقية. لم تكن هذه الإمكانية مقبولة لسعود بسبب التنازع التقليدي بين الأسرتين الملكيتين الهاشمية والسعودية. كان من مصلحة العربية السعودية حل الأزمة. لذا عرض الملك سعود وساطته وأخذ يتنقل بين العواصم العربية في محاولة منه لنزع فتيل التوترات[٤١].

تتوجت دبلوماسية سعود المكوكية بزيارة إلى دمشق في ٢٥ أيلول/ سبتمبر ١٩٥٧ وهناك شجب علناً العدوان على سوريا. في اليوم التالي ضم صوته إليه رئيس وزراء العراق علي جودت بعد اجتماعه مع القوتلي فأعلن عن التوصل إلى تفاهم تام بين الحكومتين المتخاصمتين العراقية والسورية. وحذا الأردن حذو الآخرين سريعاً فقدم وزير خارجيته الرفاعي تأكيداته بأن بلاده لا نية عندها للتدخل في سوريا. كذلك أنحت الحكومة اللبنانية باللائمة على التدخل الخارجي الذي أدى إلى سوء تفاهم موقت اعترى العلاقات السورية ـ اللبنانية. وقال رئيس الوزراء اللبناني سامي الصلح «إن كل الأمور التي سببت سوء التفاهم في الماضي كانت من صنع الآخرين»[٤٢].

---

(٣٩) «Heath to Secretary of State, Beirut, 27 August 1957, No. 556,» U.S. Archives.

(٤٠) Malcolm H. Kerr, *The Arab Cold War: Gamal Abd al-Nasir and His Rivals, 1958 - 1970,* 3rd ed. (London: Oxford University Press, 1971), p. 1, and Johnston, *The Brink of Jordan,* p. 78.

(٤١) Patrick Seale, *The Struggle for Syria: A Study of Post War Arab Politics, 1954 - 1958* (London: Oxford University Press, 1965), p. 303, and Nadav Safran, *Saudi Arabia: The Ceaseless Quest for Security* (Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University; Ithaca, NY: Cornell University Press, 1985), p. 84.

(٤٢) علي جودت، **ذكريات علي جودت، ١٩٠٠ ـ ١٩٥٨** (بيروت: مطابع الوفاء، ١٩٦٧)، ص ٣٢٤؛ رياض، **مذكرات محمود رياض**، ج ٢، ص ١٨٨؛ «Higgs to Secretary of State, Beirut, 27 November 1957, No. 1767,» U.S. Archives, and Seale, Ibid., p. 303.

فوجئت الحكومة الأمريكية بهذا التحول الذي طرأ على اتجاه حلفائها العرب، وجعلها تصبح في موضع الدفاع. صرح آيزنهاور في ٣ تشرين الأول/أكتوبر أن الوضع في سوريا أصبح أقل إنذاراً بالخطر، وأضاف قائلاً: «إن الفزع الأصلي الذي ألم ببعض الأقطار، ومنها لبنان والأردن والعراق، وكذلك السعودية إلى حدٍ ما، يبدو أنه هدأ بالنظر إلى الأمور التي بلغنا خبرها»(٤٣). كان تصريح الرئيس هذا ما هو إلا صيغة لإنقاذ ماء الوجه ترمي إلى التمهيد لتراجع أمريكي، ولم تكن صيغة مقنعة تماماً لأنها جاءت لتسجل تحولاً بنسبة ١٨٠ درجة عن موقف واشنطن السابق.

إن الأزمة السورية تعلمنا الكثير بما تلقيه من ضوء على طبيعة العلاقة بين الدول الكبيرة والدول الصغيرة. فعلى الرغم من كل ما تملكه الولايات المتحدة من قوة وموارد فإنها لم تستطع أن تملي إرادتها على مجرى الأحداث في سوريا. إن المقاومة المحلية وما صحبها من تغيير في مواقف الأصدقاء قد أحبطت مساعي إدارة آيزنهاور لقلب نظام الحكم في دمشق. تنسجم هذه النتيجة مع إحدى الفرضيات المطروحة في مشروع هذا الكتاب: إن قدرة الدول العظمى في السيطرة على أعمال وتوجهات حلفائها الإقليميين ـ ناهيك عن أعمال وتوجهات أعدائها ـ هي قدرة محدودة وذلك من جرّاء السياق الهيكلي للحرب الباردة.

وقد أعرب آيزنهاور في مذكراته عن حيرته بشأن تقلب الأحداث في سوريا، قائلاً إنه لم يستطع سبر غور الأسباب التي دعت إلى التغيير المفاجىء في مواقف السعوديين والعراقيين والأردنيين واللبنانيين. وكان آيزنهاور في مذكراته منزعجاً بشكل خاص من الملك سعود الذي اتهم واشنطن بخلق المصاعب في سوريا(٤٤). إن حيرة آيزنهاور تلقي ضوءاً على جانب آخر من جوانب الأزمة السورية، فهو لم يقدر حق التقدير الشبكة المعقدة للعلاقات العربية البينية ولم يعر التفاتاً للديناميات والهموم الإقليمية. كان آيزنهاور ومعظم مساعديه منشغلين للغاية بالتهديد السوفياتي.

كان آيزنهاور ودالاس على الأخص ينظران إلى الشرق الأوسط كقاعدة استراتيجية واقتصادية يجب استبعاد السوفيات منها. كانت أية حركة يقوم بها السوفيات في الشرق الأوسط تفسر حالاً على أنها تهديد للمصالح الأمنية الغربية(٤٥). وقد جرى تجاهل التوصيات التي تقدم بها بايرود، سفير الولايات المتحدة السابق إلى مصر، ومنها ما أكده أن من التضليل النظر إلى التعاون العربي مع موسكو كتهديد للغرب. وكان ذلك السفير

(٤٣) *New York Times,* 4/10/1957.

(٤٤) Eisenhower, *The White House Years: Waging Peace, 1956 - 1961,* pp. 200 - 201.

(٤٥) Joint Chiefs of Staff, «Decision on JCS 1887/340, Note by the Secretaries, Subject: Military Aid for the Middle East, 1 February 1957,» U.S. Archives, pp. 2545 - 2546.

يرى أن الساسة العرب إنما كانوا يحاولون فقط تلبية الحاجات الوطنية الأساسية، وأن الزعماء السوفيات كانوا أكثر تعاطفاً نحو الحاجات والمطامح المحلية من تعاطف نظرائهم الغربيين، وها هنا تكمن جذور التعاون العربي ـ السوفياتي[٤٦].

كان بايرود قد حذر رؤساءه من نزوعهم إلى الحكم على البلدان العربية على أساس واحد فقط هو هل أن هذه البلدان مؤيدة للولايات المتحدة أم للاتحاد السوفياتي. ودعاهم كذلك إلى إدراك قوى القومية والحياد وأوصاهم بالإقلاع عن اعتبار هذه القوى كمجرد بيادق في منازلة الشرق والغرب، وإلا سيضيع الشرق الأوسط[٤٧]. بيد أن المدرسة الفكرية التي كانت سائدة في واشنطن أخفقت في أن ترى المنطقة كما هي، ولم تدرك منابع الصراع الداخلية، ذلك أن الخط الفاصل بين التنازع المحلي والعالمي كان مشوشاً ومتداخلاً ولا يبين للنظر بوضوح. إن هذا التصور قد أدى إلى تدويل الصراعات الإقليمية، والأزمة السورية هي مثال على ذلك. إن آيزنهاور ودالاس قد نظرا إلى ما كان في جوهره صراعاً محلياً على السلطة بمنظار الحرب الباردة[٤٨].

أما المفارقة فهي أن تصرّف الولايات المتحدة كان قد أسهم في توسع النفوذ السوفياتي في المنطقة لا في تقليله، كان الاتحاد السوفياتي من المستفيدين الرئيسيين من الأزمة السورية، وأدى دعمه الدبلوماسي لمصر وسوريا إلى الرفع من شأن سمعته في أعين العرب الذين صاروا ينظرون عموماً إلى الاتحاد السوفياتي بصفته صديقاً وحامياً. وقد ساعد الامتنان من العون السوفياتي على إحداث تعاطف مقصود مع الشيوعيين الذين «تزايد دعمهم الاجتماعي كثيراً». كذلك، وعلى الأخص، تعاظم مقام السوفيات في سوريا إلى حدٍ كبير، كما تزايد عدد الأعضاء المنتمين إلى الحزب الشيوعي السوري. إن هذا التطور وما صحبه من ميل مجموعة مهمة من الضباط نحو الشيوعيين، قد أثار قلق البعثيين الذين شعروا بخطر يتهددهم من بروز الشيوعيين كقوة سياسية فأوجسوا خيفةً من أن يتجاوزهم هؤلاء ويفوقوهم براعة[٤٩].

---

(٤٦) من السفارة الأمريكية في مصر الى وزارة الخارجية، القاهرة، ١٣ تموز/يوليو ١٩٥٦، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1957: Arab-Israeli Dispute, January 1-July 26, 1956*, vol. 15 (Washington, DC: Government Printing Office, 1989), p. 833.

(٤٧) المصدر نفسه، ج ١٥، ص ٨٣٣ ـ ٨٣٤.

(٤٨) Seale, *The Struggle for Syria: A Study of Post War Arab Politics, 1954 - 1958,* p. 294.

(٤٩) Batatu, *The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq: A Study of Iraq's Old Landed and Commercial Classes of Its Communists, Ba'thists and Free Officers,* pp. 815 and 823, and Seale, *Asad of Syria: The Struggle for the Middle East*, p. 54.

رابعاً: الوحدة المصرية ـ السورية

لم يكن بوسع البعثيين، مع كل ما لديهم من حماس ثوري، أن يتنافسوا بمفردهم مع الشيوعيين الذين كانوا يتلقون المساعدة من المعسكر الاشتراكي الدولي. ولتجنب التهميش أقر ميشيل عفلق وصلاح البيطار مؤسسا حزب البعث بأهمية التعاون الوثيق مع مصر بل حتى الاندماج معها. كانا يأملان، وسمعة عبد الناصر من ورائهما، أن يصبح حزبهما هو الحزب الحاكم في سوريا. إن هذا سيجرّد الشيوعيين بالنتيجة من قاعدة قوتهم. كان البعثيون حذرين من الشيوعيين ولا يثقون بهم قبل حدوث الأزمة السورية بأمد طويل. ويعزى ذلك إلى الوشائج الدولية التي تربط الشيوعيين بالخارج، كما أن البعثيين كانوا يرون فيهم أعداءً للقومية العربية. أما الذي كان بينهم وبين الشيوعيين فهو حدث موقت بنظرهم على الرغم من اختلاف نهج العمل الذي تسير عليه كل من الجماعتين(٥٠).

كان حزب البعث، منذ تأسيسه في أوائل الأربعينيات، قد نذر نفسه للسعي وراء تحقيق مثل أعلى بعينه هو الوحدة العربية، وجعل هدفه النهائي إقامة دولة عربية واحدة(٥١). ومع أن البعثيين كانوا قد حققوا، بحلول نهاية عام ١٩٥٧، نجاحات سياسية كبيرة في السياسات السورية، إلا أنه لم تكن لديهم أوهام بشأن حصولهم على السلطة عن طريق صناديق الاقتراع، ولا بشأن تحقيق مثلهم الأعلى في الوحدة العربية. وللتعويض عن ذلك تحولوا نحو عبد الناصر، فالتحالف معه كان بظنهم بطاقة الوصول إلى الحكم. يقول منيف الرزاز، من زعماء البعث، إن البعثيين السوريين ظنوا أن عبد الناصر «يستطيع أن يحقق أهدافنا كلها بجرة قلم، بإصدار مرسوم من الأعلى. فبدلاً من النضال مدة خمس وعشرين سنة كان من المغري أن يترك لقائد عسكري كعبد الناصر أن يقوم بالعمل بين ليلةٍ وضحاها»(٥٢).

أعرب حنا بطاطو عن رأي مشابه قائلاً إن حزب البعث حاول القفز إلى مركز النفوذ الكبير بأقل مجهود «وذلك بربط نجمة حظه بنجمة عبد الناصر». لم يكن اتخاذ ذلك القرار صعباً لأن كلام عبد الناصر الخطابي شبيه بكلام الحزب. كان البعثيون يعتقدون أن

---

(٥٠) Batatu, Ibid., pp. 736 - 738 and 822;
حزب البعث العربي الاشتراكي، **نضال البعث: القيادة القومية، ١٩٥٥ ـ ١٩٦٢، من تشكيل القيادة القومية حتى نهاية الانفصال**، ط ٢، ج ٨ (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧١)، ص ٤٧، والبيطار، **السياسة العربية بين المبدأ والتطبيق**، ص ١٣٧.

(٥١) للاطلاع على بيان عقائدي في البرنامج السياسي لحزب البعث، انظر: ميشيل عفلق، **في سبيل البعث**، ط ٣ (دمشق: دار الطليعة، ١٩٥٩).

(٥٢) مقابلة مع الرزاز، نقلاً عن: Seale, *Asad of Syria: The Struggle and Free Officers,* p. 65.

الزعيم المصري، يشاطرهم معتقداتهم ومطامحهم، بل إنهم كانوا يحلمون بأن يصبحوا المرشدين العقائديين للجمهورية العربية المتحدة «فيزودون عبد الناصر بموسوعة مذهبية في العقيدة ويقومون بتدريس العروبة لمصر ذاتها»(٥٣).

وبصرف النظر عما إذا كان عبد الناصر يشاطرهم آراءهم أم لا فإنه لديه غرض واحد مشترك معهم هو منع الشيوعيين السوريين من تولي الحكم. لقد كان قلقاً حقاً من تزايد النفوذ الشيوعي في سوريا. إن سياسةً خارجيةً سوريةً يسيطر عليها الشيوعيون ستتحدى زعامة عبد الناصر للوطن العربي، وإن كانت سياسة صداقة؛ كما أنها ستهدد موقعه المستقل إزاء الدول العظمى. كذلك لم يكن مقبولاً له أن يحل الاتحاد السوفياتي محل الولايات المتحدة كدولة راعية. كانت استراتيجيته تهدف إلى تحرير الساحة العربية كلها من سيطرة الدول العظمى وإلى خلق جبهة إقليمية متحدة تحت قيادة مصرية(٥٤).

إن هذا التلاقي في المصالح بين حزب البعث ونظام عبد الناصر هو الذي أدى إلى قيام الوحدة المصرية ـ السورية في ١ شباط/فبراير ١٩٥٨. وعلى حد ما يقوله المسؤولون المصريون كان عبد الناصر في البداية يعارض الوحدة ويفضل شكلاً من أشكال الفدرالية. ثم قدمت مجموعة الضباط السوريين إلى القاهرة جواً في كانون الثاني/يناير ١٩٥٨ لطلب الوحدة فأقنعته بأنه ما من شيء غير الدمج التام يمكن أن يوقف حالة البلبلة وعدم الاستقرار التي كانت تمزق الوضع السياسي السوري إرباً إرباً. وقبل أن يعطي عبد الناصر موافقته على الدمج الكامل بين القطرين فرض شروطاً صعبة للغاية منها حل الأحزاب كافة وإبعاد الجيش السوري عن السياسة(٥٥).

لماذا عارض عبد الناصر في البداية قيام الوحدة مع سوريا ثم وافق على ذلك؟ على

---

(٥٣) المصدر نفسه، ص ٥٨؛ Batatu, *The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq: A Study of Iraq's Old Landed and Commercial Classes of Its Communists, Ba'thists and Free Officers*, pp. 816 and 824, and رياض، **مذكرات محمود رياض**، ج ٢، ص ٢٢٧.

(٥٤) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الأول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨**، ص ٥٠٧، ٥١٥، ٥٢٥، ٦٠٠، ٦١٨ و٧٧٨؛ عبد اللطيف البغدادي، **مذكرات عبد اللطيف البغدادي** (القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٧٧)، ج ٢، ص ٣٥ ـ ٣٦، وصلاح نصر، **عبد الناصر وتجربة الوحدة** (القاهرة: الوطن العربي، ١٩٧٦)، ص ٣٢ و٤٠.

(٥٥) خلال محادثات الوحدة الثلاثية بين مصر والعراق وسوريا في عام ١٩٦٣، صرح البيطار، وكان رئيساً للوزراء في سوريا آنئذ، أن الضباط الذين ذهبوا جواً الى القاهرة كانوا يعتقدون أن استيلاء الشيوعيين على الحكم في سوريا كان وشيكاً. انظر: **محاضر محادثات الوحدة، مارس ـ ابريل ١٩٦٣**، ج ١ (بيروت: دار المسيرة، ١٩٧٨)، ص ١٩٢؛ رياض، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٩٨ ـ ١٩٩؛ البغدادي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٥؛ مرعي، **أوراق سياسية: من أزمة مارس الى النكسة**، ج ٢، ص ٣٩٩، و Heikal, *Sphinx and Commissar: The Rise and Fall of Soviet Influence in the Arab World*, p. 87.

الرغم من عدم وجود أدلة دامغة، فإن من الممكن أن يتكهن المرء بالمنطق الذي تحكّم بتصرفه. إن من الصعب، من جهة، أن نجزم بجدية عبد الناصر أو بعدمها في ما يتعلق برفضه الأولي قبول الدمج التام، أو أن نجزم بأنه إنما كان يتشدد في المحادثات لكي يحصل على ما يريد. من جهة أخرى يبدو من المؤكد أن الزعيم المصري كان حذراً من الوضع السياسي القلق في سوريا، ومن دور الجيش في السياسة السورية، ولعله لم يرد أن يلزم بلاده ويخاطر بسمعته ونفوذه إلا إذا منح حرية تصرف كاملة لكي يدير الأمور بلا قيود. ولقد حصل على ما أراده بالضبط، ألا وهو تفويض كامل لحكم سوريا.

إن قدرة عبد الناصر على إملاء شروطه في الساحة العربية تدين بالكثير إلى مقامه الذي ارتفع شأنه في أعقاب حرب السويس والأزمة السورية. وقد عبّر جون بادو عن ذلك بقوله: «إن عبد الناصر قد أصبح بطلاً إقليمياً. كان يبدو للقوميين العرب القلقين والمحبطين وكأنه صلاح الدين آخر يقف متحدياً بوجه الإمبريالية الغربية»(٥٦). وقد أخفقت جهود إدارة آيزنهاور الرامية إلى عزل عبد الناصر وإلى تقويض مركزه داخل مصر وفي المنطقة من خلال ممارسة ضغوط مكشوفة، اقتصادية وسياسية. كما لم ينجح آيزنهاور ودالاس في إجراءاتهما لتقوية أعدائه الإقليميين(٥٧). إن الأدلة المتوفرة تفيد بأن تلك الإجراءات قد أتت بنتائج معاكسة.

خامساً: ردود فعل الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي حيال الوحدة

إن امتداد منطقة نفوذ مصر إلى قلب آسيا العربية أدى إلى قلب موازين القوى المحلية، فصار يمثل تهديداً لمصالح الدول العظمى في الشرق الأوسط. كان غرض عبد الناصر المعلن، كما ذكرنا سابقاً، هو وضع نهاية ـ أو على الأقل وضع حد ـ لسيطرة تلك الدول على الوطن العربي. كان المسؤولون الأمريكيون في حيص بيص. كانوا من جهة مسرورين لأن عبد الناصر قد تخلص من الخطر الشيوعي في سوريا، ذلك أن احتمال قيام الشيوعيين بالاستيلاء على الحكم فيها كان أسوأ ما يمكن أن تؤول إليه الحال هناك بالنسبة إلى واشنطن. ومن جهة أخرى نظروا إلى الاندماج في ضوء سلبي. جاء في ورقة لمجلس الأمن القومي أن الوحدة المصرية ـ السورية في نظام حكمها الحالي من شأنها أن تهدد لبنان والأردن والعراق والسعودية فتبتلعها الواحدة بعد الأخرى. لذا فإن الاتحاد

(٥٦) John S. Badeau, «Introduction to Nasser,» in: Gamal Abdel-Nasser, *The Philosophy of the Revolution,* with an introduction by John S. Badeau; biographical sketch by John Gunther, Economica Books; E-16 (Buffalo: Smith, Keynes and Marshall, 1959), p. 14.

(٥٧) مدير مكتب شؤون الشرق الأدنى (ويلكينز) الى راونتري، الموضوع: إجراءات علنية متخذة بشأن مصر، واشنطن، ٩ أيار/مايو ١٩٥٧، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1957: Arab-Israeli Dispute,* vol. 17, pp. 609 - 610.

الفدرالي «سيكون مناقضاً لمصالحنا»(٥٨).

إن امتداد السطوة المصرية سيؤدي، بنظر الولايات المتحدة، إلى تشجيع «الميول المناهضة للغرب، والمناهضة لأمريكا على الأخص، في الشرق الأوسط وافريقيا». يضاف إلى هذا أن عبد الناصر سيمارس سيطرة منفردة على نقل نفط الشرق الأوسط إلى أوروبا. لذا فإنه سيكون «في وضع يمكنه من ممارسة الضغط على الولايات المتحدة وعلى الدول الغربية الأخرى»(٥٩). أدركت إدارة آيزنهاور، في الوقت عينه، العبث والخطر الكامنين في استراتيجية تقوم على أساس كبح عبد الناصر. وقد حذر وليم راونتري، مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى، من أن السير في سياسة كهذه من شأنه أن يستعدي العرب ويدفعهم أكثر فأكثر إلى أحضان السوفيات. ودعا ذلك المسؤول الأمريكي إلى تغيير تكتيكي في توجه الولايات المتحدة بحيث يبقى، كما هو، هدف أمريكا الأساسي القاضي بعزل مصر عن بقية الوطن العربي، ومع ذلك يجري الإيحاء بحصول اتفاق مع عبد الناصر. إن إقناع الزعيم المصري بحسن نية الولايات المتحدة يمكن أن يؤدي، برأي راونتري، إلى تحسين العلاقات بينها وبين الجمهورية العربية المتحدة وإلى إضعاف الصلات بين هذه الأخيرة والاتحاد السوفياتي، أو حتى إلى إحداث خروق فيها(٦٠).

إن التناقض والتذبذب في تحليلات المسؤولين الأمريكيين يفسر رد الولايات المتحدة الخافت حيال قيام الجمهورية العربية المتحدة. قررت الإدارة الأمريكية، بعد أن أخفقت في كبح جماح عبد الناصر بالإكراه الاقتصادي، بمسايرته وذلك بتلبية بعض مطالبه. وقد جرى اتخاذ خطوات صغيرة لتخفيف العقوبات الاقتصادية وبعض القيود المفروضة على التجارة مع مصر. غير أن هذه الإجراءات كانت تجميلية وليست تغييرات جوهرية، وقد ظل جوهر السياسة الأمريكية من دون تغيير، وكان يقضي بعدم الثقة بعبد الناصر وإبقائه تحت التجربة إلى أن يعترف بمصالح الولايات المتحدة المشروعة في الشرق الأوسط.

أعرب الشيوعيون العرب علناً منذ البداية عن معارضتهم للدمج. كان خالد بكداش، الأمين العام للحزب الشيوعي السوري، قد أدرك على الفور الخطر الذي يتهدد حزبه من هذا التطور الجديد. وكان يرى أن التحرك البعثي ما هو إلا ستار لإخفاء الرغبة

---

(٥٨) NSC, «Long-Range U.S. Policy toward the Near East, NSC 5801, 16 January 1958,» U.S. Archives, p. 17.

(٥٩) من راونتري الى وزير الخارجية، ٤ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٧، في: United States, Department of State, Ibid., vol. 17, pp. 785 - 787, and

من واشنطن الى السفارة الأمريكية، بغداد، ١٧ نيسان/ابريل ١٩٥٨، مذكور في: محمد حسنين هيكل، **سنوات الغليان**، حرب الثلاثين سنة (القاهرة: مركز الاهرام للترجمة والنشر، ١٩٨٨)، ج ١، ص ٨٥٠.

(٦٠) من واشنطن الى السفارة الأمريكية، بغداد، ١٧ نيسان/ابريل ١٩٥٨، مذكور في: هيكل، المصدر نفسه، ج ١، ص ٨٥٠ ـ ٨٥١، ومن السفارة الأمريكية في مصر الى وزارة الخارجية، ٢٤ آب/اغسطس ١٩٥٧، في: United States, Department of State, Ibid., vol. 17, p. 718.

«في احتكار السلطة». وذهب الزعيم الشيوعي إلى أبعد من ذلك بالزعم «أن الوحدة المنتظرة لم تكن شيئاً مفاجئاً لأمريكا وغيرها من الدول الغربية، بل إنها حظيت بموافقتها فأتاحت الفرصة حقاً لإمكانية إبادة «الحركة التقدمية في سوريا»(٦١).

رفض بكداش التوقيع على إعلان الوحدة وغادر سوريا في الحال للسفر متجولاً في الكتلة الشرقية بعد أن فهم الغرض الحقيقي من الدمج، ألا وهو وضع حد للنفوذ الشيوعي والسوفياتي في سوريا. وقد أكد عبد الناصر هذه الحقيقة في ما بعد بقوله إن قبوله الوحدة كان قائماً على أساس تقييمه للتغلغل الشيوعي في سوريا، لقد كان يريد فقط أن يفسد أية فرصة للشيوعيين تتيح لهم الاستيلاء على الحكم(٦٢).

وليس من الغريب أبداً أن يكون زعماء الكرملين غير قطعيين في استجابتهم لتأسيس الجمهورية العربية المتحدة. فقد جعل السوفيات تأييدهم للدولة التي أنشئت حديثاً مشروطاً بتسلمها زمام القيادة في الكفاح ضد الإمبريالية. بيد أنهم على العموم اعتبروا الوحدة امتداداً لجو العداء للشيوعية في مصر وسوريا. إن هذا يفسر موافقتهم على هجمات خالد بكداش ضد سياسات الجمهورية العربية المتحدة الداخلية والخارجية. وبالرغم من مخاوف الكرملين وافق عبد الناصر على الاعتقال الفوري للشيوعيين المصريين والسوريين وأعرب عن رغبته في اتباع سياسة متوازنة تجاه الدول العظمى(٦٣).

كان الزعماء السوفيات يواجهون مأزقاً حقيقياً يتمثل بضرورة الاختيار بين التزامهم الأدبي تجاه حزب شيوعي محلي، ومتطلبات العلاقات القائمة في ما بين الدول. وقد اختاروا الأمر الثاني، فانتصرت الواقعية على الأخلاقية. كان الاتحاد السوفياتي في عام ١٩٥٨ في وضع جيوستراتيجي ضعيف. فمع أنه كان قد كسب شيئاً من السمعة في الوطن العربي بين عامي ١٩٥٥ و١٩٥٨ نتيجة إسناده لمصر إلا أنه لم يتمكن من التقدم كثيراً في أنحاء متعددة من المنطقة العربية. ظلت موسكو معتمدة على عبد الناصر الذي لم يكن يميل إلى تقديم تنازلات(٦٤).

---

(٦١) Batatu, *The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq: A Study of Iraq's Old Landed and Commercial Classes of Its Communists, Ba'thists and Free Officers,* pp. 824 and 826.

(٦٢) Egypt, Ministry of Information, *President Gamal Abdel-Nasser's Speeches and Press Interviews* (Cairo: Information Department, 1959), p. 539.

الواقع أن عبد الناصر لم يكن يريد فقط تقويض الشيوعيين، بل أراد كذلك أن يهمّش البعثيين. كان قراره بإلغاء الاحزاب كافة يرمي الى تصفية أية قوة سياسية يمكن أن تهدد نظامه هناك.

(٦٣) راديو موسكو، ٥ آب/اغسطس ١٩٥٧؛ Torrey, *Syrian Politics and the Military, 1945 - 1958,* p. 379; Heikal, *Sphinx and Commissar: The Rise and Fall of Soviet Influence in the Arab World,* p. 88, and

دانكوس، **السياسة السوفياتية في الشرق الأوسط، ١٩٥٥ ـ ١٩٧٥**، ص ٧٤ ـ ٧٥.

(٦٤) دانكوس، المصدر نفسه، ص ٥٩.

لم يكن السوفيات في وضع يسمح لهم بتحدي عبد الناصر عن طريق دعم الشيوعيين المصريين والسوريين. إن عدم قدرتهم على التدخل باسم الشيوعيين المحليين ومن أجلهم هو انعكاس لسلطتهم المحدودة. لقد ضحى زعماء الكرملين مراراً وتكراراً برفاقهم العقائديين من أجل الأمور العملية الخاصة بالسياسة الخارجية. كانت هناك فجوة هائلة تفصل بين أقوال السوفيات وأعمالهم. وكان سلوكهم يسترشد في الغالب باعتبارات استراتيجية لا بمبادىء نظرية أو دوغماتية. أدرك الفاعلون في المنطقة هذا التباين في سياسة الكرملين الدولية وقاموا باستغلاله.

وبالنظر إلى الغموض في الموقف السوفياتي نحو الجمهورية العربية المتحدة فقد ارتأى عبد الناصر أنه من الضروري إجراء محادثات صريحة مع السوفيات لتفنيد حجج الشيوعيين العرب. كان الزعيم المصري قد ازداد ارتياباً بالغرب بعد حرب السويس. وقد وجد في الاتحاد السوفياتي قوة عالمية بديلة، قادرة على إجراء التوازن مع الولايات المتحدة، فلم يكن يسعه أن يحدث قطيعة معه إذ إن ذلك سيجعله عرضة للخطر. وفي حالة وقوع مواجهة مع الغرب فإن عبد الناصر سيحتاج بشكل عاجل دعماً سوفياتياً في الميدانين الاقتصادي والسياسي. إن زيارته إلى موسكو في نيسان/ابريل ١٩٥٨ كانت ترمي إلى تخفيف التوتر في العلاقات السوفياتية ـ المصرية[٦٥].

كان عبد الناصر وزملاؤه، طوال وجودهم في موسكو، يؤكدون أهمية وقوف البلدان العربية بشكل مستقل في العلاقات الدولية، ويثنون على الزعماء السوفيات لعدم تدخلهم في الشؤون الداخلية للجمهورية العربية المتحدة. وقال خروتشوف في ردٍ له: «إننا لن نفرض نظامنا أو وجهة نظرنا على أحد. ونحن نود أن نرى الشعوب تقرر أنظمتها السياسية بنفسها». وألمح معرِّضاً بوجود عناصر معينة تحاول أن تعكر الجو بين القاهرة وموسكو، وحذر ضيوفه منبهاً إلى الاحتراس من مثل هذه «المؤامرات». وقد حاول السوفيات في البيان الختامي أن يطمئنوا المصريين وذلك بإنكار وجود أية رغبة لديهم في التدخل في منطقة نفوذهم العربية[٦٦].

في هذه المرحلة قام السوفيات بإرضاء عبد الناصر لأنه كان صلة وصلهم الرئيسية ومصدر نفوذهم الأساسي في الشرق الأوسط. بيد أن هذا لم يمنعهم من الإعراب عن انزعاجهم منه خلال بقائه في موسكو، فقد أبدى له خروتشوف استياءه من تجاهل مصر للمصالح السوفياتية. غير أن عبد الناصر لم يكن مستعداً لتغيير اتجاهه. لقد كان في ذروة صيته، كما كان عميق الشكوك بالدول الكبرى كلها. لهذا كان على السوفيات أن ينتظروا

---

(٦٥) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الأول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨**، ص ٦٤٦، وهيكل، **سنوات الغليان**، ج ١، ص ٣١٥ ـ ٣١٨.

(٦٦) **الرئيس جمال عبد الناصر في زيارة للاتحاد السوفياتي** (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، [د. ت.])، ص ٤٦ ـ ٤٧، ٢١٢ ـ ٢١٣، ٢٣٩، ٢٤٨ و٢٦٢ ـ ٢٦٣.

الوقت الذي تظهر فيه تحديات داخلية لعبد الناصر، والوقت الذي يجدون فيه موطئ قدم رئيسياً في الشرق الأوسط. إن هذا يظهر محدودية النفوذ السوفياتي في المنطقة في ذلك الحين. كما يظهر قدرة دول المنطقة على القيام بمبادرات ذات شأن وعلى العمل بشكل مستقل إزاء الدول العظمى.

سادساً: مضاعفات الاندماج المصري - السوري

إن تأسيس الجمهورية العربية المتحدة قد أدخل عناصر جديدة في السياسات الإقليمية والعالمية، فقيام هذه الدولة لم يغير فقط الخريطة الجغرافية والسياسية للوطن العربي، وإنما أجبر كذلك الدول العظمى على إعادة النظر في استراتيجيتها. على المستوى العالمي أخفقت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي في ترجمة قوتهما المادية إلى نفوذ سياسي مباشر في المنطقة. وكانت الدول الصغيرة قادرة على ضرب إحدى الدولتين بالأخرى لتقلل بذلك من قدرتهما على السيطرة على مجرى الأحداث هناك. وباختصار، أدت حدة المنازلة بين الشرق والغرب إلى فرض قيود شديدة على الدولتين العظميين، ومنحت في الوقت عينه حرية عمل واسعة للفاعلين المحليين، إن هذا يفصح عن الفرضية الثانية لهذا الكتاب، ألا وهي أن العلاقة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي قد أثرت في علاقاتهما مع البلدان العربية.

وفي الوقت ذاته كان لتفاقم الحرب الباردة أثر عكسي في السياسات العربية البينية والسياسات الإقليمية. كان انشغال إحدى الدولتين العظميين بالأخرى على نحوٍ استحواذي قد منعهما معاً من إبداء الاهتمام الكافي بالمخاوف والتوقعات المحلية. كانَ ينظر إلى الدول الصغيرة على أنها مجرد بيادق في التنازع الجاري بين الشرق والغرب. وانعكس الاستقطاب الحاصل في المسرح الدولي على الصعيد الإقليمي الذي أضحى حلبة التنافس بين الدولتين العظميين. وكان الوطن العربي في هذا الصدد مهماً لأسباب خاطئة، إذ صارت قيمته الاستراتيجية والاقتصادية نقمة عليه لا نعمة له. وأخرجت المنازعات العربية - البينية عن سياقها فكانت مجالاً للتدخل الخارجي. أما النتيجة فكانت اشتداد الصراعات الإقليمية واستطالة أمد عدم الاستقرار السياسي في المحيط العربي.

ينبغي أن ينظر إلى الوحدة المصرية - السورية في هذا السياق، فلقد كانت نتاجاً غير مباشر للأزمة الأمريكية - السورية في منتصف صيف ١٩٥٧. وفسرت بعض الدوائر السياسية الأمريكية عدداً من الصراعات التي جرت على السلطة في سوريا بشكل مبالغ فيه جداً، فكان ينظر إلى ذلك البلد على أنه ضحية مكائد شيوعية، وأن سقوط سوريا سيؤدي إلى سقوط غيرها من بلدان المنطقة، وهكذا بُنيت نظرية الدومينو (Domino) (وهي نظرية تقول بتسلسل تساقط الرموز أو الدول المرتبطة ضمن منظومة فرعية، في حال سقوط إحداها). وجدت سوريا نفسها محصورة في خضم الصراع بين الشرق

والغرب، «الأمر الذي أخضع نظامها السياسي إلى توترات بالغة»[٦٧]. وقد تتوجت الأحداث اللاحقة باندفاع سوريا باتجاه مصر. ولعبت الولايات المتحدة من حيث لا تدري دوراً حاسماً في دفعها نحو أن تكون رابطة عضوية مع مصر. وكان الرأي السائد في أوساط إدارة آيزنهاور محكوماً بعقيدة الحرب الباردة التي تقسم دول العالم الثالث إما إلى أعداء وإما إلى أعوان. وفرضت تأويلات عالمية على نزاعات محلية فأعطت من النتائج ما هو مناقض للنتائج المقصودة المرتجاة.

ولا غرابة أن يأخذ الاندماج المصري ـ السوري الدولتين العظميين على حين غرة. وقد استنتجت حكومتا آيزنهاور وخروتشوف أن مواجهة مصر بشكل مباشر لن تعطي الأثر المطلوب، بل إن مثل هذه المواجهة قد ترفع من شأن عبد الناصر في أعين العرب كثيراً. وأدركت واشنطن وموسكو كلتاهما الحاجة إلى تحسين العلاقات مع مصر والعمل على إيجاد قوة مقابلة لها في الوقت نفسه، واكتشفتا أهمية البيئة المحلية، وضرورة الخوض في مياهها المضطربة. بيد أن النتائج جاءت على غير ما كان متوقعاً، إذ غدت الدولتان العظميان كلتاهما متورطة حتى الأعماق في المنازعات العربية البينية، فاصطدمتا علناً مع مصر، وتدخلتا تدخلاً مباشراً لإنقاذ حلفائهما المحليين، وكان من المضاعفات غير المباشرة لتدخل الدولتين العظميين في الشؤون العربية تزايد حدة الحرب الباردة العربية.

هذا وسواء حدث هذا التدخل للقوى العظمى أو لم يحدث فإن الاندماج بين مصر وسوريا قد أحدث صدمة عميقة لبعض البلدان العربية وللشرق الأوسط بأسره. إن ذلك قد كشف عن طبيعة السياسات العربية المترابطة، صلاتها وانقساماتها السياسية معاً، التي كانت قائمة بين البلدان العربية وحكامها. كان الوطن العربي مستقطباً إلى أقصى الحدود في النصف الثاني من عقد الخمسينيات، كما أن بروز مصر بصفتها البؤرة المركزية للمنظومة الفرعية العربية كان قميناً بأن يلهب المنافسات العربية البينية.

وأطلق عبد الناصر العنان لعاصفة من المشاعر القومية الحميمة في أرجاء الوطن العربي كله. وكانت القومية العربية التي ينادي بها تبدو للمراقبين المحليين والخارجيين على السواء عارمةً لا تتوقف، ومن المحتمل أن تطيح بالأنظمة الموالية للغرب. واعتقد المحافظون العرب أن مصيرهم السياسي على المحك، فصمموا على مقاومة أفكار عبد الناصر الثورية بالوسائل المتاحة كلها، بما في ذلك طلب التدخل الأجنبي. إن هذا مثل آخر على تكتلات القوة المحلية وكيف تؤثر في سلوك الزعماء العرب على المسرح الدولي.

عند إعمال النظر في الوحدة المصرية ـ السورية بعد مرور الزمن نجد أنها لم تؤد إلى وحدة عربية واسعة، ولا إلى تحرير الساحة العربية من النفوذ الأجنبي... لقد كان الوطن العربي متشظياً من الناحية السياسية وكانت القوى الطردية (Centrifugal) أكثر انغماساً في

---

(٦٧) Seale, *Asad of Syria: The Struggle for the Middle East,* p. 54.

المنظومة الفرعية العربية من العناصر الجاذبة (Centripetal). بالإضافة إلى هذا، وكما يقول حنا بطاطو، «قامت الجمهورية العربية المتحدة على صلة غير ملموسة بين شخص عبد الناصر والجماهير الواسعة من المعجبين السوريين أكثر مما قامت على رابطة عضوية حقيقية بين الشعب السوري والشعب المصري»(٦٨).

والسؤال: هل كان عبد الناصر يريد، أو لا يريد، اندماجاً كاملاً مع سوريا هو سؤال للبحث الأكاديمي. إنه بتوقيعه على اتفاق الوحدة قد كشف جناحيه، وغدا هدفاً لمعارضة داخلية وخارجية معاً. ولم يعد بوسعه أن يكون سلبياً لا يقدم على عمل، فاضطر أن يعمل وأن يضع أفكاره موضع التطبيق. إن نجاح مبادرات عبد الناصر السياسية ـ أو إخفاقها ـ سيقرر ليس فقط زعامته للوطن العربي بل مستقبل حركة القومية العربية أيضاً.

---

(٦٨) Batatu, *The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq: A Study of Iraq's Old Landed and Commercial Classes of Its Communists, Ba'thists and Free Officers*, p. 815.

الفصل الخامس

نهاية حقبة من العلاقات
بين البلدان العربية والدول العظمى
١٩٥٨ ــ ١٩٦١

يركز هذا الفصل على الفترة من بداية الوحدة المصرية ـ السورية في شباط/ فبراير ١٩٥٨ حتى حلها في أيلول/ سبتمبر ١٩٦١. كان من السمات الرئيسية لهذه الفترة الرابطة الوثيقة بين السياسات الداخلية والاقليمية والدولية. وكان الفاعلون المحليون، في صراعهم من أجل الهيمنة في المنطقة أو من أجل محض البقاء، يتطلعون في الغالب الى قوى خارجية طلباً للحماية والدعم. لم يكن غريباً إذن أن تشتد الحرب الباردة العربية، وأن يتعمق انشغال الدول العظمى بالشؤون العربية. فكانت النتيجة انحدار المنظومة الفرعية العربية الى حالة أزمة دائمة.

أولاً: الاتحاد العربي (العراقي ـ الأردني)

ان الوحدة بين مصر وسوريا قد خلقت نشوةً وهياجاً معاً في الوطن العربي. فقد اعتُبرت الحدث الذي توّج فكرة الوحدة العربية[١]، ورأى فيها القوميون العرب حداً فاصلاً في تاريخ حركتهم على أساس أنها كانت خطوة أولى على الطريق نحو التوحيد التام[٢]. وكما جاء في العنوان الرئيسي لإحدى الجرائد، فإن الوحدة ستحمل معها «بذور المستقبل العربي» وتضع «حجر الأساس لوطن قومي عربي حقيقي». لقد بدا في الوهلة الأولى أن حلم الوحدويين العرب سيتحقق أخيراً[٣].

وعلى الضد من ذلك وجد المحافظون العرب أن الأنغام الجذلى التي تتغنى بالوحدة العربية كانت مثيرة للقلق، لا بل حتى للفزع. ان الوحدة المصرية ـ السورية، والزوبعة القومية التي أطلقتها من عقالها، قد هزت أركان النظام العربي القائم من أساسه. كان القبول بتحرك عبد الناصر يعني ترسيخ الهيمنة المصرية التي ستودي على المدى الطويل

---

(١) Albert Habib Hourani, *A History of the Arab Peoples* (London: Faber and Faber, 1991), p. 407.

(٢) عبد الله الريماوي، **المنطق الثوري للحركة العربية الحديثة**، سلسلة الوعي العقائدي؛ ١ (القاهرة: دار المعرفة، ١٩٦١)، الفصل ٢.

(٣) نقلاً عن: «Heath to Secretary of State, Beirut, 18 and 20 November 1957, Nos. 1612 and 1640,» U. S. Archives.

بالمحافظين العرب الى الكارثة. . انهم لن يكونوا على الهامش فقط بل سيفقدون كذلك أساس شرعيتهم السياسية.

ان ايقاف التقدم نحو الوحدة العربية كان يتطلب، بنظر المحافظين، اجراءات فورية تخفف من الأثر السياسي للوحدة المصرية ـ السورية. وهكذا أعلن عن إنشاء الاتحاد العربي بين العراق والأردن في ١٤ شباط/فبراير ١٩٥٨، أي بعد أقل من أسبوعين من قيام الجمهورية العربية المتحدة. قال الملك حسين ان ذلك الاتحاد كان يرمي إلى إيقاف التوسع الشيوعي في المنطقة، لكن الغرض الحقيقي من وراء ذلك الاتحاد الفدرالي الفضفاض كان الوقوف بوجه عبد الناصر، والحفاظ على المنظومة الفرعية للدول العربية. ورداً على هذا الاجراء العراقي ـ الأردني اتخذ عبد الناصر خطوات لإدخال اليمن في الجمهورية العربية المتحدة في آذار/مارس ١٩٥٨. ان استعداده لإدخال اليمن، وهي ملكية شبه إقطاعية متخلفة، يدل على أن الخطوط العقائدية في المحالفات العربية البينية كانت مشوشة لا تبين للعيان بوضوح(٤).

ومع أن السعودية ولبنان كانا أقل كلاماً وأقل نشاطاً في معارضتهما للجمهورية العربية المتحدة إلا أنهما قاما بإخبار المسؤولين الأمريكيين سراً عن قلقهما بشأن احتمال انتقال ما يجري الى مجتمعيهما. لم يكن يسعهما الوقوف دون حراك، ذلك أنهما كانا على علم بالروابط الشديدة القائمة بين البلدان العربية، بحيث إن التطورات أو التغييرات التي تجري في بعضها تولّد آلياً استجابة وتحركاً في بعضها الآخر(٥). كانت السياسات العربية في أواخر الخمسينيات عبارة عن القيام بتوازنات مستمرة، والمؤشر كان يتحول دائماً إلى صالح مصر.

وفي ورقة سياسية لمجلس الأمن القومي الأمريكي عن الشرق الأوسط أدرك كاتبها هذا التحوّل في ميزان القوى المحلي وما رافق ذلك من تدهور في سمعة الولايات المتحدة. ودعت الورقة الى تقوية العلاقات بين الحكومات العربية المعتدلة الموالية للغرب، والى قيامها بوضع مخططات اقليمية تقف بوجه الجمهورية العربية المتحدة. وقد ألزمت هذه

---

(٤) Hussein (King of Jordan), *Uneasy Lies the Head: An Autobiography* (London: Heinemann, 1962), p. 153;

حسين، ملك الأردن، **مهماتي كملك** (عمان: الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧٨)، ص ١٤٨؛ محمد مهدي كبة، **مذكراتي في صميم الأحداث، ١٩١٨ ـ ١٩٥٨** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٥)، ص ٣٧٣، و «Joint Chiefs of Staff and National Policy, 1956 - 1958, JCS History, Chapter 9, Subject: The Lebanon Crisis and After,» U.S. Archives, p. 420.

(٥) «Ambassador in Beirut to Department of State, No. 445, 14 February 1958,» U.S. Archives, pp. 1 - 2, and Paul Noble, «The Arab System: Opportunities, Constraints and Pressures,» in: Bahgat Korany and Ali E. Hillal Dessouki, eds., *The Foreign Policies of the Arab States* (Boulder, CO: Westview Press, 1984), p. 48.

الورقة، وهي بمثابة بيان سياسي، حكومة الولايات المتحدة بدعم النظام الملكي العراقي، ودعت كذلك إلى قيام بريطانيا بدور كبير هناك، كما أنها وعدت «بضمان الأمن الداخلي والحرص على استمرار العراق في إسناد حلف بغداد»(٦).

ومع أن الورقة المذكورة قدمت مدخلاً جديداً لبلوغ أهداف الولايات المتحدة في المنطقة، إلا أنها استمرت، من دون تغيير يذكر، في التأكيد على الأغراض ذاتها التي هيمنت على السياسة الأمريكية منذ عام ١٩٥٤. لكأن مجلس الأمن القومي كان غافلاً عن التيارات الثورية القوية التي كانت تجتاح البلدان العربية، المتمثلة بالغليان القومي والثورة ضد الغرب والهياج الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي كان يغلي تحت السطح. هذه الظواهر كلها، اما أن ورقة مجلس الأمن القومي كانت قد تجاهلتها أو أنها أساءت تأويلها. ان المسؤولين الذين قصروا توجههم على مسائل الأمن كانوا منشغلين بالتنازع العقائدي مع الشيوعية السوفياتية الى درجة لا تجعلهم يهتمون الاهتمام الكافي بمصادر الصراع المحلية. وهذا الانشغال يفسّر ذهول الولايات المتحدة حين اندلعت حرب أهلية دامية في لبنان في ربيع ١٩٥٨. لقد كان للسياق الهيكلي للحرب الباردة أثره الكبير مرة أخرى على تصورات الولايات المتحدة وأعمالها نحو البلدان العربية.

ثانياً: جذور الأزمة اللبنانية

ان الصراع في لبنان، مثله مثل الأزمة التي حدثت في الأردن، كانت له أبعاد داخلية وإقليمية ودولية مترابطة(٧). ومن غير الممكن أن يتم فهم الحرب اللبنانية، إلا بتفحص هذه المنابع الثلاثة واستعراض الساحة كلها. فعلى الجبهة الداخلية كان الصراع على السلطة بين المعارضة ورئيس الجمهورية كميل شمعون يستقطب المجتمع والسياسات اللبنانية. كان شمعون، وهو سياسي ماروني مناصر للغرب مناصرة قوية، مصمماً على فرض إرادته السياسية مهما كان الثمن.

منذ أوائل أيار/مايو ١٩٥٧ قام قائد الجيش اللبناني اللواء فؤاد شهاب بإخبار ممثلي الولايات المتحدة في بيروت بشكل شخصي أن أسلوب شمعون «الدكتاتوري» كان يدفع بالمعارضة الى ركن ضيق، ويشق صفوف النخبة السياسية على أسس طائفية ودينية. وأفاد شهاب أنه طالما حذر شمعون من التلاعب بالانتخابات النيابية المقرر إجراؤها في حزيران/يونيو ١٩٥٧. ان النظام، بحسب رأى اللواء شهاب، هو في حال من غير

(٦) «NSC, Long-Range U.S. Policy toward the Near East, NSC 5801/1,16 and 24 January 1958,» U.S. Archives, pp. 2, 14 and 16 - 18.

(٧) Fahim Issa Qubain, *Crisis in Lebanon* (Washington, DC: Middle East Institute, 1961), p. 30.

الممكن فيها تصفية المعارضة[٨]، وكان يرى أن التوازن بين المسيحيين والمسلمين لن يسمح لشمعون بأن يصبح «دكتاتوراً».

لذا، فإن الحل برأي اللواء شهاب يكمن في حل وسط يحفظ ماء وجه الحكومة «ويعطي المعارضة قطعة من الجبنة». وقد ناشد محاوريه الأمريكيين ألا ينظروا الى الصراع على السلطة الجاري في لبنان من زاوية التنازع بين الشرق والغرب؛ وقال لهم إن معظم الرجال الذين يعارضون شمعون هم لبنانيون وطنيون. «وإذا كان سليمان فرنجية وكمال جنبلاط من الشيوعيين فأظن أن عليكم اعتباري شيوعياً أيضاً»[٩]. كذلك قام السكرتير العام للمنظمة القومية الاسلامية، عبد الوهاب الرفاعي، بإخبار أحد المسؤولين الأمريكيين أن المعضلة هي في طريقة تعامل شمعون مع القضايا السياسية المحلية ومع شخصيات البلد، واتهمه وشارل مالك بأن كليهما أناني، وأضاف يقول: «إنهما يريدان فرض قناعاتهما الشخصية على الناس من دون التمهيد الكافي لذلك»[١٠].

كانت المعارضة لشمعون واسعة النطاق، وكانت تضم بعض الأشخاص المهمين في المؤسسة الحاكمة. وكان هؤلاء يلومون رئيس الجمهورية شخصياً ويقولون ان طريقته الاستبدادية مسؤولة عن استعداء قسم كبير من النخبة السياسية. كان شمعون هو المشكلة، على حد قول فؤاد شهاب[١١]. وكان من المنتظر، إذا أخذنا بالاعتبار مستوى المعارضة لحكومة شمعون، أن يقوم هذا الأخير بمحاولة ترضية المعارضين والاتفاق معهم، لكن رئيس الجمهورية الحازم ووزير خارجيته المشاكس كليهما لم يكن يتحمل المعارضة. كانا مصممين على الفوز بالاعتماد على الاسناد المادي والسياسي من الدول الغربية. بيد أن الذي قضى على شمعون هو المبالغة في تقدير أهمية لبنان الاستراتيجية، والمبالغة بالثقة بنفسه هو بالذات.

في البداية حققت هذه الاستراتيجية فوزاً ساحقاً للقوى المؤيدة لشمعون في الانتخابات البرلمانية التي جرت في عام ١٩٥٧، فأدت إلى مزيد من الاستقطاب في الحياة

---

(٨) «Beirut to Washington, DA Intelligence Report, Prepared by Robert C. Works, Subject: Opinions of Commanding General Chehab, No. R-189-57, 31 May 1957,» U.S. Archives, pp. 1 - 3.

(٩) المصدر نفسه، ص ٢ ـ ٣.

(١٠) من مكلنتوك الى وزارة الخارجية، بيروت، ٢٧ آذار/مارس ١٩٥٨، بريد وزارة الخارجية، رقم ٥٤٧، في: المصدر نفسه.

(١١) المصدر نفسه، ص ٢، و «Joint Chiefs of Staff and National Policy, 1956 - 1958, JCS History, Chapter 9, Subject: The Lebanon Crisis and After,» U.S. Archives, p. 421.

للاطلاع على وجهة نظر شمعون عن الأزمة، انظر: Camille Chamoun, *Crise au Moyen-Orient*, l'air du temps (Paris: Gallimard, 1963).

السياسية اللبنانية(١٢). اعترضت قوى المعارضة بمرارة على نتائج الانتخابات وعلى حجم الفوز الذي نالته الحكومة وعلى شرعية هذا الفوز، وادعت أن شمعون كان يريد تعديل الدستور لكي يعاد انتخابه مرة ثانية لرئاسة الجمهورية. ان امتناع الرئيس عن تكذيب هذه المزاعم علناً أقنع معارضيه ومؤيديه على السواء بنيته في ابتغاء ولاية ثانية. هذا وقد أكدت وكالة المخابرات المركزية والسفارة الأمريكية في بيروت كلتاهما أن شمعون زوّر الانتخابات لضمان إعادة انتخابه(١٣).

وجهت المعارضة كذلك اتهامها الى الحكومة الأمريكية بأنها موّلت مرشحي شمعون في الانتخابات، وكان في هذه التهمة شيء من الصحة. فقد زعم ضابط الاتصال الرئيسي لوكالة المخابرات المركزية مع شمعون، ويلبر إيفلاند، أن الوكالة دفعت مبالغ «طائلة» الى نواب الحكومة، ونعت الانتخابات بأنها كانت عملية أدارتها الوكالة المذكورة، وأضاف يقول: «لقد قمنا أصلاً بشراء برلمان لشمعون». لقد قامت الولايات المتحدة بذلك، بحسب ما يقوله إيفلاند، على افتراض أن البرلمان الجديد سينتخب رئيساً جديداً في عام ١٩٥٨. ومع أنه لم تعرض على الملأ بعد وثائق أمريكية تتصل بالذات بتدخل وكالة المخابرات المركزية في الانتخابات، إلا أن المصادر التي رفعت عنها السرية حديثاً تلمح الى أن الولايات المتحدة «لعبت دوراً ناشطاً». وتبين هذه المصادر كذلك أن وزير الخارجية شارل مالك طالب بمساعدة أمريكية للتأثير في الانتخابات(١٤).

بيد أن من التضليل الظن بأن الأزمة اللبنانية كانت مجرد صراع داخلي على السلطة أو تصادم بين الأمزجة والشخصيات. ان التذمر الداخلي من شمعون كان قد تغذى أساساً بنهج الحكومة في السير في سياسات اقليمية ودولية كانت تعتبر استفزازية ومثيرة للانقسامات. وقد أدى الاستقطاب في الوطن العربي في النصف الثاني من عقد الخمسينيات الى تفاقم الانقسامات الداخلية في لبنان. كان هناك تياران يتنافسان على الغلبة

---

(١٢) انظر خطاب الشيخ نديم الجسر في: Nadim El-Jisr, «The Roots of the Lebanese Revolution, Beirut to Department of State, No. 4006, 14 October 1958,» U.S. Archives, p. 10.

(١٣) قصر الدستور اللبناني ولاية رئيس الجمهورية على مرة واحدة. انظر: «Current Intelligence Weekly Summary, CIA, Office of Current Intelligence, 1,15 and 29 May 1957,» p. 10, «Department of State, Office of the Historian, Subject: The United States and Lebanon, 1958,» p. 2, and «U.S. Embassy, Beirut, 25 June 1958,» in: U.S Archives.

(١٤) «The Lebanese Foreign Minister's Call on the President, 6 February 1957,» U.S. Archives, p. 3;

من الموظف المسؤول عن الشؤون اللبنانية ـ السورية الى مدير مكتب شؤون الشرق الأدنى، ١٧ كانون الثاني/يناير ١٩٥٨، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1958 - 1960: Lebanon and Jordan,* vol. 11 (Washington, DC: Government Printing Office, 1992), p. 4, and Wilbur Crane Eveland, *Ropes of Sand: America's Failure in the Middle East* (London; New York: W. W. Norton, 1980), pp. 248 - 258 and 266.

في الشرق الأوسط وفي الساحة العربية بالذات، فمصر الناصرية تقود الحركة القومية الثورية التي تنادي بالوحدة العربية، فيما يحمل العراق رأس الحربة لمعارضة مصر في سعيها للهيمنة الاقليمية، وكان العراق في ذلك يمثل البلدان العربية الموالية للغرب.

ان التنازع المصري ـ العراقي أصاب بعدواه العلاقات العربية البينية، كما أن الحرب الباردة العربية سممت أجواء السياسات الاقليمية. ولم يكن لبنان ليستثنى من ذلك. وقد أفصحت سياسة شمعون المناصرة للعراق عن نفسها حين غازل فكرة الانضمام الى حلف بغداد، فاستعدى بذلك مصر، ومن ثم سوريا. ولم يقتصر الأمر على اعتناق عبد الناصر وشمعون آراء متعارضة حول القضايا الأساسية التي كانت تشطر الوطن العربي شطرين بل كان الأمر يتمثل أيضاً بوجود تصادم خطير في نوعية الشخصيتين[(١٥)].

وأدى موقف شمعون من قضايا اقليمية أخرى الى زيادة التوتر في العلاقات المصرية ـ السورية مع لبنان وعمّق الانقسامات الداخلية فيه. فحين غزت بريطانيا وفرنسا مصر في عام ١٩٥٦ رفض شمعون أن يقطع العلاقات الدبلوماسية معهما. وقد صرح عبد الناصر في ما بعد قائلاً: «ان حكام لبنان طعنونا من الخلف أيام شدتنا»[(١٦)]. وفي خلال الأزمة السورية في عام ١٩٥٧ استقبل شمعون ومالك المبعوث الأمريكي لوي هندرسون من دون التشاور مع سوريا. وقام مالك بمناشدة ادارة آيزنهاور بقلب نظام الحكم في سوريا، وقال الى هندرسون ان لبنان المناصر للغرب لا يمكنه أن يتعايش مع سوريا محايدة أو ذات توجه شيوعي، وأضاف: «ان هذا أو ذاك يجب أن يختفي فيزول إن عاجلاً أو آجلاً»[(١٧)]. وفي المقابل شجبت وزارة الخارجية السورية شمعون لأنه يخدم «المخططات الامبريالية والصهيونية»[(١٨)].

بيد أن الرئيس اللبناني لم يرتدع. كان يرى في القومية العربية الثورية تهديداً للنظام المحافظ الاقليمي الذي كان لبنان جزءاً لا يتجزأ منه، كما كان هو ووزير خارجيته مالك مستعدين لاتخاذ قرارات تنطوي على المخاطرة للتصدي لفكرة الوحدة العربية التي ينادي

(١٥) Agnes G. Korbany, *U.S. Intervention in Lebanon, 1958 and 1982: Presidential Decision-Making* (New York : Praeger, 1991), p. 34, and Qubain, *Crisis in Lebanon*, pp. 36 - 37.

(١٦) Egypt, Ministry of Information, *President Gamal Abdel-Nasser's Speeches and Press Interviews* (Cairo: Information Department, 1958), p. 197.

(١٧) من بيروت الى وزير الخارجية، ٢٨ آب/اغسطس ١٩٥٧، نقلاً عن: David W. Lesch, «Prelude to American Intervention in Lebanon: The 1957 American-Syrian Crisis,» paper presented at: University of Texas Conference on Lebanon in the 1950's, 10 - 13 September 1992, p. 18.

(١٨) «Current Intelligence Weekly Summary, CIA, Office of Current Intelligence, 19 September 1957,» U.S. Archives, p. 1.

بها عبد الناصر. وعلى سبيل المثال رفض شمعون في البداية الاعتراف بالجمهورية العربية المتحدة عند تأسيسها بعد الوحدة بين مصر وسوريا في شباط/فبراير ١٩٥٨[١٩]. ولم يأخذ بالحسبان، لا شمعون ولا مالك المضاعفات المحلية التي تنجم عن السير على سياسة مناهضة لمصر، بل انهما سبحا ضد تيار الرأي العام فقوّضا شرعيتهما السياسية[٢٠].

كانت شعارات عبد الناصر وأفكاره رائجة جداً في أرجاء الوطن العربي، وكان تحديه للغرب ودعوته للوحدة العربية يلقيان آذاناً صاغية في كل قطر من الأقطار العربية، وبضمنها لبنان. وكما قال الشيخ نديم الجسر، الشخصية المعارضة البارزة، ان عبد الناصر بوقوفه بوجه الغرب وبدفاعه عن القضية العربية «قد أصبح بالنسبة إلى العرب والمسلمين معبوداً من بعد الله»[٢١]. كذلك استاءت المعارضة من موقف شمعون الفاتر تجاه الجمهورية العربية المتحدة. هذا، وبعد إعلان الوحدة غدت دمشق قِبلةً يقصدها السياسيون والمواطنون اللبنانيون للمشاركة في تكريم الزعيم المصري.

وقد أعلن عادل عسيران، رئيس مجلس النواب اللبناني، قوله: ان لبنان سيسير مع الركب العربي، وان أي أحد [في اشارة الى شمعون] يروم العمل لخدمة مصالح أخرى غير مصالح العرب لا مكان له في لبنان[٢٢]. وقد قام المتظاهرون المسلمون، في حماستهم للوحدة العربية بقيادة عبد الناصر، بتمزيق العلم اللبناني في شوارع صور. وقام عبد الناصر بدوره بمناشدة العرب كافة بشكل غير مباشر، وبضمنهم اللبنانيون، بالانضمام الى الجمهورية العربية المتحدة ودحر «الخونة والمتآمرين»[٢٣].

وبالنظر الى قوة المشاعر القومية كان لا بد أن يثير موقف شمعون العدائي مضاعفات داخلية. أما التحدي الذي كان يشهره، هو ووزير خارجيته شارل مالك، بوجه العقيدة السائدة في النظام العربي فقد مهّد السبيل الى مواجهة جعلت كل طرف فيها

---

(١٩) من السفير الأمريكي الى وزارة الخارجية، ١٤ شباط/فبراير ١٩٥٨، في: المصدر نفسه، ص ١٢، و M. Shafi Agwani, ed., *The Lebanese Crisis, 1958: A Documentary Study* (London: Asia Publishing House, 1965), pp. 3 - 4.

(٢٠) Leila Marie-Therese Meo, *Lebanon, Improbable Nation: A Study in Political Development*, Indiana University, International Studies (Bloomington, IN: Indiana University Press, 1965), p. 104.

(٢١) «Beirut to Department of State, the Roots of the Lebanese Revolution, 14 October 1958,» U.S. Archives, pp. 10 - 11.

(٢٢) نقلاً عن: *Egyptian Gazette* (5 March 1958).

(٢٣) Kamal Salibi, «Recollections of the 1940s and 1950s,» paper presented at: University of Texas Conference on Lebanon in the 1950's, 10 - 13 September 1992, p. 26, and Egypt, Ministry of Information, *President Gamal Abdel-Nasser's Speeches and Press Interviews* (1958), p. 60.

يسعى الى مرجع خارجي لدعم موقعه. وفي حين كان المذكوران يخطبان ود إدارة آيزنهاور كانت المعارضة ترحب بالمساعدات المصرية والسورية، السياسية منها والمادية. كان كلا الطرفين يلعب لعبة خطرة. . ، لكن هذا جزء من اللعبة المعتادة إذ يتطلع اللاعبون نحو الخارج من أجل المساعدات وذلك لكي يغلبوا في مناوراتهم مناورات خصومهم المحليين.

ان اتّباع شمعون سياسةً صريحة موالية للغرب لم يؤد إلا الى تفاقم متاعبه الداخلية والاقليمية، وقد قام هو ورئيس وزرائه سامي الصلح ووزير خارجيته شارل مالك بربط مقادير لبنان بسياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط. كان لاستراتيجيتهم أن تكون نافعة لولا التدهور المطرد في العلاقات بين الغرب وقوى القومية العربية الراديكالية منذ منتصف الخمسينيات. ان هذه التطورات قد وضعت أمام حكومة شمعون خيارات شائكة[٢٤]. كان على الرئيس اللبناني أن يختار بين مشاركة وثيقة مع الولايات المتحدة فيغامر بذلك بحدوث عدم استقرار في الداخل وعزلة في الخارج في المنطقة، وبين أسلوب خافت ومحايد لمهادنة القوى القومية المنادية بالوحدة العربية. كان يأمل بأن يستبق المعارضة وذلك بالوقوف بسياسة لبنان الخارجية في صف الولايات المتحدة.

انتهز شمعون ومالك سريعاً فرصة الإعلان عن مبدأ آيزنهاور للتعويل عليه كأداة لطلب مساعدات عسكرية من الولايات المتحدة. هذا وقد كان مالك، وليس شمعون، هو القوة الدافعة وراء جعل سياسة لبنان الخارجية تقف بشكل ناشط في صف الولايات المتحدة[٢٥]. فلقد قام مالك، حتى قبل مصادقة الكونغرس الأمريكي على مبدأ آيزنهاور في آذار/ مارس ١٩٥٧، بإبلاغ آيزنهاور بأن لبنان يرحب بمبادرته، وهو مستعد للتصدي للأعمال الشيوعية الهدامة في المنطقة. كذلك أكد أن مصر وسوريا كانتا تقعان بالتدريج تحت النفوذ السوفياتي، وأضاف يقول: «إن من الضروري أن يحدث تغيير سياسي في سوريا ومصر»[٢٦].

---

(٢٤) «Department of State, Office of the Historian, Subject: The United States and Lebanon, 1958,» p. 1, and «Joint Chiefs of Staff and National Policy, 1956 - 1958, JCS History, Chapter 9, Subject: The Lebanon Crisis and After,» p. 420, in: U.S. Archives.

(٢٥) Nadim Dimechkie, «The United States Intervened Militarily by Sending the Marines to Lebanon in 1958: Why Did this Happen,» paper presented at: University of Texas Conference on Lebanon in the 1950's, 10 - 13 September 1992, p. 18, and Eveland, *Ropes of Sand: America's Failure in the Middle East,* p. 245.

(٢٦) «The Lebanese Foreign Minister's Call on the President, 6 February 1957,» pp. 2 - 3; «Joint Chiefs of Staff and National Policy, 1956 - 1958, JCS History, Chapter 9, Subject: The Lebanon Crisis and After,» p. 420; «Richards to Secretary of State, Beirut, 16 March 1957,» and «Joint Chief of Staff, Subject: Military Planning Talks, March 1957,» pp. 2647-2648, in: U.S. Archives.

كان لبنان هو القطر العربي الوحيد، باستثناء (ليبيا في العهد الملكي)، الذي يوافق رسمياً على مبدأ آيزنهاور. أما الحكومات العربية الأخرى الموالية للغرب فقد أدركت الخطر الكامن في تحرك كهذا. وكان معارضو شمعون يعتقدون أنه، بوضع لبنان في صف الغرب ضد مصر وسوريا، لم ينتهك فقط حياد بيروت التقليدي بل أخل كذلك بالميزان الدقيق القائم بين الطوائف اللبنانية المختلفة. ولقد كانت انتفاضة عام ١٩٥٨، على حد قول اثنين من زعماء المعارضة هما كمال جنبلاط والشيخ الجسر، رداً مباشراً على النفوذ الأجنبي وعلى تبعية لبنان للغرب(٢٧). ان انحياز لبنان الدولي وخروجه من الصف العربي هما الأمران اللذان أحدثا، أكثر من أي أمر آخر، الأزمة ثم بلوغها الى ذروتها. هذا، وتعكس هذه الأحداث الروابط الوثيقة بين السياسات الداخلية والاقليمية والدولية في لبنان وفي الساحة العربية بشكل عام.

ثالثاً: المواجهة

هكذا أعدت الساحة لمواجهة بين الحكومة والمعارضة. لم يكن ميزان القوة في صالح شمعون لأن اللواء فؤاد شهاب رفض أن يضع الجيش بجانب رئيس الجمهورية، فقد كان يعارض تدخل الجيش في صراع داخلي لئلا يتمزق إرباً إرباً بالمتناقضات التي تحف بالسياسات اللبنانية. لم يخف اللواء شهاب في أحاديثه مع ممثلي الولايات المتحدة «اشمئزازه العميق» من شمعون ومن المتعاونين معه(٢٨).

كان تحييد الجيش مهماً من جانبين، الأول انه فضح الانقسامات الرئيسية في داخل الحكومة اللبنانية كما فضح المركز القلق لشمعون نفسه. والجانب الثاني أن جيشاً محايداً قد مكّن المعارضة، بما تتلقاه من مساعدة مادية وسياسية من الجمهورية العربية المتحدة، من أن تتوسع وترسخ وجودها في مناطق واسعة من البلاد. واضطر شمعون أن يعتمد على الميليشيات المحلية وعلى الشرطة من أجل المقاومة، وقد كان بحاجة الى دحر معارضيه وحماتهم في المنطقة. الأمر الذي جعله يطلب تدخلاً من قوات غربية أشد بأساً.

---

(٢٧) «Beirut to Department of State, the Roots of the Lebanese Revolution, 14 October 1958,» pp. 2 and 10; «Department of State, Office of the Historian, Subject: The United States and Lebanon, 1958,» p. 2; «Joint Chiefs of Staff and National Policy, 1956 - 1958, JCS History, Chapter 9, Subject: The Lebanon Crisis and After,» p. 420, in: U.S. Archives;

كمال جنبلاط، **في مجرى السياسة اللبنانية: أوضاع وتخطيط** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٥٨)، ص ٥٧، و B. J. Odeh, ***Lebanon: Dynamics of Conflict, a Modern Political History*** (London: Zed Books, 1985), p. 100.

(٢٨) «Department of State, Office of the Historian, Subject: The United States and Lebanon, 1958,» p. 2, and McClintock to Secretary of State, Beirut, No. 3191, 25 March 1958,» in: U.S. Archives, pp. 1 - 2.

وما إن تزايدت التوترات في الأشهر الأولى من عام ١٩٥٨ حتى أخذ شمعون وحكومته يحاولان تأكيد الطبيعة الخارجية للأزمة، ويحاول أن يقنع الولايات المتحدة بالحاجة الى قيامها بعمل حاسم. صورت الحكومة ذلك الصراع بأنه يجري بين لبنان المناصر للغرب والقومية العربية الثورية المتحالفة مع الشيوعية. ففي تصريحات ثلاثة منفصلة أدلى بها في أيار/مايو كل من شمعون والصلح ومالك اتُّهمت الجمهورية العربية المتحدة بأنها تتدخل في شؤون لبنان الداخلية بنيّة الاطاحة بحكومته المنتخبة ديمقراطياً(٢٩).

ان شمعون ومالك المحاصرين في الداخل أخذا يتطلعان الى عون خارجي. وفي اجتماعاتهما مع المسؤولين الأمريكيين كانا يقولان ان سبب الأزمة ليس هو ما عندهما من طموح، بل هو انضمام لبنان الى مبدأ آيزنهاور. ونعى مالك كذلك قدرة الغرب على مواجهة التهديد الشيوعي. كان الاثنان المذكوران يأملان، بقيامهما بالتشديد على الخطر الخارجي وباستعمالهما ورقة الحرب الباردة، أن يتم تدويل النزاع وأن تنحاز الولايات المتحدة الى جانبهما. غير أن شخصيات المعارضة كانت تصر بعناد على عدم تدويل الأزمة إذ كانت تكتلات القوى الداخلية الى جانبها. كانت تلك الشخصيات تصر على القول إن جذور النزاع هي جذور داخلية ولا علاقة لها بالجمهورية العربية المتحدة، ومع هذا كانت تعتمد على دعم الأخيرة كل الاعتماد معنوياً ومادياً(٣٠).

وعلى الرغم من الاعتماد الهائل على القوى الخارجية لم يكن الفاعلون المحليون مجرد متفرجين سلبيين أو قانعين. ان الاستقطاب في سياسات العالم ما بين كتل متنافسة قد مكن الدول الصغيرة من خدمة مصالحها باستغلال التنازع بين موسكو وواشنطن. وفي حالة لبنان حاول شمعون ومعارضوه أن يحثوا قوى أجنبية للتدخل باسمهم. كانت استراتيجيتهم تتلخص باستخدام المساعدة الخارجية لكسب النفوذ والسطوة، ولتحقيق منافع سياسية على حساب خصومهم. بيد أن اللاعبين الصغار نسوا أن بوسع الدول الكبيرة أيضاً استخدامهم كوكلاء يقاتلون عنها في حروبها؛ كانوا يستغلون الدول العظمى

---

(٢٩) «McClintock to Secretary of State, Beirut, Nos. 4115, 4272 and 5108, 22 and 27 May and 25 June 1958,» and «Beirut to Department of State, the Roots of the Lebanese Revolution, 14 October 1958,» p. 4, in: U.S. Archives, and Agwani, *The Lebanese Crisis, 1958: A Documentary Study*, pp. 58 and 85.

(٣٠) Chamoun, *Crise au Moyen-Orient*, p. 11; Charles W. Thayer, *Diplomat* (New York : Harper and Brothers, 1959), pp. 24 - 25; Eveland, *Ropes of Sand: America's Failure in the Middle East*, pp. 256 and 276;

من بيروت الى وزارة الخارجية، ٩ كانون الثاني/يناير ١٩٥٨، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1958 - 1960: Lebanon and Jordan*, vol. 11, pp. 1 - 2 and *New York Times*, 17/8/1958.

ويستغلون بدورهم من قبلها. وكانت النتيجة أن أصبح الشرق الأوسط مسرحاً للحرب الباردة.

في نهاية أيار/مايو ١٩٥٨ تقدمت الحكومة اللبنانية بشكويين ضد الجمهورية العربية المتحدة إحداهما الى الجامعة العربية والأخرى الى مجلس الأمن الدولي. وقد أحس شمعون ومالك أن الجامعة العربية غير مؤهلة لحل الأزمة، لذلك ركزا جهودهما على مجلس الأمن، فقرر الأخير إرسال فريق من المراقبين الى لبنان. وفي أواسط ذلك الشهر خرج عبد الناصر عن صمته وأنكر أية مسؤولية عما يجري من أحداث في لبنان، واتهم شمعون بمحاولة تحويل شأن داخلي صرف الى مشكلة خارجية لغرض «خداع الدول الكبرى واقناعها بالتدخل». في هذه الأثناء كانت إذاعة صوت العرب تهاجم شمعون وتدعو الشعب اللبناني الى الاطاحة به(٣١).

رابعاً: رد الفعل الأمريكي الأولي

ان الوثائق الأمريكية التي رفعت عنها السرية تظهر بجلاء أن المسؤولين في الولايات المتحدة كانوا في البداية مختلفين في تقييمهم للأزمة اللبنانية. ثمة وجهات نظر ثلاث من الممكن أن نتبيّنها، الأولى ويشترك فيها آيزنهاور ودالاس وتقول ان المشكلة في لبنان «شيوعية في أصلها». كان نفوذ أمريكا ووجودها في الشرق الأوسط يمران بنظرهما في مرحلة حرجة، إذ كان الاتحاد السوفياتي يحرض على عدم الاستقرار في أرجاء المنطقة كلها. كتب آيزنهاور في ما بعد يقول: «كان اعتقادنا الراسخ هو أن الشيوعيين هم الذين كانوا مسؤولين أساساً عن المشكلة»(٣٢).

ووجهة النظر الثانية تقيم صلة بين القومية العربية الثورية وبين الشيوعية، فتؤكد بذلك على دور الجمهورية العربية المتحدة الذي يعمل على زعزعة الاستقرار. ان «تحريض الشيوعية على الثورة» يُربط تماماً بمساعي عبد الناصر لزعزعة استقرار الأنظمة الموالية

(٣١) *New York Times,* 11; 13 and 23/5/1958 and 7/6/1958; Egypt, Ministry of Information, *President Gamal Abdel-Nasser's Speeches and Press Interviews* (1958), pp. 196 - 198; «McClintock to Secretary of State, Beirut, No. 4438, 4 June 1958,» and «Joint Chiefs of Staff and National Policy, 1956 - 1958, JCS History, Chapter 9, Subject: The Lebanon Crisis and After,» pp. 435 - 439, in: U.S. Archives.

(٣٢) ألن دالاس، مدير وكالة المخابرات المركزية، يشاطر آيزنهاور ودالاس آراءهما أن السوفيات موجودون في الصورة اللبنانية. انظر: «Diary, 14 July 1958»; «Memorandum for Record, 15 May 1958,» p. 2; «Memorandum of Conversation with the President, Department of State, Subject: Lebanon, 15 June 1958,» p. 4, and «Eisenhower to Paul Hoffman, 23 June 1958,» p. 2, in: U.S Archives, and Dwight Eisenhower, *The White House Years: Waging Peace, 1956 - 1961* (New York: Doubleday, 1960), p. 266.

للغرب في الشرق الأوسط، بما في ذلك لبنان. وقد أفاد ممثلو الولايات المتحدة في بيروت أن المساعدة المصرية والسورية الى المعارضة في لبنان كانت تطيل من أمد المسألة وتفاقم الوضع. ووفقاً لهذا الرأي كان هجوم عبد الناصر الأخير يرمي إلى إيقاع أكبر الأذى في سمعة الغرب في المنطقة(٣٣). أما وجهة النظر الثالثة التي يأخذ بها مسؤولون أمريكيون آخرون فترتئي أن الأزمة كانت سياسية في طبيعتها. ان لبنان بنظر هؤلاء لم يكن مهدداً بعدوان خارجي، ذلك أن الجمهورية العربية المتحدة التي قصرت نشاطها على الدعاية لم تكن عضواً في الكتلة الاشتراكية، وهم يجدون أسباباً سياسية محلية في صلب النزاع. ان قضايا السياسة الخارجية كانت بالنسبة إليهم أقل أهميةً من مسألة الأشخاص(٣٤). غير أن وجهة النظر هذه تمثل رأي الأقلية في أوساط الادارة الأمريكية.

كان آيزنهاور ودالاس، قبل تصعيد الأزمة في أوائل أيار/مايو، كلاهما سبّاقاً في الالتزام تجاه سياسات شمعون وحتى تجاه سعيه لاعادة انتخابه رئيساً للجمهورية(٣٥). كان هذا الموقف يمثل استراتيجية أقل مغامرةً بالنسبة إليهما إذ إن التذمر السياسي لم يكن قد تفجر بعد الى عصيان كلي ضد نظام شمعون. وما إن تدهور الوضع بعد اغتيال صحفي معارض بارز هو نسيب المتني حتى أعادت ادارة آيزنهاور النظر في مستوى التزامها تجاه لبنان. ان حدة الاضطرابات التي اندلعت في البلاد قد أعادت الرئيس ووزير خارجيته الى صوابهما. لقد أدركا الخطر الكامن في التورط بسياسات لبنان الداخلية، فذلك من شأنه أن يزج الولايات المتحدة ضد قوى القومية العربية الثورية.

انه لفي هذا السياق أن دعا مكلنتوك الى اتباع اتجاه أمريكي حذر نحو الأزمة اللبنانية الا اذا «كنا نرغب في استخدام قضية لبنان وسيلةً لتنفيذ سياسة عدائية نحو عبد الناصر والجمهورية العربية المتحدة لغرض فصل سوريا ومحاولة (سويس جديدة) ضد الزعيم المصري»(٣٦). لكن آيزنهاور ودالاس لم يكونا مستعدين للمغامرة بمواجهة مع

---

(٣٣) «Beirut to Secretary of State, No. 3647, 4 May 1958»; «JCS Chiefs of Staff and National Policy, 1956 - 1958, JCS History, Chapter 9, Subject: The Lebanon Crisis and After,» p. 421, in: U.S. Archives, and Alan Dowty, *Middle East Crisis: U.S. Decision Making in 1958, 1970 and 1973* (Berkeley, CA: University of California Press, 1984), pp. 25 - 27.

(٣٤) من بيروت الى وزارة الخارجية، ٢ حزيران/يونيو ١٩٥٨، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1958 - 1960: Lebanon and Jordan*, vol. 11, p. 88, and «Marine Corps Historical Center, Washington, Chapter 4, Subject: Intervention in the Internal Affairs of a Foreign Country to Assure a Friendly Government, [n.d.],» U.S. Archives, p. 2.

(٣٥) «Secretary of State to Beirut, No. 3629, 18 March 1958», and McClintock to Dulles, No. 3709, 7 May 1958,» in: U.S. Archives.

(٣٦) من بيروت الى وزارة الخارجية، ٢ حزيران/يونيو ١٩٥٨، في: United States, Department of State, Ibid., vol. 11, p. 88.

الجمهورية العربية المتحدة بشأن لبنان، وكلاهما لم يكن يرى لبنان مهماً بشكل حيوي. وقد اكتشف شمعون ومالك في ما بعد هذه الحقيقة المؤلمة فأثار ذلك حنقهما وبدد نظرتهما المثالية نوعاً ما نحو الغرب.

وهكذا ففي ١٣ أيار/مايو، وجواباً على طلب متردد من شمعون بتدخل أمريكي محتمل، أرسلت التعليمات الى مكلنتوك لكي يقوم بإخبار رئيس جمهورية لبنان أن حكومة الولايات المتحدة تعتبر إدخال قوات أمريكية الى هذه البلاد خطوة «خطيرة» من الممكن أن تؤدي الى أوخم العواقب. كانت الولايات المتحدة في هذه المرحلة لا تشعر بالارتياح بشأن التدخل العسكري، فالذي كان على المحك لم يكن بذي شأن، أما الأكلاف السياسية المحتملة في المستقبل فكانت باهظة جداً. شدد آيزنهاور ودالاس على ضرورة قيام شمعون بالاعتماد على مصادره لحسم النزاع، كما أنهما أعربا عن أملهما أن يتمكن شمعون من التعامل مع الأزمة المتطورة وذلك بأن يرتب أمور بيته السياسي(٣٧). كانت الآراء متفقة في واشنطن على أن التدخل المسلح قد تكون له مضاعفات اقليمية ضارة بالمصالح الغربية.

ففي اجتماع لمجلس الأمن القومي، مثلاً، تكلم مدير وكالة المعلومات الأمريكية ألن جورج محذراً من إرسال قوات أمريكية، لأن ذلك سيعتبر من قبل العرب المسلمين تدخلاً لصالح المسيحيين. وأضاف: «كان اللبنانيون يميلون كثيراً لسنوات عديدة إلى الاعتماد على دول أجنبية لحمايتهم ـ على الأتراك، على الفرنسيين، على البريطانيين، وأخيراً علينا». واختتم كلامه قائلاً: إن على اللبنانيين الآن أن يعتمدوا على أنفسهم من أجل الحماية(٣٨). وعندما خف التوتر في أواخر شهر أيار/مايو صرّح دالاس أن الولايات المتحدة لا تعتبر لبنان مهدداً من الشيوعية الدولية في الظروف الحالية(٣٩). وقد قامت الحكومة الأمريكية بنقل أسلحة إلى قوات الشرطة في بيروت جواً. وحركت قطعاً من الأسطول السادس باتجاه شرقي البحر الأبيض المتوسط، واستأنفت إعداد خطة للطوارىء مع بريطانيا. بيد أن آيزنهاور ودالاس كانا يترددان في القيام بعمل أكثر حزماً كإرسال قوات إلى لبنان.

أما موقف القيادة في الكرملين من الأزمة اللبنانية فقد كان في البداية مقتصراً على الكلام. فقد اعترض أحد التصريحات السوفياتية الرسمية على المحاولات الخطرة التي تقوم بها دول أجنبية بغية التدخل في شؤون لبنان الداخلية، وحذر ذلك البيان من أن التدخل

---

(٣٧) من وزارة الخارجية الى السفارة في بيروت، ١٣ أيار/مايو ١٩٥٨، في: المصدر نفسه، ج ١١، ص ٤٩.

(٣٨) ملاحظة تحريرية، ٢٩ أيار/مايو ١٩٥٨، في: المصدر نفسه، ج ١١، ص ٨٠.

(٣٩) من وزارة الخارجية الى بيروت، ١٣ أيار/مايو ١٩٥٨، في: *Department of State Bulletin* (9 June 1958), p. 945.

الغربي قد تترتب عليه «نتائج وخيمة» بشأن مستقبل السلام في الشرق الأوسط(٤٠). غير أن السوفيات لم يقدموا على القيام بحملة دبلوماسية ناشطة في لبنان كما فعلوا في الأزمة السورية في العام السابق(٤١).

في منتصف حزيران/يونيو ساءت الحالة الأمنية في لبنان، فطلب شمعون من وزير خارجيته مالك أن يستوضح من الولايات المتحدة هل ستكون مستعدة لارسال قوات الى بيروت إذا طلب منها ذلك؟ نقل الوزير الى المسؤولين الأمريكيين ما يتطلبه الوضع من استعجال وأبلغهم أن طلباً بالتدخل قد يكون وشيكاً. وقد أكد على البعد الخارجي للأزمة باتهامه الناصرية والشيوعية بأنهما تطلقان العنان لعدائهما ضد لبنان عن طريق التخريب. وقام مالك بإخبار دالاس أن الصراع قد تجاوز حدود لبنان ليشمل الشرق الأوسط بأسره، وأفاد أن هذا الصراع هو نزال بين شمعون والغرب من جهة وعبد الناصر والكتلة الشرقية من جهة أخرى، لذا فإن المقاتلة الحقيقية إنما هي بين الرأسمالية والشيوعية. واختتم مالك رسالته بقوله ان المساعي الغربية الرامية الى معالجة الأزمة ينبغي ألا تقتصر على لبنان وحده، بل ينبغي أن تتسع بما يكفي لحل المشاكل الأساسية في المنطقة كلها(٤٢).

لقد حاول شمعون ومالك، في سعيهما للحصول على إسناد فعال وتدخل من الولايات المتحدة، أن يستخدما ورقة الحرب الباردة مرةً أخرى. انهما لم يعتبرا من الموقف السابق لآيزنهاور ودالاس الذي كان موقفاً فاتراً لا يلتزم بشيء. كان موقفهما المتفائل يستند إلى الزعم المشكوك بصحته بأن لبنان لا يمكن الاستغناء عنه استراتيجياً بالنسبة إلى الغرب، غير أنهما كانا يبالغان بأهمية لبنان في سياسات العالم. كان من الأمور المسلم بها بالنسبة إليهما أن الدول الغربية ستقوم بالمحافظة على أمن نظام شمعون وذلك بمواجهة أعدائه في الداخل وفي المنطقة. إنهما لم يقدرا حق التقدير تنوع المصالح الأمريكية والدور الرئيسي الذي تلعبه مصر في استراتيجية الولايات المتحدة في المنطقة. كان على شمعون ومالك أن يعرفا أن الولايات المتحدة لن تفرط بعلاقتها مع مصر من أجل لبنان؛ إن إخفاقهما في فهم هذه النقطة الأساسية كلّفهما غالياً.

عقدت إدارة آيزنهاور سلسلة من الاجتماعات على أعلى المستويات لبحث مطالب شمعون الأخيرة وتحديد نهج للعمل تجاه لبنان. وقد ظل إجماع الرأي في واشنطن يعارض التدخل. كان آيزنهاور يشك في إمكانية تبرير التدخل بموجب مبدأ آيزنهاور الذي لم يكن

---

(٤٠) *Current Digest of the Soviet Press* (25 June 1958), p. 22.

(٤١) «Current Intelligence Weekly Summary, CIA, Office of Current Intelligence, 19 June 1958,» U.S. Archives, p. 3.

(٤٢) مذكرة محادثات، واشنطن، ١٥ حزيران/يونيو ١٩٥٨، ومذكرة محادثات، وزارة الخارجية، ١٨ حزيران/يونيو ١٩٥٨، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1958 - 1960: Lebanon and Jordan*, vol. 11, pp. 83, 131 and 153.

موجهاً الا ضد عدوان خارجي - وفي هذا ما فيه من إقرار بأن أسباب الأزمة كانت داخلية. وقد شعر رئيس الجمهورية أن الولايات المتحدة ستكون هدفاً للانتقاد ذاته الذي وجه الى حلفائها الأوروبيين عند قيامهم بغزو السويس. وأسف آيزنهاور لعدم وجود زعامة قوية في لبنان، ولكثرة الانقسامات العميقة في صفوف نخبته الحاكمة، ومن هنا جاء على لسانه قوله إنه لم يكن «متحمساً لتدخلنا في هذا الوقت»(٤٣).

وردد دالاس رأي آيزنهاور قائلاً ان التدخل الآن سيكون مأساوياً لحلفاء الولايات المتحدة ومجلبة للكوارث للمصالح الأمريكية. وأضاف يقول إن عملاً كهذا تقوم به الولايات المتحدة يجب أن يأخذ بالحسبان الروح الانقسامية في السياسات اللبنانية والضعف العام للحكومات الموالية للغرب في المنطقة. كان قلقاً بوجه خاص بشأن النظام الملكي الهاشمي غير المستقر في بغداد. وقد اقترح دالاس أن تقوم واشنطن بالضغط على اللبنانيين لحل مشاكلهم بأنفسهم، وبإقناع شمعون بأن يتقدم بتنازلات. وكان صريحاً جداً مع مالك: إن على شمعون ألا يتوهم أن بوسعه أن يربح المعركة ضد عبد الناصر بدعوة الولايات المتحدة الى التدخل؛ «على العكس، انه بذلك سيخسرها». بعبارة أخرى، لم تكن الولايات المتحدة مستعدة لمقاتلة عبد الناصر وقوى العروبة إرضاءً لشمعون(٤٤).

وواقع الأمر أن الدبلوماسيين الأمريكيين العاملين في مصر كانوا يتفاوضون سراً مع عبد الناصر للعثور على حل للأزمة اللبنانية. إن هذا يرقى الى اعتراف ضمني من ادارة آيزنهاور بسطوة الزعيم المصري ومقامه اللذين يتجاوزان حدود الأقطار في الوطن العربي. في نهاية أيار/مايو اتصل عبد الناصر بالحكومة الأمريكية وعرض استخدام نفوذه للمساعدة في إنهاء الصراع. وعقدت سلسلة من الاجتماعات في القاهرة بينه وبين السفير الأمريكي. غير أنه حين أرسلت وزارة الخارجية الأمريكية ملخصاً لاقتراح عبد الناصر الى شمعون قام هذا برفضه في الحال وبرفض القبول بأي حلٍ وسط قد ينبئ بنهاية حياته السياسية. أما الأمر الذي يثير الحيرة في هذا الشأن فهو أن المسؤولين الأمريكيين لم يحاولوا حتى إقناع شمعون بمزايا خطة عبد الناصر كنقطة انطلاق للمفاوضات، بل انهم سخفوا الاقتراح باعتباره لعبة من الزعيم المصري لفرض حل «لا يرغب لبنان فيه». ثم حدثت المفارقة، إذ لم يمض على ذلك إلا شهران حتى أخذت ادارة آيزنهاور تستخدم البنود ذاتها الواردة في الخطة المصرية أساساً لاجراء تسوية للأزمة اللبنانية(٤٥).

---

(٤٣) مذكرة مباحثات مع الرئيس الأمريكي، البيت الأبيض، واشنطن، ١٥ حزيران/يونيو ١٩٥٨، في: المصدر نفسه، ج ١١، ص ١٣٦.

(٤٤) المصدر نفسه، ومذكرة مباحثات، وزارة الخارجية، واشنطن، ١٨ حزيران/يونيو ١٩٥٨، في: المصدر نفسه، ج ١١، ص ١٥٣ - ١٥٤.

(٤٥) في مذكراته، أنحى آيزنهاور باللائمة على شمعون لعدم ثقته بعبد الناصر، وذلك بشأن الاخفاق في الاستجابة للاقتراح المصري، انظر: Eisenhower, *The White House Years: Waging Peace,* =*1956 - 1961*, p. 268;

في ١٩ حزيران/يونيو طلب دالاس من مكلنتوك أن يحث شمعون على القيام بكل ما في وسعه لتجنب وضع قد يقتضي التقدم بطلب منه لتدخل أمريكي. كان دالاس يعتقد أن التدخل في تلك المرحلة سيكون مأساوياً، إذ ان الولايات المتحدة قد تتهم بعرقلة مساعي الأمم المتحدة؛ وكانت غير مستعدة لإرسال القوات قبل استنفاد خيار المنظمة المذكورة. وعلى هذا قام مكلنتوك بإخبار شمعون أن إرسال قوات غربية الى بيروت لن يحل الأزمة الحالية، بل قد يكون لذلك أثر معاكس ويثير مشاعر الناس، الأمر الذي سيقلقل الأنظمة العربية المعتدلة وربما يؤدي الى الإطاحة بها، وقد يؤدي حتى «الى تقسيم لبنان أو تقطيع أوصاله في نهاية المطاف»، وهذا بدوره قد يضعف المركز العربي ويزيد من سمعة عبد الناصر ونفوذه(٤٦).

لم يقتنع شمعون بهذه الحجج، فقد كان يعتقد أن الحل السياسي متعذر لأن المبادرة لم تعد بيد زعماء البلاد، وعبد الناصر هو القوة المحركة الآن وراء التمرد. جاءت وجهة النظر هذه متفقة مع استراتيجية شمعون في التشديد الزائد على الجانب الخارجي من الأزمة. هذا وقد ترك رئيس الجمهورية لوزير خارجيته أن يبين بوضوح وضع النظام، فاجتمع هذا بدالاس في ٣٠ حزيران/يونيو وكرر الرأي القائل بأن سبب الصراع الرئيسي لم يكن داخلياً، وإنما كان له بعد أوسع. وذكر كذلك انه اذا تقوض استقلال لبنان فإن حكومات أخرى موالية للغرب ستنهار، وقال: «ان لبنان هو الذي يمسك بالحاجز الواقي، وان هذه معركة ليست من أجل لبنان وحده وإنما من أجل الغرب أيضاً. واذا ذهب لبنان فإن الغرب سيسقط كذلك»(٤٧).

وحاجج مالك أيضاً بالقول انه لا عبد الناصر ولا المتعاطفون معه في لبنان مهتمون بحل وسط سياسي، وأضاف أن شمعون ليس مستعداً لتقديم تنازلات على أية حال لأنه يعتقد بأنه لا يُسمح لعبد الناصر أن يكون له قول في شؤون لبنان الداخلية والخارجية، وقال: «إن شمعون سيستمر بالقتال في هذه المعركة حتى ينتصر أو يسقط لأن هذه هي

= من السفارة الأمريكية في مصر الى وزارة الخارجية، ٢٧ أيار/مايو، و٥ و٩ حزيران/يونيو ١٩٥٨، في: United States, Department of State, Ibid., vol. 11, pp. 68 - 70, 76 - 77, 91 - 93 and 103 - 104; «William Rountree to Embassy, Beirut, Washington, No. 4710, 10 June 1958,» U.S. Archives, and Egypt, Ministry of Information, *President Gamal Abdel-Nasser's Speeches and Press Interviews* (1958), p. 399.

(٤٦) جرى التأكيد لشمعون أن لواشنطن ثقة تامة به شخصياً كرمز لتصميم لبنان على استقلاله. «Secretary of State to Ambassador McClintock, Beirut, No. 11077, 19 June 1958,» U.S. Archives, pp. 1 - 4.

(٤٧) من السفارة في لبنان الى وزارة الخارجية، ٢٠ حزيران/يونيو ١٩٥٨، ومذكرة مباحثات، وزارة الخارجية، واشنطن، ٣٠ حزيران/يونيو ١٩٥٨، في: United States, Department of State, Ibid., vol. 11, pp. 161 and 186.

معركة من أجل الحرية ومن أجل الاستقرار والسلام في الشرق الأوسط. إنها تتجاوز المصالح اللبنانية»[٤٨]. ان اللغة الحادة التي استخدمها مالك ونبرته القاطعة التي صور بها الصراع تعكس رغبته في حث الغرب على التدخل في الأزمة عسكرياً، وتعرب كذلك، وعلى مستوى أعلى، عن اقتناع متضخم بأهمية لبنان في لوحة الشطرنج الاستراتيجية التي يتبارى فيها الغرب. فإلى أي مدى كانت ادعاءات مالك واقعية؟ والى أي مدى كان بقاء الغرب مرتبطاً كل الارتباط حقاً ببقاء لبنان؟

لم يقتنع دالاس بما قدمه مالك من حجج، فقال لمخاطبه ان التدخل العسكري سيكون له وقع الكارثة. في هذا الوقت كان البيت الأبيض ووزارة الخارجية الأمريكية قد أخذا ينظران الى شمعون على أنه العقبة الرئيسية أمام تسوية سلمية، إذ إنه «كان غير مستعد وبعناد لاتخاذ تلك الاجراءات الأخيرة الخاصة بتضحية شخصية والتي قد تؤمن حلاً سياسياً وسطاً يحول دون هزيمته هو بالذات». وفي هذا السياق أشار دالاس على مالك بضرورة التفكير جدياً بخلفٍ لشمعون[٤٩]. بيد أنه سرعان ما حدثت تطورات دامية في العراق فحفزت صناع السياسة الأمريكية على التساؤل عن ترددهم السابق في التدخل في الشرق الأوسط وجعلتهم ينظرون الآن في أمر تنفيذه بعد كل الذي جرى. هذا، وفي التحليل النهائي نجد أن سياسة الولايات المتحدة نحو لبنان كانت ترسمها اعتبارات أوسع، اقليمية ودولية، وهي التي ستقرر في نهاية المطاف: هل تقدم واشنطن على التدخل أم لا؟

خامساً: الثورة في العراق

كان الحكام العرب المحافظون يشعرون بالقلق ازاء التصعيد في الأزمة اللبنانية والقوة المتزايدة للقوى المناصرة لعبد الناصر في لبنان. وكان أكثرهم شعوراً بذلك رئيس الوزراء العراقي نوري السعيد الذي كان مدركاً للوضع القلق للنظام الملكي في العراق. وقد أقنعه الصراع على حلف بغداد أن كل شيء في المنظومة الفرعية العربية مرتبط بعضه مع بعضه الآخر. ان البقاء السياسي في الحياة العربية يتطلب باستمرار التوازن والتوازن المقابل. وعلى سبيل المثال جاء تحالف سوريا مع مصر في عام ١٩٥٥ ليمكّن عبد الناصر من أخذ المبادرة في السياسات الاقليمية.

ومن هنا فإن انتصاراً مصرياً في لبنان سيسهم، بنظر العراق، في عزل بغداد أكثر فأكثر في الأوساط العربية. ان تحولاً كهذا في ميزان القوى الاقليمي سيهدد بقاء أنظمة الحكم المحافظة العربية. وبالنظر الى الأساس الواهي الذي أقيم عليه الحكم الملكي في

---

(٤٨) مذكرة مباحثات، واشنطن، ٣٠ حزيران/يونيو ١٩٥٨، في: المصدر نفسه، ج ١١، ص ١٨٦.

(٤٩) المصدر نفسه، ج ١١، ص ١٨٧ ـ ١٨٨، ومن السفارة في لبنان الى وزارة الخارجية، ١٩ حزيران/يونيو ١٩٥٨، في: المصدر نفسه، ج ١١، ص ١٥٨.

العراق فإنه سيكون أول الأنظمة التي ستسقط. فكان محتماً على نوري السعيد أن يأخذ زمام الأمور بيديه في محاولة لايجاد طريقة لاسناد شمعون. وعلى حد ما يقوله السفير الأمريكي الى العراق ولدمار غولمان، كان السعيد حانقاً لعدم قيام واشنطن بدعم شمعون. وقد قام السعيد بحث الغرب على مساعدة رئيس الجمهورية اللبنانية المحاصر مساعدة فعالة: كما قام أيضاً بإخبار شمعون أن العراق والأردن كانا على استعداد لعقد اتفاقية دفاعية عسكرية أو سياسية مع لبنان. وقد أيدت بريطانيا كذلك إنشاء رابطة دفاعية عراقية - لبنانية(٥٠).

شجع المسؤولون العراقيون شمعون على الوقوف بحزم ورفض تقديم أي تنازل للمعارضة، مؤكدين له أن بوسع لبنان التعويل على تدخل غربي في آخر لحظة. وقد ذهب العراق الى أبعد من ذلك فاتهم عبد الناصر علناً بأنه يستخدم طرقاً شيوعية في التخريب الداخلي للسيطرة على الوطن العربي. ولإظهار العزم على مساعدة شمعون قرر أعضاء حلف بغداد عقد اجتماع لهم في اسطنبول في ١٤ تموز/يوليو، وذلك لبحث الأزمة اللبنانية بالدرجة الأولى(٥١). كانت الحكومة العراقية، بإقدامها على محاولة إيقاف المد المصري المنادي بالقومية العربية، تبحر ضد تيارات قوية داخلية واقليمية. وكان المجتمع العراقي في أواخر الخمسينيات، مثله مثل معظم المجتمعات العربية الأخرى، يمر بتحول ثوري. كان مجتمعاً مسيّساً جداً وذا شرائح طبقية متعددة، وجاء تدفق الأموال النفطية ليثري النظام الملكي، ولكن تلك الأموال لم تدمج المجتمع بالدولة. وقد ظلت الملكية مترفعة ومنعزلة عن الحياة اليومية، كما ظلت الدولة منفصلة عن المجتمع(٥٢).

---

(٥٠) كان الاقتراح العراقي بنظر شمعون مجرد «عرض فارغ» لأن العراق يتجنب تقليدياً استخدام جيشه ضد العرب الآخرين. وفي رأيه أن عقد معاهدة بين العراق ولبنان في هذا الوقت سيكون عبئاً سياسياً مضراً أكثر مما تكون له أية قيمة عسكرية. «McClintock to Secretary of State, Beirut, No. 4642,» U.S. Archives, pp. 1 - 2; Waldemar J. Gallman, *Iraq under General Nuri: My Recollections of Nuri al-Said, 1954 - 1958* (Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press, 1964), pp. 164 - 165; Eveland, *Ropes of Sand: America's Failure in the Middle East,* p. 282, and Lord Birdwood, *Nuri as-Said: A Study in Arab Leadership* (London: Cassell, 1959), pp. 256 - 259.

(٥١) «Current Intelligence Weekly Review, CIA, Subject: Lebanese Situation (part I), 10 July 1958,» U.S. Archives, p. 1, and Agwani, *The Lebanese Crisis, 1958: A Documentary Study,* pp. 188 - 192.

(٥٢) Hanna Batatu, *The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq: A Study of Iraq's Old Landed and Commercial Classes of Its Communists, Ba'thists and Free Officers* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1978), pp. 30, 34-35 and 1116, and Marion Farouk-Sluglett, «Contemporary Iraq: Some Recent Writing Reconsidered,» *Review of Middle East Studies,* no. 3 (1978), p. 95.

وكانت الدعوات الرامية الى الاصلاح الاجتماعي ـ الاقتصادي والى التغيير السياسي لا تلقى أذناً صاغية أو كان يجري تجاهلها ببساطة. كان الوصي على العرش عبد الإله ونوري السعيد يكرسان جهودهما للحفاظ على النظام القديم كما هو من دون تغيير، كما أنهما لم يدركا الخلل البنيوي القائم، فأدت سياساتهما الى تفاقم الانقسامات السوسيو ـ اجتماعية. من هنا ظهرت ثقافة سياسية لا تستطيع أن تعبر عن نفسها من خلال مؤسسات الدولة(٥٣). وعملت سياسات عبد الإله والسعيد الاقليمية والدولية على إبعاد قسم كبير من العراقيين عن الملكية، وكانت هذه بنظرهم مرادفة للإرث الاستعماري البريطاني الذي أدام وجودها. مثلاً، عند وقوع التمرد العسكري في عام ١٩٤١ استخدمت بريطانيا الجيش العربي لشرقي الأردن لسحق تلك الانتفاضة القومية وإعادة الوصي الى الحكم. لم ينس العراقيون قط أن الوصي على العرش قد وقف في ساعة الشدة المحيقة بهم الى جانب أعدائهم الاستعماريين. ومنذ تلك اللحظة كانت الملكية قد فقدت بنظر الشعب شرعيتها تماماً(٥٤).

وكان تحالف الوصي مع بريطانيا يتمثل في نهاية الأمر بالنسبة الى العراقيين بحلف بغداد، ذلك الحلف الذي كانوا يعتبرونه أداة ترمي الى تأييد الإمبريالية البريطانية، وعزل العراق عن محيطه العربي، وترسيخ سيطرة النظام. وقد أدى ما حدث من انعزال العراق عن الوطن العربي الى جعل أطياف الرأي كلها، من محايدة وقومية ووحدوية، في وادٍ آخر. لذلك فإن السياسة الناشطة الموالية للغرب التي سار عليها عبد الإله ونوري السعيد قد ضاعفت الى حدٍ كبير من تردي شعبية النظام الملكي ومن سمته غير الوطنية الملصقة به. ويتفق المحللون للشأن العراقي على أن حلف بغداد كان من أهم المتغيرات التي دفعت باتجاه التغيير الثوري(٥٥).

ان الجيش، وهو الدعامة التي تسند سلطة النظام الملكي، كان القوة الوحيدة القادرة

---

(٥٣) Albert Habib Hourani, «Foreword,» in: Robert A. Fernea and William Roger Louis, eds., *The Iraqi Revolution of 1958: The Old Social Classes Revisited* (London: I. B. Tauris , 1989), p. viii, and Batatu, Ibid., p. 1116.

(٥٤) Batatu, Ibid., pp. 30 and 1116; Norman Daniel, «Contemporary Perceptions of the Revolution in Iraq on 14 July 1958,» in: Fernea and Louis, eds., Ibid., p. 5, and

كبة، **مذكراتي في صميم الأحداث، ١٩١٨ ـ ١٩٥٨**، ص ٣٦٧.

(٥٥) Batatu, Ibid., pp. 31 - 32, 679 and 766; Majid Khadduri, *Republican Iraq: A Study in Iraqi Politics since the Revolution of 1958* (London; New York : Oxford University Press, 1969), pp. 12 and 14; Robert A. Fernea and William Roger Louis, «Introduction,» in: Fernea and Louis, eds., Ibid., p. xvi; John C. Campbell, *Defense of the Middle East: Problems of American Policy* (New York: Harper, 1958), pp. 49 and 61, and

كبة، المصدر نفسه، ص ٣٦٢ ـ ٣٦٥ و٣٨٤ ـ ٣٩١.

على إجراء تغيير ثوري. غير أن المفارقة، كما يلاحظ بطاطو، تجلت في أن نظام الحكم والدبلوماسيين الغربيين، وحتى المعارضة، لم تأخذ كلها قوة الجيش وخطره مأخذاً جدياً. حاول عبد الإله ونوري السعيد ترسيخ السيطرة على الهيئة العسكرية باجتذاب ذوي الرتب العليا الى جانب النظام عن طريق المغريات، فلم يصب ذلك نجاحاً لأن جل الضباط ينحدرون من طبقات فقيرة ومتوسطة فكان لا بد لهم أن يعكسوا ما في المجتمع من لهفة وشعور بالعداء(٥٦).

ثمة عوامل متعددة أسهمت في تذمر الجيش، ومنها فشل التمرد العسكري لسنة ١٩٤١ وما أعقب ذلك من إحالة عدد من الضباط على المعاش وإعدام بعضهم، وإقدام النظام على اضعاف الجيش. وجاءت هزيمة فلسطين في عام ١٩٤٨ لتجعل الضباط يشعرون بالعار. وأبعد الصراع بين النظام العراقي وحركة القومية العربية فئة العسكريين عن العرش. ثم إن التأثير الذي كان للضباط الأحرار المصريين في الضباط الأحرار العراقيين أمر لا يمكن التقليل من مفعوله، وقد كان عبد الناصر بمثابة النموذج لهم وما يطمحون إليه من دور. في مقابل ذلك كان الاتجاه الغربي الواضح لعبد الإله ونوري السعيد لا يلقى استجابةً لدى الناس، وقد أنحي باللائمة عليهما في أمر تهميش العراق وعزله عن الوطن العربي وعن تخريب المسيرة نحو الوحدة العربية(٥٧).

وحدث عدوان السويس فأشعل روح الثورة في نفوس العسكريين العراقيين، وجعل بعض الضباط يقدم على السعي للاطاحة بالنظام الملكي. وبلغ استياء الجيش ذروته من جراء موقف الحكومة من الوحدة المصرية ـ السورية. واتخذت خطة الانقلاب السرية للضباط الأحرار طابع الالحاح. ولمواجهة أي تدخل غربي محتمل اتصل هؤلاء بعبد الناصر وبالسوفيات وحصلوا على تأكيد بالمساعدة(٥٨).

في صيف عام ١٩٥٨ كان الضباط الأحرار قد توصلوا الى نتيجة مفادها «وجود تصادم غير قابل للتوفيق بين النظام الملكي وحاجات العراق، ولم يكن أمامهم الآن إلا

---

(٥٦) Batatu, Ibid., p. 764; Daniel, Ibid., p. 2, and
محمد فاضل الجمالي، **العراق الحديث، آراء ومطالعات في شؤونه السياسية** (بيروت: [د. ن.]، ١٩٦٩)، ص ١٥ ـ ١٧.

(٥٧) Batatu, Ibid., pp. 30-31 and 765-766; Farouk-Sluglett, «Contemporary Iraq: Some Recent Writing Reconsidered,» p. 94; Khadduri, Ibid., pp. 12 and 14; Fernea and Louis, «Introduction,» p. xv, and William Roger Louis, «The British and the Origins of the Iraqi Revolution,» p. 49, and Rashid Khalidi, «The Impact of the Iraqi Revolution on the Arab World,» p. 107, in: Fernea and Louis, eds., Ibid.

(٥٨) Batatu, Ibid., pp. 766-767, 776 and 795; Frederick W. Axelgard, «U.S. Support for the British Position in Pre-Revolutionary Iraq,» in: Fernea and Louis, eds., Ibid., pp. 89 - 90, and Khadduri, Ibid., p. 2.

انتظار اللحظة المناسبة لتوجيه ضربتهم». وجاءت تلك اللحظة فجر الرابع عشر من تموز/ يوليو حين سارت مجموعة من الضباط بقيادة عبد الكريم قاسم نحو بغداد وأطاحت بالعائلة المالكة. ان عقدين من السياسات غير المقبولة لدى الناس قد استعدت شرائح واسعة من الجيش والمجتمع فأدى ذلك الى هدم النظام القديم سريعاً(٥٩).

سادساً: مضاعفات الثورة العراقية

أحدثت الثورة في بغداد صدمة لدى الزعماء الغربيين وأخذتهم على حين غرة، وسددت كذلك ضربة ماحقة لمركز بريطانيا في الشرق الأوسط، ذلك أن العراق كان معقل النفوذ البريطاني الأخير في المنطقة. وكان خروج بغداد من المعسكر الموالي للغرب أمراً يهدد باضعاف دفاعات المنطقة ويعرض أمن الأنظمة العربية المحافظة الى الخطر. كان العراق بانضمامه الى حلف بغداد هو القطر العربي الوحيد الذي يقف علناً في صف الغرب ضد الشيوعية السوفياتية. وقد قال آيزنهاور إن العراق «كان القطر الذي كنا نعوّل عليه كثيراً كقلعة للاستقرار والتقدم في المنطقة»(٦٠). بعبارة أخرى، لم يكن يسع الولايات المتحدة أن تظل في حال سلبي.

هذا ومع أن ادارة آيزنهاور كانت تدرك جيداً تزايد التذمر الشعبي من العلاقة الحميمة بين النظام الملكي والغرب ومن رفض ذلك النظام القيام باصلاحات اجتماعية، فإنها أخفقت في ممارسة القيادة وفي إظهار البصيرة في التعامل مع العراق. فعلى الرغم من إدراك المسؤولين الأمريكيين خطر مشاركة العراق في حلف بغداد، فإنهم قاموا مع ذلك بممارسة ضغط متواصل على نوري السعيد للانضمام إليه. وقد جعلوا المساعدات المقدمة الى النظام مشروطة بالاستعداد لرعاية مصالح الولايات المتحدة في المنطقة وبدعم العراق المتواصل للحلف(٦١).

ومع هذا، وبعد سقوط الملكية، قام دالاس سريعاً بتشريح الجثة وشخص سبب الوفاة بأنه انضمام العراق الى حلف بغداد، وأنحى باللائمة في ذلك على بريطانيا. وفي

---

(٥٩) Batatu, Ibid., pp. 776 and 805.

(٦٠) Eisenhower, *The White House Years: Waging Peace, 1956 - 1961,* p. 269, and «JCS, Subject: Military Planning Talks with Middle Eastern Countries, Note by the Secretaries, No. 1887/347, March 1957,» U.S. Archives, p. 2650.

(٦١) «NSC, Progress Report, Subject: U.S. Objectives and Policies with Respect to the Near East, NSC 5428, 7 August 1957,» p. 2, and «NSC, Long-Range U.S. Policy toward the Near East, NSC 5801/1, 14 January 1958,» p. 16, in: U.S. Archives; Axelgard, «U.S. Support for the British Position in Pre-Revolutionary Iraq,» p. 87, and Nicholas G. Thacher, «Reflections on U.S. Foreign Policy toward Iraq in the 1950's,» in: Fernea and Louis, eds., *The Iraqi Revolution of 1958: The Old Social Classes Revisited,* pp. 66 - 67.

رأيه ان العراق كان يرتبط بمشاركة غير طبيعية مع تركيا وبريطانيا، وقد دخل الحلف خلافاً «للرأي الراجح فيه» وزعم مسؤولون أمريكيون آخرون أكثر من ذلك فقالوا انهم كانوا دائماً يحسبون عضوية العراق في الحلف من الأخطاء، وحاولوا تثبيطه فأخفقوا لأن العراق أراد أن ينضم الى الحلف لحماية مصالحه النفطية(٦٢).

بيد أن هذا التشريح الجاري بعد الوفاة يغفل أموراً مهمة، فالوثائق الأمريكية تظهر أن ادارة آيزنهاور لم تقم قط بتثبيط العراق لكي لا ينضم الى حلف بغداد، وأنها على العكس كانت قد شجعته على ذلك. يضاف الى هذا، وعلى الرغم من قيام وزارة الخارجية الأمريكية بتسفيه سياسة بريطانيا الاستعمارية بعد السويس، فإنها استمرت «تساند دوراً بريطانياً مهماً في العراق». وبهذا المعنى تكون السياسة الأمريكية قد أسهمت في عدم استعداد بريطانيا والعرش العراقي لاصلاح النظام. ان المشاركة الوثيقة بين بريطانيا والولايات المتحدة جعلت العراقيين ينظرون سلباً الى موقف هذه الأخيرة. لهذا وغداة الثورة كان الجزء الاكبر من الرأي العام العراقي يوجه انتقاده الى موقف الولايات المتحدة كما كانت تفعل الهيئة الحاكمة في العراق(٦٣).

كانت الزعامة العراقية في العهد الملكي ترى في حلف بغداد إمكانية لاقامة علاقة مثمرة مع الدولة العظمى الجديدة في العالم الغربي. كما كان الحلف يبشر بإعادة هيكلة التحالف الاستراتيجي للعراق مع بريطانيا. بيد أن عبد الإله ونوري السعيد أصيبا بخيبة أمل من الموقف الفاتر لكل من آيزنهاور ودالاس. ولما رفضت الولايات المتحدة الانضمام الى الحلف لم يتبلور الكثير من المساعدات الموعودة للعراق في الميدانين العسكري والاقتصادي. وقد قام نوري السعيد واثنان آخران من رؤساء الوزارات في العراق بمناشدة الولايات المتحدة بتزويد بغداد بالسلاح لتقوية النظام فذهبت مناشدتهم أدراج الرياح(٦٤).

يؤكد الجمالي في مذكراته أن عدم وجود التزام أمريكي قوي بالحكم الملكي كان عاملاً أسهم في قيام الثورة. وهو يفيد أيضاً أن الادارة الأمريكية لا بد أنها كانت تعلم بالانقلاب سلفاً لكنها ارتأت ألا تخبر رجال الحكم الملكي بذلك. وفي رأيه أن مؤامرة صمت تولتها بريطانيا والولايات المتحدة قد مكنت الجيش من قلب الملكية، وهو يعتقد

---

(٦٢) «Minutes of Cabinet Meeting, 18 July 1958,» p. 5, and «Discussion at the 373d Meeting of the NSC, 25 July 1958,» pp. 7 and 10, in: U.S. Archives.

(٦٣) «NCS, Long-Range U.S. Policy toward the Near East, 24 January 1958,» pp. 6 and 17, and «NSC, Long-Range U.S. Policy toward the Near East, NSC 5801, 16 January 1958,» p. 18, in: U.S. Archives; Axelgard, Ibid., pp. 78, 87 and 90, and Thacher, Ibid., p. 64.

(٦٤) Gallman, *Iraq under General Nuri: My Recollections of Nuri al-Said, 1954 - 1958,* pp. 190 - 191.

أن الاستخبارات الغربية اكتشفت الانقلاب مسبقاً. وحتى لو لم يكن الأمر كذلك فإن رئيس الوزراء السابق يرى أنه كان على الغرب أن يشن هجوماً مقابلاً ويدحر المتمردين[٦٥]. ان ما يقوله الجمالي يلقي كثيراً من الضوء على طبيعة العلاقة بين الدول الصغيرة والكبيرة. ان حكام العراق تصرفوا، في تعاملهم مع دولة عظمى، وكأنهم لا يمكن الاستغناء عنهم استراتيجياً بالنسبة الى الأمن الغربي. وكانوا كذلك يؤمنون إيماناً أعمى بقدرة حليفتهم الدولة العظمى وطول يدها. بيد أن الزعامة العراقية أغفلت مبدأ أساسياً في السياسة الدولية، ألا وهو أن الدول الصغيرة لا تستطيع أن تأخذ دعم الدول الكبيرة مأخذ الأمر المسلم به والمفروغ منه.

كان المسؤولون الأمريكيون، إبان العهد الملكي في العراق، قد سلموا الأمر الى البريطانيين، وهم يأملون أن تستمر بريطانيا في تحمل مسؤولية المساعدة والحماية للنظام الملكي. وكان لدى الولايات المتحدة الكثير من الأمور التي تشغلها فأرادت أن تنأى بنفسها عن نوري السعيد وحلفه لكي تحافظ على مصالحها في البلدان العربية الأخرى. وكانت مصر، لا العراق، هي مفتاح الوطن العربي بنظر الولايات المتحدة. وعلى الرغم من تدهور العلاقات الأمريكية ـ المصرية منذ منتصف الخمسينيات ظلت الدوائر السياسية الأمريكية تأمل في إقناع عبد الناصر بالتعاون معها. لهذه الأسباب كلها فضلت ادارة آيزنهاور أن تحافظ على حد أدنى من العلاقات مع النظام الملكي في العراق.

يضاف الى هذا أن الدول العظمى ليست ذات قدرات مطلقة لا حدود لها، كما تظن ذلك الدول الصغيرة. ان قدرة هذه الدول على استدامة حلفائها المحليين كانت مقيدة، كما حاولت هذه الدراسة أن تبيّن، بمستوى المعارضة الداخلية وقوتها. فبعد الانقلاب العراقي أدرك المسؤولون الأمريكيون في الحال عبث المحاولة لتشجيع ثورة مضادة في بغداد: «ان الوضع في العراق ميؤوس منه». لم يكن هناك من بديل متاح[٦٦]. كانت الولايات المتحدة، على الرغم مما تتمتع به من موارد كبيرة، غير قادرة على تغيير وضع معادٍ في قطر صغير، وغير مستعدة لهذا التغيير.

لم تكن الديناميات المحلية هي القيود الوحيدة التي تفعل فعلها، فقدرة الدول الكبيرة على التأثير في مجرى الأحداث في العالم تحدها عوامل كثيرة ومنها احتمال عدم الدقة في التقارير الاستخباراتية وما يترتب على ذلك من عدم القدرة على القيام بأعمال وقائية. وعلى سبيل المثال أقر ألن دالاس، مدير وكالة المخابرات المركزية، بأن وكالته قد بوغتت وهي تغط في النوم حين وقع الانقلاب في بغداد[٦٧]. وفي خلال ساعات من

---

(٦٥) الجمالي، **العراق الحديث، آراء ومطالعات في شؤونه السياسية**، ص ١٩ ـ ٢٣، وعلي جودت، **ذكريات علي جودت، ١٩٠٠ ـ ١٩٥٨** (بيروت: مطابع الوفاء، ١٩٦٧)، ص ٢٩٣ ـ ٢٩٥.

(٦٦) «Minutes of Cabinet Meeting, 18 July 1958,» p. 5, and «U.S. Department of State, Office of the Historian,» p. 4, in: U.S. Archives.

(٦٧) «Conference with the President, 14 July 1958,» U.S. Archives, p. 7.

وقوعه محيت العائلة المالكة بأسرها من الوجود، واعتقل أو قتل معظم أفراد النخبة الحاكمة. لم يكن أمام الغرب والحالة هذه إلا خيار واحد هو شن هجوم لغزو شامل للعراق اذا أراد إعادة النظام القديم الى الحكم.

كان هذا الخيار بدوره مقيداً جداً بفعل عامل آخر هو خطر وقوع حرب عالمية. ومع أن البريطانيين دعوا الى القيام بعملية مسلحة شاملة في الشرق الأوسط الا أن آيزنهاور كان ضد القيام بغزو العراق. لقد كان مدركاً للمضاعفات السياسية والعسكرية الكامنة في عمل كهذا(٦٨). انه لم يستطع، عند المداولة بشأن الاقدام على التدخل من عدمه، أن يتجاهل احتمال قيام الاتحاد السوفياتي بعمل مضاد. ان ميزان الرعب المتقابل قد عمل على التأثير في دولة عظمى فمنعها من القيام بعمل استباقي. كانت الدولتان العظميان تفضلان إهمال حلفائهما المحليين على تعريض ميزان القوى الدولي للخطر، وقد أثبتت كلتاهما هذه الحقيقة عملياً المرة تلو الأخرى.

سابعاً: التدخل الغربي في لبنان والأردن

لقد طرح الانقلاب العراقي تهديداً مباشراً لمصالح الولايات المتحدة وحلفائها في المنطقة. وقد قام زعماء لبنان والأردن والسعودية، وقد أخذ منهم القلق كل مأخذ، بحث إدارة آيزنهاور على العمل بحزم لاحتواء التيارات الثورية التي تجتاح مجتمعاتهم. كانت الثورة في العراق بالنسبة الى شمعون بمثابة اشارة الى عبد الناصر لكي يقوم بهجوم واسع، بدعم من السوفيات، للاطاحة بالحكومات العربية الموالية للغرب كلها. لذا ففي خلال ساعات من وقوع الانقلاب قام شمعون باستدعاء مكلنتوك وطالب واشنطن بتدخل عسكري فوري قائلاً انه سيفسر نيات الادارة الأمريكية بموجب أفعالها لا أقوالها(٦٩).

كذلك اجتمع الملك حسين بممثل الولايات المتحدة في عمان وقدم له طلباً مماثلاً.

---

(٦٨) كان رئيس هيئة الاركان المشتركة، توايننغ واحداً من القلائل في الحكومة الذين ارتأوا أن تقوم الولايات المتحدة، بالاشتراك مع بريطانيا واسرائيل وتركيا والأردن، بمهاجمة مصر وسوريا لدحر الضباط الأحرار في العراق. هذا ولم يلق هذا الرأي أي تأييد. «Memorandum for the Record, Dulles and Eisenhower, 14 July 1958»; «Conference with the President, 15 July 1958»; «Telephone Call from Dulles to Eisenhower, 19 July 1958»; «JCS and National Policy, 1956 - 1958,» p. 469, and «Department of State, Office of the Historian,» p. 4, in: U.S. Archives.

(٦٩) «McClintock to Secretary of State, No. 358, 14 July 1958»; «Briefing Notes by Allen Dulles in a Meeting at the White House with Congressional Leaders, 14 July 1958,» p. 3; «JCS and National Policy, 1956 - 1958,» p. 443; Mahoney (Jr.), «U.S. Navy Responses to International Incidents, 1955 - 1975,» p.c = 19; «Dulles's Remarks at Cabinet, 18 July 1958,» p. 3; «Minutes of Cabinet Meeting, 18 July 1958,» pp. 3 - 4; and «Department of State, Office of the Historian,» p. 3, in: U.S. Archives.

كما اتصل الملك سعود بإدارة آيزنهاور مطالباً بتدخل غربي في الأردن ولبنان والعراق، ومحذراً بأنه ما لم يعمل الغرب بشكل حاسم فإن الولايات المتحدة وبريطانيا سينتهي أمرهما كدولتين كبريين في الشرق الأوسط. وقال كذلك ان السعودية قد تضطر، اذا لم يقع التدخل الغربي، الى تقبل طموحات عبد الناصر - وفي هذا القول تهديد مقنع بأن الملك سعود قد يعيد ترتيب سياساته الاقليمية والعالمية[٧٠].

في ١٤ تموز/يوليو عقد آيزنهاور سلسلة من الاجتماعات مع وزارته ومجلس الأمن القومي وزعماء الكونغرس لصياغة استراتيجية الولايات المتحدة. وكان رأي الرئيس أن الانقلاب العراقي قد غيّر ما ترومه أمريكا من العمل على استقرار وضع قلق في لبنان الى العمل على منع احتمال «تصفية كاملة للنفوذ الغربي في الشرق الأوسط». وقد جرى النظر الى الانقلاب لا كانفجار داخلي وإنما كجزء من مؤامرة دبرها عبد الناصر والسوفيات للاستيلاء على المنطقة بأسرها. وقد قال ألن دالاس في ما بعد ان عبد الناصر كان هو السلطة الحقيقية وراء النظام العراقي الجديد وان الاتحاد السوفياتي كان وراء عبد الناصر. وقد خيّم على أذهان المسؤولين الأمريكيين الخوف من حدوث ما يسمى بنظرية الدومينو، كما حذر مدير وكالة المخابرات المركزية من أن الانقلاب قد يحدث سلسلة من ردود الفعل التي قد تعرض الى الخطر بقاء الأنظمة العربية المحافظة[٧١].

والظاهر أن آيزنهاور كان قد عقد العزم على أن من الضروري القيام بعمل قوي لتحاشي سقوط هيكل الأمن الغربي في المنطقة. قال لمجلس الأمن القومي: «يجب علينا أن نعمل أو أن نخرج من الشرق الأوسط كلياً»، وان الوقت قد حان للدخول الى المنطقة، ولا سيما الى لبنان «وذلك لايقاف الاتجاه نحو الفوضى». ووافق وزير الخارجية دالاس على ما قاله رئيس الجمهورية، مفيداً أن سمعة الولايات المتحدة ومصداقيتها كانتا على المحك ليس في الشرق الأوسط فقط بل في أرجاء العالم[٧٢]. كان كلاهما يعتقد أن

---

(٧٠) المفارقة أن السعودية رفضت بعد بضعة أيام السماح بمرور الطائرات الغربية في أجوائها لنقل الوقود الى الاردن. «Briefing Notes by Allen Dulles, 14 July 1958,» pp. 5 - 6; «Synopsis of Reports Relating to the Mid-East Crisis, 9 - 14 July 1958,» pp. 1 - 2, and «Minutes of Cabinet Meeting, 18 July 1958,» p. 5, in: U.S. Archives, and Thayer, *Diplomat,* p. 28.

(٧١) «Briefing Notes by Allen Dulles, 14 July 1958,» p. 8; «Telephone Call from Ambassador Lodge to Dulles, 14 July 1958»; «Dulles's Remarks at Cabinet Meeting, 18 July 1958,» p. 2, and «373d Meeting of the NSC, 25 July 1958,» p. 3, in: U.S. Archives; Eisenhower, *The White House Years: Waging Peace, 1956 - 1961,* p. 269, and Charles Davis Cremeans, *The Arabs and the World: Nasser's Arab Nationalist Policy* (New York: Praeger, 1963), pp. 164 - 165.

(٧٢) «Conference with the President, 14 July 1958,» and «Timetable of Events of Week of July, 14 - 19, 14 July 1958,» in: U.S. Archives, and Eisenhower, Ibid., p. 270.

على الولايات المتحدة أن تعطي دفعة نفسانية لأصدقائها في المنطقة بإثبات وجودها عسكرياً. وكانت الآراء متفقة في داخل الحكومة الأمريكية على أن عدم القيام بشيء سيجلب الكوارث لمصالحها ومصالح حلفائها في المنطقة. وفي اجتماع موسع حضره وزيرا الخارجية والدفاع ومدير وكالة المخابرات المركزية جرى تلخيص النتائج التي ستسفر عن عدم القيام بعمل كما يلي: (١) ان عبد الناصر سيهيمن على الساحة العربية كلها؛ (٢) ان الولايات المتحدة ستخسر نفوذها في أرجاء المنطقة، وستكون قواعدها العسكرية هناك معرضة للأخطار؛ (٣) ان الاعتماد على تعهدات الولايات المتحدة سيكون موضع الشك في العالم بأسره[٧٣].

لم تكن الأزمة ومضاعفاتها مقتصرة، بنظر الزعماء الأمريكيين، على الشرق الأوسط وحده، وكان هؤلاء ينظرون الى الصراع في إطار عالمي أوسع وبمنظار تنازعهم مع الاتحاد السوفياتي. وقد اقتنع آيزنهاور ودالاس بوجود علاقة واضحة بين مشاركة مصر في الأزمتين اللبنانية والعراقية وعدوان الكرملين غير المباشر، وبأن اليد الخفية لموسكو كانت هي التي تحرك الخيوط. بيد أنه لم تكن هناك أدلة دامغة تثبت تورط الاتحاد السوفياتي. وفي خلال المداولات حول مسألة تدخل واشنطن من عدمه لم يكن صناع السياسة الأمريكية مهتمين جداً بلبنان، وقد قال دالاس ان لبنان «لم يكن مهماً جداً بذاته»[٧٤].

وهكذا لم يكن لبنان سوى ساحة للنزال ـ مسرحاً يمكن الولايات المتحدة أن تظهر فيه دورها القيادي ضد القومية العربية الراديكالية وضد الشيوعية. بيد أن السفير مكلنتوك لم يكن مقتنعاً، فبعد اجتماعه بشمعون يوم ١٤ تموز/يوليو كتب الى رؤسائه مشيراً عليهم بعدم التدخل. كان يرى أن قرار التدخل لا يمكن أن يتخذ الا في ضوء مسائل سياسية واستراتيجية أوسع نطاقاً ولها تأثير في وضع الولايات المتحدة في المنطقة كلها، وأضاف يقول: «لا يمكننا في ظهيرة هذا اليوم أن نتبين الحاجة لاتخاذ مثل هذه الخطوة الخطيرة جداً»[٧٥].

مع هذا، وبعد أن استنتجت الولايات المتحدة أن الثورة العراقية هي أمرٌ واقع، وأن التدخل في لبنان ضروري لإظهار قوتها العسكرية وإرادتها السياسية، أقدمت على إرسال مشاة البحرية في ١٥ تموز/يوليو. في هذه الأثناء أرسلت القوات البريطانية الى

---

(٧٣) «Memorandum for the Record, Subject: Meeting Regarding Iraq, 14 July 1958,» and «Conference with the President, 14 July 1958», in: U.S. Archives.

(٧٤) مذكرة عن مباحثات بين وزير الخارجية والسفير البريطاني (لورد هود)، واشنطن، ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨، ومؤتمر مع الرئيس، ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1958 - 1960: Lebanon and Jordan*, vol. 11, pp. 212-213 and 238.

(٧٥) من السفارة في لبنان الى وزارة الخارجية، ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨، في: المصدر نفسه، ص ٢١٦.

الأردن. لقد استخدم آيزنهاور ودالاس أمر لبنان لاظهار قوتهما العسكرية وإرادتهما على حماية مصالح الولايات المتحدة الحيوية ومصالح حلفائها. كانا يريدان ارسال إشارة الى الخصوم باستعدادهما لاستخدام القوة اذا اقتضت الضرورة لايقاف التهاوي في أنظمة المحافظين عند حد. وبهذا المعنى «كان لبنان حالة اختبار في أعين الآخرين»(٧٦).

وهكذا كانت مصر والاتحاد السوفياتي هما الهدفين الرئيسيين من التدخل الأمريكي. ان إدارة آيزنهاور كانت تأمل في أن يؤدي نشر قواتها العسكرية الى إرغام السوفيات على كبح جماح عبد الناصر. قال دالاس في اجتماع لمجلس الأمن القومي ان المشكلة الحقيقية في الشرق الأوسط لم تكن عبد الناصر، وإنما عدم استعداد الكرملين للعمل على كبحه. كان الوزير الأمريكي يرى انه اذا أمكن اقناع الزعماء السوفيات بأن سياسات عبد الناصر قد تؤدي الى حرب فإنهم سيعملون بالتأكيد على إيقاف أعماله(٧٧). ثمة تصور خاطىء يكمن في صميم التفكير الأمريكي مفاده أن عبد الناصر ما هو إلا رجل موسكو الذي يأتمر بأوامرها. لقد أخطأ آيزنهاور ودالاس كلاهما في اتهام الزعيم المصري بأنه كان مهندس الانقلاب في بغداد وفي المبالغة في تقدير نفوذ السوفيات عليه، وستثبت الأحداث خطأهما سريعاً. لقد تمسك عبد الكريم قاسم زعيم العراق باستقلاله عن عبد الناصر وأحدث بذلك الانشقاق الكبير الأول في الحركة الثورية العربية.

في الوقت عينه اندلعت حملة دعاية ساخنة ومريرة بين زعماء مصر والاتحاد السوفياتي، فقضت على خرافة خضوع عبد الناصر لهذا الأخير. كانت مشكلة السياسة الأمريكية أنها تنظر الى الشرق الأوسط بمنظار الحرب الباردة بدلاً من أن تنظر اليه من حيث دينامياته الداخلية. ان هذه النظرة شوهت تصورات الولايات المتحدة عن السياسات الاقليمية وعقّدت علاقاتها مع البلدان العربية. والمفارقة هي أن الاتحاد السوفياتي كان المستفيد الأول من هذه السياسة.

ومع أن آيزنهاور ودالاس لم يأخذا باحتمال حدوث عمل سوفياتي مضاد فقد رفضا الموافقة على عملية عسكرية في العراق. وعلى الرغم من أن البريطانيين دعوا الى حملة عسكرية شاملة لتنظيف المنطقة بأسرها لم يكن آيزنهاور مستعداً للسير على هذا النهج. كان يدرك ما ينجم عن مثل هذه العملية من مضاعفات سياسية وعسكرية، وكانت حكومته أيضاً تدرك عبث القيام بتشجيع ثورة مضادة في بغداد «لأن الوضع في العراق كان ميؤوساً منه»(٧٨). هذا فضلاً عن أن المسؤولين الأمريكيين لم يمكنهم تجاهل احتمال

---

(٧٦) «Minutes of Cabinet Meeting, 18 July 1958,» p. 4, and «JCS and National Policy, 1956 - 1958,» p. 469, in: U.S. Archives.

(٧٧) «373d Meeting of the NSC, 25 July 1958,» U.S. Archives, p. 11.

(٧٨) مذكرة عن محادثة تليفونية بين الرئيس آيزنهاور ورئيس الوزراء ماكميلان، ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1958* - =

حدوث عمل سوفياتي مضاد، وذلك عند مداولتهم بشأن التدخل في لبنان. ان ميزان الرعب المتقابل قد عمل على التأثير في الدولتين العظميين فمنعهما من القيام بعمل استباقي، وكانتا تفضلان مراراً وتكراراً إهمال حلفائهما المحليين على تعريض ميزان القوى الدولي للخطر، كما ذكرنا آنفاً.

كانت استراتيجية الولايات المتحدة ترمي كذلك الى تجنب مواجهة كثيرة التكاليف مع القومية العربية الثورية. لهذا قام روبرت مورفي، الذي أرسله آيزنهاور مبعوثاً خاصاً له الى لبنان، بزيارة مصر والعراق فأكد لكل من عبد الناصر وعبد الكريم قاسم أن الولايات المتحدة لا تنوي مهاجمة بلديهما. وقد أوضح جلياً أن الحكومة الأمريكية متلهفة لإقامة علاقات حسنة مع الحركة القومية العربية. هذا وقد قامت هذه الحكومة بإشعار مجلس الأمن الدولي بتدخلها في لبنان وأبدت استعدادها للتعاون مع الأمم المتحدة لتسهيل انسحاب القوات الأمريكية من هناك[٧٩].

ان الولايات المتحدة، بإرسالها مبعوثاً رئاسياً الى بيروت فوراً، قد أظهرت اهتمامها بالتوصل الى حل سياسي. وواقع الأمر أن صناع القرار الأمريكيين كانوا أثناء مداولاتهم قد أظهروا تقديراً واقعياً لحدود القوة، وأعربوا عن اعتقادهم بأن من غير المحتمل أن يؤدي التدخل المسلح الى حل سريع وسهل سواء لمشاكل لبنان أو لمشاكل الشرق الأوسط. وكان من رأيهم أن استخدام قوات غربية لايقاف مد القومية أمر لا جدوى منه. وذكر دالاس قائلاً: «إننا لا نتوهم أن هذا الرد المسلح سيحسم المشاكل في تلك المنطقة، لا بل إنه قد يؤدي الى تفاقمها». كان من شأن هذا الرأي أن يجعل أغراض الولايات المتحدة تقتصر على إعادة الاستقرار السياسي الى لبنان[٨٠].

قام مورفي أثناء وجوده في لبنان بفتح قنوات اتصال مع الفئات اللبنانية المتحاربة كلها. وفي لقائه مع زعماء المعارضة أكد لهم أن التدخل الأمريكي لا يرمي الى إسناد شمعون أو الى فرض تسويةٍ ما. ان التدخل يهدف بالأحرى الى الحفاظ «على استقلال

1960: Lebanon and Jordan, vol. 11, p. 232; «Memorandum for the Record, Dulles and Eisenhower, 14 July 1958»; «Conference with the President, 15 July 1958»; «Minutes of Cabinet Meeting, 18 July 1958,» p. 5; «Telephone Call from Dulles to Eisenhower, 19 July 1958»; «JCS and National Policy, 1956 - 1958,» p. 469, and «Department of State, Office of the Historian,» p. 4, in: U.S. Archives. =

(٧٩) «Moscow to Secretary of State, 15 July 1958»; «Oral History Transcripts, Interview with General Goodpaster, 2 August 1967,» p. 90; «Dulles to all Diplomatic Posts, 15 July 1958,» p. 2, and «Conference with the President, 14 July 1958,» in: U.S. Archives.

(٨٠) «Conference with the President, 14 July 1958»; «Minutes of Cabinet Meeting, 18 July 1958,» p. 4; «Dulles's Remarks at Cabinet, 18 July 1958,» p. 3, and «Department of State, Office of the Historian,» p. 5, in: U.S. Archives.

لبنان ووحدة أراضيه»[٨١]. كانت هذه اشارة واضحة الى أن شمعون رجل يمكن الاستغناء عنه. كانت المحادثات التي عقدها مورفي مع الساسة اللبنانيين قد جعلته يكتب الى آيزنهاور قائلاً: «ان جانباً كبيراً من الصراع يتعلق بالشخصيات. والشيوعية لم تكن تلعب دوراً مباشراً أو جوهرياً في العصيان. أما التأثيرات الخارجية فقد جاءت بالدرجة الأولى من سوريا ومصر»[٨٢].

كان هذا الاعتراف مهماً إذ صار بوسع الادارة الأمريكية الآن أن تتعامل مباشرةً مع المنابع الداخلية للصراع في لبنان. لم يعد من السهل تحويل مسار المساعي الأمريكية بواسطة تهديد شيوعي متخيَّل. وبوضع الأزمة في سياقها وجد مورفي ورؤساؤه في واشنطن أن الأطراف المتصارعة مستعدة للقبول بحل سياسي وسط. من هنا فإن مفتاح الحل للغز اللبناني هو معالجة الآراء والمطالب التي يتصادم بعضها ببعض والتي تعبر عنها الحكومة من جهة والمعارضة من جهة أخرى. ان الولايات المتحدة بسيرها مع هذا الواقع قد تمكنت من تسهيل إجراء تسوية في بيروت.

ثامناً: رد الفعل المصري والسوفياتي

سمع عبد الناصر بنبأ الانقلاب العراقي وما أعقبه من تدخل أمريكي في لبنان وبريطاني في الأردن خلال زيارة كان يقوم بها الى المارشال تيتو في يوغوسلافيا. كان قلقه الأول يدور حول استخدام الولايات المتحدة الآلة العسكرية التركية لسحق النظام الجديد في بغداد ولتوعّد دمشق. ومع أنه اعترف فوراً بالحكومة العراقية الجديدة وأعلن أن أي عدوان يقع على العراق سيعتبر عدواناً واقعاً على الجمهورية العربية المتحدة، فقد كان يدرك أن الاتحاد السوفياتي هو الدولة الوحيدة القادرة على الوقوف بوجه الولايات المتحدة. وقد شجعه رد الفعل الأولي الذي صدر عن الكرملين، اذ شجبت صحيفة برافدا التدخل الأمريكي في لبنان ووصفته بأنه «عمل مباشر من أعمال الحرب». فقرر الزعيم المصري أن يغادر يوغوسلافيا الى موسكو للتشاور مع القادة السوفيات وليتبين هل بوسعه الاعتماد عليهم في حالة حدوث مواجهة مع الغرب. قام عبد الناصر هناك بحث خروتشوف على العمل على منع أي تحرّك غربي أو تركي ضد العراق أو سوريا وذلك بتوجيه إنذار الى الدول الغربية[٨٣].

---

(٨١) «Beirut to Secretary of State, No. 835, 30 July 1958,» U.S. Archives, pp. 1 - 2.

(٨٢) في تشرين الاول/اكتوبر ١٩٥٨ كررت وزارة الخارجية الأمريكية علناً ما جاء في تحليل مورفي: «إن القلاقل الحالية ذات مناشئ محلية بالدرجة الاولى». «Department of State, Office of the Historian,» U.S. Archives, p. 5, and *Department of State Bulletin* (27 October 1958), pp. 650 - 651.

(٨٣) Egypt, Ministry of Information, *President Gamal Abdel-Nasser's Speeches and Press Interviews* (1958), p. 212; *Pravda*, 16/7/1958), Walter Zéev Laqueur, *The Soviet Union and the* =

قوبل طلب عبد الناصر هذا بالرفض، وذكر عن خروتشوف قوله للزعيم المصري: «اننا بصراحة غير مستعدين للمواجهة. اننا غير مستعدين لحرب عالمية ثالثة». وقد أكد أن على مصر أن تسير مع التيار لأن آيزنهاور ودالاس عازمان على بلوغ أهدافهما. بيد أنه كان على السوفيات القيام بعمل ما لتهدئة خواطر الأصدقاء العرب، فأمر زعماء الكرملين، من قبيل اظهار التضامن، بإجراء مناورات عسكرية عامة على الحدود البلغارية - التركية[٨٤]. كذلك قام خروتشوف شخصياً بتحذير آيزنهاور من مهاجمة العراق، وأشعره ضمناً أن وقوع حادث كهذا سيؤدي الى «صراع عالمي»[٨٥].

ومع أن عبد الناصر ترك موسكو صفر اليدين غير أن العمل الرمزي الذي قام به خروتشوف بأمره اجراء مناورات عسكرية قد مكن الزعيم المصري من استخدام الورقة السوفياتية في حملته الدعائية. ما ان وصل دمشق حتى أعلن للجماهير المحتشدة هناك أن الاتحاد السوفياتي «يقف الى جانبنا تماماً». هذا وبصرف النظر عما يرد في الخطب الرنانة من أقوال جاءت ردود الفعل السوفياتية والمصرية وفيها الكثير من ضبط النفس، كما أن خيارات عبد الناصر كانت محدودة. ان لقاءه مع خروتشوف قد أيقظه بشكل عنيف، فهو لا يكاد يستطيع، من دون مشاركة سوفياتية ناشطة، أن يدافع عن مصالحه وأن يشن مقاومة ذات شأن بوجه الدول الغربية.

ان الدول العظمى لن تغامر بوقوع حرب شاملة من أجل حلفائها الاقليميين. كان من القواعد الضمنية في العلاقات الأمريكية - السوفياتية، في عصر ما بعد الحرب العالمية الثانية، تجنب الصدامات المسلحة المباشرة. فتوعُّد البريطانيين والفرنسيين والاسرائيليين - كما فعل السوفيات خلال أزمة السويس - شيء وتهديدهم لدولة عظمى شيء آخر تماماً. والزعماء السوفيات لن يصوّروا أنفسهم بأنهم عاجزون عن المبادرة ولذلك فهم قد يضطرون الى عمل ما وذلك لئلا تكشف الولايات المتحدة خديعتهم هذه؛ ان من الممكن أن يؤدي سوء حساب كهذا الى نشوب حرب عالمية. فإذا خدع الفاعلون المحليون أنفسهم

Middle East, Praeger Publications in Russian History and World Communism; no. 81 (New = York: Praeger, 1959), p. 337; Mohammed Hasanayn Heikal, *Nasser: The Cairo Documents* (London: New English Library, 1972), pp. 122 - 124, and

عبد اللطيف البغدادي، **مذكرات عبد اللطيف البغدادي** (القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٧٧)، ج ٢، ص ٥٢ - ٥٣.

(٨٤) *News and Views from the Soviet Union,* 19/7/1958, pp. 2 - 3; Veljko Micunovic, *Moscow Diary,* translated by David Floyd; introduction by George Kennan (London: Chatto and Windus, 1980), pp. 409 - 410, and

محمد حسنين هيكل، **ما الذي جرى في سوريا؟**، كتب قومية (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٢)، ص ٩٢ - ٩٣.

(٨٥) «Moscow to Secretary of State, No. 216, 23 July 1958 (section one of two),» U.S. Archives, p. 2.

واعتقدوا خلاف ذلك فإنهم يتحملون نتائج تصورهم هذا. لم يكن عبد الناصر قد تعلم هذا الدرس، مثله في ذلك مثل نوري السعيد وكميل شمعون، وسيتضح ذلك خلال الأزمة المصرية ـ الاسرائيلية في أيار/مايو ١٩٦٧ حين راهن الزعيم المصري على إسناد دولة عظمى فأدى رهانه ذاك الى الكارثة.

كانت الاستراتيجية السوفياتية بشأن الأزمة اللبنانية مشابهة لاستراتيجيتها خلال أزمة السويس، والأزمة السورية، وتتلخص هذه الاستراتيجية بإجبار الغرب على الاعتراف بوجود السوفيات ودورهم في المنطقة. بعبارة أخرى، كانت الزعامة السوفياتية تريد رفع الفيتو الغربي عن مشاركتها في دبلوماسية الشرق الأوسط. كان هذا يتطلب أسلوباً ناشطاً يدافع، في الظاهر، عن حقوق البلدان العربية في مسعاها للتوصل الى حلٍ وسط مع الولايات المتحدة. وجه خروتشوف رسالة الى آيزنهاور بتاريخ ١٩ تموز/يوليو يدعو فيها الى عقد مؤتمر قمة للدول الخمس الكبرى الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن الدولي ومشاركة الأمين العام للأمم المتحدة وذلك للسعي الى ايجاد حل شامل لمشاكل الشرق الأوسط(٨٦).

ان مؤتمراً كهذا سيتيح للاتحاد السوفياتي أن يكون جزءاً لا يتجزأ من أية تسوية اقليمية. بيد أن ادارة آيزنهاور لن تتسامح في التمادي بهذه اللعبة، وكانت مصممة على استبعاد السوفيات من دبلوماسية الشرق الأوسط. وهكذا رفض آيزنهاور اقتراح خروتشوف، ثم انهمك الزعيمان في تبادل الرسائل المشحونة بالمرارة والعداء(٨٧). وبالنظر الى المناوشات الجارية بين الدولتين العظميين لم يستطع مجلس الأمن الدولي أن يجد صيغة لإنهاء الأزمة. وأخيراً توصل الزعيمان الى حلٍ وسط يقضي برفع النزاع اللبناني الى الجمعية العامة للأمم المتحدة(٨٨).

مع هذا لم يكن من الممكن التوصل الى اتفاق على أي مشروع قرار من المسودات التي تقدم بها الأعضاء الآخرون، الأمر الذي أدى الى حالة استعصاء، وهكذا شل التنازع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي عمل الأمم المتحدة. وأخيراً جرى التغلب على الاستعصاء في آب/أغسطس حين تقدمت الدول العربية نفسها بمشروع قرار تمت المصادقة

---

(٨٦) «Moscow to Secretary of State, No. 135, 16 July 1958, and No. 170 (two sections), 19 July 1958,» U.S. Archives, and

هيلين كارير دانكوس، **السياسة السوفياتية في الشرق الأوسط، ١٩٥٥ ـ ١٩٧٥**، ترجمة عبد الله اسكندر (بيروت: دار الكلمة للنشر، ١٩٨٣)، ص ٦٧ ـ ٦٨.

(٨٧) «Conference with the President, 20 July 1958,» p. 7; «Eisenhower to Khrushchev, the White House, 22 July 1958,» p. 3, and «Moscow to Secretary of State, No. 216 (two sections), 23 July 1958, and No. 264 (three sections), 28 July 1958,» in: U.S. Archives.

(٨٨) *Department of State Bulletin* (1 September 1958), p. 342.

عليه بالاجماع. فعلى الرغم من حدة الحرب الباردة العربية كان بوسع العرب تناول أمر خصوماتهم بشكل ناجح ضمن إطار اقليمي.

كان الاتحاد السوفياتي لاعباً سلبياً طوال الأزمة اللبنانية، انه لم تكن لديه القدرات العسكرية ولا الارادة السياسية لمواجهة الولايات المتحدة. وهو في ذلك الوقت لم يكن في وضع يمكنه من تحدي الغرب في الشرق الأوسط، كما أنه لم يكن يتمتع إلا بنفوذ محدود في مصر وسوريا. كذلك كان قادة الكرملين يقدرون تقديراً واقعياً تركيب القوى العالمية، ذلك التقدير الذي يفسر جزئياً استراتيجية المسؤولين السوفيات المتحفظة إذ إنهم لم يكونوا راغبين في انتهاج مسيرة عمل خطرة قد تعرض الى الخطر سياسة التعايش مع الولايات المتحدة[٨٩]. ان الأحداث التي جرت في لبنان قد أثبتت بشكل لا يدع مجالاً للشك أن الولايات المتحدة هي الفاعل المهيمن في الشرق الأوسط. ان التحديات الرئيسية للدول الغربية قد برزت من المنطقة نفسها، وليس من أي مصدر خارجي. لقد كان دور الكرملين ثانوياً.

ان من الممكن تفسير رد الفعل المصري المتسم بضبط النفس بالقول إنه يرجع الى الافتقار الى الدعم السوفياتي والى العملية الغربية المسلحة سواءً في مداها أو في إمكاناتها المستقبلية. كان عبد الناصر يعرف مثلاً أن الضغط الأمريكي الاقتصادي والسياسي هو الذي أوقف الغزو الثلاثي لمصر، وليس التهديدات الصاروخية السوفياتية. وفي عام ١٩٥٨ كان أكثر ما يسع خروتشوف فعله هو تكرار ما قام به في عام ١٩٥٦، ولكنه أحجم حتى عن فعل ذلك بسبب الاشتراك المباشر للولايات المتحدة. وبدلاً من ذلك استغل الزعيم السوفياتي الفرص السياسية التي أتاحها لموسكو التدخل الأمريكي - البريطاني، ذلك أن من شأن هذا التدخل إضعاف السياسة الغربية وزيادة النفوذ السوفياتي في المنطقة ورفع السمعة السوفياتية فيها، وكان هذا ما قاله خروتشوف بالذات لسفير يوغوسلافيا في موسكو[٩٠].

في هذه الأثناء أثمرت جهود الوساطة التي قام بها مورفي بين الفئات اللبنانية المختلفة. فقد برز، بدعم من الولايات المتحدة، الرجل المعتدل اللواء شهاب بصفته المرشح للرئاسة بإجماع الآراء. كان بعض المسؤولين الأمريكيين منذ البداية متحمسين له كخلفٍ لشمعون، ذلك أنه «يتمتع بحصانة ضد ما قد يتهم به من أنه فرض على لبنان بحراب أمريكية»[٩١]. وفي نهاية شهر تموز/يوليو انتخب شهاب رئيساً للجمهورية، ثم

(٨٩) دانكوس، **السياسة السوفياتية في الشرق الأوسط، ١٩٥٥ - ١٩٧٥**، ص ٦٨.

(٩٠) Micunovic, *Moscow Diary*, p. 409.

(٩١) «CINCSPE COMME to CNO, No. 5854 (two parts), 25 July 1958,» U.S. Archives.

انظر رواية مورفي الحافلة بالمعلومات عن بعثته الى لبنان، في: R. Murphy, *Diplomat among Warriors* (New York: Doubleday, 1964), pp. 398 - 418.

أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية في شهر تشرين الأول/أكتوبر أن القوات الأمريكية ستنسحب كلياً من بيروت في نهاية ذلك الشهر(٩٢). وقد سجل ذلك الانسحاب نهاية الأزمة اللبنانية. وفي أوائل شهر تشرين الثاني/نوفمبر أتم البريطانيون انسحابهم من الأردن.

تاسعاً: مضاعفات إقليمية ودولية

قامت الحكومة اللبنانية الجديدة، في أولى مبادراتها الرئيسية في السياسة الخارجية، بإلغاء موافقتها على مبدأ آيزنهاور وباعلان التزامها بعدم الانحياز. كذلك قامت باتخاذ خطوات لتصحيح علاقاتها مع مصر الناصرية. لم تقدم الولايات المتحدة أية شكوى فقد تقبلت الأمر الواقع. وهكذا بدا التدخل الأمريكي، منظوراً اليه في السياق اللبناني، وكأنه كان عبثاً. كان لبنان بنظر الولايات المتحدة ينضم الى فريق البلدان العربية المحايدة، وأقل ما يقال فيها إنها كانت مذبذبة في اتجاهها نحو الغرب(٩٣).

أما على مستوى أوسع فإن الأزمة اللبنانية قد فضحت محنة الدولتين العظميين في عدم قدرتهما على تحويل مواردهما المادية الى نفوذ سياسي مباشر. ومع أن الدول الكبرى كانت قادرة على التدخل عسكرياً إلا أنها لم تستطع إملاء شروطها النهائية لتسويات سياسية. كانت الدول الصغيرة تعطل بسهولة وحتى تنسف بيسر أي اتفاق أو صيغة لا تحظى بموافقتها. لقد أخفقت كلتا الدولتين العظميين، سواءً في الأزمة السورية أو في الأزمة اللبنانية، في مساعيهما لفرض الحل الذي كانت ترغب فيه كل منهما. لقد ترك للفاعلين المحليين أن يسووا خلافاتهم بأنفسهم.

شهدت الخمسينيات تغييراً جوهرياً في العلاقات بين البلدان العربية والدولتين العظميين، إذ لم يعد من الممكن لهاتين الدولتين توجيه الميول العامة أو فرض شروط معينة. وقد قال ألبرت حوراني ان الساحة العربية لم تعد منطقة مغلقة تسود فيها دولة واحدة كبرى أو دولتان كما كانت منذ عام ١٩١٨. لقد غدت مرة أخرى منطقة مفتوحة مع ادراك خاص بها حتى وإن افتقرت الى قوة خاصة بها(٩٤). بيد أن النظام العربي،

---

(٩٢) *Department of State Bulletin* (22 October 1958), pp. 650 - 651.

(٩٣) قبل التدخل الأمريكي، كانت بيروت مركزاً لعمليات وكالة المخابرات المركزية في الشرق الأوسط. بعد التدخل، اضطرت الوكالة الى نقل مكاتبها الى اليونان. انظر: Eveland, *Ropes of Sand: America's Failure in the Middle East,* pp. 320 - 321, and «JCS and National Policy, 1956 - 1958,» p. 468; «Department of State, Office of the Historian,» p. 5, and «381st Meeting of the NSC, 2 October 1958,» p. 6, in: U.S. Archives.

(٩٤) Albert Habib Hourani, *A Vision of History: Near Eastern and Other Essays* (London: Constable, 1961), pp. 141 - 144, and Cremeans, *The Arabs and the World: Nasser's Arab Nationalist Policy,* p. 166.

لكونه عرضة لصراعات داخلية قد أضحى مفتوحاً لتفشي النفوذ الخارجي فيه. كانت النزاعات العربية البينية متصلة اتصالاً مباشراً بتنازع الدول الكبرى في المنطقة. ان تزايد حدة التوترات بين الدولتين العظميين وتدخلهما في السياسات الاقليمية قد أديا الى تدويل الخصومات المحلية والى اشتداد الحرب الباردة العربية. ومن الأدلة على ذلك ما جرى في الأزمتين السورية والأردنية في عام ١٩٥٧ وفي الصراع اللبناني في عام ١٩٥٨.

كانت المسألة السائدة في السياسات العربية في الخمسينيات هي مسألة اتجاه السياسة الخارجية للبلدان العربية. وباستثناء حرب السويس كان تأثير ما تدخله اسرائيل من أمور في السياسات العربية البينية محدوداً، وكان دورها في رسم شكل السياسات العربية أقل كثيراً من القلق الذي تثيره الخصومات في داخل المنظومة الفرعية العربية. كان الحكام العرب منشغلين جداً أحدهم بالآخر وكانوا منصرفين كلياً الى منافسة قاتلة لكسب السطوة والنفوذ. ففي حين كان عبد الناصر والوحدويون العرب يدفعون بالأمور في هذا الجانب كان العراق والمحافظون يدفعون بها في ذاك. يكمن في صميم تلك المنافسة طموح تاريخي للسيطرة على توجهات الوطن العربي. ان هذا يفسر تكرار الصراع بين البلدان العربية وحدته كما يفسر استعداد المنظومة الفرعية العربية لتقبل الضغوط الخارجية.

طالب كل من شمعون ومالك بتدخل غربي، وذلك لموازنة ما كانا يتصورانه من وجود محاولة مصرية ـ سورية لإزاحتهما عن الحكم. كانا يأملان باستخدام قوة الغرب لتعزيز صفوفهما وهزيمة خصومهما، لكنهما أغفلا حقيقة معينة وهي أن الفاعلين الخارجيين كانوا يستخدمون البلدان العربية واسطةً تقاتل عنهم بالوكالة. تظهر الوثائق الأمريكية التي رفعت عنها السرية أنه في خلال أزمة عام ١٩٥٨ كان لبنان «الصغير جداً» أبعد ما يكون عن كونه قطراً لا يمكن الغرب أن يستغني عنه استراتيجياً، وأنه كان في مرتبة خلفية في الاستراتيجية الأمريكية. كانت أهمية لبنان بنظر المسؤولين الأمريكيين تزيد وتنقص وفقاً لتصوراتهم وحساباتهم للمصالح الاقليمية والعالمية الأوسع نطاقاً. كان آيزنهاور ودالاس كلاهما غير ميال، قبل الثورة العراقية، الى ارسال قوات الى بيروت، بيد أنهما غيّرا رأيهما بعد الإطاحة بالهاشميين في العراق. اكتسب لبنان مركزاً خاصاً مؤقتاً في الصراع بين الشرق والغرب وأصبح مسرحاً للحرب الباردة.

ان النظرة المبالغة بقيمة الذات التي كانت تراود شمعون ومالك قد شوهت نظرتهما للشؤون الخارجية وأدت بهما الى المبالغة في أهميتهما وأهمية لبنان في العالم. كانا لا يبصران حقائق سياسات القوة، والدور القليل الشأن الذي يقوم به لبنان في النظام الدولي. هذا بالاضافة الى أنهما لم يكونا يقدران حدود قوة لبنان بالقياس الى حدود قوة مصر وسوريا. كانت القاهرة وليس بيروت هي مركز الوطن العربي بنظر الولايات المتحدة. ان هذا يفسر عدم استجابة آيزنهاور ودالاس لطلبات شمعون المتكررة من أجل تدخل عسكري لإنهاء العصيان الموجه ضد نظامه. أما المعارضة اللبنانية فكانت، على الضد، قد ربطت مستقبل لبنان بمستقبل مصر..

وفي التحليل النهائي، ضحّى آيزنهاور ودالاس بشمعون من أجل المصالح الأمريكية الاقليمية الأوسع نطاقاً. فبعد إرسال مشاة البحرية الى بيروت صارا ينظران الى رئيس الجمهورية اللبنانية على أنه عبء من الأعباء، وأخذا يتجاهلانه ويتعاملان مباشرةً مع شهاب والمعارضة. وقد رسم ايفلاند، صلة الارتباط الرئيسية لوكالة المخابرات المركزية مع شمعون، صورة معبرة عن ازدراء وزارة الخارجية الأمريكية له، كما أن مكلنتوك ومورفي كلاهما لم يكن مجاملاً له. لقد قيل له بصراحة تامة ألا يعتمد على إسناد الولايات المتحدة لأنها لن تقوم بعمله نيابةً عنه. فلا غرابة أن يشعر شمعون بالمرارة والعداء تجاه ادارة آيزنهاور من جراء الطريقة التي عومل بها، وقد آمن أن الولايات المتحدة قد تخلت عنه في النهاية لتهادن عبد الناصر، في حين أنه كان طوال الوقت ينظر الى نفسه على أنه يقاتل نيابة عن الغرب ضد ذلك النوع من القومية العربية الثورية التي كان الزعيم المصري يدعو اليها[(٩٥)].

كان شمعون، مثله مثل رجال الحكم الملكي في العراق، يتوقع أن يقوم الغرب بالعمل على بقائه والمحافظة على نظام حكمه. ان سوء التقدير هذا يكشف عن طبيعة العلاقة السائدة بين الدول الصغيرة والكبيرة. لقد تصرف الزعماء اللبنانيون والعراقيون في تعاملهم مع الولايات المتحدة وكأنهم لا يمكن الاستغناء عنهم بالنسبة الى الأمن الغربي. فكانوا كذلك يؤمنون إيماناً أعمى بقدرة حليفتهم الدولة العظمى وطول يدها. لكنهم نسوا مبدأ أساسياً في سياسات العالم: ليس للدول الكبرى أصدقاء دائمين بل مصالح استراتيجية فقط. ان أهمية الفاعلين المحليين تتوقف على تصور هذه الدول لتكتلات القوة على الصعيدين الاقليمي والدولي في وقت معين.

ان نوع التجاوب الذي أبداه دالاس تجاه المأزق الذي وقع فيه شمعون يعبر عن هذا التفكير. فعوضاً من التعاطف مع محنة شمعون حمّل دالاس مسؤولية الكارثة على عاتق الرئيس اللبناني. وقد صرح بأن من الممكن تفسير متاعب شمعون بحقيقة معينة هي أنه ذهب بعيداً في احتضانه مبدأ آيزنهاور، وقال ان المشكلة مع شمعون تتلخص في أنه «قد اتبع سياسة مغالية في موالاة الغرب»، ومغالية جداً حتى إن دالاس اقترح في وقتٍ ما ادخال تعديلات على نهج شمعون[(٩٦)].

كان دالاس مصيباً في جانب واحد فقط: ان تشجيع الدول التابعة على الوقوف صفاً واحداً بشكل علني مع الغرب ينحو الى تقويض شرعية هذه الدول والى تهديد أمنها. لكن الوزير الأمريكي قد شوه السجل التاريخي في تفاديه تحمل أية مسؤولية عن مشاكل

---

(٩٥) Chamoun, *Crise au Moyen-Orient*, pp. 11 et 424 - 431; Eveland, Ibid., pp. 278 and 296- 299, and

من السفارة الأمريكية في لبنان الى وزارة الخارجية، في: United States, Department of State, *Foreign Relations of the United States, 1958 - 1960: Lebanon and Jordan*, vol. 11, p. 260.

(٩٦) «373d Meeting of the NSC, 25 July 1958,» p. 10, and «381st Meeting of the NSC, 2 October 1958,» p. 5, in: U.S. Archives.

شمعون. ان المساعد الخاص لآيزنهاور، جيمس ريتشاردز، كان قد أدخل بيروت ضمن رحلته الى الشرق الأوسط لتسويق مبدأ آيزنهاور لدى الحكام العرب المتشككين والقلقين، وفي هذا ما يدل على أن الموقف كان أبعد ما يمكن عن تثبيط لبنان عن الانضمام الى المبدأ المذكور. وقد لعبت السفارة الأمريكية في بيروت دوراً حاسماً في المساعدة على إسقاط النواب اللبنانيين الذين صوتوا ضد القبول بالمبدأ(٩٧) في الانتخابات. ان الادارة الأمريكية، في حملتها ضد الشيوعية السوفياتية، وفي سعيها من أجل تحقيق مصالحها الاقتصادية الحيوية، كانت قد ابتغت تأييد أية دولة تكون مستعدة للموافقة على مبدأ آيزنهاور بصرف النظر عن الأكلاف التي ينطوي عليها ذلك.

هذا وما كان ينبغي للفئات اللبنانية المختلفة أن تسلم تسليماً مطلقاً بتأييد حليفاتها من الدول الكبرى ودول المنطقة. ان الدول الصغيرة كلبنان إنما تسلم مثل هذا التسليم متحملة مخاطر ذلك بنفسها. وتبقى الحقيقة القائلة بأنه لا الولايات المتحدة ولا مصر كانت مستعدة لتعريض علاقاتها للخطر من أجل الأصدقاء في بيروت. فعلى الرغم من تدهور العلاقات الأمريكية ـ المصرية منذ أواسط الخمسينيات أدرك كلا الطرفين أهمية الحفاظ على المصالح المتبادلة وتجنب وقوع مواجهة كبيرة.

والواقع أن أهم نتيجة من نتائج الأزمة اللبنانية كانت حدوث مصالحة بين الولايات المتحدة ومصر. كان كل من آيزنهاور ودالاس قد أدرك، قبل أن تنتهي تلك الأزمة، عبث المحاولة الرامية الى معارضة ذلك النوع من القومية العربية الذي ينادي به عبد الناصر. وقد عمل على تعديل آرائهما ما جرى من تطورات في بلاد الشام وكذلك ما حدث من تعاظم في النفوذ الشيوعي في العراق. لكل هذا، وجدا من الأنسب التفاهم مع عبد الناصر. وأيد آيزنهاور هذا الموقف بقوله: «بما أننا على وشك أن نطرد من المنطقة فلعل من الأفضل لنا أن نعترف بالقومية العربية»(٩٨). أدت اعادة التقييم هذه الى البدء بمرحلة جديدة من الوفاق الأمريكي ـ المصري دامت حتى أواسط الستينيات.

ظهر، لفترة قصيرة من صيف عام ١٩٥٨، أن هدف عبد الناصر لإقامة جبهة عربية متماسكة لا تخضع لسيطرة الدول الكبرى، ومتحدة حول المسائل العامة للسياسة الخارجية، كان هدفاً قابلاً للتحقيق. ان الكتلة العربية المحافظة قد تلاشت؛ فالعراق الملكي أصبح جمهورية ثورية؛ والأردن ولبنان قد حيِّدا؛ والسعودية بقيادة الأمير فيصل تسير على سياسة المهادنة تجاه مصر. يضاف الى هذا أن المصالحة بين مصر والولايات المتحدة قد مهدت الطريق الى استئناف المساعدات الاقتصادية الأمريكية المقدمة الى نظام عبد الناصر. لكل هذه الأسباب بدا أن القوة المحركة لمبدأ الوحدة العربية بقيادة مصر هي قوة من غير الممكن إيقافها.

---

(٩٧) Eveland, Ibid., pp. 248 - 250.

(٩٨) «Discussion at the Meeting of the NSC, 25 July 1958,» pp. 7 and 10, and «Conference with the President, 23 July 1958,» p. 2, in: U.S. Archives.

عاشراً: انشقاق في المعسكر الثوري

ان الطبيعة المتنوعة الألوان والأشكال للسياسات العربية سرعان ما كشفت عن نفسها. فقد برزت مرةً أخرى التحديات للهيمنة المصرية وذلك من داخل المنظومة الفرعية العربية. وجاء التحدي في عام ١٩٥٩ بالدرجة الأولى من دولة ثورية هي العراق وليس من دولة ملكية محافظة. ان بغداد، سواء أكان حكمها نظاماً ثورياً أو نظاماً محافظاً، تشكل التحدي الرئيسي لقيادة القاهرة للوطن العربي[٩٩].

ما إن تمت الاطاحة بالملكية في العراق حتى تطورت الخلافات الخطيرة بين اثنين من قادة الضباط الأحرار اللذين دبّرا الانقلاب وهما عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف. كان في الصميم من تسابقهما على النفوذ والسلطة قضية استقلال العراق وقضية الوحدة العربية. فمنذ ١٨ تموز/يوليو ١٩٥٨ أخذ عبد السلام عارف، وهو مؤيد لعبد الناصر وداعية للوحدة العربية، ينادي علناً بالاندماج مع الجمهورية العربية المتحدة. وقد حاول حزب البعث العراقي، كنظيره السوري، أن يعوض عن ضعفه في أوساط الشعب بالدعوة الى اتحاد فوري مع الجمهورية العربية المتحدة. وهكذا قام البعثيون العراقيون بالتعاون مع عبد السلام عارف وهم يرجون تحقيق هدفهم وكسب الشعبية والسلطة في العراق[١٠٠].

ان دعوة عبد السلام عارف والبعث الى الوحدة مع عبد الناصر هددت العديد من المصالح المكتسبة، الداخلية والاقليمية والدولية. وفي نهاية المطاف استبعدت فكرة الوحدة العربية من قبل المعارضة العراقية والمقاومة الداخلية المتمثلتين بالأغلبية الشيعية والأكراد والحزب الشيوعي العراقي القوي والميل الى الخصوصية في الجيش. بيد أن هذا الجيش نفسه هو الذي كان يمسك بميزان القوة. أما عبد الكريم قاسم الذي تذبذب في البداية فقد دعم الانفصاليين؛ وقد كان أكثر اهتماماً بالحفاظ على سيادة العراق وهو يمسك بزمام السلطة في سدة الحكم من اهتمامه بوضع برنامج عقائدي[١٠١].

توافقت سياسة عبد الكريم قاسم المنادية بالعراق أولاً مع برنامج الحزب الشيوعي العراقي. لم يكن شيوعيو العراق يميلون الى عبد الناصر، وكانت محنة رفاقهم المصريين

---

(٩٩) Charles Malik, «Call to Action in the Near East,» *Foreign Affairs,* vol. 34 (July 1956), p. 646, and Khadduri, *Republican Iraq: A Study in Iraqi Politics since the Revolution of 1958,* pp. 221 - 222.

(١٠٠) Batatu, *The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq: A Study of Iraq's Old Landed and Commercial Classes of Its Communists, Ba'thists and Free Officers,* pp. 815 - 817, and Khalidi, «The Impact of the Iraqi Revolution on the Arab World,» p. 112.

(١٠١) Batatu, Ibid., pp. 817 - 818, and Uriel Dann, *Iraq under Qassem: A Political History, 1958 - 1963* (Jerusalem: Israel Universities Press, 1969), p. 68.

والسوريين حية في أذهانهم. كانت الوحدة تعني بالنسبة إليهم التهميش السياسي وحتى الانقراض. وقد قاموا بشن معارضة شديدة ضد دعوة عبد السلام عارف والبعث الى الاندماج مع الجمهورية العربية المتحدة. وهنا بدأ الاتفاق في المصالح بين عبد الكريم قاسم والحزب الشيوعي، وكان ذلك بمثابة زواج المصلحة الذي ينطوي على تحالف سلبي، وغرضه الوحيد منع العناصر الناصرية من الاستيلاء على الحكم. وكانت النتيجة تطور التنازع بين عبد السلام عارف وعبد الكريم قاسم الى صراع على السلطة بين القوميين العرب والشيوعيين العراقيين(١٠٢).

أخذ عبد الكريم قاسم يستخدم الحزب الشيوعي العراقي لمحاربة القوميين العرب في محاولته لتوكيد زعامته، وكان اعتماده على الحزب المذكور يرمي الى الوقوف بوجه المعارضة ولا ينبع من أية وشيجة عقائدية. وباعتقال عبد السلام عارف وغيره من الرجال الناصرين للجمهورية العربية المتحدة في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٨ منيت حركة الوحدة العربية في العراق بهزيمة غير حاسمة. وفي كانون الأول/ ديسمبر باشر عبد الناصر بحملة دعائية ضد الشيوعيين المصريين والسوريين واعتقل عدداً منهم ووصفهم بالانفصاليين وبأعداء القومية العربية. ولم تستثن عاصفة عبد الناصر من هجومها الزعيم العراقي والحزب الشيوعي العراقي لكنها أحجمت عن مهاجمة الاتحاد السوفياتي بشكل مباشر(١٠٣).

ونظراً الى الترابط الوثيق بين السياسات الاقليمية والدولية في الشرق الأوسط كان لا بد للصراع الجاري بين الشيوعيين والقوميين العرب أن يسبب أزمة في العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفياتي. ان الثورة العراقية كانت قد عززت مركز هذا الأخير في المنطقة، فكان السوفيات يعتبرون عبد الكريم قاسم، الذي تعاون مع الشيوعيين العراقيين تعاوناً وثيقاً، صالحاً ليكون قوة موازنة بوجه نفوذ عبد الناصر البالغ. ان الكرملين لن يكون خاضعاً بعد الآن الى نزوات عبد الناصر أو طلباته، ولن يتسامح تجاه ضرباته الماحقة التي يوجهها للرفاق الشيوعيين العرب(١٠٤).

---

(١٠٢) Batatu, Ibid., pp. 818, 822 and 827, and Khalidi, Ibid. p. 112.

(١٠٣) جمال عبد الناصر، **نحن والعراق والشيوعية: من أقوال جمال عبد الناصر** (بيروت: دار النشر العربية، ١٩٥٩)، ص ٩ ـ ٢٩ و٥٧ ـ ١٢١؛ Egypt, Ministry of Information, *President Gamal Abdel-Nasser's Speeches and Press Interviews* (Cairo: Information Department, 1959), pp. 121 - 158 and 535; Batatu, Ibid., pp. 831, 847 and 862, and Farouk-Sluglett, «Contemporary Iraq: Some Recent Writing Reconsidered,» p. 96.

(١٠٤) Oles M. Smolansky, *The Soviet Union and the Arab East, 1947 - 1957: A Study in Diplomatic Relations*, Modern Middle East Series; 6 (Lewisburg, PA: Bucknell University Press, 1974), p. 164, and

دانكوس، **السياسة السوفياتية في الشرق الأوسط، ١٩٥٥ ـ ١٩٧٥**، ص ٧٥.

كان السوفيات قلقين من توسع سطوة عبد الناصر، فحملته من أجل الوحدة العربية كانت تهدد مصالحهم الحيوية في المنطقة. لقد تجنب الاتحاد السوفياتي قبل عام ١٩٥٨ أي تصادم مع مصر بالنظر الى الافتقار الى خيارات موثوقة وبدائل مضمونة. وجاء تولي عبد الكريم قاسم السلطة في العراق ليصادف حدوثه مع تحول عقائدي في التفكير السوفياتي نحو الساحة العربية، ذلك التحول الذي أفصح عنه المؤتمر الحادي والعشرون للحزب الشيوعي السوفياتي المنعقد في كانون الثاني - شباط/يناير - فبراير ١٩٥٩. أكد المؤتمر من جديد دعمه للأحزاب الشيوعية العربية على حساب ذلك الشكل من القومية البرجوازية التي ينادي بها عبد الناصر. وقد صرح خروتشوف وغيره من أعضاء الحزب في المؤتمر أن المعارضة التي يلقاها الشيوعيون من بعض الدول، وهذه اشارة الى مصر، تكشف عن ميول غير ديمقراطية وعن استعداد للتصالح مع الدولار[١٠٥].

كان العراق هو الاختبار الأول للنهج السوفياتي الجديد، فها هي دولة ثورية تتصدى حقاً لزعامة مصر للوطن العربي. وأقل ما يمكن أن يفعله الكرملين هو اسناد ودعم عبد الكريم قاسم في نضاله ضد عبد الناصر، وامتدحته وسائل الاعلام السوفياتية ووصفت نظامه بأنه تقدمي في الداخل وانه نموذج يحتذى به في المنطقة. وكان السوفيات يشاطرونه موقفه المعادي للوحدويين. وفي حفلة استقبال أقيمت لوفد عراقي زائر في آذار/مارس ١٩٥٩ أعلن خروتشوف أن هدف الوحدة العربية سابق لأوانه وأن محاولة عبد الناصر برمي هذا الهدف رمياً على بلدان عربية ليست على استعداد له سيشق الصفوف العربية بدلاً من توحيدها[١٠٦].

ان تأييد خروتشوف العلني لعبد الكريم قاسم والشيوعيين العرب باغت عبد الناصر الذي لم يكن يتوقع أن يتدخل الكرملين في الشؤون العربية البينية ويجازف بقطع العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفياتي. وقد رد الزعيم المصري بمهاجمة الشيوعيين أينما كانوا مكرراً تمسكه بالاستقلال السياسي ورفضه أشكال النفوذ الأجنبي كلها، شرقية كانت أو غربية. أعلن عبد الناصر أن دفاع خروتشوف عن الشيوعيين العرب أمر غير مقبول لأنه يفرّط بسيادة البلدان العربية، وأن هذا الدفاع «شكل جديد من أشكال الإمبريالية»[١٠٧].

---

(١٠٥) *Pravda*, 28 and 31/1/1959, and Laqueur, *The Soviet Union and the Middle East*, pp. 356 - 357.

(١٠٦) *Current Digest of the Soviet Press* (15 April 1959), p. 8; Robert Owen Freedman, *Soviet Policy toward the Middle East since 1970* (London; New York: Praeger, 1975), pp. 12 and 36 (footnote); Smolansky, Ibid., pp. 130 - 131, and Batatu, *The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq: A Study of Iraq's Old Landed and Commercial Classes of Its Communists, Ba'thists and Free Officers*, p. 863.

(١٠٧) عبد الناصر، **نحن والعراق والشيوعية: من أقوال جمال عبد الناصر**، ص ١٢٣ - ١٢٤، و =

ورأى عبد الناصر أيضاً أن الهدف النهائي للشيوعية هو خلق هلال خصيب أحمر في المشرق العربي «ربما لتزويد الاتحاد السوفياتي بمنفذ ليس فقط الى الخليج الفارسي وخليج العقبة وإنما الى المحيط الهندي أيضاً»(١٠٨). وأخذ يقول، بما يعني سحباً لأقواله السابقة، ان الانذار السوفياتي أيام السويس جاء متأخراً جداً بحيث لم تكن له أية قيمة عملية في المساعدة. وانضمت اليه وسائل الاعلام في بلاده في هجوم شامل على الشيوعية(١٠٩).

كان عبد الناصر يرى في خصامه مع خروتشوف امتداداً لصراع أوسع مع الدول الكبرى، إذ إن أصل المشكلة بالنسبة اليه هو قدرة الدول الصغيرة على العمل بحرية من دون إكراه خارجي. قال الزعيم المصري إنه لا يرى فارقاً بين الشيوعية السوفياتية والامبريالية الغربية لأن العقيدتين تهدفان الى اخضاع الوطن العربي والسيطرة على مصيره، وكلتاهما تستخدم أدوات محلية لتحقيق غرضها، وبالنسبة اليه كان عبد الكريم قاسم يقوم بالخدمة كأداة للشيوعية السوفياتية تماماً كما كان نوري السعيد يخدم المصالح البريطانية والأمريكية(١١٠).

وجد الزعيم المصري أن من المناسب له أن يلوم الاتحاد السوفياتي على متاعبه مع عبد الكريم قاسم بيد أن واقع الأمر هو أن هذا الأخير كان يستخدم الصلة السوفياتية لإقامة قاعدة لقوته، ما يمكّنه من الوقوف بوجه عبد الناصر. وقد استاء هذا أيضاً من التدخل السوفياتي في الشؤون العربية البينية واعتبر ذلك تجاوزاً على منطقة نفوذه. إن قيام عبد الناصر بالمجازفة باستعداء حليف قوي لهو دليل على ما كان يوليه من أولوية لمعارضة عبد الكريم قاسم له. ان التهديد الذي يتوعد زعامته خطير بشكل خاص لأنه يصدر من دولة ثورية وليست محافظة. فلئن كان عبد الناصر لا يستطيع إلزام رفاقه الثوريين بالانضباط فكيف يستطيع أن يدعي زعامة القومية العربية، ناهيك عن زعامة الوطن العربي؟

ان هذا يفسر عنف هجومه على النظام العراقي وعلى الشيوعية السوفياتية. وكان تصرفه، كما بيّنا سابقاً، يعكس حقيقة معينة هي أن سيطرة الدولتين العظميين على حلفائهما الاقليميين سيطرة محدودة، وأن دول المنطقة تقوم بمغامرات كلما تصورت أن

Egypt, Ministry of Information, *President Gamal Abdel-Nasser's Speeches and Press Interviews* = (1959), pp. 159 - 161.

(١٠٨) Egypt, Ministry of Information, Ibid., p. 539.

(١٠٩) المصدر نفسه، ص ١٧٢. انظر على الاخص، افتتاحيات محمد حسنين هيكل في: **الأهرام** خلال كانون الاول/ديسمبر - آذار/مارس من العام ١٩٥٩. انظر كذلك الافتتاحيات في: **الأخبار وروز اليوسف** خلال كانون الاول/ديسمبر - آذار/مارس من العام ١٩٥٩. وقد أجابت وسائل الاعلام السوفياتية بالمثل. انظر الافتتاحيات في **البرافدا وايزفيستيا** خلال كانون الثاني/يناير - آذار/مارس من العام ١٩٥٩.

(١١٠) Egypt, Ministry of Information, Ibid., pp. 532 - 548.

مصالحها الحيوية مهددة. كان عبد الناصر يطمح الى زعامة الوطن العربي وكان يتخيل أن أية محاولة تقوم بها دولة كبرى لتجاوزه والتعامل مباشرةً مع البلدان العربية الأخرى ما هي إلا تحدٌ للزعامة المصرية. فعلى سبيل المثال لم تكن العلاقات المصرية ـ السوفياتية على ما يرام إلا عندما كانت مصر هي البؤرة لسياسة الكرملين في الوطن العربي. والمنطق نفسه يفسر جزئياً معارضة عبد الناصر للمبادرات الغربية في المنطقة، مثل حلف بغداد ومبدأ آيزنهاور.

لذا من غير الممكن فهم السياسات العربية الاقليمية والدولية إلا بالتركيز على سعي عبد الناصر لتحويل المنظومة الفرعية العربية القائمة الى نظام اقليمي أكثر تماسكاً وفعالية يجري توجيهه من القاهرة. بيد أن تصميم المعارضة المحلية التي وجدت دعماً من دولة عظمى قد حال دون تحقيق طموحات عبد الناصر. ان الفرضية التقليدية الخاصة بالعلاقة الهرمية بين الدول الكبيرة والصغيرة انقلبت رأساً على عقب، فاللاعبون المحليون هم أبعد ما يكونون عن مجرد بيادق في مباراة الشرق والغرب وقد استغلوا الاستقطاب في المنظومة الدولية لخدمة مصالحهم.

أدى الارتباط الحاصل بين السياسات المحلية والدولية الى تشوش الخطوط التي تفصل بين مستويي التحليل، غير أن القضية الأساسية هي الصراع الجاري بين البلدان العربية على قيادة الوطن العربي. هذه الحقيقة كانت في صميم التنازع بين عبد الناصر وعبد الكريم قاسم. إن اعتماد هذا الأخير على الاتحاد السوفياتي كان وسيلة للتأثير في ديناميات الوطن العربي على الشاكلة ذاتها التي حاول فيها نوري السعيد استخدام الصلة الأنكلو ـ أمريكية لتحييد مصر في عام ١٩٥٥. ان هذا يتفق مع احدى طروحاتي الواردة في هذا الكتاب، ألا وهي أن تصرف الحكام العرب على المستويين الاقليمي والدولي كان يتقرر الى حدٍ كبير بموقعهم في المنظومة الفرعية العربية. ونجد في التحليل النهائي انه كان للديناميات العربية البينية تأثير كبير في تكوين السياسات الخارجية للبلدان العربية.

أحدث التراشق الكلامي الحاد الذي جرى بين عبد الناصر وخروتشوف توتراً في العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفياتي في ربيع عام ١٩٥٩. كان الزعيم المصري قلقاً من احتمال تخفيض المساعدات الاقتصادية السوفياتية، لكن كلا الطرفين كان حريصاً على تجنب الانقطاع التام في علاقاتهما. كان الاتحاد السوفياتي بنظر عبد الناصر مصدراً كريماً للمساعدات العسكرية والاقتصادية، كما أنه وفّر للحركة العربية الثورية حليفاً قوياً في الميدانين الاستراتيجي والصناعي ما يمكنه أن يردع الغرب[١١١]. كذلك لم يكن خروتشوف وزملاؤه يرغبون بحدوث انشقاق مع عبد الناصر لئلا يتحول

(١١١) البغدادي، **مذكرات عبد اللطيف البغدادي**، ج ٢، ص ٩٠؛ Heikal, *Nasser: The Cairo Documents*, p. 131, and Smolansky, *The Soviet Union and the Arab East, 1947 - 1957: A Study in Diplomatic Relations*, p. 156.

هذا الى الولايات المتحدة طلباً للدعم. كانوا يدركون الدور المركزي لمصر في الساحة العربية. ان توسع النفوذ الروسي في الشرق الأوسط مدين كثيراً الى مساعي مصر في مكافحة الهيمنة الغربية. لكل هذه الأسباب أكد خروتشوف عدم اتخاذ إجراءات عقابية ضد مصر وأن المساعدات الاقتصادية المقدمة اليها ستستمر بلا انقطاع(١١٢).

وهكذا أسرع خروتشوف وعبد الناصر كلاهما الى ايقاف حرب الكلام التي كانت تشنها وسائل الاعلام. لكن الخصام السوفياتي - المصري ترك ندوباً عميقة في علاقاتهما الناشئة. ان حملة الدعاية أحيت لدى القوميين العرب شكوكاً بشأن التخريب الشيوعي للمجتمع والسياسة وآذنت بنهاية الغرام القصير الأمد مع الاتحاد السوفياتي الذي صار ينظر إليه كدولة كبرى أخرى لا تختلف مطامحها ومصالحها عن أهداف الولايات المتحدة. ان تياراً من الواقعية قد تدفق في العلاقات العربية - السوفياتية وكذلك في العلاقات العربية - الغربية.

حادي عشر: نظرة أمريكية جديدة للقومية العربية

ان تزايد النفوذ الشيوعي في المشرق العربي قد دفع عبد الناصر الى إحياء صلته بالولايات المتحدة، على الرغم من شكوكه بمخططاتها التي تضعها للمنطقة(١١٣). جاء في تقرير لمجلس الأمن القومي الأمريكي ان العلاقات بين الولايات المتحدة ومصر قد شهدت تحسناً ملحوظاً بحلول نهاية الخمسينيات، وأن عبد الناصر نفسه صار ينظر اليها على أنها علاقات طبيعية. كذلك خففت الجمهورية العربية المتحدة من انتقاداتها لسياسة الولايات المتحدة، وسعت بنشاط للحصول على تعاونها في عدد من المجالات. مثلاً، أيد عبد الناصر ادارة آيزنهاور في معارضتها اقتراح «الترويكا» السوفياتي الذي كان يقضي باستبدال لجنة ثلاثية بالأمين العام للأمم المتحدة. كذلك كان عبد الناصر يشاطر واشنطن اهتمامها المشترك بكبح النشاط السوفياتي في اليمن.

ساعدت هذه الايماءات الرمزية على تحسين الجو العام السائد بين القاهرة وواشنطن، وكانت، بنظر الولايات المتحدة، تضع «العلاقات بين أمريكا والجمهورية العربية المتحدة على صعيد جديد ومناسب جداً»(١١٤). يضاف الى ذلك أن تلك الايماءات

---

(١١٢) *Current Digest of the Soviet Press* (15 April 1959), p. 8, and
دانكوس، **السياسة السوفياتية في الشرق الأوسط، ١٩٥٥ - ١٩٧٥**، ص ٧٧ - ٧٩.

(١١٣) Malcolm H. Kerr, *The Arab Cold War: Gamal Abd al-Nasir and His Rivals, 1958 - 1970*, 3rd ed. (London: Oxford University Press, 1971), p. 19, and
البغدادي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٠٠.

(١١٤) «Operations Coordinating Board, Report on the Near East (NSC 5820/1), 3 February 1960 [Period Covered from 4 November 1958 through 3 February 1960],» U.S. Archives, p. 6.

قد أشعرت السوفيات بأن المصريين لا يعوّلون عليهم بل إن لديهم خيارات أخرى. فليس من المستغرب أن تنظر دول المنطقة الى انقسام المنظومة الدولية الى كتلتين متنافستين على أنه أمر مفيد لهم وليس ضاراً بهم.

استقبل التغيير في مواقف عبد الناصر استقبالاً حاراً في أوساط الحكومة الأمريكية، وقد تزامن مع مقاربة جديدة أخذت تسير الولايات المتحدة عليها في نظرتها الى القومية العربية. كانت ادارة آيزنهاور قد قامت، في أعقاب الثورة في العراق والتدخل الأمريكي في لبنان، بإعادة تقييم استراتيجيتها في المنطقة. وقد استند ذلك الى تغير الأغراض الأمريكية في المنطقة والى تعاظم النفوذ الشيوعي في العراق. لقد جرى تمييز حقيقي بين القومية العربية والشيوعية. ولم تعد القومية العربية حركةً ينظر اليها كعدو للولايات المتحدة، فقد صارت هذه العداوة تمنح الآن للحركات الشيوعية، السوفياتية منها والمحلية.

حددت هيئة التخطيط التابعة لمجلس الأمن القومي الأغراض الأساسية للولايات المتحدة كما يلي: (١) منع السوفيات من الهيمنة على المنطقة (٢) استمرار تدفق النفط الرخيص والكافي من المنطقة بضمان الحصول على نفط السعودية والخليج. وقد ذكرت الهيئة أن حماية هذين الغرضين ستتوقف على عمل الولايات المتحدة الوثيق مع القوميين العرب لإيقاف التغلغل الشيوعي. كان من رأي أغلبية هيئة التخطيط أن التعاون مع ذلك الشكل من الوحدة العربية الذي ينادي به عبد الناصر هو «عنصر جوهري في منع امتداد النفوذ السوفياتي في المنطقة»[(١١٥)].

أخذت الولايات المتحدة ترى أن الانهيار الفعلي لمقاومة المحافظين للقومية العربية الراديكالية جعلت من هذه الأخيرة القوة المحركة في المنطقة؛ انها «موجة المستقبل». وصار المسؤولون الأمريكيون يعتقدون الآن بضرورة الاعتراف بعبد الناصر زعيماً بغير منازع للوطن العربي والتعامل معه على هذا الأساس. أما الرأي المعارض فقد جاء من وزارتي الدفاع والخزانة ومن هيئة الأركان المشتركة، فقد كانت هذه الجهات ضد التوصل الى تفاهم مع القومية العربية الثورية، ورأت أن الأحرى فصل حركة الوحدة العربية بعيداً عن عبد الناصر بتشجيع شكلٍ مشروع من القومية العربية. أوصى رأي الأقلية هذا أيضاً بأن يعامل عبد الناصر كزعيم للجمهورية العربية المتحدة لا كزعيم للعالم العربي بأسره[(١١٦)].

---

(١١٥) «NSC, Subject: U.S. Policy toward the Near East, NSC 5820, 30 October 1958,» U.S. Archives, pp. 3 and 5.

(١١٦) «JCS and National Policy, 1956 - 1958,» pp. 471 - 472, and «General Considerations Affecting U.S. Policy toward the Near East (Annex A),» pp. 40-48, in: U.S. Archives.

في المناقشات التي دارت حول مسودة الورقة السياسية التي قدمها مجلس الأمن القومي اتفق آيزنهاور ودالاس مع رأي الأقلية الآنف الذكر. قال دالاس إن اقتراح أغلبية هيئة التخطيط بشأن عبد الناصر ذهب الى أبعد مما هو مستعد شخصياً للذهاب اليه، وأضاف انه لا ينبغي النظر الى نفوذ عبد الناصر على أنه نفوذ دائم إذ ستسود في المستقبل آراء أكثر اعتدالاً وقد تتغلب على آراء المنادين بالقومية العربية الثورية، ولذلك لا يترتب على الولايات المتحدة «أن تعامل عبد الناصر كرئيس لحركة القومية العربية كلها». بيد أن دالاس قبل التصور الأساسي الوارد في الورقة السياسية والقاضي باعتبار الشيوعية السوفياتية، وليس القومية العربية الثورية، «عدونا الحقيقي في الشرق الأدنى»(١١٧).

وعلى الرغم من اعتراضات دالاس جاء البيان السياسي النهائي، كما وقعه رئيس الجمهورية في الرابع من تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٨، وهو يمثل انتصاراً لرأي الأغلبية. انه يشير كذلك الى حدوث تحول كبير في سياسة الولايات المتحدة نحو الشرق الأوسط. لم يقتصر هذا النص الجديد على توصية الوكالات الأمريكية بتطبيع علاقاتها مع الجمهورية العربية المتحدة وإنما أقر كذلك بالطابع الحيادي للقومية العربية الوحدوية. لم تعد الولايات المتحدة تعارض عدم الانحياز؛ انها تقبل بذلك عند الضرورة وتعمل مع الدول التي تسير على سياسات محايدة(١١٨). يضاف الى هذا أن الهموم المحلية الاجتماعية ـ الاقتصادية والسياسية سيؤكَّد عليها بدلاً من قضايا الحرب الباردة. وقد تجنب هذا البيان السياسي موضوع ضم البلدان العربية الى مواثيق دفاعية اقليمية، وشدد على الجوانب السياسية والاقتصادية في استراتيجية الولايات المتحدة تفضيلاً لها على الجوانب العسكرية(١١٩).

هذا وسرعان ما ستتجاوز هذا التوجيه السياسي الجديد أحداث درامية تجري في المشرق العربي منها: الاصطدام القومي ـ الشيوعي، والخصام الناجم عنه بين السوفيات والمصريين. فبحلول شهر كانون الأول/ ديسمبر ١٩٥٨ كان بعض المسؤولين الأمريكيين يعربون عن قلقهم بشأن احتمال استيلاء الشيوعيين على الحكم في العراق. وقد وصف مدير وكالة المخابرات المركزية الوضع في بغداد بأنه «أخطر الأوضاع في العالم اليوم». وقام وليم راونتري، مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى، بزيارة الشرق الأوسط وتحدث مع الزعماء العرب. وقد ظهر له أن المصريين كانوا مستعدين على ما يبدو لضرب الشيوعيين في الجمهورية العربية المتحدة، لكن العراقيين كانوا مترددين في ذلك. وانتهى راونتري الى القول إن بعض العرب صار يدرك أن الشيوعية، وليس الاستعمار، هي التي

---

(١١٧) «383d Meeting of the NSC, 16 October 1958,» U.S. Archives, pp. 7 - 10.

(١١٨) «NSC 5820/1, 4 November 1958,» pp. 1 - 2 and «NSC, 5820, 3 October 1958,» pp. 6 - 18, in: U.S. Archives.

(١١٩) المصدر نفسه.

تمثل الخطر الحقيقي الذي يتهدد أمنه[١٢٠].

ان تزايد النفوذ الشيوعي في عراق عبد الكريم قاسم والاصطدام الذي جرى بين عبد الناصر وخروتشوف حديا إدارة آيزنهاور الى تحسين العلاقات مع مصر أكثر فأكثر، والى تقديم مساعدات اقتصادية وفنية الى نظام عبد الناصر. وقد قدمت هيئة التنسيق في مجلس الأمن القومي تقريراً جاء فيه أن الظروف السائدة في المنطقة الآن من شأنها أن تعمل على تحقيق أغراض الولايات المتحدة. ان هذا الرأي يكرر النتيجة التي توصل اليها راونتري: ان التطور المناسب الأهم هو «ظهور هوّة سحيقة وآخذة بالتوسع بين القوتين السياسيتين الرئيسيتين في المنطقة ـ الشيوعية والقومية العربية»[١٢١].

وذكر التقرير أن نتيجة هذا التطور كانت خسارة الحركة القومية العربية الوحدوية كثيراً من جاذبيتها وقدرتها على التوحيد. أما النتيجة الأخرى فهي أن القومية العربية قد قللت من عدائها للغرب فتحسنت العلاقات بين الدول الغربية والجمهورية العربية المتحدة تحسناً كبيراً. وقامت الولايات المتحدة، في تغيير مهم لموقفها السابق، بالتمييز بين حركة الوحدة العربية الثورية والشيوعية، وأخذت تنظر الآن الى هذه الحركة كأداة رادعة ضد توسع النفوذ السوفياتي. ورأى التقييم الجديد الوارد في التقرير أنه في الكفاح ضد الشيوعية يمكن القومية العربية «أن تجمّع من الأسلحة العقائدية ما هو أقوى كثيراً من أي شيء آخر تستطيع الولايات المتحدة أو حلفاؤها أن تقدمه». بعبارة أخرى: لم تعد القومية العربية خطراً على مصالح الغرب لأن الحياد ليس في جوهره الباطني حركة معادية للغرب[١٢٢].

وجاء في التقرير بشكل جليّ أن على الادارة الأمريكية أن تتوافق مع القومية العربية الوحدوية التي ينادي بها عبد الناصر، لا بل حتى عليها أن تستخدمها كعامل استقرار في المنطقة. وأوصى التقرير بأن تتعايش الولايات المتحدة مع الوحدة المصرية ـ السورية وذلك «لعدم وجود بدائل مرغوب فيها لمستقبل سوريا»[١٢٣]. والواقع أن ادارة آيزنهاور زودت عبد الناصر بمساعدات مادية لتعزيز وحدته مع سوريا. ويبدو أن الولايات المتحدة صارت الآن مستعدة لإسناد طموحات عبد الناصر الاقليمية، أو على الأقل غض النظر

---

(١٢٠) سيراً على نهج السياسة الأمريكية الجديدة قام راونتري بإخبار عبد الناصر أن الولايات المتحدة تريد إقامة الثقة والعلاقات الحسنة مع الجمهورية العربية المتحدة. «386th Meeting of the NSC, 13 November 1958,» pp. 1 - 3; «U.S. Policy toward Iraq (NSC 5820/1, para. 39), 22 December 1958,» pp. 1 - 2, and «392d Meeting of the NSC, 23 December 1958,» pp. 12 - 13, in: U.S. Archives.

(١٢١) «Operations Coordinating Board, Report on the Near East (NSC 5820/1) 3 February 1960 [Period Covered from 4 November 1958 through 3 February 1960],» U.S. Archives, p. 1.

(١٢٢) المصدر نفسه، ص ١ ـ ٤، ٦ و١١.

(١٢٣) المصدر نفسه.

عنها، وذلك لإيقاف تقدم الشيوعية والحيلولة دون سقوط الأنظمة العربية المحافظة التي لم تزل باقية.

في حزيران/يونيو ١٩٦٠ وضعت هيئة التخطيط في مجلس الأمن القومي ورقة سياسية سارت على نهج تقرير هيئة التنسيق. جاء في الورقة أن عقيدة القومية العربية غير قابلة للتوافق بشكل أساسي مع عقيدة الشيوعية، لذا ينبغي للولايات المتحدة أن تبتدع وسائل لتجعل من عدم التوافق هذا شيئاً يخدم غاياتها. ولتحقيق هذا الغرض اقترحت الورقة أن تقوم الحكومة الأمريكية ليس فقط بتطبيع علاقاتها مع الجمهورية العربية المتحدة وإنما بالتعاون معها كذلك في مجالات المصالح المتبادلة. الى ذلك أوصى التقرير تحديداً أن تكون الولايات المتحدة «متعاطفة مع فكرة الوحدة العربية ومع وجود صلة مشاركة وثيقة بين الدول العربية»(١٢٤).

وعلى هذا أوصت هيئة التخطيط أن تقوم حكومة الولايات المتحدة بتشجيع حدوث مشاركة سلمية من الأردن مع كيان عربي أوسع، وبتشجيع السعودية على تولي برنامج للاصلاح الاجتماعي - الاقتصادي والمالي. ومع أن خطر الشيوعية الممكن تحققه في المستقبل ظل باقياً في العراق فإن تقرير الهيئة الجديد قال إن الشيوعيين غير قادرين على تحييد المعارضة القومية، ذلك أن الجماعات المهيمنة في الجيش العراقي تشاطر عناصر مهمة من الطبقة الوسطى آراءها القومية العقائدية، وعليه فإن القوتين المجتمعتين لهاتين الجماعتين تمثلان قوة مضادة ذات شأن تقف بوجه الشيوعية العراقية(١٢٥).

وفي تموز/يوليو ١٩٦٠ صادق الرئيس آيزنهاور ومجلس الأمن القومي على تقريري هيئة التخطيط من دون تغيير، وفيهما توجيهات سياسية - وهما برقم (NSC 5820/1) و(NSC 6011) - وكانا يمثلان تغييراً جوهرياً في سياسة الولايات المتحدة تجاه الوطن العربي، ويمثلان على الأخص عكساً لموقفها من القومية العربية الوحدوية. حل التراضي والتعاون محل الارتياب والعداوة. ومع أن تلك التوجيهات السياسية قد تأثرت في تحديدها بتنازع الولايات المتحدة مع الاتحاد السوفياتي غير أنها وضعت تشديداً على قضايا السياسة البسيطة أكثر مما وضعته على قضايا السياسة العليا. ان محاولة جدية قد جرت للإحاطة بالحاجات والهموم الاقليمية.

ظلت هذه الارشادات تؤثر، على مدى أربع سنوات تالية، في مجرى السياسة الأمريكية في المنطقة. أصبحت مصر بؤرة العلاقات الأمريكية مع البلدان العربية. لقد كانت ادارة آيزنهاور في واقع الأمر هي التي دشنت التحول في أولويات الولايات المتحدة في المنطقة، وليس ادارة كينيدي، وهذه حقيقة لا تفسر في الغالب تفسيراً صحيحاً لعدم

---

(١٢٤) «NSC, U.S. Policy toward the Near East (NSC 6011), 17 June 1960,» U.S. Archives, pp. 2, 4, 9, 14 - 15 and 21.

(١٢٥) المصدر نفسه، ص ٤ و٢٢ - ٢٤.

الاهتمام الكافي بالتغييرات الجوهرية في سياسة آيزنهاور العربية التي جرت خلال السنتين الأخيرتين من ولايته.

بالنظر الى أهمية الاقتصاد في سياسة مصر الخارجية فقد قام آيزنهاور ودالاس بزيادة المساعدات الأمريكية اليها زيادة كبيرة. ولم تغب أهمية هذه الخطوة عن الكرملين فاتهمت جريدة **برافدا** الحكومة الأمريكية باستخدام المساعدات وسيلة لبذر الشقاق بين البلدان العربية وكذلك بينها وبين الاتحاد السوفياتي. ولا غرابة أن يقدم السوفيات على إغداق المساعدات المالية على مصر بأكثر مما تقدمه لها الولايات المتحدة. وهكذا أثمرت أخيراً استراتيجية عبد الناصر، فالدولتان العظميان كانتا تتنافسان لإرضائه والحصول على الحظوة لديه. وقد أعرب البغدادي، وهو من كبار الضباط الأحرار، عن ارتياحه لأن الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي يتزايدان في إقراض المال الى مصر لكي تكمل بناء السد العالي في أسوان. وكانت النتيجة، كما كتب السادات، أن مصر كانت تنفق من ميزانية مريحة(١٢٦).

بحلول أوائل عام ١٩٦١ كان التحسن في العلاقات بين العرب وأمريكا قد رافقه انفراج كبير في التوترات السائدة في الشؤون العربية البينية. إن هذا التطور يعكس الرابطة الوثيقة بين السياسات الاقليمية والدولية. كان الوطن العربي يتمتع بمرحلة من السكينة، على الضد تماماً من الأوضاع في السنين السابقة. فقد حدثت مصالحة بين الحسين وفيصل من جهة وعبد الناصر من جهة أخرى، وأخذ حتى الخصام بين هذا الأخير وعبد الكريم قاسم بالانحسار ولا سيما بعد أن بدأ الزعيم العراقي ينأى بنفسه عن الشيوعيين العراقيين(١٢٧). لكن التنازع بين هذين الزعيمين قد شوش الخطوط العقائدية

---

(١٢٦) «Operations Coordinating Board, Report on the Near East (NSC 5820/1), 3 February 1960,» pp. 5 - 6, and «NSC, U.S. Policy toward the Near East (NSC 6011), 17 June 1960,» p. 3, in: U.S. Archives; Anwar El-Sadat, *In Search of Identity: An Autobiography* (London: Collins, 1978), p. 154; *Pravda*, 6/1/1959; Smolansky, *The Soviet Union and the Arab East, 1947 - 1957: A Study in Diplomatic Relations*, pp. 126 - 127, and

البغدادي، **مذكرات عبد اللطيف البغدادي**، ج ٢، ص ١٠٣.

(١٢٧) Paul C. Noble, «Regional Arrangements and the Management of Conflict under the United Nations: The Case of the Arab System,» (Doctoral Dissertation, McGill University, Montreal, 1972), p. 394; «Report on the Near East, 3 February 1960,» U.S. Archives, pp. 2 - 3; Batatu, *The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq: A Study of Iraq's Old Landed and Commercial Classes of Its Communists, Ba'thists and Free Officers*, pp. 864, 900 - 901, 905 - 907, 919 - 920, 936 - 943 and 965;

مجموعة خطب الملك حسين: ٢٥ عاماً من التاريخ، ١٩٥٢ ـ ١٩٧٧ (لندن: مؤسسة سمير مطاوع للنشر، ١٩٧٨)، ص ٥٩٤ ـ ٥٩٥، وغسان سلامة، **السياسة الخارجية السعودية منذ عام ١٩٤٥: دراسة في العلاقات الدولية**، سلسلة الدراسات الاستراتيجية؛ ٣ (بيروت: معهد الانماء العربي، ١٩٨٠)، ص ٦٣٢.

بين المعسكرين؛ المحافظ والثوري، ودل على تشظي القوى العربية الثورية. ان هذا التنازع أتاح كذلك لأنظمة الحكم العربية المحافظة فرصة لالتقاط الأنفاس. لقد فقدت الحرب الباردة العربية شيئاً من حماستها المتوقدة.

ثاني عشر: انقسام الجمهورية العربية المتحدة

لم يكن كل شيء هادئاً على الجبهة الشرقية. فمنذ آب/أغسطس ١٩٥٨ أفادت وكالة المخابرات المركزية أن عبد الناصر كان يلاقي مصاعب مع السوريين بشأن سلسلة من القضايا: الشؤون الاقتصادية، الأحزاب السياسية وفئات الضباط. وقد واجه مقاومة شديدة من الطبقات ذات الملكيات الكبيرة التي عارضت سياساته الثورية وقراراته الاشتراكية. بل ان عبد الناصر استعدى حتى البعثيين الذين يمثلون صلب حلفائه السياسيين وكانوا يأملون كثيراً في حكم سوريا بالاشتراك معه. لكن عبد الناصر لم يكن مهتماً بمشاركة السلطة مع أحد. لقد عيّن رجاله في المراكز الحساسة في سوريا كالجيش وقوى الأمن وغيرهما من دوائر الحكومة فأثار عداء فئة مهمة من أصحاب المصالح المكتسبة في البلاد(١٢٨).

وجرى استغلال مشاكل عبد الناصر هذه من قبل الشيوعيين السوريين المنفيين ومن قبل نظام عبد الكريم قاسم. ان نزاعه مع هذا النظام قد حدّ من الاندفاع نحو الوحدة العربية وعزز قوى الانقسام في الجمهورية العربية المتحدة. ولم تساعد مصالحة مصر مع الولايات المتحدة ومع الأنظمة الملكية العربية في حل مشاكل عبد الناصر في سوريا. وكان زملاؤه، ولا سيما عبد الحكيم عامر، من الذين أرسلوا الى سوريا لإدارة البلاد يعلمون بالتململ المتفشي في أوساط سورية معينة إلا أنهم لم يتخذوا أي عمل لإصلاح ذات البين. وقد أدى المنظار العقائدي الذي كانوا ينظرون من خلاله الى المشهد السوري الى تشويه رؤيتهم.

كان عبد الناصر قد حذر السوريين في خطاب تلو خطاب في عامي ١٩٦٠ و١٩٦١ ونبّههم أن يكونوا يقظين تجاه الدعاية الإمبريالية التي تُبث والمؤامرات التي تحاك. انه لم يفهم الاقتلاع الاجتماعي ـ الاقتصادي الذي أصاب بعض الجماعات التقليدية القوية ولا الإبعاد الذي لحق البعثيين والمتعاطفين معهم في الجيش، وهذا الخلل في التبصر وبعد

---

(١٢٨) Kamel S. Abu Jaber, *The Arab Ba'th Socialist Party: History, Ideology, and Organization*, foreword by Philip K. Hitti (Syracuse, NY: Syracuse University Press, 1966), pp. 57 - 60; Patrick Seale, *Asad of Syria: The Struggle for the Middle East*, with the assistance of Maureen McConville (London: I. B. Tauris, ©1988), pp. 58 - 59; «Synopsis-Intelligence and State Department Items Reported to the President, 7 August 1958,» U.S. Archives, p. 2, and هيكل، **ما الذي جرى في سوريا؟**، ص ٦٤.

النظر يفسر استخفاف عبد الناصر بضباط الجيش بوصفه لهم أنهم «عدد من الأفراد المخدوعين» وذلك في أيلول/سبتمبر ١٩٦١ حين قام هؤلاء بالاستيلاء على الحكم واعلان انفصالهم عن الوحدة(١٢٩).

ثالث عشر: مضاعفات إقليمية ودولية

اذا كانت الوحدة بين مصر وسوريا تمثل أعلى نقطة بلغتها حركة القومية العربية في تاريخها فإن الانفصال كان أدناها. وجاء إلغاء اليمن الفوري لاتحادها مع مصر ليمثل مظهراً آخر من مظاهر الانقسام في السياسات العربية. وفي رأيي أن القومية العربية كانت قد انتكست في عام ١٩٦١ وليس في عام ١٩٦٧، فالتهديد للوحدة العربية كان قاتلاً لأنه أتى من الداخل. ان انقسام الجمهورية العربية المتحدة يكشف عن وجود تصدعات داخل المجتمعات العربية، كما يكشف عن وجود فرق متعددة وفئات مختلفة في المعسكر الثوري. كما أن ذلك الانقسام قد كشف ضعف العقائد في السياسات العربية وأظهر سيادة المصالح عليها.

ان المصالح المحلية قد تخندقت في المنظومة الفرعية العربية، فلم يكن المحافظون ولا الثوريون مستعدين للتنازل عن سلطاتهم أو امتيازاتهم من أجل الوحدة العربية. أما الخطب التي كان يلقيها الحكام العرب فإنها لم تكن دائماً مقياس التزامهم بالقومية العربية؛ إن هوّة سحيقة تفصل بين النظرية والتطبيق في السياسات العربية. الى ذلك فإن من غير الممكن فصل مسألة توحيد العرب عن المصالح السياسية والمادية للدول التي تدعو الى هذا التوحيد(١٣٠). مثلاً، في النصف الثاني من الخمسينيات كان تزعّم عبد الناصر لقضية الوحدة العربية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بدور مصر السائد في المنطقة. لقد افترض هو وأعوانه المقربون افتراضاً مسبقاً أن القاهرة ستكون بطبيعة الحال هي البؤرة لأية تجربة وحدوية. كان هذا الافتراض وراء التنازع المصري ـ العراقي وما أعقبه من صراع على سوريا. وفي عام ١٩٥٥ جاء خروج سوريا من المعسكر العراقي الى المعسكر المصري ليختم على مصير حلف بغداد والترتيبات الدفاعية الغربية. وقد أعطى ذلك ميزة حاسمة لمصر في حملتها من أجل تحقيق هيمنتها على المنطقة ومكّن عبد الناصر من اتباع سياسة خارجية مستقلة حيال الدول الكبرى.

---

(١٢٩) Egypt, Ministry of Information: *President Gamal Abdel-Nasser's Speeches and Press Interviews* (Cairo: Information Department, 1960), pp. 18 - 123, and *President Gamal Abdel-Nasser's Speeches and Press Interviews* (Cairo: Information Department, 1961), pp. 14 - 78 and 245; Abu Jaber, Ibid., pp. 57 - 60, and Batatu, Ibid., pp. 864 - 865.

(١٣٠) عبد المنعم سعيد، **العرب ومستقبل النظام العالمي**، مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي، محور العرب والعالم (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧)، ص ٢٠٩.

وهكذا لعبت سوريا دوراً مهماً في التأثير ليس فقط في اصطفاف البلدان العربية سواء في ما بينها أو مع القوى الخارجية، وإنما في نهج علاقات هذه البلدان مع الدول العظمى. ويجب النظر الى انقسام الجمهورية العربية المتحدة في هذا السياق. جاء انفصال سوريا عن الوحدة وطرد عبد الحكيم عامر المذل من دمشق في عام ١٩٦١ ليكشف عن التصدع الخطير الذي أصاب النخبة الحاكمة في مصر، ألقى عبد الناصر بمسؤولية الانتكاس على عاتق عبد الحكيم عامر الذي كان مسؤولاً عن الاقليم السوري وقائداً للقوات المسلحة في الجمهورية العربية المتحدة. وهكذا عمل التنازع الدقيق والمعقد بين الاثنين المذكورين على تصعيد الخصام بينهما بشكل خطير وحال دون التنسيق الفعال بين الزعامتين المدنية والعسكرية.

من الناحية الاقليمية أدى الانقلاب السوري، وما رافقه من انشقاق يمني، الى توجيه ضربة شديدة نحو جهود عبد الناصر لإنشاء كتلة عربية متماسكة تكون يداً واحدة في المسائل العامة للسياسة الخارجية. وواجهت هيمنة مصر على السياسات العربية تحدياً جدياً من كل من المحافظين والثوريين، فوجدت مصر نفسها معزولة في الوطن العربي. وتزايدت التوترات بين البلدان العربية وتجاوز عبد الناصر قاعدة جوهرية من قواعد السياسة العربية باستخدامه قوات عربية مسلحة في اليمن ضد الأشقاء العرب. وللمرة الأولى تتحول الحرب الباردة العربية الى حرب ساخنة، فكان من الأسهل على الدولتين العظميين أن تتغلغلا في المنظومة الفرعية العربية أكثر فأكثر.

لم تعد مصر، بنظر الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، تمثل خطراً كبيراً على وجودهما في المنطقة، إذ إنها لم تعد قادرة على تعبئة بلدان عربية أخرى ضد التدخل الأجنبي. وعلى الرغم من تغير الظروف فإن من الممكن القول ان جذور التغيير في تصورات الولايات المتحدة تعود الى أواخر الخمسينيات. وكما ذكرنا سابقاً قامت ادارة آيزنهاور، بعد الثورة العراقية والتدخل الأمريكي في لبنان، بإجراء إعادة تقييم أساسية لسياستها في الشرق الأوسط. ان ذلك التحول في المنظور كان ثمرة تقييم جديد ونقدي لمصالح الولايات المتحدة في المنطقة والعالم. ثمة سببان عمليان وراء التغيير في المواقف الأمريكية من عبد الناصر، أولهما ضمان المحافظة على أنظمة الحكم العربية المحافظة، ولا سيما العربية السعودية بما فيها من احتياطيات نفطية ضخمة. والثاني هو منع التوسع السوفياتي. كلا هذين الغرضين يتطلب تعاون الولايات المتحدة مع عبد الناصر. لقد شهدت الفترة الممتدة من أواخر عام ١٩٥٨ حتى أواسط الستينيات نمطاً ثابتاً من التعاون الأمريكي ـ المصري.

يتجلى التغير الحاسم في سياسة الولايات المتحدة بقيام ادارة آيزنهاور بالتمييز بين الحركة الوحدوية العربية الثورية وبين الشيوعية، وكذلك باعتبار عقيدة القومية العربية أمراً لا يمكن من حيث الأساس أن يتوافق مع عقيدة الشيوعية. كان الرأي السائد في واشنطن أن على الولايات المتحدة أن تقوم ليس فقط بالتوافق مع ذلك النوع من القومية

العربية الذي ينادي به عبد الناصر وإنما أن تستخدمه كذلك سلاحاً ضد الشيوعية السوفياتية. أخذ آيزنهاور ودالاس كلاهما يقدر التعقيد الموجود في الديناميات الاقليمية ويقدر كذلك المصادر الداخلية الفذة لما يجري بين البلدان العربية من تطورات وخصومات.

وقرر الرجلان، كجزء من صراعهما مع الاتحاد السوفياتي، تشجيع المعتقدات القومية الموجودة في العالم الثالث على أمل جعل ميزان القوى الدولي يميل الى صالح الولايات المتحدة. لقد أدركا كذلك ليس فقط عدم التوافق الموجود بين الشيوعية السوفياتية والأشكال المختلفة من القومية المحلية وإنما أدركا أيضاً وضع السوفيات المعرض للخطر في الأقطار النامية وإمكانية تحقيق مكاسب للغرب هناك.

ومع أن عبد الناصر كان المستفيد الأول من التحول في السياسة الأمريكية فإن انقسام الجمهورية العربية المتحدة قد أضعف مركزه داخلياً وفي المنطقة الى درجة أصبح معها يحتاج الى الكثير جداً من المساعدة الخارجية لكي ينجو من التهميش والتطويق. ان هذا يفسّر جزئياً التصاعد اللاحق الذي أصاب المنازعات العربية البينية. ان الوطن العربي غدا في وضع هو أبعد ما يكون عن أن يصبح سيد نفسه، وهو سيفقد ما كان قد حققه من استقلال ذاتي في السنين القليلة السابقة. انه سيضحي مرةً أخرى منهمكاً في صراع داخلي، فيعرض نفسه بذلك الى مزيد من تغلغل الدولتين العظميين.

الفصل السادس

النزاع المصري ـ السعودي في اليمن
وموقف الدولتين العظميين
١٩٦١ ـ ١٩٦٤

في أعقاب انفصال الوحدة المصرية ـ السورية في أيلول/ سبتمبر ١٩٦١ تلبّدت السحب السوداء في سماء السياسة العربية. خرجت الأشباح البائسة للحرب الباردة العربية من قبورها متعطشة للدماء. وجرى تلميع الشعارات الدعائية القديمة ووضعت مرة أخرى في خدمة العقائد السياسية وأنظمة الحكم القائمة. وضرب الاستقطاب أطنابه في النظام العربي فباعد بين معسكرين: المعسكر المحافظ والمعسكر الثوري. وقد قال عبد الناصر ان السلام بين هاتين الكتلتين أمر مستحيل بالنظر الى التحالف غير المقدس والمدمر بين الرجعية والإمبريالية، وقال أيضاً: «اننا قد ارتكبنا خطأ في مسالة الرجعية. ويجب علينا أن نتخلص من هذا الوهم الخطير وذلك لحماية كفاح الشعب. يجب علينا أن نقاتل الإمبريالية في قصور الرجعية. يجب علينا أن نقاتل الرجعية في أحضان الإمبريالية»[١].

كان موقف الزعيم المصري المتشدد متصلاً اتصالاً مباشراً بتصوره لتكتلات القوة في المنطقة والعالم. وقد نال انقسام جمهوريته كثيراً من أساس شرعيته السياسية، أي طلبه الزعامة لحركة القومية العربية. كما هدد ذلك الانقسام ما حققته البلاد بشق الأنفس على المسرح الدولي وعرّض للخطر الاستقرار الداخلي لنظام الحكم فيها. وجدت مصر نفسها فجأةً وهي في حالة عزلة وسط الأسرة العربية، وكانت على صلة سيئة مع عدد من البلدان العربية: العراق، السعودية، الأردن، ومن ثم سوريا واليمن. وكان لبنان من البلدان العربية القليلة جداً التي ظلت تحافظ على علاقات حسنة مع مصر.

خلقت عزلة مصر فراغاً في المنظومة الفرعية العربية بسبب دورها الكبير السابق، ففقد النظام العربي توازنه وتدهورت العلاقات بين البلدان العربية[٢]. وحدث تصعيد خطير وملحوظ في التوترات العربية. ولم يعد الحكام العرب يقصرون خصوماتهم على نطاق الاعلام. ولأول مرة استخدم العنف الواسع النطاق وسيلةً في السياسات العربية

---

(١) Egypt, Ministry of Information, *President Gamal Abdel-Nasser's Speeches and Press Interviews* (Cairo: Information Department, 1961), pp. 311 - 312.

(٢) محمود رياض، **مذكرات محمود رياض** (بيروت: دار المستقبل العربي، ١٩٨٦)، ج ٢: **الأمن العربي بين الإنجاز والفشل**، ص ٢٦٥.

البينية، ان الصدام المصري ـ السعودي في اليمن من ١٩٦٢ الى ١٩٦٧ هو مثال على ذلك.

كانت المضاعفات الناشئة عن انقسام الجمهورية العربية المتحدة تتصف بكونها مثيرة للفرقة جداً، ومن تلك المضاعفات: (١) عجز مصر عن الهيمنة على الوطن العربي وعن صياغة سياسة خارجية عربية مشتركة؛ (٢) أهمية المصادر المحلية للمنازعات بصفتها المسبب لعدم الاستقرار في المنطقة، والدور الثانوي للمتغيرات الخارجية؛ (٣) حالة الميوعة والتحولات السريعة في التحالفات بين البلدان العربية؛ و(٤) فتح فصل جديد وعنيف في العلاقات بين البلدان المذكورة.

ان جذور حرب ١٩٦٧ بين اسرائيل والبلدان العربية تمتد عميقاً ـ بالاضافة الى قيام دولة اسرائيل ـ الى الأحداث الفاصلة التي وقعت في عام ١٩٦١. فمن جهة أدى خذلان عبد الناصر في سوريا الى جعله يصمم على استعادة ما خسره من مؤهلات وحدوية. حتى على حساب الوقوع في أخطاء عدم التقدير. كان اهتمامه باستقرار النظام الاقليمي وبالآثار البعيدة المدى التي تصيب نظام حكمه أقل من اهتمامه بتحقيق مكاسب سياسية ذات غايات بعينها. ومن جهة أخرى شعرت أنظمة الحكم السورية المتعاقبة في أعقاب انفصال سوريا عن مصر بأنها مضطرة للمزايدة على مصر في قضايا الوحدة العربية. كان الحكام السوريون يطبقون طوال هذه الفترة سياسات متشددة في المسرح العربي ـ الاسرائيلي، فوقعوا بذلك في أيدي صقور اسرائيل الذين كانوا يعتقدون «أن نصراً حاسماً على الدول العربية هو وحده الذي سيحل النزاع العربي ـ الاسرائيلي ويضمن بقاء اسرائيل»[٣].

أولاً: التصورات المصرية

كان عبد الناصر وزملاؤه قد نظروا الى الأحداث التي وقعت في سوريا على أنها مؤامرة حاكتها الرجعية العربية والإمبريالية الغربية للإطاحة بالثورة في القاهرة واعادة رسم الخريطة السياسية للساحة العربية. وقد ربطوا انفصال سوريا واتجاهها نحو المعسكر المعادي لمصر بحملة خارجية منسقة لمعاقبة مصر بسبب رفضها القبول بالأحلاف الدفاعية الغربية وبمناطق النفوذ. واعتقد الزعماء المصريون كذلك أن القاهرة ستكون الهدف التالي بعد دمشق لأن نجاح الغرب في سوريا لا بد أن يسري أثره الى بلدان عربية أخرى ثورية وغير منحازة[٤].

---

(٣) «Embassy Tel Aviv to Department of State, 5 October 1962, box 119,» in: *The John F. Kennedy National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1961 - 1963,* Microfilmed from the Holdings of the J. F. Kennedy Library, 3 reels (Frederick, MD: University Publications of America, 1989), reel 3.

(٤) مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، فبراير ١٩٦٢ الى يوليو ١٩٦٤، =

هذا التأويل بالتآمر فاقم من شعور الضباط الأحرار في مصر بالحصار والتطويق. وقد قال عبد الحكيم عامر قائد الجيش: «في الوقت الذي كانت فيه مصر في حالة دفاع كانت الإمبريالية والرجعية في حالة هجوم». شعر المصريون بوطأة عزلتهم في المنطقة لأن علاقاتهم مع الاتحاد السوفياتي، حليفهم الاستراتيجي في النظام الدولي، كانت على أدنى مستوى. كانت هذه العلاقات قد أبلّت من أزمة عام ١٩٥٩ الا أنها لم تكن قد عادت بعد الى حالتها الطبيعية [٥]. وجاء الاعتراف العاجل من موسكو وواشنطن بنظام الحكم السوري المقام حديثاً ليفاقم من مخاوف النخبة الحاكمة في القاهرة. كانت هذه النخبة على قناعة بأن الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي كليهما يهدف الى السيطرة على مصير العرب من خلال إقامة حكومات صنيعة يكون من الممكن للدولتين العظميين إملاء أوامر مباشرة عليها[٦].

ثانياً: مواقف الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي

ان القضية السورية لم تكن من الأولويات العليا للولايات المتحدة أو للاتحاد السوفياتي، الا بقدر ما تعمل على تقليل النفوذ المصري والحد من القدرة المصرية على تهديد المصالح الحيوية للدولتين العظميين. ولا غرابة أنهما سارتا على نهج غير واضح المعالم تجاه انقسام الجمهورية العربية المتحدة. زودت الحكومة الأمريكية سوريا بمساعدات مالية وفنية بعد انفصالها وشجعتها على اتباع سياسات معتدلة، لكنها لم تتخذ خطوات ايجابية لمساعدتها على تحمل هجمة عبد الناصر العقائدية[٧]. وحافظت ادارة آيزنهاور منذ نهاية عام ١٩٥٨ على علاقات سليمة، بل ودية كما يقول بعضهم مع مصر التي كانت بؤرة اهتمام السياسة الأمريكية في الساحة العربية. لم يكن المسؤولون في الولايات المتحدة على استعداد للتضحية بعلاقاتهم المتحسنة من أجل مصادقة سوريا.

كذلك كان موقف الزعماء السوفيات نحو دمشق ودياً ولكنه فاتر. وإثباتاً لاستعدادهم لإقامة جسور جديدة مع سوريا فإنهم اتفقوا في الرأي مع زعمائها على

=ج ٤ (القاهرة: مصلحة الاستعلامات، [د. ت.])، ص ٢٦٩ - ٢٧٠، وعبد اللطيف البغدادي، **مذكرات عبد اللطيف البغدادي** (القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٧٧)، ج ٢، ص ١٥٠ - ١٥١.

(٥) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، فبراير ١٩٦٢ الى يوليو ١٩٦٤**، ج ٤، ص ٢٦٦؛ أحمد يوسف أحمد، **الدور المصري في اليمن، ١٩٦٢ - ١٩٦٧** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١)، ص ٤٧ - ٤٨، وفؤاد مطر، **بصراحة عن عبد الناصر: حوار مع محمد حسنين هيكل**، ط ٢ (بيروت: دار القضايا، ١٩٧٥)، ص ١٥٨.

(٦) البغدادي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٥٠ - ١٥١.

(٧) «Talking Outline, Subject: Crown Prince Faysal May Raise: III. K.U.S. Support for Syria, 4 October 1962, box 158,» in: *The John F. Kennedy National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1961 - 1963,* and Nadav Safran, *Israel: The Embattled Ally* (Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University Press, 1978), p. 367.

الرغبة في تقوية التعاون الاقتصادي والثقافي على أساس المنفعة والاحترام المتبادلين. وعلى الرغم من هذه المجاملات الدبلوماسية كان مسؤولو الكرملين يعملون بشكل حذر، ويدركون صعوبة القيام بفرض الاستقرار السياسي في سوريا(٨).

ان مواقف الدولتين العظميين تدل على إقرارهما، وإن جاء متأخراً، بحدود سلطتهما وبعدم قدرتهما على توجيه القوى المحلية في المنطقة. وقد سبق أن ذكرنا في هذه الدراسة أن الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، في سعيهما وراء النفوذ والغلبة، قد وجدتا في غالب الأحيان أنهما غير قادرتين على السيطرة على أعمال حلفائهما في المنطقة، ناهيك عن أعمال خصومهما. إن الدول الصغيرة لا تحترز من اتخاذ قرارات تنطوي على المخاطر كلما ظنت أن مصالحها الحيوية صارت عرضة للتهديد، من دون أن ترتهب من الدول الكبيرة. لقد فقهت الدولتان العظميان هذه الحقيقة الواقعة منذ نهاية الخمسينيات، ومن هنا جاء موقفهما تجاه انحلال الجمهورية العربية المتحدة جزءاً من إعادة تقييم أوسع نطاقاً لاستراتيجيتهما في المنطقة.

ثالثاً: سياسة الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي نحو الوطن العربي

سبق أن ذكرنا أنه قبيل نهاية ولاية آيزنهاور خضعت السياسة الأمريكية نحو الوطن العربي الى اعادة تقييم أساسية. واستمرت هذه السياسة في عهد الرئيس كينيدي الذي كان ميالاً الى مسايرة الحركة القومية العربية كما يمثلها عبد الناصر. لم يعد يُنظر الى هذا الزعيم بصفته شيوعياً وأن سقوطه السياسي سيخدم مصالح الولايات المتحدة في المنطقة(٩).

لم تكن ادارة كينيدي ترى، منذ بداية ولايتها، وجود بديل مناسب للضباط الأحرار في مصر. كان الرأي السائد في الحكومة أن تغييراً في نظام الحكم هناك «قد يؤدي الى تحول في السياسة نحو اليسار»(١٠). لهذا سارت الحكومة الأمريكية على نهج عملي يقوم على المساعدات الاقتصادية والفنية. كانت الزيادة الهائلة في المساعدات الأمريكية المقدمة

---

(٨) هيلين كارير دانكوس، **السياسة السوفياتية في الشرق الأوسط، ١٩٥٥ ـ ١٩٧٥**، ترجمة عبد الله اسكندر (بيروت: دار الكلمة للنشر، ١٩٨٣)، ص ٨٨، و Oles M. Smolansky, *The Soviet Union and the Arab East, 1947 - 1957: A Study in Diplomatic Relations*, Modern Middle East Series; 6 (Lewisburg, PA: Bucknell University Press, 1974), pp. 200 - 201.

(٩) «Talking Outline: Saudi-UAR Relations, 4 October 1962, box 158,» in: *The John F. Kennedy National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1961 - 1963.*

(١٠) «Cairo to Department of State, Subject: U.S. - UAR Relations: I. Areas of Maneuver, 11 April 1964,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969*, Microfilmed from the Holdings of the L. B. Johnson Library, Austin, Texas, 8 reels (Frederick, MD: University Publications of America, 1989), reel 7.

الى مصر ترمي الى التأثير في عبد الناصر لتحويل انتباهه من مسائل العلاقات الدولية الى المشاكل الداخلية وموضوع التنمية الاقتصادية. وقد أرادت الادارة أن تؤسس «وضعاً قوياً في قطر أساسي، وتعمل على أن تندرج الجمهورية العربية المتحدة في العالم الغربي من خلال الفوائد التي ستجنيها منه»(١١). ان كينيدي كان يرجو، عملياً، أن يستخدم المساعدات لكي يحمل عبد الناصر على احترام مصالح الولايات المتحدة الأمنية في العالم الثالث، وأن يبين بشكل عام استعداده بصفته من الرواد الجدد لمساعدة الدول النامية المحايدة(١٢).

أما العلاقات بين الاتحاد السوفياتي والجمهورية العربية المتحدة فكانت قد تحسنت بحلول عام ١٩٦١ تحسناً كبيراً. كان زعماء الكرملين قد أصيبوا بالحيرة تجاه عبد الكريم قاسم بعد حملته المنتظمة الرامية الى تقليل سطوة الشيوعيين العراقيين ووضعهم تحت السيطرة. لقد أدرك السوفيات أن عبد الكريم قاسم لم يكن ثورياً، وأن تحالفه مع الحزب الشيوعي العراقي كان تكتيكياً وليس استراتيجياً. وكان الرئيس العراقي من ناحيته قلقاً من جراء الطرق الدموية التي يستخدمها الشيوعيون ومن جراء محاولاتهم لاثبات وجودهم السياسي. وفي أعقاب حمام الدم الذي وقع في مدينة كركوك وما جرى فيها من مواجهة دموية بين الشيوعيين والقوميين العرب قرر عبد الكريم قاسم فسخ «زواج المصلحة» الذي عقده مع الحزب الشيوعي العراقي، فاتهم الشيوعيين بمحاولة الاطاحة بنظام حكمه الثوري وأدانهم بصفتهم «فوضويين»(١٣).

كان السوفيات أمام محنة معينة، إذ كان عليهم الاختيار بين نظام صديق ورفاق عقائديين، كما كانوا يدركون تماماً القوى المحلية والخارجية الموجهة ضد حلفائهم. بعبارة أخرى، إن نظام حكم شيوعياً في العراق لم يكن قادراً على البقاء، لذا أصرت موسكو على أن يتجنب الشيوعيون العراقيون استفزاز عبد الكريم قاسم، وأن يضعوا حداً نهائياً للسعي للاستيلاء على السلطة. كان الزعماء السوفيات يعلمون أنه لا الغرب ولا البلدان

(١١) «Talking Outline: Saudi-UAR Relations, 4 October 1962, box 158,» in: *The John F. Kennedy National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1961 - 1963.*

(١٢) William J. Burns, *Economic Aid and American Foreign Policy toward Egypt, 1955 - 1981* (Albany, NY: State University of New York Press, 1985), p. 146.

(١٣) S. Danilov, «Provocation in Kirkuk,» *International Affairs* (Moscow), no. 9 (September 1959), p. 93; Smolansky, *The Soviet Union and the Arab East, 1947 - 1957: A Study in Diplomatic Relations,* p. 161; Hanna Batatu, *The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq: A Study of Iraq's Old Landed and Commercial Classes of Its Communists, Ba'thists and Free Officers* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1978), pp. 858, 900 - 901, 905 - 907, 919 - 920 and 936 - 943, and Uriel Dann, *Iraq under Qassem: A Political History, 1958 - 1963* (Jerusalem: Israel Universities Press, 1969), pp. 108, 110 - 111 and 357.

العربية ستتسامح تجاه مثل هذه الامكانية. لقد أظهر السوفيات عدم رضاهم عن عبد الكريم قاسم بفرضهم تعتيماً إعلامياً على العراق(١٤).

استمرت العلاقات السوفياتية ـ العراقية في التدهور طوال عام ١٩٦١، وبلغت حالة من الجمود في نهاية تلك السنة. كان عبد الكريم قاسم قد أعلن في حزيران/يونيو أن الكويت هي جزء لا يتجزأ من العراق وصرّح عن نيته بضم تلك المشيخة الصغيرة. ان هذه الحركة، وما رافقها من حرب ضد الأكراد، أدت الى تردي سمعته إلى حدٍ كبير. وقد استنتج المسؤولون السوفيات أن توقعاتهم المنتظرة من النظام العراقي كانت مفرطة، ولم يكن لديهم من بديل حقيقي سوى الاعتماد على مصر بصفتها بوابة الوطن العربي. لذا أنهوا معركتهم مع عبد الناصر وأخذوا يسرعون بإرسال المساعدات الى القاهرة، كما وقعوا اتفاقية للبدء بالعمل في المرحلة الثانية من سد أسوان(١٥). ان التوجه الجديد للسياسات الخارجية لكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي كان ثمرة من ثمرات بروز مصر كقوة دافعة في السياسات العربية. وبمسايرة الدولتين المذكورتين حركة القومية العربية وإقرارهما بزعامة مصر لها فانهما كانتا ترجوان الحفاظ على نفوذهما ومصالحهما في المنطقة وتعزيزها كذلك. لقد أدركتا أيضاً أن نهجهما السابق، الذي كان ينحو الى تجاهل الدور المهم الذي تلعبه مصر أو الى التقليل من شأنه، كان قائماً على سوء فهم لميزان القوى الاقليمي. ان الذي حقق هذا التغيير في وجهة نظر الدولتين العظميين هو ما قام به عبد الناصر من ترسيخ لمركز مصر في المنظومة الفرعية العربية.

لم يكن الفاعلون المحليون بلا حول أو قوة على الاطلاق، بل إنهم قاموا بدور مهمّ في السياسات الاقليمية والعالمية. والمثال على ذلك هو تحدي عبد الناصر للمنظومة السائدة في العلاقات الدولية. ان الاستقطاب في سياسات العالم الذي أدى الى ظهور كتلتين متنازعتين متنافستين قد وفر له خيارات متعددة ومكّنه من استغلال التنازع والتنافس لخدمة مصالح مصر. كان نجاح عبد الناصر في المسرح الدولي يعتمد، في التحليل النهائي، على طاقته التي بذلها لانشاء تجمع مرصوص من بلدان عربية عديدة واحتكاره مشروع الوحدة العربية.

رابعاً: رد الفعل المصري: ثورة في الداخل والخارج

في مثل هذا السياق الآنف الذكر ينبغي النظر إلى استجابة عبد الناصر لانحلال الجمهورية العربية المتحدة، فالضعف الذي انتاب مركزه ومركز زملائه في الوسط العربي كان لا بد له أن يهدد وضعه في المحيط الدولي. لم يكن يسع الضباط الأحرار أن يقفوا

(١٤) Batatu, Ibid., p. 903, and Smolansky, Ibid., pp. 161 and 183 - 186.

(١٥) Walter Zéev Laqueur, *The Struggle for the Middle East: The Soviet Union and the Middle East, 1958 - 1968* (London: Routledge and Kegan Paul, 1969), p. 66.

مكتوفي الأيدي، ولا سيما أن الانفصاليين في دمشق كانوا يتهجمون على مؤهلاتهم الوحدوية ويحاولون تقويضها. كان على عبد الناصر أن يثبت سريعاً، للأصدقاء والأعداء على السواء، أنه لم يزل قوة يحسب لها حسابها وأنه لم يزل قادراً على استرجاع قواه السياسية بما يشبه المعجزة.

وسرعان ما أدرك الزعيم المصري أن الطريقة الوحيدة للخروج من المأزق هي السير قدماً إلى الأمام، واتخاذ مبادرة الهجوم، وحمل راية الثورة في الوطن العربي وخارجه. أعلن في خطاب له إلى الأمة في شهر تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦١ قائلاً بفخر: «لقد آن الأوان للعمل الثوري. إن من الضروري تحويل كل قرية ومعمل وكلية ومدرسة، كل مجلس نقابي، كل رجل وامرأة وفتى وطفل في هذه البلاد، إلى خلية ثورية خصبة وذات حيوية»(١٦).

قال أحد زملاء عبد الناصر إنه كان يريد «صناعة» ثورة جديدة في الداخل لتوجيه صدمة تهز المجتمع، وللخروج من فخ البيروقراطية. وقال آخر إنه كان بحاجة إلى نصر سياسي محلي لاسترداد تألق سمعته واسترجاع نفوذه في الساحة العربية. ومع أن المهمة الأولى (الثورة الجديدة) باهظة التكاليف فقد كانت يسيرة الانجاز نسبياً إذ إنها لم تتطلب سوى إصدار تشريع ما، ألا وهو **الميثاق** الوطني، هذه الوثيقة الثورية التي أعلنت على الملأ في شهر أيار/مايو ١٩٦٢. كان في صميم **الميثاق** تعهد بتنوير المجتمع المصري من خلال مزيد من تطبيق القوانين والقرارات الاشتراكية. ووعد **الميثاق** أيضاً بتصدير الثورة إلى خارج حدود مصر وخارج حدود الوطن العربي وذلك بدعم حركات التحرر في افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية(١٧).

أما المهمة الثانية (البحث عن نصر سياسي في الساحة العربية) فقد كانت أكثر صعوبة وأشد خطراً بالنظر إلى تكتلات القوة الموجهة ضد مصر. اعتقد عبد الناصر أن المغامرة تستحق ركوب الأخطار، فالبقاء على وضع سلبي سيفرط بمصداقيته وزعامته للمحور العربي. وجاء الانقلاب في اليمن الشمالي في شهر أيلول/سبتمبر ١٩٦٢ ليتيح لعبد الناصر فرصة ذهبية لكي يعكس مجرى التراجع الذي ابتلى العناصر الثورية العربية، لا بل حتى لكي يتخذ موقف الهجوم.

جاءت وفاة الإمام أحمد، إمام اليمن، في الشهر المذكور وتولي ابنه محمد البدر الإمامة من بعده ليتوفر بذلك السياق المباشر للانقلاب الذي قام به رئيس الحرس الملكي

---

(١٦) Egypt, Ministry of Information, *President Gamal Abdel-Nasser's Speeches and Press Interviews*, pp. 315 and 317.

(١٧) أحمد حمروش، **قصة ثورة ٢٣ يوليو**، ٥ ج، ج ٥: **خريف عبد الناصر** (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٨٤)، ص ٦١؛ Egypt, *The Charter* (Cairo: Ministry of National Guidance, State Information Service, 1962), p. 11, and البغدادي، **مذكرات عبد اللطيف البغدادي**، ج ٢، ص ١٢٣ ـ ١٦٣.

عبد الله السلال. وجرى تعيين مجلس لقيادة الثورة برئاسة السلال، فأعلن ذلك المجلس إلغاء الإمامة القديمة ومعها سلالة آل حميد الدين وتأسيس الجمهورية العربية اليمنية. وعلى خلاف ما أذاعته التقارير الأولى في صنعاء والقاهرة نجا البدر من الانقلاب وفرّ إلى شمال البلاد حيث قام بتعبئة العشائر الموالية للإعداد لثورة مضادة. وهكذا تهيأ مسرح الأحداث لحرب أهلية دموية وطويلة الأمد في اليمن بين الفصيلين المتنافسين، الجمهوريين والملكيين[١٨].

خامساً: حرب اليمن: ردود الفعل الإقليمية

كان من شأن انعزال مصر، وهي لاعب رئيسي، عن المجرى العام للسياسات العربية وما أعقبه من تخوف وعدم اطمئنان في أوساط نخبتها الحاكمة، أن يخلق غلياناً سياسياً في النظام الإقليمي[١٩]. فقد كان عبد الناصر يهاجم الملك سعود والملك حسين متهماً إياهما بالتآمر وبتمويل نسف الوحدة مع سوريا. لهذا فإن التدخل العسكري المصري إلى جانب النظام الجمهوري في صنعاء كان يرمي إلى معاقبة العربية السعودية على تدخلها في شؤون الجمهورية العربية المتحدة. أراد عبد الناصر كذلك أن يؤكد زعامته العربية ويفضح انكشاف الجبهة الداخلية السعودية وإمكانية تعرضها للأخطار. وقد استنتج وجود رابطة واضحة بين الأحداث في اليمن وانحلال الجمهورية العربية المتحدة[٢٠].

---

(١٨) انظر: Edgar O'Ballance, *The War in the Yemen* (London: Faber and Faber, 1971), and Manfred Wilhelm Wenner, *Modern Yemen, 1918 - 1966*, Johns Hopkins University, Studies in Historical and Political Science; ser. 85, no. 2 (Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press, 1967), esp. part 3, chap. 8.

(١٩) ساور القلق زعماء اسرائيل كثيراً بشأن عزلة عبد الناصر في البلدان العربية وبشأن حملات الدعاية التي شنها ضده بعض المحافظين العرب. فقد خشي المسؤولون الاسرائيليون أن يضطر ذلك الرئيس المصري الى اتخاذ اجراء أكثر قوة ضد اسرائيل. لذا قامت تل أبيب في عام ١٩٦٢ بمناشدة واشنطن للضغط على السعودية والأردن لإيقاف اتهامهما مصر بأنها اختارت الخروج من الصراع العربي - الاسرائيلي. وافق فيليبس تالبوت، مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشؤون الشرق الأدنى على رأي اسرائيل. كلاهما اتفق على أن الدعاية المتبادلة بين البلدان العربية أسهمت كثيراً في الابقاء على التوترات العربية - الاسرائيلية في حالة ملتهبة. وعد تالبوت كذلك باستخدام نفوذ الولايات المتحدة لدى الأنظمة العربية المحافظة في مسعى للتخفيف من حدة هذه الدعاية الخطرة. انظر: «Department of State, Memorandum of Conversation, 6 July 1962, box 118,» in: *The John F. Kennedy National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1961 - 1963*.

(٢٠) Egypt, Ministry of Information, *President Gamal Abdel-Nasser's Speeches and Press Interviews*, pp. 275 and 347 - 357, and

مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، فبراير ١٩٦٢ الى يوليو ١٩٦٤، ج ٤، ص ٢٦٩ - ٢٧٠.

فلا غرابة أن تصبح حرب اليمن أرضية تقوم فيها مصر والسعودية والدولتان العظميان بإبداء ما تشكو منه. أدت هذه التأثيرات الخارجية إلى تصعيد الحرب اليمنية التي كانت السمة الأبرز للسياسات العربية مدة خمس سنوات. ووقعت المنظومة الفرعية العربية أكثر فأكثر تحت نفوذ الدولتين العظميين وأصبحت أكثر اعتماداً عليهما من أجل الإسناد السياسي والاقتصادي والعسكري. والمفارقة هي أن المتصارعين الرئيسيين في اليمن، وهما مصر والسعودية، كليهما كان يفضل بيئة لا وجود فيها للتدخل الأجنبي، لكن تدخل الدولتين في اليمن أنتج أثراً عكسياً. إن مسألة البدء بالتدخل ومن هو البادىء: مصر أم السعودية تظل مسألة أكاديمية، غير أن كلاً من عبد الناصر وسعود كان منذ البداية منهمكاً بنشاط في دعم القوات الجمهورية هذه أو الملكية تلك. وكان الدافع وراء قراراتهما هو خدمة اعتبارات ومصالح كل من الطرفين.

سادساً: التصورات والمواقف السعودية

كانت الإطاحة بنظام الإمامة في اليمن وإبداله بنظام جمهوري على نمط النظام المصري يمثلان تهديداً بالنسبة إلى الزعامة السعودية وقد قال نائب وزير سعودي إن نجاح الانقلاب قد يؤثر في استقرار السعودية من جراء احتمال تسرب مفعوله إليها. كان الحكام السعوديون دائماً يعتبرون اليمن ذا أهمية بالغة لأمنهم الداخلي. لهذا رأت الرياض في إرسال قوات مصرية إلى اليمن ـ استجابةً إلى طلب نظام الجمهورية في صنعاء ـ دليلاً آخر على خطر مباشر يتهددها. كان سعود وفيصل كلاهما مقتنعاً بأن غرض عبد الناصر الحقيقي هو «الإطاحة بالنظام الملكي السعودي والسيطرة على المصادر النفطية الهائلة في البلاد»[(٢١)].

اعتبر وجود القوات المصرية في اليمن بنظر السعوديين امتداداً لسطوة مصر ونفوذها إلى شبه الجزيرة العربية، وبالتالي امتداداً للنفوذ السوفياتي والشيوعي. كانت هذه الإمكانية أمراً مقلقاً للعربية السعودية. إن العمل الذي قامت به مصر لم يكن فقط بنظرها تجاوزاً على منطقة نفوذ المملكة الإقليمي وإنما سيعطي عبد الناصر ميزة التفوق في حملته الرامية إلى الهيمنة على النظام العربي. إن اليمن قد أتاحت كذلك لعبد الناصر منبراً يدعو من فوقه إلى أفكار الوحدة العربية والاشتراكية والتنمية والحياد الإيجابي، وهو منبر كان بحاجة ماسة إليه.

كان سعود وفيصل كلاهما حساساً من تهمة التخلف السياسي والانحياز إلى الغرب. ولم تكن الأسرة الحاكمة مستعدة لتحديث نظام الحكومة المغلق فيها، أو لقبول إدخال أفكار جديدة. كان الملكيون آنئذٍ يسيرون ضد تيار الزمن. كانت هذه الحقيقة تجعل صناع

---

(٢١) Saeed M. Badeeb, *The Saudi-Egyptian Conflict over North Yemen, 1962 - 1970* (Boulder, CO: Westview Press, 1986), pp. 46 - 51, and Wenner, *Modern Yemen, 1918 - 1966*, p. 200.

السياسة في الولايات المتحدة يشعرون بشعور «المتحرج الذي يقدّم الأعذار» حين يبحثون الشأن السعودي علناً. وعلى حد ما قاله أحد مسؤولي البيت الأبيض كانت محاولة الولايات المتحدة للحفاظ على النظام السعودي أمراً إشكالياً تتجاذبه مسائل شتى[٢٢].

فمن جهة كانت لحكومة الولايات المتحدة مصالح اقتصادية واستراتيجية مهمة في العربية السعودية وفي الخليج، لذا فإنها حريصة على حفظ الاستقرار لنظام آل سعود الصديق. كانت لدى إدارة آيزنهاور، في أعقاب حرب السويس وحتى عام ١٩٥٨، آمال واسعة في تقوية الملك سعود لكي يكون نداً لعبد الناصر في المشرق العربي. أما بعد الثورة في العراق والتدخل الأمريكي في لبنان، والبريطاني في الأردن، وما كان موجوداً من صراع على السلطة بين سعود وفيصل، فقد دفنت تلك الفكرة، حتى ان آيزنهاور قال إن سعود قد خيّب الآمال[٢٣]. ومن جهة أخرى كان بعض المسؤولين الأمريكيين يعتقد أن الاستقرار الداخلي في العربية السعودية يتطلب تحديثاً سياسياً واقتصادياً. وحين قام الأمير فيصل بزيارة واشنطن في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٢ أكدت وزارة الخارجية الأمريكية على الأمير ضرورة وضع برنامج للإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية، لكنها في الوقت عينه طمأنته من حيث استمرار الدعم الأمريكي له.

وجاءت إدارة كينيدي. فقامت بدعم فيصل الذي يريد التحديث ضد شقيقه سعود المتصلب والأشد ميلاً إلى المحافظة. وقد انتهى الصراع على السلطة بين الأخوين بتتويج فيصل ملكاً في عام ١٩٦٤[٢٤]. إن ترسيخه لسلطته قد عزز الجبهة الداخلية وبث دماً جديداً وقوة دافعة في العملية السياسية الداخلية في البلاد. غير أن الأسرة الحاكمة السعودية ظلت عرضة لاتهامات ذات طبيعة أخرى: موقفها من الوحدة العربية وتحالفها الوثيق مع الغرب. كانت العربية السعودية منذ عام ١٩٥٧ تعارض الحملة المصرية لتزعم الوطن العربي، وتتعاون من أجل ذلك مع الأنظمة العربية المحافظة ومع إدارة آيزنهاور. بيد أن ذلك كان سياسة رد فعلٍ لا سياسة مواجهة. وفي حين حافظ الحكام السعوديون على قنوات اتصالهم مع الغرب مفتوحةً فإنهم أبقوا الولايات المتحدة على مبعدةٍ منهم بعض الشيء، حتى ان سعود وفيصل كانا في بعض الأحيان يكبحان صلتهما الغربية في

(٢٢) «R. W. Komer, White House Staff, a Conversation with [an unnamed] Israeli Official: Memorandum for Record, 14 January 1963, box 119,» in: *The John F. Kennedy National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1961 - 1963.*

(٢٣) «Conference with the President, 23 July 1958,» p. 2; «381st Meeting of the NSC, 2 October 1958,» p. 8, and «Issues Arising out of the Situation in the Near East, 16 October 1958,» p. 3, in: U.S. Archives.

(٢٤) «R. W. Komer to the President (Informal Visit of Crown Prince Faysal of Saudi Arabia), 4 October 1962, box 158,» in: *The John F. Kennedy National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1961-1963.*

مسعى لمهادنة عبد الناصر وتقليل ما تتعرض له المملكة من مخاطر(٢٥).

مثلاً، رفضت الحكومة السعودية في آذار/مارس ١٩٦١ تجديد اتفاقية القاعدة الجوية في الظهران المعقودة مع الحكومة الأمريكية(٢٦). بيد أن انقسام الجمهورية العربية المتحدة والانقلاب في اليمن وما أعقبه من تدخل مصري أجبرت الزعماء السعوديين على مواجهة التناقضات الدفينة في علاقاتهم الإقليمية والدولية. لقد كانوا يعرفون أنهم لا يستطيعون إلحاق الهزيمة بالمصريين إلا بتوسيع نطاق الصراع وبالاعتماد على مساعدة خارجية. لذلك قاموا باتباع استراتيجية ذات شعبتين أولاهما البحث عن حلفاء في المنطقة والثانية إحياء الصلة مع الغرب من جديد.

سابعاً: السعودية تبحث عن حلفاء في المنطقة

كان السعوديون على إدراك بأن ميزان القوى الإقليمي لم يكن يميل إلى صالحهم. وعلى الرغم من انقسام المنظومة الفرعية العربية إلى معسكرين متنافسين أحدهما محافظ والآخر ثوري فقد ساد التشتت أوساط المحافظين الذين كانت تعوزهم القاعدة الشعبية والشرعية السياسية، وبدونهما لا يستطيعون تحدي عقيدة القومية العربية السائدة تحدياً فعالاً. لم تستطع العربية السعودية أن تجلب البلدان العربية الأخرى إلى صفها في مواجهتها مع مصر باستثناء دولة واحدة هي الأردن. كان التحالف السعودي ـ الأردني في اليمن، الذي دام من عام ١٩٦٢ حتى عام ١٩٦٤، نتاج تلاقي المصالح بين الطرفين، الأمر الذي يتجلى بالحاجة إلى مقاومة خطر الناصرية وحركة القومية العربية الثورية(٢٧).

كان العاهل الأردني مثله في ذلك مثل سعود، يخشى كثيراً امتداد النفوذ المصري في المنطقة. وكان يواجه معارضة في داخل البلاد من ائتلافٍ من القوميين الأردنيين والفلسطينيين أكثر تلقياً لأفكار عبد الناصر الثورية من آراء الملك المحافظة والمؤيدة للغرب. والواقع أن موقفه الصريح في موالاة الغرب ومعاداة الشيوعية والاتحاد السوفياتي كان قد أكسبه عداء عدد كبير من البلدان العربية الثورية بل من رعاياه أنفسهم. وقد أوشك أن يفقد مرتين في الخمسينيات عرشه ومملكته. كان يرى أن ثمة عملاء

---

(٢٥) Nadav Safran, *Saudi Arabia: The Ceaseless Quest for Security* (Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University; Ithaca, NY: Cornell University Press, 1985), pp. 74-75 and 90.

(٢٦) «National Security Files: Country: Saudi Arabia, 1/1/1961 - 18/8/1961, box 156,» in: *The John F. Kennedy National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1961 - 1963*.

(٢٧) غسان سلامة، **السياسة الخارجية السعودية منذ عام ١٩٤٥: دراسة في العلاقات الدولية**، سلسلة الدراسات الاستراتيجية؛ ٣ (بيروت: معهد الانماء العربي، ١٩٨٠)، ص ٦٣٨ ـ ٦٣٩.

لعبد الناصر وأيادي ناصرية وراء إثارة القلاقل، وكان يعتبر عبد الناصر والشيوعية الدولية والصهيونية أعداءه الخارجيين الرئيسيين[٢٨].

في خطاب شهير ألقاه الملك حسين في الجمعية العامة للأمم المتحدة في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٦٠ اتهم فيه عبد الناصر بالتآمر على قلب نظام حكمه باستخدام طرق ووسائل شبيهة بتلك التي يستخدمها السوفيات لخدمة مآرب الحركة الشيوعية العالمية. وادعى الملك في ذلك الخطاب أيضاً أن مصر صارت جسراً ومركزاً للتغلغل الشيوعي في الوطن العربي. إن تصوراته بشأن وجود خطر مصري يتهدده قد دفعته إلى تقديم مساعدة سياسية ومادية إلى الانفصاليين في سوريا قبل عام ١٩٦١، كما أنه كان أول حاكم عربي يعترف بالنظام الانفصالي في دمشق ويعتزم القيام حتى بتدخل مسلح في سوريا لمنع وقوع انقلاب ناصري مضاد[٢٩].

وكان من المتوقع ـ والحال هذه ـ أن يتحالف العاهل الأردني مع الملك سعود لإيقاف مد القومية العربية في شبه الجزيرة العربية. والواقع أن التعاون العسكري بين السعودية والأردن سبق وقوع الانقلاب في اليمن، فقد شكلت الدولتان قيادة مشتركة في آب/ أغسطس ١٩٦٢، وعملتا على وضع آليات لتعاون اقتصادي وعسكري وثيق[٣٠]. كان هذا التحالف الجديد قائماً على إدراك الدولتين أنهما ستواجهان المصير ذاته في نظام عربي يسود فيه عبد الناصر وأنصاره من القوميين العرب. كان سعود والحسين كلاهما يعرف، بعد القضاء العنيف على الأسرة الملكية في العراق في عام ١٩٥٨، ما ينتظره إذا لم يحترس أو إذا رضي بما يجري، فبدأ الطرفان مرحلة جديدة من العلاقات بعد أن وضعا جانباً النزاع التاريخي القائم بين الأسرتين. هنا يكمن المبرر للتحالف السعودي ـ الأردني في اليمن. وقد أدان الحسين في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٦٢ الانقلاب الجمهوري في اليمن وهاجم تدخل عبد الناصر هناك، واتهمه بسفك الدم العربي وبعدم تحمله مسؤوليته تجاه القضية الفلسطينية[٣١].

وكان رئيس الوزراء الأردني وصفي التل أكثر جرأة في انتقاده إذ زعم أن عبد الناصر إنما تدخل في اليمن لكي يتحاشى القيام بشيء على الجبهة العربية ـ الإسرائيلية، كما أنه وجّه إليه لوماً شديداً لأنه يخبىء قواته وراء قوات الأمم المتحدة في

(٢٨) **مجموعة خطب الملك حسين: ٢٥ عاماً من التاريخ، ١٩٥٢ ـ ١٩٧٧** (لندن: مؤسسة سمير مطاوع للنشر، ١٩٧٨)، ص ٥٠٧ ـ ٥٠٨؛ حسين، ملك الأردن، **مهماتي كملك** (عمان: الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧٨)، ص ٨٣، وسعد أبو دية، **عملية اتخاذ القرار في سياسة الأردن الخارجية: الضوابط والمقومات** (عمان: دائرة الثقافة والعلوم، ١٩٨٣)، ص ١٢٩ ـ ١٣١.

(٢٩) **مجموعة خطب الملك حسين: ٢٥ عاماً من التاريخ، ١٩٥٢ ـ ١٩٧٧**، ج ١، ص ٥٠٨ ـ ٥١٠، و Peter John Snow, *Hussein: A Biography* (London: Barrie and Jenkins, 1972), p. 151.

(٣٠) حسين، ملك الأردن، المصدر نفسه، ص ٢٠٠.

(٣١) **مجموعة خطب الملك حسين: ٢٥ عاماً من التاريخ، ١٩٥٢ ـ ١٩٧٧**، ج ٢، ص ٨٩ ـ ٩٥.

سيناء. وأعرب التل كذلك عن تأييد حكومته للسعودية ودعمها دعماً تاماً إذا تعرضت لهجوم مصري[٣٢]. لهذه الأسباب كلها لم يعترف الأردن بالنظام الجمهوري في صنعاء وقام بإرسال مساعدات فنية وعسكرية للملكيين. هذا وبالنظر إلى قوة الأردن المحدودة فإنه لم يتمكن من تغيير ميزان القوى الإقليمي لصالح السعودية؛ كما أن سوريا لم تستطع أن تقدم لها عوناً يذكر؛ على الرغم من ميلها إليها ومناهضتها لعبد الناصر، لأنها كانت بعد الانفصال تواجه معوّقات من جراء الانقسامات السياسية الداخلية، ولهذا لم يكن بوسعها أكثر من المناداة بإنهاء الأعمال العدائية في اليمن.

ثامناً: السعودية تجدد الصلة مع الغرب

لغرض التعويض عن الضعف الذي شعر به الحكام السعوديون في المنطقة تحولوا، على ما عُهد فيهم، إلى التطلع نحو الخارج، ولا سيما نحو الولايات المتحدة، طلباً للمساعدة. إن الأطراف الفاعلة المحلية لا تشعر، بالحرج، حين تتعرض للضغط من خصومها، من دعوة الدول الكبرى للتدخل إلى جانبها، كما أظهرت هذه الدراسة. من الأمثلة على ذلك صفقة الأسلحة التي عقدها عبد الناصر مع المعسكر السوفياتي فنجح بذلك في إزالة الاحتكار الذي كان يتمتع به الغرب في المنطقة في الميدانين الدبلوماسي والعسكري واستبق في هذه الأثناء منافسه نوري السعيد. إن طلبات شمعون والحسين الداعية إلى تدخل غربي مسلح تقع في الخانة نفسها، إذ كانا يظنان أنهما سيحفظان بذلك الاستقرار في بلديهما ويوقفان امتداد الناصرية فيهما. هذان مثلان جليان على التدخل العسكري الخارجي في الشؤون الداخلية للبلدان العربية؛ لكن هناك حالات عديدة أخرى طلب فيها لاعبون محليون مساعدات خارجية غير مباشرة وذات قيمة، وقاموا بتسلمها.

إن التنازع العقائدي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي غالباً ما مكّن اللاعبين الإقليميين من استغلال ميزان القوى الدولي لخدمة حاجاتهم الداخلية. بيد أن البلدان العربية أخفقت في تقدير حقائق سياسات القوة في العالم. وبشكل عام أدت مشاركة الدولتين العظميين في الشؤون العربية البينية إلى إثارة جذوة التوترات المحلية وتفاقمها، كما أنها فرطت باستقلالية عملية صنع القرار في البلدان العربية، وحولت المشاحنات الداخلية إلى أزمات دولية كبيرة، وعقّدت تسويتها.

جاء الانقلاب الجمهوري في اليمن وما أعقبه من تدخل مصري في وقتٍ لم يكن فيه سعود وفيصل على أهبة الاستعداد، فأخذا يسعيان إلى إحياء صلتهما بالولايات المتحدة وذلك لمواجهة القوة المصرية. ومنذ شهر شباط/فبراير ١٩٦٢ كان الحكام السعوديون يشعرون بقلق بالغ بشأن هجمات الدعاية التي يقوم بها عبد الناصر ضدهم، وما تتركه

(٣٢) وصفي التل، **كتابات في القضايا العربية** (عمّان: دار اللواء للصحافة والنشر، ١٩٨٠)، ص ١٩٠ ـ ١٩٦.

من ردود فعل محلية وإقليمية. قام الملك سعود بإخبار المسؤولين الأمريكيين بأنه مستعد للتعاون معهم «مئة بالمئة» وذلك لإيقاف الشيوعية عند حد في المشرق العربي، مؤكداً أن البلدان العربية كلها، باستثناء مصر، تزدري الشيوعية[٣٣].

وفي خلال زيارة قام بها الأمير فيصل إلى واشنطن في تشرين الأول/اكتوبر ١٩٦٢، ذكر للمسؤولين هناك أن السعودية «تعتبر الصداقة مع الولايات المتحدة بمثابة حجر الزاوية لسياستها»[٣٤]. كذلك أعرب عن قلقه بشأن زيادة المساعدات الأمريكية المقدمة إلى مصر، وحذر من أن هذه الخطوة ستعتبر بنظر أعداء السعودية تقليلاً من مدى التزام الولايات المتحدة بأمن السعودية. وقد استوضح الأمير: هل الإدارة قد غيرت حقاً سياستها العربية إلى سياسة تدعم عبد الناصر بصفته «السيد الكبير في العالم العربي». كما أنه حث الحكومة الأمريكية على اتخاذ موقف حازم في إسناد ما تقوم به السعودية في اليمن وعلى الضغط على عبد الناصر لإنهاء تدخله هناك[٣٥]. ويبدو أن غرض السعودية الاستراتيجي كان يهدف إلى التوصل إلى تعهد تام من إدارة جون كينيدي بالوقوف إلى الجانب السعودي وذلك لتغيير ميزان القوى الإقليمي إلى جانبها.

تاسعاً: صدود الولايات المتحدة تجاه الأمير فيصل

لم تستجب الولايات المتحدة لرغبات الأمير فيصل فأصيب بخيبة أمل. كانت إدارة كينيدي تقوم بتجريب أفكار تجددية تتعلق بالعالم النامي عموماً وبالشرق الأوسط خصوصاً، وأخذ رئيس الجمهورية يمضي قدماً في تطبيق الأفكار التي طرحها آيزنهاور في السنتين الأخيرتين من حكمه. لم يعد عدم الانحياز شراً يجب مكافحته، بل هو فكرة إيجابية قد تكون لها منافع تعود على الولايات المتحدة في دول نامية متعددة. والإدارة مستعدة للتعايش مع أنظمة قومية لا بل حتى التعاون معها، ذلك أن التجربة قد أثبتت أنها «أشد الحواجز فعاليةً بوجه الشيوعية»[٣٦]. إن إقدام عبد الناصر على قمع الشيوعيين في مصر وشجاره العلني مع خروتشوف قد تركا انطباعاً حسناً لدى آيزنهاور وكينيدي معاً.

في خطاب ألقاه كينيدي أمام جمهور يهودي قبيل توليه منصب الرئاسة قال إنه يدرك

(٣٣) «Sevilla to Secretary of State, 28 February 1962, box 158,» in: *The John F. Kennedy National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1961 - 1963*.

(٣٤) «Informal Visit of Crown Prince Faysal of Saudi Arabia: Scope Paper, 4 October 1962, box 158,» in: Ibid.

(٣٥) «R. W. Komer to the President, 4 October 1962,» in: Ibid.

(٣٦) «Cairo to Department of State, Subject: U.S. - UAR Relations, 11 April 1964,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969*, reel 7.

الأهمية المتزايدة للقومية العربية ودور مصر القيادي في المنطقة. وفي خطب أخرى له كان قد ألقاها سابقاً في عامي ١٩٥٨ و١٩٥٩ وجّه كينيدي تحذيره لآيزنهاور لكي لا يحاول إجبار مصر ودول عدم الانحياز على أن تختار بيننا «نحن» وبينهم «هم»، أي السوفيات؛ وذكر كذلك أن العالم النامي أكثر اهتماماً بالقضايا الداخلية والمحلية من الاهتمام بالتنازع العقائدي الجاري بين الشرق والغرب. كان كينيدي يرى أن على الولايات المتحدة أن تخاطب مصر وغيرها من دول عدم الانحياز بلغة أخرى غير لغة الحرب الباردة، وأن عليها أن تزود هذه الدول بالمتطلبات الأساسية للتنمية، وأن الخبز والزبدة يجب أن يحلا محل التهديدات ودبلوماسية البوارج الحربية[(٣٧)].

كانت الأدوات المفضلة، المختارة في السياسة الأمريكية، تتمثل بالتعاون الاقتصادي والمساعدة الفنية، وقد أبدت إدارة كينيدي اهتماماً ناشطاً بالتنمية الاقتصادية لمصر. كان من رأي وزارة الخارجية الأمريكية أن تقديم المساعدات إلى عبد الناصر سيعاون على تحويل انتباهه إلى الداخل وعلى زيادة تأثير الولايات المتحدة في مصر. ورد هذا الرأي في مذكرة قدمت إلى كينيدي وجاء في ختامها أن المساعدات ستشجع عبد الناصر على اتباع سياسات «أقل عداء، لمصالحنا ومصالح أصدقائنا»[(٣٨)]. وعلى هذا جرى توقيع اتفاقية اقتصادية طويلة الأمد مع مصر لتزويدها بالقمح مدة ثلاث سنوات، وكان ذلك بموجب برنامج المساعدات الموسع كثيراً الذي ينص عليه القانون العام رقم (٤٨٠).

لم تكن الزيادة الكبيرة في المساعدات الاقتصادية الأمريكية المقدمة إلى القاهرة هي العلامة الإيجابية الوحيدة في العلاقات بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة. لقد اتخذ كينيدي وعبد الناصر إجراءات جدية لتحسين المناخ السياسي بين الدولتين. فما إن مضى شهر على تولي كينيدي الحكم حتى بدأ عبد الناصر، في شباط/فبراير ١٩٦١، مراسلةً شخصية معه كوسيلة لتبادل الآراء بصراحة حول سلسلة مهمة من القضايا الإقليمية والدولية. أما كينيدي فقد قام من جانبه بإيماءة إيجابية إذ عين سفيراً مرموقاً إلى مصر هو المستعرب جون بادو المعروف بأنه من الدارسين للشؤون المصرية. وأدلى دين راسك وزير الخارجية بشهادة أمام الكونغرس قال فيها إن الإدارة ترغب ببناء علاقة حسنة طويلة الأجل مع مصر. وقد جرى تحويل هذا القول إلى اتفاقية القمح المشار إليها آنفاً.

---

(٣٧) Mordechai Gazit, *President Kennedy's Policy toward the Arab States and Israel,* Studies Series/ Shiloah Center for Middle Eastern and African Studies, Tel Aviv University ([Tel Aviv]: Shiloah Center for Middle Eastern and African Studies, Tel Aviv University, ©1983), pp. 13 - 14.

(٣٨) «R. W. Komer to the President, 4 October 1962,» and «Department of State, Memorandum for Mr. McGeorge Bundy, the White House, 1 July 1963, box 119,» in: *The John F. Kennedy National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1961 - 1963.*

لم تكن الدوائر السياسية الأمريكية كلها مؤيدة لنهج كينيدي الجديد نحو مصر، فقد كانت هناك عناصر مهمة داخل الحكومة الأمريكية وخارجها، ولا سيما في أوساط الكونغرس، تعارض بشدة آراء الرئيس وتفضل المواجهة(٣٩). وعلى الرغم من المقاومة العنيفة نجحت إدارة كينيدي في تطبيق سياستها. لم يستطع معارضو كينيدي إثبات وجودهم وإجراء تغيير في سياسة الولايات المتحدة تجاه مصر إلى أن توفي في عام ١٩٦٣. إن التصور العالمي الذي كان يراه كينيدي هو الذي يفسر تردده في مواجهة عبد الناصر حول اليمن على الرغم من مناشدات السعودية الملحة. وقد أوضح المسؤولون الأمريكيون للأمير فيصل خلال زيارته لواشنطن في عام ١٩٦٢ أنهم ليسوا على استعداد للضغط على عبد الناصر، وقالوا له: «إن الطريقة المثلى بالنسبة إلى السعودية هي المباشرة بشكل حثيث بالعمل لتحقيق التحديث والتنمية»(٤٠). وفي مذكرة قدمتها وزارة الخارجية الأمريكية إلى كينيدي جاء فيها تحديد لموقف الولايات المتحدة في اليمن عند بدء الصراع يتلخص بعدم التدخل(٤١).

وفي إيجاز قدمته الوزارة المذكورة إلى كينيدي جاء أيضاً أن السياسة الأمريكية في اليمن هي أن تنأى بنفسها عن الصراع الجاري وألا تشجع أصدقاء الولايات المتحدة، وعلى الأخص السعوديون، على المشاركة في الصراع اليمني على السلطة إلا إذا انحازت الجماعة الثورية في صنعاء إلى جانب الاتحاد السوفياتي. وقد ورد في خاتمة ذلك الإيجاز أنه لا يوجد بعد ما يشير إلى أن الثوريين اليمنيين ميالون نحو الكتلة الشيوعية(٤٢). هذا وينبغي التشديد على أن مقاومة الشيوعية كانت لم تزل هي الغرض الأساسي للسياسة الأمريكية. إن استراتيجية الولايات المتحدة قد ظلت من حيث الأساس هي ذاتها منذ أواخر الأربعينيات: الانشغال بالخطر السوفياتي الممكن حدوثه في المستقبل.

بيد أن الذي تغيّر هو تأويل أمريكا للبيئة الإقليمية واستعدادها للنظر إلى الساحة العربية كمسرح مستقل من مسارح العمل. إن إدارة كينيدي نظرت إلى السياسات التي ورثتها من الإدارة السابقة في كانون الثاني/يناير ١٩٦١ بصفتها نتاج الضغوط الخاصة لبيئة ما بعد الحرب العالمية الثانية. وكما قال أحد المشاركين في وضع السياسة الأمريكية فقد كان هناك تقدير جديد في واشنطن لتحول اجتماعي أساسي يجري في المجتمعات العربية وهو

---

(٣٩) «Cairo to Department of State: U.S. - UAR Relations, 11 April 1964,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969.*

(٤٠) «Talking Outline: Saudi-UAR Relations,» in: *The John F. Kennedy National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1961 - 1963.*

(٤١) «R. W. Komer to the President, 4 October 1962,» in: Ibid.

(٤٢) «Talking Outline: Saudi - UAR Relations,» in: Ibid.

تحول جليّ سواء كانت أنظمة الحكم في هذه المجتمعات أنظمة محافظة أو أنظمة ثورية(٤٣).

يكمن مصدر هذا التحول في أحوال وظروف المنطقة الداخلية لا في الضغوط الخارجية الجارية. صار ينظر إلى النظام العربي بصفته نظاماً فيه صفات وديناميات فريدة في بابها. ونظرت إدارة كينيدي إلى حرب اليمن من حيث الإطار الداخلي لا الخارجي. وكان كينيدي يرغب كذلك بالقيام بدور الوسيط النزيه في النزاعات العربية ـ العربية. وقد قال السفير بادو عند اعتزاله الخدمة في عام ١٩٦٤ إن الولايات المتحدة قد تعلمت منذ أواسط الخمسينيات أن من الحكمة تجنب المشاركة في الخصومات العربية **«إلا إذا كانت المصالح المادية الأمريكية في العالم العربي معرضة بشكل مباشر إلى الخطر»**(٤٤).

كان الرئيس كينيدي كسلفه آيزنهاور يرسي نهجه الجديد نحو الوطن العربي على تقييمه لخطر القومية العربية على المصالح الأمريكية. وكان يرى أن من الممكن أن يخدم عبد الناصر غرضاً نافعاً معيناً كنموذج لشباب العرب في المنطقة، ومن هنا قررت إدارته التعاون مع الزعيم المصري بدلاً من مواجهته. وهنا يكمن السبب الذي يبرر رفض كينيدي إلغاء المساعدات المقدمة إلى مصر أو تخفيضها. كان الرأي السائد في الإدارة الأمريكية يقضي بأن الاستمرار في إرسال تلك المساعدات من شأنه تشجيع عبد الناصر على اتخاذ توجهات إيجابية، في حين أن إيقافها لن يروّض هذا الرجل القومي الفخور بقوميته والمعتد بكبريائه. ولن يؤدي إلى النتائج المرجوّة. إن الإدارة كانت تأمل عن طريق المساعدات أن يتخلى عبد الناصر عن مواقفه المتشددة. . .لقد علمت التجارب المسؤولين الأمريكيين درساً خلاصته أن الضغط الاقتصادي لن يعطي ثمرة في حالة مصر(٤٥).

بيد أن إدارة كينيدي كانت حريصة على تبديد أي انطباع قد يحصل بوجود علاقة حميمية مع عبد الناصر. فقد قام صناع السياسة الأمريكية عند مباحثاتهم مع الأمير فيصل وغيره من الزعماء العرب المحافظين بالإفصاح عن رأي مفاده أن عبد الناصر لا يعامل بصفته الأداة التي تصطفيها الولايات المتحدة في المنطقة. وحاولت الإدارة إدخال الاطمئنان إلى نفوس حلفائها العرب وذلك بالتأكيد على أن عبد الناصر يقوم بدور يؤدي

---

(٤٣) William R. Polk, *The Arab World,* 4th ed. (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1980), pp. 336 - 337, and Gazit, *President Kennedy's Policy toward the Arab States and Israel,* p. 78.

(٤٤) «Cairo to Department of State: U.S. - UAR Relations, 11 April 1964,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969.*

(٤٥) المصدر نفسه؛ «Talking Outline: Saudi-UAR Relations,» in: *The John F. Kennedy National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1961-1963,* and Gazit, Ibid., pp. 75 - 79.

إلى الانقسامات وأنه يفضل أن يعمل لإثارة القلاقل بدلاً من العمل من أجل الاستقرار. وقد سارع رجال الإدارة إلى القول بأنهم لا يسعهم «القيام بشيء يذكر، على أية حال» لتطويع عبد الناصر ذلك أنه راسخ القدم في مصر وأن من المحتمل، على ما يظهر بقاءه في الحكم[٤٦]. كان هذا يعني في واقع الأمر أن الولايات المتحدة لم تكن مستعدة في تلك المرحلة لمعارضة عبد الناصر في اليمن. تلقي هذه الحقيقة ضوءاً على مدى الدعم الأمريكي لطموحات عبد الناصر الإقليمية في أعقاب انقلاب ١٩٥٨ في العراق والتدخل العسكري الأمريكي في لبنان. كانت مصر بنظر كينيدي هي البؤرة المركزية لسياسة الولايات المتحدة في المنطقة العربية وتعتبر لذلك لاعباً إقليمياً مهماً لا يمكن استعداؤه من دون الإضرار بالمصالح الأمريكية. كان هذا هو الأساس في موقف كينيدي الأولي بشأن الصراع المصري ـ السعودي في اليمن.

كانت إدارة كينيدي تواجه مأزقاً بشأن الاعتراف بمجموعة اليمن الحاكمة وهل تقدم على ذلك أم تمتنع عنه. إنها من جهة أرادت تشجيع النظام اليمني الجديد على اتباع سياسة معتدلة وأرادت الحيلولة بينه وبين الاعتماد الكلي على الإسناد المصري والسوفياتي، وكانت من جهة أخرى تواجه معارضة بريطانية وسعودية وأردنية لأي شكل من أشكال التصالح مع النظام الجمهوري أو الاعتراف به[٤٧]. ومع أن وساطة كينيدي في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٢ لم تثمر شيئاً إلا أنه حصل على وعود من عبد الناصر بالحد من تدخله في اليمن، وبالامتناع عن القيام بأعمال هدامة ضد السعودية والأردن. وقد أعطى كذلك «تأكيدات مرضية للملكين عن نية الولايات المتحدة الوقوف إلى جانبهما والالتفاف حول نفوذ عبد الناصر في شبه الجزيرة العربية للحدّ منه»[٤٨]. وفي كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٢ اعترف كينيدي باليمن اعترافاً دبلوماسياً. كانت استراتيجيته ترمي إلى مهادنة الأنظمة العربية، الثورية منها والمحافظة. بيد أن هذا النهج الحذر يعود بالدرجة الأولى إلى المشورة المتناقضة التي كان يتلقاها كينيدي من دوائر سياسية مختلفة، وذلك على حد ما يقوله أحد المراقبين البعيدي النظر للسياسة الأمريكية[٤٩].

---

(٤٦) «Cairo to Department of State: U.S. - UAR Relations, 11 April 1964,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969;* «Informal Visit of Crown Prince Faysal of Saudi Arabia, 4 October 1962, box 158,» and «Talking Outline: Saudi - UAR Relations,» in: Ibid.

(٤٧) «U.S. Position on Recognition of Yemen Arab Republic, 17 October 1962, box 207,» in: *The John F. Kennedy National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1961 - 1963.*

(٤٨) المصدر نفسه.

(٤٩) Robert W. Stookey, *America and the Arab States: An Uneasy Encounter* (London: John Wiley, 1975), pp. 182 - 183.

والأسئلة التي كانت بحاجة إلى الإجابة هي: إلى أي مدى تستطيع الحكومة الأمريكية المحافظة على سياستها الدقيقة في الحل الوسط في اليمن بالنظر إلى التغيّر المستمر على الصعيد المحلي في داخل الولايات المتحدة والتصعيد الجاري في الصراع القائم في شبه الجزيرة العربية؟ وكيف ينظر زعماء الكرملين إلى الحرب اليمنية، وما هو موقفهم تجاه تصعيد الأزمة؟ وهل ان هذا التصعيد يؤثر بدوره في ميزان القوى الإقليمي بأي شكل من الأشكال؟

عاشراً: الموقف السوفياتي

على الرغم من مشاركة الزعماء السوفيات حديثاً في شؤون الوطن العربي فإنهم كانوا يقدّرون جيداً الكلفة السياسية الباهظة التي تترتب على قيامهم بدور ناشط هناك. مثلاً، أدى موقفهم الفاتر نحو مشروع الوحدة العربية وتأييدهم اللاحق لعبد الكريم قاسم إلى حدوث أزمة بين الاتحاد السوفياتي ومصر كانت نتيجتها أن أوشكت العلاقات بينهما على القطيعة في عام ١٩٥٩. وقد تعلّم الكرملين درسين مهمين من تجربته القصيرة في المنطقة. الدرس الأول هو أن القوى الدافعة في النظام العربي كانت خارجة عن سيطرتهم، وقد اضطره هذا إلى تحاشي التورط في المشاحنات العربية. والدرس الثاني هو أن الكرملين، شأنه شأن الولايات المتحدة، صار ينظر إلى مصر على أنها الدولة الرئيسية في الساحة العربية بالنظر إلى مركزها الاستراتيجي فيها وفي حركة عدم الانحياز. أدى هذا إلى قيام السوفيات بتغيير سياستهم نحو مصر وإدخال توجه جديد فيها[٥٠].

إن قراءة عبد الناصر، بعد عام ١٩٦١، للتطورات الإقليمية والدولية كانت قد أقنعته بعدم وجود بديل للمساعدات السوفياتية. لقد كان بحاجة إلى الدعم الاقتصادي والعسكري والسياسي من جانب الاتحاد السوفياتي ليوازن به مواقف الدول الغربية. وجاء استعداد خروتشوف للمشاركة في دبلوماسية الشرق الأوسط ليمكّن عبد الناصر من ضرب إحدى الدولتين العظميين بالأخرى[٥١]. إن تصادم الإرادات والمصالح بين الثوريين

---

(٥٠) Yair Evron, *The Middle East: Nations, Superpowers, and Wars*, International Relations Series; vol. 5 (London: Elek Books; New York: Praeger, 1973), pp. 139, 143 and 172, and Riad Najib El-Rayyes and Dunia Nahas, eds., *The Dragon and the Bear: A Study of Communist Involvement in the Arab World* (Beirut: An-Nahar Arab Report Research Staff, 1973), pp. 34 - 35.

(٥١) Hashim S. H. Behbehani, *The Soviet Union and Arab Nationalism, 1917 - 1966* (London: Routledge and Kegan Paul, 1986), pp. 222 - 223; Mohammed Hasanayn Heikal, *Sphinx and Commissar: The Rise and Fall of Soviet Influence in the Arab World* (London: Collins; New York: Harper, 1978), p. 152, and Laqueur, *The Struggle for the Middle East: The Soviet Union and the Middle East, 1958 - 1968*, pp. 66 - 67.

العرب والغرب قد مهّد لخدمة الأغراض السوفياتية في المنطقة، وسهّل مسألة توسيع النفوذ السوفياتي فيها. كان الرأي السائد على العموم في الكرملين يعتبر ازدياد سمعة مصر وقوتها أمراً نافعاً. لذا فإن خلاف عام ١٩٥٩ بين خروتشوف وعبد الناصر بشأن العراق لم يكن هو الأمر المعتاد بل مجرد خروج عنه، وكان من المحتم حلول المصالحة بين الصديقين المتباعدين في أوائل الستينيات.

ظهر التغيير في موقف الاتحاد السوفياتي نحو مصر بالإعراب علناً عن تأييدها، فقد أثنت زعامة الكرملين عليها في عام١٩٦٢ لقيامها بإصدار **الميثاق** الوطني وما رافقه من قرارات اشتراكية ستعالج، برأي تلك الزعامة، جذور مشاكل البلاد. وقد أعرب خروتشوف عن سروره لإقدام الشعب المصري على السير في درب «البناء الاشتراكي»(٥٢). كان الوقت قد حان لكي يعيد السوفيات تقييم استراتيجيتهم في العالم النامي من جديد؛ وكان كل تحول سياسي في نهج الكرملين يتطلب تبريراً نظرياً.

وهكذا توصل النقاش العقائدي الذي جرى بين المنظرين السوفيات إلى نتيجة مفادها أن التوجه السياسي لدول عدم انحياز هو توجه تقدمي من حيث الأساس. وقد كتب أحد المحللين السوفيات يقول: مع أن رجال تلك الدول ليسوا شيوعيين إلا أن تطور هؤلاء الديمقراطيين الثوريين يتجه نحو الاشتراكية. كان أولئك المنظرون العقائديون يقومون أساساً بإضفاء الشرعية على الأعمال السوفياتية. وأنا لا أريد بهذا التقليل من صلة العقيدة في السياسات الدولية السوفياتية بل أريد أن أحدد بدقة الوظائف الأساسية للعقيدة في السياسة السوفياتية وتتلخص بخدمة المصالح الاستراتيجية للاتحاد السوفياتي وأهداف سياسته الخارجية(٥٣).

أدرك زعماء الكرملين جيداً منذ أوائل الستينيات ضعف الأحزاب الشيوعية في معظم الأقطار النامية. لم يكن زعماء الدول في هذه الأقطار على استعداد لاشتراك الشيوعيين في العملية السياسية، ناهيك عن إشراكهم في الحكم معهم. إن ما جرى في العراق يدل على ذلك، فعلى الرغم من الدعم القوي الذي تلقاه عبد الكريم قاسم من الشيوعيين العراقيين فإنه رفض طلباتهم كلها للانضمام إلى حكومته، وليس هذا فقط بل إنه اتخذ إجراءات شديدة قاسية ضدهم. إن عدم قدرة الاتحاد السوفياتي في السابق على استيعاب حقيقة بسيطة تقضي بعدم قيام الزعماء الوطنيين بإشراك الشيوعيين معهم في

---

(٥٢) Jaan Pennar, *The U.S.S.R. and the Arabs: The Ideological Dimension* (London: Hurst, 1973), p. 70, and Smolansky, *The Soviet Union and the Arab East, 1947 - 1957: A Study in Diplomatic Relations*, pp. 212 - 217.

(٥٣) *New Times* (15 January 1964), p. 5; Pennar, Ibid., pp. 67 - 69 and 161, and Heikal, Ibid., p. 156.

الحكم قد أسهمت في تدهور علاقاته مع دول عدم الانحياز. والخصام السوفياتي ـ المصري في عام ١٩٥٩ هو مثال على ذلك. لقد تعلم المسؤولون السوفيات الدرس، وإن جاء ذلك متأخراً؛ إن ما يقوله رفاقهم من المنظرين العقائديين سيكون من الآن فصاعداً في المرتبة الثانية وستكون الصدارة للمصالح القائمة بين الدول فهي في المقام الأول. وستكتسب العلاقات الدولية للأقطار النامية أهمية كبرى بنظر صانعي القرار في الاتحاد السوفياتي الذين صار من رأيهم أن الطروحات الأساسية لحركة عدم الانحياز هي في أساسها طروحات معادية للغرب(٥٤).

وعلى الرغم من توجيه ضربات قاصمة ضد الشيوعيين في مصر وسوريا والعراق فقد غضّت السياسة السوفياتية الطرف عن قمع الشيوعيين المحليين وعن تهميشهم السياسي. لقد ضحى زعماء الكرملين بالعقيدة من أجل مصالح الدولة السوفياتية. إن التخاصم العالمي مع واشنطن قد حجب القضايا الأخرى كلها. وصار التأييد السوفياتي لدول عدم الانحياز موقوفاً بالدرجة الأولى على ارتفاع أصواتهم ضد الولايات المتحدة(٥٥). إن الكاتب محمد حسنين هيكل قد أقنعته خبرته التفاوضية مع المسؤولين السوفيات بأن هؤلاء إنما يقيّمون المشاكل السياسية وعيونهم متجهة نحو الولايات المتحدة، وقال بالحرف الواحد: «إن أمريكا هي عبارة عن فكرة مستحوذة على أذهانهم»(٥٦).

كان هذا هو المنحى السوفياتي العام حين اندلع الصراع اليمني، وكان الاتحاد السوفياتي هو الدولة الأولى غير العربية التي اعترفت بالحكومة الجمهورية في صنعاء وذلك في شهر تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٦٢. وقد أرسل خروتشوف كذلك رسالة إلى السلال يعرب فيها عن تمنياته الطيبة ويقول أيضاً إن التدخل الخارجي في الشؤون الداخلية لليمن لن يكون أمراً يجري التسامح فيه. ومع أن الكرملين لم يبارك علناً التدخل المصري الجاري هناك إلا أن افتتاحيات الصحف السوفياتية كانت مؤيدة له ضمناً ذلك أنها تحدثت عنه

---

(٥٤) Pennar, Ibid., p. 161; Smolansky, Ibid., p. 292, and

دانكوس، **السياسة السوفياتية في الشرق الأوسط، ١٩٥٥ ـ ١٩٧٥**، ص ٨٧ ـ ٨٩ و١١٨.

(٥٥) Karen Dawisha, *Soviet Foreign Policy towards Egypt* (London: Macmillan Press, 1979), pp. 151 - 152 and 155.

انظر نص البرقية التي أرسلها خروتشوف الى عبد الناصر، في صحيفة: **البرافدا**، ١٤/١١/١٩٦٣. نقلاً عن: Smolansky, Ibid., pp. 128 and 201; El-Rayyes and Nahas, eds., *The Dragon and the Bear: A Study of Communist Involvement in the Arab World,* p. 81; Behbehani, *The Soviet Union and Arab Nationalism, 1917 - 1966,* pp. 185 and 192, and

دانكوس، المصدر نفسه، ص ٨٨.

(٥٦) Heikal, *Sphinx and Commissar: The Rise and Fall of Soviet Influence in the Arab World,* p. 30.

بصفته رداً على المؤامرات والعدوان «الإمبريالي»[٥٧]. وقد ذهب الكرملين إلى أبعد من التأييد الضمني وذلك بإرسال المساعدات إلى الثوريين في اليمن وإلى القوات المصرية هناك[٥٨].

حادي عشر: أولوية الديناميات الإقليمية

إن اعتراف الولايات المتحدة بالنظام الجمهوري في اليمن، وما رافقه من تأييد سوفياتي له، قد اعتبر في القاهرة مكسباً سياسياً للتدخل المصري الجاري هناك. أما في نظر السعوديين فإن ذلك الاعتراف كان يمثل نكسة سياسية لهم وللأردنيين معاً. وقد تزايد تصلب مصر والسعودية تبعاً لذلك. وفسّر عبد الناصر نهج كينيدي الجديد على أنه بمثابة الضوء الأخضر لدحر ائتلاف الملكيين في اليمن. وقام السعوديون بزيادة إسنادهم للملكيين وأحكموا علاقاتهم مع بريطانيا، وحتى مع إيران، كبديل للموقف الأمريكي الفاتر[٥٩].

أدت هذه التطورات إلى حدوث تصعيد في الصراع اليمني وإلى بروز دور القوى الخارجية. وقد اتضح أن الطرح الذي قامت عليه السياسة الأمريكية كان مشوباً بالإشكالية. فالأطراف الفاعلة في المنطقة كانت ترى في تدخلها في اليمن مصلحة أساسية ولم يكونوا على استعداد للتضحية بها استجابةً لطلبات الولايات المتحدة بتوخي الاعتدال، على الرغم من المخاطر السياسية التي قد تتحملها الأطراف المذكورة من جراء إصرارها على مواقفها. إن الدولتين العظميين لم تكن لديهما، كما تجادل هذه الدراسة، إلا سيطرة قليلة على حليفاتهما في المنطقة، ناهيك عن السيطرة على أعدائهما. مثلاً، كان عبد الناصر يدرك تماماً المخاطر التي قد تنجم عن أعماله في اليمن، ذلك أنه كان يتجاوز بأعماله تلك على منطقة نفوذ الدول الكبرى.

---

(٥٧) V. Terekhov, «Aden British Colonialists New Maneuver,» *International Affairs* (Moscow), no. 3 (March 1963), p. 91.

انظر ايضاً الافتتاحيات في: *New Times:* (10 October 1962), p. 2; (14 November 1962), p. 79, and (5 December 1962), p. 8, and

أحمد، **الدور المصري في اليمن، ١٩٦٢ ـ ١٩٦٧**، ص ١٩١.

(٥٨) أيد ذلك وزير دفاع مصري سابق. انظر: أحمد، المصدر نفسه، ص ١٩٢؛ أحمد حمروش: **قصة ثورة يوليو**، ٥ ج، ط ٢، ج ٣: **عبد الناصر والعرب** (القاهرة: مكتبة مدبولي، [د. ت.])، ص ٤٧١، وج ٥، ص ٦٦، و Dana Adams Schmidt, *Yemen: The Unknown War* (London: Bodley Head, 1968), p. 143.

(٥٩) Fred Halliday, *Arabia without Sultans: A Political Survey of Instability in the Arab World* (Harmondsworth, UK: Penguin, 1974), pp. 59 - 60;

أحمد، المصدر نفسه، ص ١٨٢ ـ ١٨٣؛ سلامة، **السياسة الخارجية السعودية منذ عام ١٩٤٥: دراسة في العلاقات الدولية**، ص ٢٤٤ و٦٤٠، و Safran, *Saudi Arabia: The Ceaseless Quest for Security,* p. 99.

هذا ولم ينثن الزعيم المصري عما كان يقوم به، وكان على استعداد لتحمل المخاطر التي قد تنشأ. كان من الضروري بالنسبة إليه أن يقف بوجه الإمبريالية لكي يصون مكاسب الثورة(٦٠). وقد تمكنت مصر والسعودية من استخدام قنوات دولية أخرى للحصول على دعم عسكري، وسهّلت مهمتهما المنظومة الدولية المصابة بالاستقطاب وذلك بتقديم الخيارات والبدائل. بل إن الدول الصغيرة نجحت حتى في إغراء الدول الكبرى بالتدخل ـ نيابةً عنها ـ في الصراع الجاري في اليمن تدخلاً أعمق من ذي قبل. إن سلوك البلدان العربية يظهر أهمية الديناميات الإقليمية، الأمر الذي لا يمكن فهمه إلا بمعرفة كنه مواقعها في المنظومة الفرعية الإقليمية وحاجتها لحلفاء محليين وخارجيين. كانت أعمال عبد الناصر في اليمن وفي الساحة الدولية من نتاج ما أصاب مركزه في الوطن العربي في أعقاب انحلال الجمهورية العربية المتحدة. وبالنظر إلى القاعدة القلقة لقوة الحكام السعوديين والخطر الثوري الذي يتوعد مصالحهم في المنطقة فإنهم تطلعوا إلى حلفاء من داخل المنطقة وخارجها، ولم يثنهم موقف الولايات المتحدة الفاتر، فبريطانيا كانت مستعدة لمساعدتهم ضد القوى الثورية التي تتهدد أمنهم. إن تدخل مصر في شبه الجزيرة العربية كان يهدد القاعدة الاستراتيجية لبريطانيا في عدن.

ثاني عشر: مواجهة التناقضات في سياسة الولايات المتحدة

في أواسط عام ١٩٦٣، وعلى الرغم من مساعي الوساطة التي قامت بها إدارة كينيدي، ظهر أن هذه الإدارة لم تكن قادرة على التأثير في مجرى الأحداث في شبه الجزيرة العربية. ولم يكن المصريون ولا السعوديون في وضع نفساني يتيح المجال لحل وسط. والواقع أن عبد الناصر، في ردٍ على تزايد المساعدات السعودية للملكيين، قام بتصعيد المواجهة وذلك بإرسال الطائرات لقصف المدن السعودية الواقعة على الحدود والتي كانت تستخدم كمراكز للتدريب ولشن الهجمات من قبل القوات الملكية. وقد اضطر كينيدي إلى اتخاذ إجراءات حازمة لإظهار عزمه على الدفاع عن وحدة أراضي العربية السعودية، وتعهد الرئيس بذلك في رسالة بعثها إلى فيصل نشرت على الملأ، كما جرى إرسال سرب من الطائرات المقاتلة إلى المملكة فاتخذت لها قاعدة فيها.

إن هذا كله يعكس الحالة التي كانت عليها إدارة كينيدي واضطرارها إلى مواجهة التناقضات في السياسة الأمريكية المتبعة في الساحة العربية. كان هناك إدراك متزايد لدى بعض الأوساط في واشنطن بوجود حدود لا مفر منها للحفاظ على علاقات وثيقة بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة. وقد استاء كينيدي بشكل خاص من عدم استعداد عبد الناصر لتنفيذ بنود اتفاق فك الارتباط المعقود في نيسان/ ابريل ١٩٦٣، وبموجبه تمت الموافقة على انسحاب تدريجي للقوات من اليمن، معلقاً إيقاف الدعم

(٦٠) مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، فبراير ١٩٦٢ الى يوليو ١٩٦٤، ج ٤، ص ٣٥٠ ـ ٣٥١.

الخارجي للملكيين[٦١]. وتزايدت كذلك شكوك الولايات المتحدة بعبد الناصر نتيجة لمواقفه بشأن قضية الكونغو، ومسألة السيطرة على الأسلحة غير التقليدية، وتدخله العسكري في اليمن الذي كان يزداد عمقاً. وفي رسالته الأخيرة إلى عبد الناصر في تشرين الأول/اكتوبر ١٩٦٣ كان كينيدي ساخطاً بشكل واضح، واتهم مصر بعدم الوفاء بما يخصها من تنفيذ اتفاق فك الارتباط في اليمن، وأعرب كذلك عن قلقه الشخصي لعدم احترام الجمهورية العربية المتحدة «صفقة» عقدت مع الأمم المتحدة، وكفلتها الولايات المتحدة عملياً كصديقة للطرفين[٦٢].

كذلك فإن ما ساور عبد الناصر في صيف عام ١٩٦٣ من شكوك بشأن دوافع الولايات المتحدة كان قد تحول إلى حيرة، وتزايد ارتيابه بها من جراء ما تقوم به، مثل عدم استعدادها للضغط على السعودية لإيقاف تسليحها للملكيين؛ وإرسالها السلاح إلى إسرائيل وإلى البلدان العربية المحافظة؛ وسلوكها العدواني في الكونغو؛ وتهديدها المبطن بقطع المساعدات عن مصر. كل هذه الأمور أقنعت الزعيم المصري بأن كينيدي «يخدعه» بل إنه أخذ يعتقد أن المسألة هي جزء من استراتيجية أمريكية لإشغال مصر أكثر فأكثر في اليمن لزج الجيش في فيافي الصحراء العربية وإبقائه هناك لإلغاء مصر كعامل عسكري في الصراع العربي - الإسرائيلي. إذ كيف يمكن، بنظر عبد الناصر، تفسير تعاون الولايات المتحدة مع أعدائه في المنطقة بغير ذلك التفسير؟[٦٣].

وعندما تم اغتيال كينيدي في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٣ كانت العلاقات الأمريكية - المصرية تمر بمرحلة جديدة من إعادة التقييم وعدم اليقين. كان كلا الطرفين يرزح تحت توترات ومصاعب جديدة لم يعد من الممكن تجاهلها، ومنها: التصعيد في حرب اليمن وتزايد الاستقطاب في المنظومة الفرعية العربية؛ وبروز المسألة الإسرائيلية من جديد كمتغيّر جديد في السياسات العربية الإقليمية والدولية؛ وظهور التطرف في سياسة عدم الانحياز التي تتبعها مصر، وهي سياسة تتعارض مع مصالح الولايات المتحدة في العالم[٦٤].

---

(٦١) «Cairo to Secretary of State, No. 2660, 4 May 1964,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969,* reel 7.

(٦٢) Gazit, *President Kennedy's Policy toward the Arab States and Israel,* p. 27; Polk, *The Arab World,* pp. 340 - 341, and Mohammed Hasanayn Heikal, *Nasser: The Cairo Documents* (London: New English Library, 1972), p. 196.

(٦٣) Heikal, Ibid., pp. 195 - 196; Stookey, *America and the Arab States: An Uneasy Encounter,* pp. 196 - 197; Gazit, Ibid., p. 28, and

أحمد، **الدور المصري في اليمن، ١٩٦٢ - ١٩٦٧**، ص ٣١٤.

(٦٤) «Cairo to Department of State: U.S. - UAR Relations, 11 April 1964,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969.*

غير أن هذا المناخ الكئيب لم يتطور إلى زوبعة لأن كلاً من كينيدي وعبد الناصر كان يتحاشى قطع الاتصالات الجارية بينهما، وكان كلاهما يريد الحفاظ على الود القائم، فمن جهة لم تزل إدارة كينيدي تعتقد أن مصر هي مفتاح الوطن العربي، وأن انقطاع العلاقات مع عبد الناصر لن يؤدي فقط إلى تحول السياسة في مصر نحو اليسار وإنما سيعرّض للخطر كذلك المصالح الأمريكية الأساسية في المنطقة بأسرها. لذلك كان يتعين على الحكومة الأمريكية أن تكون لها «أدوات نفوذ» لتسليط أثرها على مصر(٦٥). إن عدم استعداد كينيدي للضغط على عبد الناصر أثار السخط الشديد ليس فقط لدى السعودية وإنما لدى غيرها أيضاً من حلفاء أمريكا في المنطقة.

ومن جهة أخرى لم يكن بوسع عبد الناصر، لأسباب سياسية واقتصادية معاً، أن يقدم على قطيعة تامة مع الولايات المتحدة. فعلى الرغم من شكوكه بالمخططات الأمريكية كانت لديه ولدى مساعديه المقربين آمال عريضة بأن تتبع ادارة كينيدي سياسة متوازنة في المنطقة. لقد كانوا كذلك قلقين بشأن استمرار المساعدات الأمريكية، ولا سيما أن مصر كانت تعاني آنئذٍ نقصاً في العملات النادرة. هذا وكان توسع التدخل المصري في اليمن قد أدى أيضاً الى امتصاص موارد الاقتصاد في البلاد. كانت خطب عبد الناصر وبياناته طوال عام ١٩٦٣ ملأى بالإحالة الى القضايا الاقتصادية، فلقد كانت هنالك بنظره رابطة مباشرة بين الرفاه الاقتصادي والاستقرار السياسي(٦٦).

ثالث عشر: الصدام المصري ـ البعثي

بيد أن مصاعب عبد الناصر الاقتصادية لا يمكن أن تفسر سياسته الخارجية. لقد كان يشن حملة سياسية وعسكرية لكي ينهض من نكسة عام ١٩٦١ ويسترد زعامة الوطن العربي. وإذا كان يواجه السعودية والأردن في اليمن فإنه كان في الوقت عينه يجري جدالاً عقائدياً حامياً ومتواصلاً مع سوريا والعراق. كان حزب البعث قد تسلم السلطة في بغداد في شباط/فبراير ١٩٦٣، وفي دمشق في آذار/مارس من العام نفسه فاستقبل ذلك في مصر في بادىء الأمر بالرضا وبالاعلان عن التضامن. رأى عبد الناصر أن الانقلابين في سوريا والعراق هما من النتائج المباشرة لموقفه الحازم في اليمن. غير أنه كان قلقاً من أن يكون محصوراً «بين المطرقة والسندان» كما قال بالنص في اشارة الى انتصار البعث في دمشق وبغداد. وبضغط من الآمال الشعبية بدأت في الحال محادثات الوحدة

---

(٦٥) المصدر نفسه، و «Cairo to Secretary of State, No. 1643, 23 January 1964 [section 2 of 2],» in: Ibid.

(٦٦) **السياسة الخارجية والداخلية** (القاهرة: الدار القومية، ١٩٦٤)، ص ٢٠ ـ ٢١؛ Egypt, *The UAR Year Book* (Cairo: Information Department, 1963), pp. 37 - 39;

رياض، **مذكرات محمود رياض**، ج ٣: **أميركا والعرب**، ص ٣٤، وحمروش، **قصة ثورة ٢٣ يوليو**، ج ٥، ص ٧٨.

بين مصر وسوريا والعراق بهدف معلن هو اقامة فدرالية عربية وحدوية. وقد كشفت المحادثات الثلاثية عن انقسامات عميقة وشكوك دفينة في حركة القومية العربية(٦٧).

كان البعثيون السوريون مصممين على عدم التنازل عن سيادتهم كما فعلوا في عام ١٩٥٨، وأصروا على أن يكونوا شركاء متساوين في أي اطار وحدوي. وقد جاء في افتتاحيات صحيفتهم **البعث** بصراحة تامة: إن القيادة الفدرالية يجب أن تكون جماعية. ان حكم رجل واحد لدولة واحدة، وهذه اشارة الى الزعيم المصري، ينبغي تحاشيه مهما كانت التضحيات، لأن ذلك الحكم هو وصفة للفشل(٦٨). كذلك لم يتقبل البعثيون في العراق قبولاً حسناً رغبة عبد الناصر في توحيد الدول الثلاث، لخشيتهم من أن يؤدي ذلك الى القضاء على نظام حكمهم الجديد، بالنظر الى وجود قوى متباينة، سياسية وعرقية ودينية في العراق. ان الوحدة مع مصر لم يكن لها في العراق، تاريخياً، ذلك الالحاح السياسي والنزعة العاطفية اللذين كانا لها في سوريا(٦٩). وفي التحليل النهائي يتضح أن الزعيم المصري والبعثيين استخدموا مباحثات الوحدة الثلاثية لخدمة اعتبارات سياسية تكتيكية.

كان غرض البعث السوري استباق المطالبة الشعبية بتحقيق اتحاد منفرد مع مصر. أما الهدف الثاني فهو إزالة شبح اللاشرعية المخيم على الدولة السورية منذ انفصالها عن الجمهورية العربية المتحدة. كان من شأن ذلك أن يمكن البعث من القيام بدور مهم في مستقبل النظام العربي الوحدوي الذي يجري بحثه بين الدول الثلاث(٧٠). وعلى الضد من

(٦٧) نشر نص المحادثات الثلاثية التي جرت في القاهرة في مجلدين بعنوان: **محاضر محادثات الوحدة، مارس ـ ابريل ١٩٦٣**، ج ١ (بيروت: دار المسيرة، ١٩٧٨)، و**محاضر محادثات الوحدة، ١٩٦٣**، ج ٢، ط ٣ (بيروت: دار المسيرة، ١٩٧٩). لا يزال ما كتبه كير من تعليق على هذه المحاضر افضل سرد متاح، انظر الجزء الأول، ص ١٩ و٢٩؛ Malcolm H. Kerr, *The Arab Cold War: Gamal Abd al-Nasir and His Rivals, 1958 - 1970*, 3rd ed. (London: Oxford University Press, 1971), esp. chaps. 3 - 4; Egypt, *The UAR Year Book*, p. 45; Patrick Seale, *Asad of Syria: The Struggle for the Middle East*, with the assistance of Maureen McConville (London: I. B. Tauris, c1988), p. 81; **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، فبراير ١٩٦٢ الى يوليو ١٩٦٤**، ج ٤، ص ٣٥٣، ومحمد السيد سليم، **التحليل السياسي الناصري: دراسة في العقائد والسياسة الخارجية**، سلسلة اطروحات الدكتوراه؛ ٣ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٣)، ص ١٤٢.

(٦٨) **البعث**: ١٦، ١٨ و٢٠/٣/١٩٦٣.

(٦٩) Majid Khadduri, *Republican Iraq: A Study in Iraqi Politics since the Revolution of 1958* (London; New York: Oxford University Press, 1969), pp. 221 - 222.

(٧٠) Itamar Rabinovitch, *Syria under the Ba'th, 1963 - 1966: The Army Party Symbiosis* (Jerusalem: Israel Universities Press, 1972), pp. 52 - 56; Seale, *Asad of Syria: The Struggle for the Middle East*, p. 81, and Kerr, *The Arab Cold War: Gamal Abd al-Nasir and His Rivals, 1958 - 1970*, pp. 73 - 76.

ذلك كان عبد الناصر يريد توكيد زعامته لحركة القومية العربية، كما أن المحادثات الثلاثية هيأت كذلك للرئيس المصري منبراً لمواجهة السعوديين والأردنيين(٧١).

في نيسان/أبريل ١٩٦٣ وقعت مصر والعراق وسوريا على اتفاقية لقيام اتحاد فدرالي بينها بيد أنه لم تكن الاتفاقية لتستحق قيمة الورق الذي كتبت عليه. وكانت موجة الفرح التي اجتاحت الوطن العربي قصيرة الأجل، وقد تبخرت سريعاً إذ تحطمت على صخور الواقع السياسي. قال أحد الدارسين المعروفين للسياسات العربية إنها كانت اتفاقاً على الاتفاق ليس إلا، من دون جوهر حقيقي(٧٢). أما ما كانت تفتقر اليه الاتفاقية فهو الارادة السياسية والانسجام والرؤية الضرورية لتنفيذها. ان الانقسامات السياسية والشخصية داخل حركة القومية العربية قد تجاوزت الحدود العقائدية. وكان التصدع في المعسكر الثوري في عمقه كالتصدع الفاصل بين الثوريين والكتلة المحافظة. من الأمثلة على ذلك الخصام بين عبد الناصر وعبد الكريم قاسم، والنزاع الناصري ـ البعثي بعد عام ١٩٦١. كانت هناك شقاقات سياسية مشابهة بين البلدان الثورية، ما أدى الى ردود فعل مدمرة أصابت الاستقرار في أنظمة هذه البلدان وقوضت إمكانية قيام أي مخطط وحدوي في المستقبل.

غير أن التخاصم والعداوة بين عبد الناصر والثوريين الآخرين كانا هما المسببين للاخفاق الذريع الذي لحق بالوحدة العربية عموماً وباتفاقية الوحدة لسنة ١٩٦٣ خصوصاً. فقبل أن يجف مداد تلك الاتفاقية اندلعت حرب دعائية شاملة بين القاهرة والنظام في دمشق. كان الدافع المباشر لذلك حملة القمع التي شنها النظام على العناصر الناصرية المنادية بالقومية العربية. وقد أدان عبد الناصر النظام السوري في خطاب ألقاه في تموز/يوليو ١٩٦٣ ووصفه بالفاشي وأعلن أن اتفاقية الوحدة ستكون لاغية. ورد البعث على ذلك بمهاجمة عبد الناصر(٧٣).

كانت هناك حربان، اعتباراً من تموز/يوليو فصاعداً، يجري خوض غمارهما معاً وفي الوقت عينه في الوطن العربي، الأولى انشغال عبد الناصر التام بحرب باردة مع النظام في سوريا، والثانية انهماكه في مواجهة عسكرية مع السعودية والأردن في جبال اليمن ووديانها.

---

(٧١) **محاضر محادثات الوحدة، مارس ـ ابريل ١٩٦٣**، ج ١، ص ١٤٠ ـ ١٤١.

(٧٢) Kerr, Ibid., pp. 73 - 77.

(٧٣) حزب البعث العربي الاشتراكي، **نضال البعث: القيادة القومية، ١٩٦٣ ـ ١٩٦٦، من ثورة رمضان وآذار الى ٢٣ شباط ١٩٦٦**، ج ١٠ (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧١)، ص ٥٧ و٨٦ ـ ٨٧؛ **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، فبراير ١٩٦٢ الى يوليو ١٩٦٤**، ج ٤، ص ٣٦٢ ـ ٣٨٩، و Seale, *Asad of Syria: The Struggle for the Middle East*, p. 83.

رابع عشر: اسرائيل في السياسات العربية

إن الصراع مع الناصريين في سوريا وإلغاء عبد الناصر اتفاقية الوحدة قد أجج البغضاء بين الراديكاليين. وفي تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٣ قامت مجموعة من ضباط الجيش العراقي برئاسة عبد السلام عارف بالاطاحة بائتلاف البعث في العراق. وفي الحال أعرب عبد السلام عارف عن تمسكه باتفاقية الوحدة لسنة ١٩٦٣، فعزلت بذلك سوريا وكان على البعثيين فيها أن يكافحوا من أجل البقاء السياسي[٧٤]. أخذوا يحاولون التعويض عن مركزهم القلق في داخل البلاد وفي المنطقة وذلك بأخذ المبادأة بشأن الموضوع العاطفي الرئيسي في الوطن العربي، ألا وهو القضية الفلسطينية التي أمِل من خلالها البعثيون أن يكتسبوا تأييد الشعب العربي.

اتخذت سوريا سياسة نحو الغرب مشابهة في تشددها لسياستها تجاه اسرائيل. فمع أن حزب البعث أكد في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٣ أن سياسة سوريا الخارجية تقوم على عدم الانحياز والحياد الايجابي إلا أن الحزب أعرب عن رغبته في اقامة علاقات أوثق مع الكتلة السوفياتية وأعمق في الصداقة معها. وأسهم الاستقطاب في المنظومة الفرعية العربية وعزلة سوريا فيها إسهاماً كبيراً في سياستها المتشددة في الشؤون الخارجية عموماً وفي القضية الفلسطينية خصوصاً[٧٥]. وهذه رابطة أخرى بين السياسات المحلية والاقليمية والدولية في المنظومة المذكورة.

كان الموقف غير المتساهل الذي اتخذه البعث الحاكم تجاه اسرائيل والغرب متصلاً اتصالاً مباشراً بالظروف السياسية في الميدانين الداخلي والخارجي معاً، التي كانت تحيط بالنظام في نهاية عام ١٩٦٣. وكان زعماء البعث يشعرون بعدم الاطمئنان وبالمحاصرة في الساحة العربية. انهم بميلهم الى التشدد بشأن الصراع العربي ـ الاسرائيلي قد اكتشفوا طريقة للخروج من المأزق، فشددوا على الشعارات الثورية لإحراج مصر. والمفارقة هي أن السوريين، بمحاولتهم ممارسة الضغط العسكري على اسرائيل لكي توقف تحويلها لنهر الأردن، قد وقعوا في أيدي الحكومة الاسرائيلية التي انتقمت بعنف من سوريا والأردن معاً. ان ما قامت به اسرائيل من عمل ثأري ضد هذين القطرين قد دل بشكل واضح على قوتها العسكرية وقدرتها على الردع، كما أنه كان يهدف الى إبراز الضعف العسكري في مصر والضعف العام في الوطن العربي وعجزه عن حل المشكلة الفلسطينية باستخدام القوة[٧٦]. وبحلول نهاية عام ١٩٦٣ كانت التوترات المتزايدة على الصعيد العربي ـ

---

(٧٤) Seale, Ibid., p. 91.

(٧٥) حزب البعث العربي الاشتراكي، المصدر نفسه، ج ١٠، ص ١٤٥، **النهار**، ٢٩/١٠/١٩٦٣، و Kamel S. Abu Jaber, *The Arab Ba'th Socialist Party: History, Ideology, and Organization,* foreword by Philip K. Hitti (Syracuse, NY: Syracuse University Press, 1966),pp. 81 and 136.

(٧٦) Evron, *The Middle East: Nations, Superpowers, and Wars,* pp. 51 - 52.

الاسرائيلي تنذر بخطر يتهدد المنطقة بأسرها، فقد كانت تلوح في الأفق مواجهة عسكرية محتملة بين اسرائيل والبلدان العربية المجاورة لها.

على الضد من عقد الخمسينيات شهد العقد التالي في الستينيات بروز القضية العربية ـ الاسرائيلية كمتغير مهم يتداخل في السياسات الجارية في المنطقة. لم يكن ذلك فقط نتاج التفعيل في السياسة الإسرائيلية تجاه العرب وزيادة درجة التصعيد العسكري فيها، وإنما يتصل كذلك بالتصعيد الجاري في الخصومات العربية. وأصبحت القضية الفلسطينية متشابكة بخيوط الحرب الباردة العربية ما أدى الى نتائج مدمرة بالنسبة الى أمن النظام العربي. الى هذا أثرت الأهمية المتزايدة لاسرائيل في السياسات الاقليمية في علاقة البلدان العربية بالدول الكبرى وذلك بالحد من طاقتها في مقاومة هذه الأخيرة والوقوف بوجهها. وسنرى في ما يلي أن الاستقطاب في الصراع العربي ـ الاسرائيلي قد أسهم الى حدٍ كبير في تدهور العلاقات بين الثوريين العرب والدول الغربية، كما أنه جعل الثوريين العرب أكثر اعتماداً على مساعدة السوفيات.

خامس عشر: تهدئة سوريا: العمل الجماعي العربي تجاه اسرائيل

لم يكن بوسع مصر أن تظل سلبية في مواقفها إذ إن أمنها ومكانتها كانا على المحك. فمن جهة كان عبد الناصر يشعر بأنه معرّض لتهجمات واتهامات بأنه اتفق مع الولايات المتحدة على السكوت عن مشروع المياه الاسرائيلي. ولم يكن بوسعه السكوت عن تعريض زعامته للتشويه في الوطن العربي. ان للقضية الفلسطينية صدىً رناناً وبالغ الغور في الادراك السياسي العربي، وكان عبد الناصر قد جعل من قضية حقوق الفلسطينيين بؤرة مركزية لسياسته العربية. لم يكن بوسعه سياسياً أن يتنازل عن دعواه بأنه المدافع الأول عن الفلسطينيين الذين لا زعيم لهم.

من جهة أخرى كشفت الغارات الانتقامية التي شنتها اسرائيل عقاباً لسوريا والأردن عن ضعف الجهاز العسكري المصري وعن عجز استراتيجيته في الردع. لم تكن مصر في وضع يمكنها من التصدي للدولة اليهودية الفتية والقوية. وكان عدد كبير من القوات المصرية غارقاً الى الأعناق في اليمن دون أن يلوح في الأفق تاريخ لانسحاب مبكر. وكان الصراع اليمني والحرب الباردة العربية كلاهما في ذروة الشدة، مما قسم الوطن العربي بشكل عميق وامتص قواه المادية. الى ذلك كانت السحب تتلبد فوق العلاقات الأمريكية ـ المصرية وسرعان ما ستتحول الى عاصفة. وكان الموقف السوفياتي حيال النزاع العربي ـ الاسرائيلي أقل من ايجابي بنظر العرب ولا يمكن التعويل عليه في حالة اندلاع أعمال عدائية مسلحة. لذلك لم يكن عبد الناصر ميالاً للمجازفة بحرب مع اسرائيل. لكن الأمر الذي يهم ذوي الشأن كثيراً هو، بحسب ما يقوله بادو، سفير أمريكا في القاهرة الذي كان يوشك أن يغادر منصبه، إن موقف مصر ازاء اسرائيل كان دائماً دفاعياً. فعلى الرغم من الخطب الرنانة التي تلقى في مصر كانت سياستها

تقوم على احتواء اسرائيل لا على تحرير فلسطين[٧٧].

يقول بادو أيضاً، في تحليله الطويل والمتعمق للعلاقات الأمريكية ـ المصرية إن استخدام القوة العسكرية لم يكن تكتيكاً مفضلاً لدى عبد الناصر الذي ما كان على استعداد للمجازفة ببقاء نظام حكمه في أية مواجهة عسكرية حاسمة في أي مكان. ومع امتلاكه للقوة العسكرية فإنه كان يحبذ الاعتماد على طرق أخرى مثل «الدبلوماسية والدعاية. . .»[٧٨]. ان تحليل بادو ينطبق على علاقات مصر مع البلدان العربية وعلى علاقاتها مع اسرائيل أيضاً. وهذا يعكس النظرة الايجابية نحو نظام عبد الناصر التي كان المسؤولون الأمريكيون ما زالوا يحملونها عنه. وبالنظر الى هذه الاعتبارات كلها كان منطقياً بالنسبة الى الزعيم المصري أن يوقف دورة التصعيد الاستراتيجي وذلك بمحاولة تهدئة سوريا وبإزالة أي مبرر قد يدعو اسرائيل الى القيام بمزيد من الضربات الانتقامية ضد الأردن وسوريا.

ان إنجاز هذا الغرض قد أقنع عبد الناصر بالحاجة الى تبني سياسة عربية جديدة، سياسة تختلف تماماً عن السياسة التي اتبعها منذ انقسام الجمهورية العربية المتحدة في عام ١٩٦١[٧٩]. ستكون هذه السياسة قائمة على العمل الجماعي العربي وعلى روح الوفاق لا على المواجهة. وفي خطاب تاريخي ألقاه عبد الناصر في شهر كانون الأول/ديسمبر ١٩٦٣ قام بمهاجمة السلوك غير المسؤول والمتهور للبعثيين واعترف فيه بصراحة أنه غير قادر على شن حرب ضد اسرائيل، وأضاف يقول: «اننا لن نزايد. وأنا لا أخجل من القول بأني لا أستطيع القتال إذا كنت أشعر أني لا أستطيع ذلك حقاً. وإذا كنت لا أستطيع القتال ثم أذهب الى القتال فإني سأقودكم فقط الى كارثة»[٨٠].

سادس عشر: دبلوماسية القمة العربية

وهكذا اقترح عبد الناصر عقد اجتماع قمة لرؤساء البلدان العربية لبحث تحويل اسرائيل لمياه نهر الأردن. كانت استراتيجيته تسترشد بغرضين: (١) تجنب الحرب مع

---

(٧٧) «Cairo to Department of State: U.S. - UAR Relations, 11 April 1964,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969*, and

السيد سليم، **التحليل السياسي الناصري: دراسة في العقائد والسياسة الخارجية**، ص ١١٨ ـ ١١٩.

(٧٨) «Cairo to Department of State: U.S. - UAR Relations, 11 April 1964,» in: Ibid.

(٧٩) محمد حسنين هيكل، **سنوات الغليان**، حرب الثلاثين سنة (القاهرة: مركز الاهرام للترجمة والنشر، ١٩٨٨)، ج ١، ص ٧٣٠، ورياض، **مذكرات محمود رياض**، ج ٢، ص ٢٨١.

(٨٠) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، فبراير ١٩٦٢ الى يوليو ١٩٦٤**، ج ٤، ص ٥٠٥ ـ ٥٠٦. كان خطاب عبد الناصر مثالاً نموذجياً في الواقعية السياسية. وكان المرجو أن يتصرف على نحو مشابه خلال الفترة من أيار/مايو الى حزيران/يونيو ١٩٦٧ حين كان يواجه حالة مماثلة تحت ظروف أصعب.

اسرائيل من خلال الكشف عن تطرف الفريق أمين الحافظ، رجل البعث القوي في سوريا، أمام الحكام العرب؛ و(٢) البحث عن صيغة مناسبة لحل الصراع اليمني المتقيح وذلك باجراء مفاوضات مباشرة مع الملك سعود والأمير فيصل. ان القمة المقترحة ستؤدي، بنظر عبد الناصر، الى إضفاء الشرعية على موقفه الدفاعي حيال اسرائيل من خلال تجاوب عربي جماعي، كما ستؤدي الى إيجاد طريقة للخروج من المأزق في اليمن[٨١].

كان مؤتمر القمة العربية الأول الذي عقد في القاهرة في شهر كانون الثاني/ يناير ١٩٦٤ مؤتمراً ناجحاً من وجهة النظر المصرية. فقد استطاع عبد الناصر أن يحصل على موافقة عربية، باستثناء سوريا، على سياسته في الاحتواء تجاه اسرائيل، اذ كان قرار القمة النهائي يقضي بالردع لا بالمواجهة. وعزلت سوريا، وهزمت معظم مقترحاتها، أما دعوة أمين الحافظ للقيام بهجوم عربي مشترك ضد اسرائيل فلم تجد أذناً صاغية. وقال عبد الناصر للمؤتمرين إن مصر لا تستطيع أن تقاتل اسرائيل ولن تفعل ذلك بالنظر الى ارتباك الأوضاع العربية سياسياً وعسكرياً[٨٢]. ومع أنه أخفق في الحصول من سعود على تسوية للصراع اليمني إلا أن مؤتمر القمة العربية الأول هذا قد أتاح للطرفين فرصة لإقامة حوار بينهما. ونتيجة لذلك استؤنفت العلاقات الدبلوماسية بين مصر والسعودية في آذار/ مارس ١٩٦٤[٨٣]. وقد أقر رؤساء البلدان العربية المجتمعون في القاهرة ثلاثة اقتراحات هي: (١) إنشاء قيادة عسكرية عربية؛ (٢) تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية؛ و(٣) تنظيم مجموعة لاستغلال مياه نهر الأردن.

هذا، وتكمن أهمية هذه القمة في أنها أزالت موقتاً السحب السوداء المتلبدة في السماء العربية، ودشنت عصر الوفاق والتعاون بين البلدان العربية الذي دام حتى عام ١٩٦٦. وقد تعززت كثيراً مكانة عبد الناصر في المنطقة وفي العالم، وأكسبه موقفه الحاسم والمعتدل في مؤتمر القمة فوائد سياسية كبيرة. إنه لم ينج فقط من العزلة وإنما صار ينظر اليه كذلك مجدداً بأنه زعيم العرب، وعادت مصر الى البروز كبؤرة المنظومة الفرعية العربية. استطاع عبد الناصر بحركته الذكية في الدعوة الى القمة أن يفضح نفاق أعدائه

---

(٨١) «Cairo to Secretary of State, No. 1643, 23 January 1964,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969,* reel 8, and

الأهرام، ١٠/٦/١٩٦٦.

(٨٢) حزب البعث العربي الاشتراكي، **نضال البعث: القيادة القومية، ١٩٦٣ - ١٩٦٦، من ثورة رمضان وآذار الى ٢٣ شباط ١٩٦٦**، ج ١٠، ص ٢٣١ - ٢٣٦، ورياض، **مذكرات محمود رياض**، ج ٢، ص ٢٨٣ - ٢٨٤.

(٨٣) Adeed I. Dawisha, *Egypt in the Arab World: The Elements of Foreign Policy* (London: Macmillan, 1976), p. 44.

العقائديين الرئيسيين، لا بل تمكن حتى من وضع خصومه الآخرين، أي المحافظين، في موضع الدفاع. وقد أقر حتى البعث السوري بانجازات عبد الناصر بأن قيل، على سبيل المثال، إن سياسة مصر في عدم الانحياز قد مكنتها من الانتقال من التبعية الى الاستقلال في العلاقات الدولية[٨٤].

وهكذا رفع عبد الناصر من شأن مصر في العالم. كانت الدولتان العظميان كلتاهما ترغب بألا يفلت النزاع العربي ـ الاسرائيلي من اليد فيتطور الى صراع مسلح، ذلك أن صراعاً كهذا بين اسرائيل وجاراتها سيخرب السياسة الأمريكية ـ السوفياتية الخاصة بالتعايش السلمي. فلا غرابة أن نجد كلاً من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ينصح بالاعتدال. مثلاً، أعربت السفارة الأمريكية في القاهرة عن الرضا بالتغيير المهم في السلوك المصري «بعيداً عن الأخوة الثورية لصالح علاقات طبيعية أمتن عرى مع الأسرة العربية كلها»[٨٥]. إن مصر، بإبقاء مشكلة مياه نهر الأردن وقضية اسرائيل على حالتهما، كانت بنظر الدبلوماسيين الأمريكيين تسعى الى «خدمة مصالح الولايات المتحدة في الشرق الأدنى»[٨٦].

خرجت مصر من مؤتمر القمة وهي برأي الولايات المتحدة أهم دولة عربية في المشرق العربي، وأن في دورها الجديد ما فيه من تداعيات بالنسبة الى السياسة الأمريكية في المنطقة. وفي تقييم ما انطوت عليه القمة جادل السفير بادو بالقول ان حماية مصالح الولايات المتحدة في الشرق الأدنى تتطلب منها الحفاظ على علاقات حسنة مع مصر وممارسة أقصى نفوذ ممكن فيها. وقد أوصى السفير باستمرار المساعدات الأمريكية الى مصر ومواصلة القيام بعمل سياسي ناشط فيها، وأنهى تحليله بالقول: «ليس لدينا بديل سوى أن نجعل العلاقات الفعالة مع مصر أساساً نرسي عليه سياستنا في العالم العربي»[٨٧].

ان النتيجة الايجابية التي خلصت اليها السفارة الأمريكية في القاهرة من مؤتمر القمة قد أغفلت القلق العميق الذي كان يساور المشاركين فيه وأخفقت في رؤية السحب المتلبدة في أفق العلاقات الأمريكية ـ العربية. فقبيل اغتيال كينيدي في تشرين الثاني/ نوفمبر

---

(٨٤) Egypt, Ministry of Information, *The First Arab Summit Conference, 13 - 17 January 1964* (Cairo: Information Department, 1964), pp. 18 - 22, and

حزب البعث العربي الاشتراكي، المصدر نفسه، ج ١٠، ص ١٧٤.

(٨٥) «Cairo to Secretary of State, No. 1884, 20 February 1964,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969,* reel 8.

(٨٦) «Department of State, for Mr. McGeorge Bundy, the White House, Subject: U.S. Influence on the Arab Summit Conference,» and «Analysis of the UAR Role in the Arab Summit, 12 February 1964,» in: Ibid.

(٨٧) «Cairo to Secretary of State, No. 1643, 23 January 1964 [two sections],» in: Ibid.

١٩٦٣ كانت العلاقات بينه وبين عبد الناصر قد توترت وذلك من جراء المماطلة في عملية فك الارتباط في اليمن، ما جعل الادارة الأمريكية ترتاب بنيات الزعيم المصري وتشك باستعداده لسحب قواته من هناك. كذلك انزعج عبد الناصر من نبرة التهديد في رسائل كينيدي عن اليمن، وأخذ يفقد ثقته بالسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط بكل مناحيها(٨٨).

هذا، وعلى الرغم من السحب المخيمة على حالة العلاقات الأمريكية ـ المصرية لم يكن كينيدي ولا عبد الناصر يريدان التشديد على الخلافات القائمة بينهما أو انتهاج سبيل المواجهة. كلاهما كان مدركاً المصلحة المشتركة المتمثلة بالابقاء على علاقات صداقة مناسبة. وسيتغير هذا الوضع بوفاة كينيدي وتولي ليندون جونسون مقاليد الادارة الأمريكية الجديدة. ان التغيير في زعامة الولايات المتحدة قد أدى الى تحول مهم في لهجة السياسة الأمريكية في المنطقة ومحتواها.

كان الرئيس جونسون سياسياً من المدرسة القديمة التي تؤمن بأن على الدول الصغيرة التي تتلقى المساعدات من الولايات المتحدة ألا تعض اليد التي تطعمها. كان أقل تسامحاً من كينيدي مع سلوك عبد الناصر وأكثر ميلاً منه لتطبيق اجراءات عقابية ضد مصر. وبصفته من المقاتلين في الحرب الباردة ورّط جونسون الولايات المتحدة في فيتنام على نحو عميق، وقد عكس هذا ما تم من تغيير في أولويات الرئيس الأمريكي الخاصة بالعالم، ذلك التغيير الذي تمثل بالحاجة الى احتواء الشيوعية ومقاومة تقدّمها في العالم الثالث حتى اذا اقتضى الأمر استخدام القوة. كان لإخضاع جونسون الاهتمامات الاقليمية للاهتمامات العالمية تأثير حاسم في العلاقات الأمريكية ـ المصرية، والتي سرعان ما ستتدهور.

ان مؤتمر القمة العربي الأول قد أخفق في معالجة الأسباب الأساسية للخصومات العربية ـ ولم يقدّم سوى وصفات علاج للتجميل الشكلي فقط. فبالاضافة الى الصراع المتطاول في اليمن بآثاره الضارة فإن العلاقات بين عبد الناصر والبعث سرعان ما عادت لتكون في مهب الرياح. أما ما فعلته القمة فهو اعطاء الحكام العرب مهلة لالتقاط الأنفاس لتهيئة قواتهم لجولة أخرى من الحرب في ما بينهم، لذا فإنها بهذا المعنى قد أحيت في النفوس توقعات وآمالاً رائعة. يضاف الى هذا أن القمة لم تضع استراتيجية واقعية فعالة تجاه اسرائيل، ولم تتمكن من فصل مشكلة اسرائيل عن الحرب الباردة العربية. فسيقوم المتطرفون العرب مرة أخرى باستخدام مسألة اسرائيل كعصا يضربون بها خصومهم من العرب. ان هذا التصعيد سيلعب دوراً كبيراً في مسلسل سوء التقدير الذي أدى الى حرب ١٩٦٧ العربية ـ الاسرائيلية وبالتالي الى نكسة حركة القومية العربية.

---

(٨٨) «Cairo to Secretary of State, No. 2660, 4 May 1964,» in: Ibid., reel 7; Heikal, *Nasser: The Cairo Documents*, pp. 195 - 196, and

هيكل، سنوات الغليان، ج ١، ص ٧٢١ ـ ٧٢٧.

الفصل السابع

العامل الاسرائيلي
في العلاقات العربية ـــ العربية
والعربية ـــ الدولية
١٩٦٤ ـــ ١٩٦٦

يتخذ هذا الفصل من مؤتمر القمة العربية الأول نقطة انطلاق له، وينتهي بتخلي عبد الناصر عن اجتماعات القمة في تموز/يوليو ١٩٦٦.. أدى اخفاق دبلوماسية القمة الى بدء الحرب الباردة العربية الثانية. وأحدث تولي جونسون السلطة في البيت الأبيض وإقصاء خروتشوف عن الكرملين تغييرات مهمة في العلاقات بين الدولتين العظميين والبلدان العربية. شهدت هذه المرحلة تدهوراً مطرداً في العلاقات العربية ـ العربية. وفي العلاقات الأمريكية ـ العربية. كان الهدوء السائد في تلك المرحلة خادعاً، اذ لم يكن هبوب العاصفة بعيداً على الاطلاق.

أولاً: جونسون يتسلم مقاليد السلطة

كان كل من كينيدي وعبد الناصر يعرف الحدود الكامنة في علاقتهما، ومع هذا كان كلاهما يدرك المصالح المشتركة التي يتشاطرها البلدان. كان عبد الناصر يعلم أن الاستقرار الاقتصادي في مصر يعتمد على التدفق المستمر للمساعدات الاقتصادية الأمريكية، ويقدر كذلك دور الوسيط النزيه الذي يقوم به كينيدي في اليمن. أما كينيدي فقد كانت مصر بالنسبة إليه أهم دولة في المشرق العربي، وكان شخص عبد الناصر عنصراً مهماً في تقييمه للأمور. وعلى الرغم من الانزعاج والشك المتبادلين فقد كانت كل من الحكومتين تسعى «لعزل نقاط الاختلاف الرئيسية ووضعها جانباً وتبتغي توسيع ميادين التفاهم والتعاون»[1].

لا غرابة إذن أن يشعر الزعماء في مصر بالصدمة من جراء وفاة كينيدي، فقد رأوا في المأساة نكسة للمساعي المصرية لتحسين العلاقات مع الولايات المتحدة. كان عبد الناصر يُرجع الى كينيدي شخصياً فضل إقامة الثقة بين البلدين[2]. وجاء تولي

(١) «Cairo to Department of State: U.S. - UAR Relations, 11 April 1964,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969*, Microfilmed from the Holdings of the L. B. Johnson Library, Austin, Texas, 8 reels (Frederick, MD: University Publications of America, 1989).

(٢) **مصر وأمريكا: عرض تاريخي لتطور العلاقات المصرية ـ الأمريكية وتسجيل لرحلة الرئيس** =

جونسون مهام رئاسة الجمهورية في أمريكا ليزيد من مخاوف الضباط الأحرار الذين خشوا حدوث تحول في سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط. كان يُنظر الى جونسون على أنه داعية قوي لاسرائيل، وتعوزه الخبرة في الشؤون الخارجية. ان سجله في التصويت لصالح اسرائيل في مجلس الشيوخ وذهنية الحرب الباردة التي يحملها يدعمان مشاعر التحامل ضده التي تساور المصريين[٣].

كان عبد الناصر يشعر، حتى على المستوى الانساني، بنفور غريزي من جونسون اذ كان يعتبره محنكاً في تقريب المحاسيب وفي الاقدام على أعمال طائشة لأغراض سياسية، فأثرت هذه الصورة في تصرف الزعيم المصري تجاه الادارة الأمريكية. وكان ذلك قيداً على سلطته في صنع القرار. وفي الجانب الآخر لم يكن جونسون متعاطفاً مع القومية العربية الثورية، بل كان يشك بأن لدى عبد الناصر مخططات ضخمة للسيطرة على الوطن العربي مستخدماً لتحقيقها الإسناد السوفياتي المادي والمعنوي[٤]. إن البغضاء الشخصية بين الرجلين كانت من العوامل المهمة في تدهور العلاقات الأمريكية ـ المصرية خلال الستينيات. وتبين سلسلة الأحداث التي جرت علاقة المتغيرات النفسانية في العلاقات الدولية ودور التصورات المصيبة والخاطئة، في عملية صنع القرار. بيد أنه ما كان للعامل النفساني أن يؤثر في سلوك الزعيمين لولا وجود مصالح وطنية متناقضة لدى القطرين. ومن غير الممكن تقييم أهمية المتغير الانساني الا من حيث علاقته بعوامل أخرى توضح الموضوع مثل الخلافات السياسية بين الدولتين ومنها قضية اسرائيل.

عند تولي جونسون السلطة أدلى ببعض التصريحات الموالية لاسرائيل، فساورت عبد الناصر الشكوك بأن شيئاً ما يرتب بين الحكومتين الأمريكية والاسرائيلية على الرغم مما تلقّاه من تأكيدات بخلاف ذلك قدمها له المسؤولون الأمريكيون. ففي الاجتماع الأول

= **السادات** (القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ١٩٧٦)، ص ٣١.

(٣) Anthony Nutting, *Nasser* (London: Constable, 1972), p. 344; William J. Burns, *Economic Aid and American Foreign Policy toward Egypt, 1955 - 1981* (Albany, NY: State University of New York Press, 1985), p. 152; Mahmoud Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East* (London: Quarter Books , 1981), p. 15;

محمد حسنين هيكل، **سنوات الغليان**، حرب الثلاثين سنة (القاهرة: مركز الاهرام للترجمة والنشر، ١٩٨٨)، ج ١، ص ٧٢٧ ـ ٧٢٨ و٧٣٦؛ محمود رياض، **مذكرات محمود رياض** (بيروت: دار المستقبل العربي، ١٩٨٦)، ج ٣: **أميركا والعرب**، ص ٣٤ ـ ٣٥، وأحمد يوسف أحمد، **الدور المصري في اليمن، ١٩٦٢ ـ ١٩٦٧** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١)، ص ٣١٤.

(٤) Lyndon Baines Johnson, *The Vantage Point: Perspectives of the Presidency, 1963 - 1969* (New York : Holt, Rinehart and Winston, 1971), p. 290; Nutting Ibid., p. 344, and Mohammed Hasanayn Heikal, *Nasser: The Cairo Documents* (London: New English Library, 1972), p. 202.

الذي عقده مع السفير بادو بعد اغتيال كينيدي أكد له السفير أن الادارة الجديدة ستتخذ سياسة متوازنة في المنطقة وستحافظ على العلاقات مع مصر في سياقٍ من «الواقعية المطلقة»[٥]. كذلك بعث جونسون برسالة الى الزعيم المصري يقترح فيها أن يستمر الرئيسان في تبادل الآراء الصريحة كما كان الأمر في المراسلات التي كانت تجري بين كينيدي وعبد الناصر، وشدد في رسالته على مواصلة النهج الأمريكي تجاه الوطن العربي[٦]. الى هذا، ورداً على مخاوف عبد الناصر قام وزير الخارجية الأمريكية دين راسك بإخبار المسؤولين المصريين أنه لن يكون هناك قطعاً أي تغيير في سياسة الولايات المتحدة بوجه عام نحو مصر، وعلى الأخص في المجال الاقتصادي. وعلى الرغم من كل هذا ظل عبد الناصر متشككاً، فقد قال لفيليبس تالبوت مساعد وزير الخارجية انه يخشى أن تكون الولايات المتحدة في حالة تحول الى سياسة دعم لاسرائيل على نحو أكثر نشاطاً من ذي قبل[٧].

شاطر الدبلوماسيون الأمريكيون في المنطقة بعضاً من التصورات المصرية للادارة الجديدة. ان عدداً من سفراء الولايات المتحدة في عواصم عربية مختلفة قد أعربوا عن قلقهم بشأن عدم تحسس جونسون بالقضايا العربية وميله نحو اسرائيل، وجادلوا بالقول ان تصريحات جونسون وأعماله قد أقنعت العرب بأن «سياسات كينيدي المتنورة قد تراجعت وأفسحت المجال لسياسات أخرى موالية لإسرائيل شبيهة بسياسات ترومان». وقد تساءل السفراء هل كان جونسون يتفهم التآكل الجاري في النفوذ الأمريكي في المنطقة وما قد ينشأ عن ذلك من رد فعل ضار بمصالح الولايات المتحدة في العالم العربي، وطالبوا بتوخي أقصى درجات ضبط النفس في البيانات السياسية التي تصدر عن الادارة الأمريكية بشأن الشرق الأوسط في الأشهر القادمة[٨].

لم يكن القلق لدى سفراء أمريكا بشأن وجهة العلاقات الأمريكية ـ العربية في المستقبل قلقاً لا أساس له. ففي الستينيات اختلف الأمر عما كان عليه في العقد الذي سبقه اذ برزت قضية اسرائيل كإحدى القضايا المهيمنة في العلاقات بين البلدان العربية وبينها وبين الدولتين العظميين. لم يقتصر الأمر على تأجيل الخصومات العربية ـ العربية وتقديم الصراع العربي ـ الاسرائيلي عليها، وإنما أصبحت اسرائيل نفسها جزءاً من الحرب الباردة العربية. وهكذا أخذ موقف جونسون الموالي لإسرائيل يؤثر سلباً في آراء العرب في ادارته فيسبب الامتعاض لديهم، الأمر الذي ينعكس على علاقاتهم مع الولايات

(٥) «Cairo to Secretary of State, No. 1490, 7 January 1964,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969,* reel 8.

(٦) «Cairo to Secretary of State, No. 1995, 4 March 1964,» in: Ibid.

(٧) «Department of State to Talbot (London), No. 5513, 2 March 1964,» and «CIA: Intelligence Information Cable, Country: UAR - Libya, No. 37807, 8 March 1964,» in: Ibid.

(٨) «London to Secretary of State, No. 4713, 25 March 1964,» in: Ibid.

المتحدة. وفي خطاب ألقاه عبد الناصر في شهر شباط /فبراير ١٩٦٤ وجّه فيه انتقاده ـ للمرة الأولى منذ سنين ـ لنهج الولايات المتحدة حيال الصراع العربي ـ الاسرائيلي متهماً الادارة الجديدة بالازدواجية والمعاداة للقضية العربية قائلاً ان السياسة الأمريكية في دعمها العام لاسرائيل لم تتغير كثيراً منذ عام ١٩٤٨. ثم دعا في خطابه الى جلاء القوات الغربية فوراً عن القواعد العسكرية في قبرص وليبيا، وحث كذلك الحكومة الليبية على الأخص على غلق القواعد الموجودة على أراضيها لأنها تمثل بنظره تهديداً للمصالح العربية. ما إن ألقى عبد الناصر ذلك الخطاب حتى طالب المتظاهرون في ليبيا بإزالة القواعد الأجنبية من بلادهم(٩).

إن الأمور المذكورة آنفاً قد أظهرت اسرائيل كقضية جوهرية في العلاقة بين الغرب وبين البلدان العربية في الستينيات. وبالنظر الى تعاطف جونسون مع اسرائيل كانت النتيجة إلحاق التوتر الملتهب بالعلاقات العربية ـ الأمريكية وبالتالي تقليل القدرة على المقاومة لدى الأطراف الفاعلة في المنطقة إزاء الدولتين العظميين. ان هذا القول ينسجم مع احدى الفرضيات التي يطرحها هذا الكتاب. ومفادها أن جو الريبة السائد بين البلدان العربية والغربية جعل الأولى أكثر اعتماداً على عون الاتحاد السوفياتي وحسن نيته. ان هذا الاعتماد قد قيد حرية البلدان العربية في العمل وأضعف مركزها التفاوضي.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن تلك الأمور دلت على وجود مشاعر قومية قوية كان عبد الناصر يطلق لها العنان ضد خصومه في الداخل والخارج، كما أنها أظهرت وجود روابط بين البلدان العربية وهشاشة حدودها والقدرة على اختراقها. هذه الروابط تفسر مقدرة الحكام العرب على مخاطبة المواطنين عبر الحدود باسم العروبة ووحدتها. كان واضحاً في خطابهم بأن الدولة العربية الواحدة ذات السيادة تمثل في تعددها الداخلي شيئاً يتعارض مع منطق الوحدة.

ان القدرة على اختراق الحرمة الداخلية للدول العربية قد زادت من مخاوف النخبات الحاكمة فيها ومن شعورها بعدم الاطمئنان. لذا فإن الرغبة بالبقاء السياسي قد ألجأت الزعماء العرب الى المشاركة بنشاط في سياسات المنطقة. ان العزلة ترَف لا قبل للساسة العرب به. إن أحسن ما يمكن أن توصف به السياسات العربية هو أنها عمل من أعمال التوازن المستمر. لقد جرى إنشاء تحالفات عربية لا تعد ولا تحصى بشكل سريع ومعظمها ذات طبيعة تكتيكية وتتسم بالمصلحة الذاتية، ثم انهارت بشكل سريع أيضاً. كان الحكام العرب يستعملون الوسائل التي في حوزتهم كافة لوقاية سلطتهم الشخصية وتفعيلها وزيادتها بصرف النظر عن ردود الفعل الناجمة عن ذلك والمؤثرة في استقرار المنظومة الفرعية الخاصة بدولهم. ان هذا النمط من السلوك يفسر استمرار الحرب الباردة العربية

---

(٩) مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، فبراير ١٩٦٢ الى يوليو ١٩٦٤، ج ٤ (القاهرة: مصلحة الاستعلامات، [د. ت.])، ص ٥٢٧ ـ ٥٣٠.

وشدتها في الخمسينات والستينيات. بيد أن السياسيين العرب وجدوا من الضروري لهم تمويه سعيهم وراء المصالح القطرية وذلك باستخدام شعارات الوحدة العربية وأفكارها. وهكذا يتم تفسير الهوة الكبيرة بين الأقوال والواقع في السياسة العربية.

استدلت وزارة الخارجية الأمريكية من هجوم عبد الناصر على سياسة الولايات المتحدة، ولا سيما دعوته الموجهة الى ليبيا لإزالة القواعد الغربية، على أن مسألة اسرائيل لم تعد مجمدة، فأرسل الوزير راسك الى السفير بادو تعليمات توصيه بأن يوضح الى الزعيم المصري أن تدخله في منطقة ذات تأثير في المصالح الأمنية للولايات المتحدة من شأنه أن يزيد الطين بلة في علاقات الطرفين المتوترة أصلاً، وعليه ستكون الحكومة الأمريكية أقل ميلاً لتوسيع ميادين التعاون مع مصر ـ وفي هذا القول تهديد ضمني بإيقاف المساعدات الاقتصادية[١٠].

كانت هناك قضية خلافية أخرى هي الصراع اليمني وتزايد التدخل المصري فيه. عبّر عبد الناصر عن الاحباط الذي يشعر به بشأن حالة الاستعصاء العسكري في اليمن وذلك بشن حملة شاملة ضد المصالح البريطانية في عدن والخليج. أما في ما يتعلق باليمن فقد حلت بريطانيا محل الولايات المتحدة بوصفها الشرير الأكبر فهي تُنتقد بشدة على الدوام. وقام المسؤولون الأمريكيون بإخبار نظرائهم المصريين أن تشجيع عبد الناصر شن الهجمات على المواقع البريطانية في عدن قد يضيف الى التوتر القائم بين واشنطن والقاهرة[١١]. كان لديالكتيك العلاقة المصرية ـ البريطانية في شبه الجزيرة العربية أثر سلبي وضار في العلاقات الأمريكية ـ المصرية. واستطاعت بريطانيا أن تقنع حكومة الولايات المتحدة بالحاجة الى منع انتشار النفوذ المصري في شبه الجزيرة. هذا وعلى الرغم من وجود التنافس بين المصالح الأمريكية والبريطانية في الخليج، فمن غير الممكن في التحليل النهائي أن تتيح الولايات المتحدة المجال لمصر لتعرّض وضع الغرب هناك الى الخطر.

وسواء كان السبب الذي أثر في قرار ادارة جونسون هو مواقف مصر نحو اسرائيل واليمن والقواعد العسكرية الغربية، أو سجل تصويتها في الأمم المتحدة، فإن الادارة المذكورة اختارت على أية حال أن تمارس ضغطاً مباشراً على مصر بالتهديد بإيقاف المساعدات الأمريكية وكانت الحاجة شديدة إليها. ورأى عبد الناصر في استقالة السفير

---

(١٠) «Department of State to Embassy Cairo, No. 4292, 17 March 1964,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969*, reel 7.

(١١) «Cairo to Secretary of State, No. 2660, 11 May 1964»; «Cairo to Secretary of State, No. 2585, 3 May 1964,» and «Cairo to Secretary of State, No. 2586, 4 May 1964,» in: Ibid., and **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، فبراير ١٩٦٢ الى يوليو ١٩٦٤**، ج ٤، خاصة بداية عام ١٩٦٤.

بادو دليلاً آخر على عزم جونسون على قطع رابطة مهمة مع مصر، فقد كان زعماؤها يفضلون بقاء بادو في عاصمتهم ويعتبرونه صديقاً لبلادهم(١٢). ووعى عبد الناصر الرسالة: انه لن يستطيع التعويل بعد الآن على مثل ما كان يبديه كينيدي من كرم وتفهّم. ان ادارة جونسون أخذت تنتهج نهجاً مختلفاً حيال الوطن العربي لا يقوم على أساس تبادل الأفكار بل على الضغوط الاقتصادية والسياسية. كان الرئيس جونسون فعالاً في مساعيه لاستخدام المساعدات الاقتصادية كسلاح سياسي. لقد قام، على سبيل المثال، بعد ثلاثة أيام فقط من وفاة كينيدي، بتحذير وزير خارجية باكستان بأن استمرار التعاطف مع الصين الشيوعية قد يؤدي الى قطع المساعدات الأمريكية المرسلة الى بلاده. وكما قال أحد مسؤولي وكالة التنمية الدولية في ما بعد فإن جونسون «أراد أن يحصر أولئك الكذا والكيت في العالم الثالث حصراً شديداً»(١٣).

كان جونسون ناقماً من جراء ما يقوم به عبد الناصر من دور ناشط على صعيد الصراع العربي ـ الاسرائيلي، ومن اعتماده المتزايد على الاتحاد السوفياتي في الميدانين الاقتصادي والعسكري، ومن حملاته المتكررة على المصالح الغربية في الوطن العربي وافريقيا، ولهذا بعث له برسالة واضحة لا غموض فيها مفادها أن الولايات المتحدة ستوقف أو تخفض تعهدها بتزويد مصر بمعونات غذائية على مدى ثلاث سنوات. كان ذلك أمراً مقلقاً جداً لعبد الناصر اذ كانت مصر تعاني مصاعب اقتصادية شديدة في عام ١٩٦٤، ولم يكن غريباً أن يعتبر المسؤولون المصريون ادارة جونسون الجديدة خطراً يتهدد الأمن القومي المصري(١٤).

لكن عبد الناصر لم يكن من النمط الذي ينحني للعاصفة حتى تمر. وكما ذكر السفير بادو في تقاريره فإن الزعيم المصري كان قد أظهر في الماضي أنه لا يتراجع تحت ضغط من دولة كبرى، حتى ان كان في ذلك مغامرة لخوض حرب. وقد أثبتت أزمة السويس أنه مغامر عنيد، وهو الآن مستعد مرة أخرى للمغامرة بما هو أكبر. لجأ عبد الناصر على عادته الى استخدام مكبرات الصوت لاستثارة الناس محذراً الرئيس الأمريكي ألاّ يقلل من قوة مصر ومن شأن ارادتها للدفاع عن مصالحها. قال ان مصر لن تستسلم للابتزاز الاقتصادي فكل فرد مصري هو على استعداد لأكل نصف رغيف من الخبز بدلاً من رغيف كامل ما يجعل من استيراد القمح من الولايات المتحدة أمراً غير ضروري. وأعلن

(١٢) قال بادو إنه استقال من منصبه ليتولى وظيفة تدريسية في جامعة كولومبيا. رأت الزعامة المصرية في تفسيره مجرد ذريعة لإخفاء خلافه مع جونسون بشأن سياسته الجديدة نحو الوطن العربي. انظر: هيكل، **سنوات الغليان**، ج ١، ص ٧٨٤.

(١٣) نقلاً عن: Burns, *Economic Aid and American Foreign Policy toward Egypt, 1955 - 1981*, pp. 149 - 150.

(١٤) المصدر نفسه، ص ١٥٠، ورياض، **مذكرات محمود رياض**، ج ٣، ص ٣٥.

كذلك أنه سينتقم اذا طبقت الولايات المتحدة عقوبات اقتصادية ضد مصر(١٥).

اذا وضعنا الخطب جانباً نجد أن عبد الناصر كان يؤكد مجدداً عنصراً جوهرياً في سياسته الخارجية ألا وهو الاستقلال عن الدولتين العظميين وعدم التبعية لهما. ان الغليان السياسي وعدم الاستقرار اللذين يربكان المنظمة الفرعية العربية لا يمكن فهمهما الا بالتركيز على مساعي عبد الناصر الرامية الى تنظيم مجموعة متماسكة من بلدان عربية تكون متحدة بشأن قضايا عامة في العلاقات الدولية. كان غرضه وضع سياسة عربية مشتركة من شأنها أن تتيح له تسلم مساعدات خارجية، اقتصادية وعسكرية، وتمكنه كذلك من مقاومة ضغوط الدولتين العظميين.

ان الوزن الاقليمي لمصر جعل منها قوة يحسب لها حسابها في المسرح الدولي كما جعلها هدفاً يُبتغى أو قوةً يتعين كبحها بحسب الأحوال. كان نهج الولايات المتحدة حيال مصر في الستينيات يتراوح بين هذين الخطين من التفكير. كان كينيدي قد سار على سياسة ارضاء مع عبد الناصر، أما جونسون فقد كان أكثر ميلاً لممارسة ضغوط مباشرة، سياسية واقتصادية، لتغيير السلوك المصري، كما كان يشدد على اعتماد الإكراه أكثر من اعتماد الاقناع. وبالنظر الى مطامح عبد الناصر في المنطقة ودعاواه في الاستقلالية فإن المواجهة بينه وبين جونسون لم تكن سوى مسألة وقت. وعلى الرغم من جو التشاؤم الذي خيم على عاصمتيهما في ربيع عام ١٩٦٤ لم تصل العلاقات بينهما الى حد القطيعة. لكن معظم الدلائل كانت تشير الى صيف ساخن وشتاء عاصف.

ثانياً: استراتيجية مصر ذات الجبهتين

تحرك عبد الناصر على جبهتين لكي يعزز مركزه الاقليمي والدولي. فعلى الجبهة الأولى الاقليمية نجح في كانون الثاني/يناير ١٩٦٤ في عقد مؤتمر القمة العربية الأول وذلك للرد على تحويل اسرائيل مياه نهر الأردن. كان من أغراض القمة وضع استراتيجية عربية جماعية إزاء اسرائيل من دون التورط بمواجهة عسكرية. وكان الغرض الثاني تجميد التوترات السائدة بين البلدان العربية تجميداً موقتاً وذلك بتركيز الاهتمام على الخطر الخارجي، وهكذا توقفت الحرب الباردة العربية. بيد أن التوقف كان قصير الأجل، ففي ربيع ١٩٦٤ استأنف عبد الناصر والبعث السوري مشاحناتهما العقائدية التي كانت قد هدأت قليلاً. كما أن الحرب الجارية في اليمن أبرزت هشاشة الهدنة المصرية ـ السعودية(١٦).

(١٥) «Cairo to Secretary of State, No. 2585, 3 May 1964,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969,* and

مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، فبراير ١٩٦٢ الى يوليو ١٩٦٤، ج ٤، ص ٥٨٤ ـ ٥٨٥ و٥٨٨.

(١٦) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، فبراير ١٩٦٢ الى يوليو ١٩٦٤**، ج ٤، ص ٥٧٧ ـ ٥٧٩ و٥٨٨ ـ ٥٩١.

كانت السعودية قد ورثت زعامة المعسكر العربي المحافظ بعد سقوط النظام الملكي في العراق في عام ١٩٥٨، وأصبحت بدل العراق المنافس الرئيسي لحملة مصر من أجل الهيمنة على المنطقة والمتحدي الأكبر لها. ان التدخل المصري ـ السعودي في اليمن ينبغي أن ينظر اليه في هذا الضوء. لكن عملية اليمن كانت بالتأكيد باهظة الثمن بالنسبة الى عبد الناصر، لذلك أراد استغلال القمة العربية لتسوية نزاعه مع السعوديين، غير أن الأمير فيصل لم يكن ميالاً لمكافأة عبد الناصر على تدخله العسكري في شبه الجزيرة العربية. على العكس، كان فيصل مصمماً على جعل الوجود المصري في اليمن باهظاً جداً. ان إجراء تسوية سياسية في اليمن بموجب شروط عبد الناصر كانت ستعرض للخطر بقاء الأسرة السعودية في الحكم في المدى الطويل. ان فيصل سيجعل القوات المصرية في القريب العاجل تعاني الهزيمة أو تختار التراجع والانسحاب(١٧).

لم يتزحزح عبد الناصر أمام عناد السعوديين. كان يفهم جيداً الروابط بين الديناميات الاقليمية والدولية والحاجة الى وضع الواحدة في خدمة الأخرى. وكما جرى التأكيد في هذه الدراسة آنفاً فإن الأطراف الفاعلة في المنطقة تتطلع الى الخارج عند الضرورة طلباً للدعم. وقد تحرك الزعيم المصري على الجبهة الثانية الدولية وأخذ يقترب أكثر فأكثر من الاتحاد السوفياتي. ان الذي دفع الى هذا التحول بالدرجة الأولى هو التدهور المطرد في العلاقات الأمريكية ـ المصرية، بالاضافة الى حشد من المشاكل الاقليمية. لقد وجد عبد الناصر في الاتحاد السوفياتي مصدراً بديلاً للمساعدات الاقتصادية والعسكرية وحليفاً قوياً يمكنه الاعتماد عليه(١٨). وكانت مصادقة دولة عظمى صناعية مدعاة لاطمئنان الزعيم المصري، وقد قال ذلك عند زيارة خروتشوف الى مصر في أيار/مايو ١٩٦٤، تلك الزيارة التي مثلت ذروة في العلاقات السوفياتية ـ المصرية، وأنها ينبغي أن ينظر اليها كذلك في السياق الأوسع للسياسات السوفياتية الداخلية والخارجية.

ثالثاً: الأغراض والمصالح السوفياتية

كان خروتشوف بحاجة الى عبد الناصر لكي يسجل نقاط فوز ضد خصومه في الداخل. وكان وضعه الداخلي قلقاً من جراء النكسات الخارجية ومن جراء أسلوبه غير الكفوء في الزعامة مما جعله يتعرض للانتقاد في داخل البلاد. انه كان قد انهمك في

---

(١٧) Saeed M. Badeeb, *The Saudi-Egyptian Conflict over North Yemen, 1962 - 1970* (Boulder, CO: Westview Press, 1986), pp. 54 and 56 - 57, and Mordechai Abir, *Saudi Arabia in the Oil Era: Regime and Elites; Conflict and Collaboration* (London: Croom Helm, 1988), p. 98.

(١٨) محمد حسنين هيكل، **الانفجار، ١٩٦٧**، حرب الثلاثين سنة (القاهرة: مركز الاهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٠)، ج ٣، ص ٦٣.

مناقشات حامية بشأن النزاع الصيني ـ السوفياتي، وأزمة الصواريخ الكوبية، وأزمة برلين، وقضايا عقائدية أخرى. لهذا احتاج خروتشوف كثيراً إحراز إنجازٍ ما في السياسة الخارجية لاستباق منتقديه في الكرملين، وهو بإبرازه الزيارة التي قام بها الى مصر إبرازاً كبيراً كان يرجو كسب الشرعية وتعزيز مركزه المهتز[١٩]. ان في هذا مثلاً آخر على الرابطة بين السياسات السوفياتية الداخلية والدولية.

الى هذا تزامنت تلك الرحلة مع حملة سوفياتية جديدة لخدمة المصالح الاستراتيجية في البلدان النامية. كان خروتشوف في آخر عام ١٩٦٣ يشن «حملة السلام» في عالم عدم الانحياز، وكان هدفه منها تأكيد ما لبلاده من مكانة كدولة عظمى ذات التزامات واهتمامات عالمية. وحدا به اشتداد التخاصم العقائدي بين الصين والاتحاد السوفياتي والخطأ الذي ارتكبه في كوبا الى أن يحاول كسب القاهرة الى جانبه باعتبارها عاصمة العالم الثالث. انه باتخاذه المبادأة في الساحة العربية وبإظهاره أن من المفيد للدول أن تكون من حلفاء الكتلة الاشتراكية كان يرجو التعويض عن إخفاقه في كوبا[٢٠]. وقد عبّر عن تأييده التام لعبد الناصر بمنح مصر قرضاً طويل الأجل بمبلغ ٢٥٥ مليون روبل وبالإنعام على الزعيم المصري وعلى عبد الحكيم عامر بأعلى وسام هو وسام «بطل الاتحاد السوفياتي». اتخذ خروتشوف تلك الاجراءات المهمة من دون التشاور مع زملائه في موسكو ومن دون الالتفات الى التحذيرات التي أرسلها الشيوعيون العرب.

بحلول ذلك الوقت كان الزعماء السوفيات قد وفّقوا بين التناقضات الكامنة في موقفهم نحو العالم النامي، فقد ردمت الهوة القائمة بين العقيدة والمصلحة الوطنية وجاء ذلك الى صالح هذه الأخيرة. وأقلع المسؤولون والمنظرون في الاتحاد السوفياتي عن تقييم التجارب المحلية الجارية في أقطار عدم الانحياز بمعيار الاشتراكية العلمية ومن زاوية معاملة تلك الأقطار للشيوعيين فيها[٢١]. كما أنهم أظهروا تفهماً جديداً للتعقيد في الديناميات والاتجاهات الإقليمية. وتراجعت العقيدة الى ما وراء مقتضيات السلطة والمصلحة. وصار الوضع الاستراتيجي للساحة العربية، وما يصحب ذلك من حاجة البحرية السوفياتية الى الحصول على قواعد لها، هو المقياس الذي تقيس به زعامة الكرملين

---

(١٩) هيلين كارير دانكوس، **السياسة السوفياتية في الشرق الأوسط، ١٩٥٥ ـ ١٩٧٥**، ترجمة عبد الله اسكندر (بيروت: دار الكلمة للنشر، ١٩٨٣)، ص ١١١ و١١٨؛ Karen Dawisha, *Soviet Foreign Policy towards Egypt* (London: Macmillan Press, 1979), p. 31, and Oles M. Smolansky, *The Soviet Union and the Arab East, 1947 - 1957: A Study in Diplomatic Relations,* Modern Middle East Series; 6 (Lewisburg, PA: Bucknell University Press, 1974), pp. 270 and 285.

(٢٠) دانكوس، المصدر نفسه، ص ١١٧ ـ ١١٨، و Smolansky, Ibid., p. 302.

(٢١) *World Marxist Review* (February 1964), p. 22, and Walter Zéev Laqueur, *The Struggle for the Middle East: The Soviet Union and the Middle East, 1958 - 1968* (London: Routledge and Kegan Paul, 1969), p. 70.

أهمية المنطقة. وكانت النتيجة حصول مصالحة بين السوفيات وحركة القومية العربية. وغدت مصر البؤرة الرئيسية للسياسة السوفياتية في العالم النامي. وقد بلغ هذا النهج ذروته بزيارة خروتشوف الى مصر وعروضه الكريمة بتقديم المساعدات والدعم للدور المصري في اليمن[٢٢].

في الوقت عينه أعاد السوفيات تقييم نظرتهم الى سوريا والعراق. فقد أدى ما قام به عبد السلام عارف حين أبعد البعثيين العراقيين عن الحكم في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٣ الى تمهيد السبيل لتحسين العلاقات السوفياتية ـ العراقية. رحبت موسكو بالانقلاب الذي جرى ضد البعث الحاكم، ولاحظ الكرملين بارتياح مساعي عبد السلام عارف للتخفيف من مضايقة الشيوعيين العراقيين ولاتباع سياسة تصالحية تجاه الأكراد[٢٣]. وفي النصف الثاني من عام ١٩٦٤ توصل الاتحاد السوفياتي وسوريا، إظهاراً للمرونة وتوخياً للواقعية، الى تفاهم يرجع الفضل فيه بالدرجة الأولى الى تغيير ملحوظ في الخطاب السياسي لحزب البعث السوري، إذ نادى بتحالف استراتيجي بين التقدميين العرب والقوى الاشتراكية في العالم. وصدرت في سوريا في كانون الثاني/يناير ١٩٦٥ سلسلة من القرارات الاشتراكية دلت بوضوح على وجود توجه يساري في سياستها الخارجية والعربية. الى هذا جرى في آذار/مارس ١٩٦٥ تقديم تقرير سياسي الى المؤتمر القومي لحزب البعث دعا الى انتهاج الاشتراكية والتخلي عن عدم الانحياز في العلاقات الدولية[٢٤].

وعلى الرغم من عدم توفر الثقة فقد استقبل المسؤولون السوفيات مبادرات البعثيين استقبالاً حسناً. كان من السهل على زعماء الكرملين إيجاد المبررات النظرية فأخذوا يميزون بين أجنحة الحزب. لقد أثنوا على اجراءات التأميم بصفتها برهاناً على صعود اليسار في دمشق[٢٥]. كانت محنة الشيوعيين السوريين أقل أهمية من الحاجات الاستراتيجية

(٢٢) *New Times* (19 May 1964), pp. 1 - 3; Laqueur, Ibid., p. 70, and
دانكوس، المصدر نفسه، ص ١٠١ ـ ١١١ و١١٦ ـ ١١٨.

(٢٣) *New Times:* (15 January 1964), p. 38; (21 August 1963), p. 7, and (27 November 1964), pp. 6 - 7; Smolansky, *The Soviet Union and the Arab East, 1947 - 1957: A Study in Diplomatic Relations,* pp. 240 - 245, and
دانكوس، المصدر نفسه، ص ١١٢.

(٢٤) حزب البعث العربي الاشتراكي، **نضال البعث: القيادة القومية، ١٩٦٣ ـ ١٩٦٦، من ثورة رمضان وآذار الى ٢٣ شباط ١٩٦٦**، ج ١٠ (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧١)، ص ١٩٦، و
Itamar Rabinovich, *Syria under the Ba'th, 1963 - 1966: The Army Party Symbiosis* (Jerusalem: Israel Universities Press, 1972), pp. 143 - 144.

(٢٥) Smolansky, Ibid., pp. 256 - 262; Rabinovich, Ibid., pp. 144 - 145, and
دانكوس، المصدر نفسه، ص ١١٢.

والمادية للدولة السوفياتية، فتراجع أمر التشديد على مسألة العقيدة. أما العلامة الأخرى للواقعية السوفياتية فقد تجلت بإنشاء علاقات دبلوماسية كاملة مع الأردن في عام ١٩٦٣.

بيد أن السوفيات والقوميين العرب لم يكونوا متفقين في الرأي بشأن ما يجري في العالم، اذ إن توافقهم الجديد كان محصوراً في طبيعته بتلاقي المصالح المتبادلة. وقد علق المسؤولون الأمريكيون على زيارة خروتشوف الى مصر بالقول إن التحالف بين القوميين الوحدويين العرب والشيوعية السوفياتية هو تحالف مصلحة لا يدوم إلا اذا دام اتفاق الأغراض(٢٦). كانوا في ذلك يستندون الى الخلاف الذي حدث علناً بين خروتشوف وعبد الناصر بشأن مفهوم الوحدة العربية.

كان خروتشوف قد عرّض في احدى خطبه التي ألقاها في مصر بالوحدة العربية قائلاً انها عبارة عن مفهوم عابر لأنها تقوم على روابط عنصرية لا على عقيدة، فرد عليه عبد الناصر قائلاً ان الوحدة العربية ليست عنصرية بل هي حركة قومية تربطها روابط الثقافة والروح والتاريخ. ولم يسكت الزعيم السوفياتي فقد أجاب بدعوى أن الماركسية تمثل مثلاً أعلى وأوسع لأنها ليست محدودة بإطار قومي، بل تهدف الى توحيد الطبقات العاملة في العالم(٢٧). ان أهمية هذه المساجلة الصريحة تكمن في حقيقة مفادها أن الرئيس المصري كان قادراً، ومستعداً للوقوف بوجه رئيس دولة عظمى إثباتاً لاستقلاليته، من دون أن يرهبه أو يثنيه رد الفعل المحتمل من هذه الدولة الصديقة. ان هذا التصرف يدل على أن قدرة الدول الكبرى على التأثير في أعمال حلفائها في المنطقة، ناهيك عن السيطرة عليها، هي قدرة محدودة، وأن دول المنطقة لم تكن خاضعة للقوى العظمى لا بل كانت مستعدة تماماً لتحديها كلما وجدت أن مصالحها الأساسية صارت على المحك.

مثلاً، ان وضع سياسة خارجية مستقلة كان بالنسبة الى عبد الناصر مسألة مركزية في رئاسته، وهذا يفسر الى حدٍ كبير دعوته الملحاحة لتوحيد صفوف العرب حيال العالم الخارجي واصطدامه مع الدول الكبرى الرئيسية. ان كونه زعيماً لحركة القومية العربية قد أعطاه قدراً من حرية العمل في الخارج ورفع من مكانته ووزنه في العالم. وقد رأت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي معاً في مصر عصب الوطن العربي ومفتاحه، وينبغي النظر الى مبادرات خروتشوف الكريمة الى عبد الناصر في هذا الضوء.

لقد اعترفت حتى وكالة المخابرات المركزية بقدرة عبد الناصر على اجبار خروتشوف على احترام مصالحه في الشرق الأوسط وافريقيا. ففي تقرير سري لها عن زيارة الزعيم

---

(٢٦) «Department of State to Joint State /USIA, Subject: Khrushchev Visit to UAR, No. 2210, 27 May 1964,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969*, reel 7.

(٢٧) المصدر نفسه، ومجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، فبراير ١٩٦٢ الى يوليو ١٩٦٤، ج ٤، ص ٦٠٩ ـ ٦١١.

السوفياتي جاء أن السياسة السوفياتية نحو مصر قد عكست تفهماً مرضياً لوضع الزعيم المصري بصفته قوة سياسية مستقلة ذات أهداف مشروعة يضعها عبد الناصر لنفسه. وعلى الرغم من أن الرئيس المصري هو الذي كان قد دعا الاتحاد السوفياتي لتثبيت وجود له في المنطقة في عام ١٩٥٥ الا أنه قيد كذلك تنامي النفوذ السوفياتي فيها، كما ورد في التقرير المذكور(٢٨).

اتفق السفير بادو مع استنتاجات الوكالة المذكورة، ففي تحليله للبيان السوفياتي - المصري المشترك قال إن المصريين نجحوا ليس فقط في استبعاد استخدام لغة متطرفة فيه وإنما كذلك في التمسك بقوة بمواقفهم المعلنة سابقاً. وقد أخبر عبد الناصر الحكومة الأمريكية بأن زيارة خروتشوف لم تسفر عن تغييرات جوهرية في سياسة مصر الخاصة بعدم الانحياز ولا في قدرتها على السيطرة على النشاط السوفياتي فيها(٢٩). وعلى الرغم من هذه التأكيدات أمرت ادارة جونسون بتأخير إرسال المساعدات الأمريكية الى مصر وذلك لتبيان موقفها.

أقنعت زيارة خروتشوف بعض أعضاء الحكومة الأمريكية المتنفذين بأن الزعيم المصري قد أصبح «من أتباع الكرملين» في حملة الاتحاد السوفياتي للسيطرة على مصادر النفط في الشرق الأوسط(٣٠). وفي أواخر عام ١٩٦٤ صار هذا الرأي مسيطراً في الدوائر السياسية في الولايات المتحدة، فبدا الصدام بين واشنطن والقاهرة أمراً محتماً. ان الخشية من تحقق هذه الامكانية قد حدت عبد الناصر الى بناء صلات أوثق بموسكو، وقال وهو يستذكر تلك الزيارة: «كان من الضروري اكتساب صديق قوي في هذا العالم المتغير والمحفوف بالمخاطر». كان أهم إنجاز للزيارة بنظر عبد الناصر أنها جعلت العلاقات السوفياتية - المصرية تقوم على فهم كل طرف لموقف الطرف الآخر فهماً جديداً وسليماً. ان هذا سيعزز موقفه ازاء جونسون وكذلك ازاء البلدان العربية المحافظة التقليدية، ولا سيما السعودية(٣١).

---

(٢٨) «CIA, Office of Current Intelligence, Secret Report: The Soviet Union and Egypt, No. 00618/64A, 8 May 1964,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969,* reel 8.

(٢٩) «Cairo to Secretary of State, No. 2836, 25 May 1964 [two sections],» and «Embassy London to Secretary of State, Washington, 29 May 1964,» in: Ibid., reel 7.

(٣٠) «Thomas C. Sorensen, Deputy Director (Policy and Planning), to Robert Komer, the White House, Subject: USG Reaction to Nasser-Khrushchev Communique, 25 May 1964,» in: Ibid., reel 8.

انظر أيضاً تصريح السناتور إرنست غرونينغ في: *Middle East Journal,* vol. 18, no. 3 (Summer 1964), p. 349.

(٣١) هيكل، **الانفجار، ١٩٦٧**، ج ٣، ص ٦٣، ٦٦ و٧٣.

هذا وبنظر عبد الناصر وآخرين من القوميين العرب كان خروتشوف عنصراً مهماً في هذه المعادلة وقد لعب دوراً حاسماً في توسيع الصلات الاقتصادية والسياسية والعسكرية مع البلدان النامية. وكانت مصر المدخل للنفوذ السوفياتي، وكان ينظر الى خروتشوف على أنه «صديق وحليف» للعرب، وجاء تأييده لهم في المسرح الدولي ليؤكد تصورات القوميين. وقد قدر عبد الناصر على الأخص كرم خروتشوف نحو مصر أعمق تقدير، لذا فقد صدمه عزله في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٤ وشعر بالقلق لئلا يغير زعماء الكرملين الجدد من نهجهم المتعاطف مع الوطن العربي(٣٢).

وقد تزايدت مخاوف المصريين بفعل اشاعات كانت توحي بأن الاطاحة بخروتشوف متصلة بسياسته في المنطقة. أرسل قائد الجيش المصري عبد الحكيم عامر الى موسكو في شهر تشرين الثاني/نوفمبر لجس النبض والتحقق من آراء القادة الجدد. كان المسؤولون السوفيات يدركون ما يقلق المصريين ويشغل خواطرهم فحاولوا تبديد ذلك بتطمين عبد الحكيم عامر بأن العلاقات بين الاتحاد السوفياتي والجمهورية العربية المتحدة تقوم على اعتبارات استراتيجية لا على نزوات الأفراد. وقام رئيس الوزراء السوفياتي أليكسي كوسيغين بإخبار قائد الجيش المصري بصراحة أن الانقلاب الذي حدث في موسكو لا علاقة له من قريب أو بعيد بكرم خروتشوف نحو مصر، وذهب الى أبعد من ذلك بأن قطع وعداً ليس فقط بالمحافظة على تدفق المساعدات الاقتصادية العسكرية الى مصر وإنما بزيادتها أيضاً(٣٣).

لم تفلح هذه التطمينات في تبديد المخاوف المصرية. وحين استمع عبد الناصر الى تقرير عبد الحكيم عامر عن رحلته الى موسكو انبرى الى القول ان التجربة البلشفية كانت منذ البداية تجربة خاطئة، وجادل قائلاً ان الطريقة التي تم بها طرد خروتشوف ومن ثم إلحاق الخزي به يثير مسائل متعددة بشأن مصداقية النظام السياسي السوفياتي. وكان من رأيه أن الصراع على السلطة في موسكو يتقدم على القضايا الأخرى كلها، بما فيها العقيدة. ان تأويل عبد الناصر قد جعل مساعديه أكثر تخوفاً بشأن مقاصد السياسة الخارجية لدى آخرين خلفوا خروتشوف في الحكم. ووقع اقتراح مفاده أن زيارة يقوم بها

---

(٣٢) Dawisha, *Soviet Foreign Policy towards Egypt*, p. 33; Riad Najib El-Rayyes and Dunia Nahas, eds., *The Dragon and the Bear: A Study of Communist Involvement in the Arab World* (Beirut: An-Nahar Arab Report Research Staff, 1973), p. 40, and Mohammed Hasanayn Heikal, *Sphinx and Commissar: The Rise and Fall of Soviet Influence in the Arab World* (London: Collins; New York: Harper, 1978), pp. 138 - 139.

(٣٣) *Pravda*, 21/10/1964; Dawisha, Ibid., p. 33;

دانكوس، **السياسة السوفياتية في الشرق الأوسط، ١٩٥٥ ـ ١٩٧٥**، ص ١١٢، وهيكل، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٧٧ ـ ٧٨ و٨٠ ـ ٨٢.

عبد الناصر الى موسكو ستتيح الفرصة لكلا الطرفين لكي يتعرف أحدهما الى الآخر ولبناء الثقة بينهما(٣٤).

غادر عبد الناصر جواً الى موسكو في آب/أغسطس ١٩٦٥، وقام صناع القرار في الاتحاد السوفياتي بما وسعهم لتبديد قلق الزائر، مؤكدين له أن سياستهم نحو مصر والوطن العربي على العموم لن تتغير. أما على الجانب العملي فقد تم إبلاغ الزعيم المصري أن الكرملين قد وافق على تزويد مصر بالأسلحة التي طلبها عبد الحكيم عامر خلال زيارته في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٤. ولإظهار حسن نيتهم ألغوا قرضاً تدين به مصر قدره ٥٠٠ مليون روبل مكافأة لها على دعمها لحركات التحرر الوطني. غير أن أهمية الزيارة تكمن في التواصل الشخصي الذي أقيم بين عبد الناصر والزعماء الجدد في الكرملين وفي تدشين علاقة حميمة بين القطرين دامت حتى حرب حزيران ١٩٦٧(٣٥).

ما هي القوة الدافعة التي كانت وراء النهج السوفياتي حيال الوطن العربي؟ ولماذا استمر الحكم الذي أعقب خروتشوف في اعتبار مصر محور سياسته في عالم عدم الانحياز؟ وما الذي فسر الرعب الذي أصاب عبد الناصر بعد الاطاحة بخروتشوف؟ ولماذا هرع عبد الناصر الى بناء الجسور مع الزعامة الجديدة في موسكو؟ كانت الحرب الباردة في ذروتها في منتصف الستينيات، واهتمامات السوفيات العالمية يهيمن عليها تخاصمها مع الولايات المتحدة، كذلك فإن ما قام به الاتحاد السوفياتي في العالم الثالث ينبغي أن يفهم ضمن صراع الشرق والغرب. وبالنظر الى الوضع القوي الذي كانت مصر تتمتع به في المنظومة الفرعية العربية وبصفتها زعيمة لحركة عدم الانحياز فقد اتُخذت بوابة للنفوذ الروسي في المنطقة وخدمت غرضاً نافعاً في استراتيجية الكرملين العامة. كان عبد الناصر كذلك عاملاً مهماً في هذه الاستراتيجية بالنظر الى ما يتمتع به من جاذبية الزعامة (الكاريزما) وإلى اتجاهه المناهض للغرب.

ان هذا مثل آخر على تأثير العلاقات بين الدولتين العظميين في علاقاتهما مع البلدان العربية. كان التخاصم قد اشتد في الستينيات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي مما جعل هذا الأخير يتهالك للحصول على تأييد دول العالم الثالث الذي كانت مصر لاعباً مركزياً فيه. ومع أن علاقة موسكو بكل من دمشق وبغداد كانت قد تحسنت كثيراً في نهاية عام ١٩٦٤ غير أن قادة الكرملين الجدد كانوا يعرفون جيداً تاريخ عدم الاستقرار السياسي في سوريا والعراق والتقلقل الذي يحف بنظام الحكم فيهما. وعلى

---

(٣٤) هيكل، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٨٣ ـ ٨٤ و٩٣، و Heikal, Ibid., pp. 139 and 147.

(٣٥) Jaan Pennar, *The U.S.S.R. and the Arabs: The Ideological Dimension* (London: Hurst, 1973), pp. 75 - 76; Laqueur, *The Struggle for the Middle East: The Soviet Union and the Middle East, 1958 - 1968*, pp. 72 - 73; Dawisha, Ibid., pp. 34 - 35; Heikal, Ibid., p. 147, and هيكل، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٩٣ ـ ٩٥.

الضد من هذا كان في مصر هيكل سياسي مستقر نسبياً وذو مؤسسات، وكانت قد استطاعت بعد الاطاحة بالملك فاروق في عام ١٩٥٢ أن تتجنب الصدمات والفورات التي هزت النسيج الاجتماعي لمجتمعات عربية أخرى من الأعماق. وعلى الرغم من انتقاد خلفاء خروتشوف لسياسة مصر الصدامية والتوسعية في العالم النامي، فإنهم كانوا يقدرون مبدأ أهميتها السياسية والاستراتيجية.

وتزايدت أهمية مصر بالنسبة الى السوفيات كثيراً بعد تنحية الرئيس الجزائري أحمد بن بلّا عن الحكم في عام ١٩٦٥ وكان من حلفاء الاتحاد السوفياتي المقربين. وفي خلال النصف الثاني من الستينيات كانت حركة التحرر الوطني في حالة تراجع، وأخذت الدول الغربية تسترد ما كسبه الاتحاد السوفياتي في افريقيا وآسيا. بيد أن التطورات في الساحة العربية كانت تبدو واعدة، فقد ظلت مصر والجزائر وسوريا والعراق واليمن، على الرغم من مضايقتها للشيوعيين العرب واستبعادهم من سدة الحكم، تتطلع نحو الكرملين طلباً للمساعدات وتقف الى جانب الاتحاد السوفياتي في قضايا عالمية كبيرة. إن هذه العوامل مجتمعةً قد شجعت زعامة الكرملين على الحفاظ على تحالفها مع مصر وتعزيز ذلك التحالف[٣٦].

رابعاً: شرارة الحرب الباردة العربية توقد من جديد

جاء استبدال خروتشوف في أسوأ وقت ممكن بالنسبة الى عبد الناصر، فقد كانت مصر تعاني في نهاية عام ١٩٦٤ مصاعب اقتصادية خطيرة. كان الوضع، على حد قول السادات، «بائساً». ان التضخم الحاد وما رافقه من نقص في العملة النادرة وشح في السلع الاستهلاكية قد وضعت قدرة النظام على تلبية الحاجات الداخلية موضع التساؤل. الى هذا كانت البيئة الاقليمية والدولية تنذر بالخطر. وأسفرت القمة العربية الثانية التي انعقد مؤتمرها في مصر في أيلول/سبتمبر ١٩٦٤ عن انقسامات عميقة في الصفوف العربية[٣٧].

---

(٣٦) Smolansky, *The Soviet Union and the Arab East, 1947 - 1957: A Study in Diplomatic Relations,* pp. 291 and 303; Dawisha, Ibid., pp. 35 and 155 - 157; El-Rayyes and Nahas, eds., *The Dragon and the Bear: A Study of Communist Involvement in the Arab World,* pp. 41-42; Laqueur, Ibid., pp. 77 - 78; Tom Little, *Modern Egypt,* Nations of the Modern World (London: Ernest Benn, 1967), pp. 330 - 331, and

دانكوس، **السياسة السوفياتية في الشرق الأوسط، ١٩٥٥ ـ ١٩٧٥**، ص ١١٣ ـ ١١٤ و١١٦ ـ ١١٧.

(٣٧) Anwar El-Sadat, *In Search of Identity: An Autobiography* (London: Collins, 1978), p. 163; Heikal, Ibid., p. 148, and

أحمد، **الدور المصري في اليمن، ١٩٦٢ ـ ١٩٦٧**، ص ٣٣٠ ـ ٣٣١.

على الرغم مما ورد في بيان القمة الختامي من كلام براق فإن الحكام العرب أخفقوا في الاتفاق على سياسة دفاعية جماعية، ولم يستطيعوا أن يجعلوا ما يسمى بالقيادة العربية الموحدة قيادة ذات بأس، اذ لم يكن الأردن ولا لبنان على استعداد للموافقة مسبقاً على أن تعسكر قوات عربية في أراضيهما. لم يكن أي بلد عربي باستثناء مصر ملتزماً بواقع القيادة العربية الموحدة، فقد تسبب التخاصم الطويل بين البلدان العربية بالشك والحذر، ما استبعد قيام أي تعاون عسكري ذي معنى بين أنظمة الحكم العربية. كانت هناك هوة سحيقة قائمة بين النظرية والتطبيق في السياسات العربية[٣٨].

وأخفقت تلك القمة أيضاً في حل المشكلة اليمنية. دعا أمين الحافظ رئيس الجمهورية السورية الى مواجهة مع اسرائيل واتخاذ خط متشدد مع الغرب، فلم يلب الدعوة أحد من المؤتمرين. وأضاف انشاء منظمة التحرير الفلسطينية في عام ١٩٦٤ لاعباً جديداً على الصعيد الاقليمي ما سبّب تعقيداً على تعقيد في السياسات العربية. ومع أن المنظمة هي نتاج المنظومة الفرعية العربية غير أنها، بشنها غارات مسلحة في داخل اسرائيل في أوائل عام ١٩٦٥ قد اضطرت البلدان العربية الى مزيد من التدخل في ما يجري على المسرح العربي ـ الاسرائيلي. وأضحت القضية الفلسطينية متشابكة في خيوط الحرب الباردة العربية وكانت تتصاعد حدتها بشكل خطير يفلت من اليد[٣٩].

في ذلك الوقت كانت المنظومة الفرعية العربية في حالة تسيب، فسوريا ليست على وفاق مع مصر والعراق معاً، والعراق ينأى بنفسه عن مصر، والسعودية تريد أن تثبت وجودها في السياسات الداخلية والخارجية. وأدت الثروة المتنامية في السعودية الى تمكين فيصل من مهادنة معارضيه في الداخل وإلى قيامه بدور ناشط في سياسات المنطقة بإنشاء المؤتمر الاسلامي العالمي، وكان الغرض منه موازنة العقيدة العلمانية للوحدة العربية التي ينادي بها عبد الناصر. حصل فيصل كذلك على تعهد أمريكي ببناء القوات المسلحة

---

(٣٨) أحمد الشقيري، **على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء** (بيروت: دار العودة، ١٩٧٢)، ص ١٧ ـ ١٨؛ شارل حلو، **مذكراتي ١٩٦٤/ ١٩٦٥** (عاريا، لبنان: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٨٤)، ص ٤٦، و «Cairo to Department of State, No. 884, 12 September 1964 [sections 1 and 2 of 3],» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969*, reel 8.

(٣٩) Egypt, Ministry of Information, *The Second Arab Summit Conference, 1964: Documents* (Cairo: Information Department, 1964), pp. 23 - 27; Walter Zéev Laqueur, *The Road to War, 1967: The Origins of the Arab-Israel Conflict* (London: Weidenfeld and Nicolson, 1968), pp. 54 - 55;

أحمد الشقيري، **من القمة الى الهزيمة مع الملوك والرؤساء** (بيروت: دار العودة، [١٩٧١])، ص ٤١ ـ ٤٨، ومحمود رياض، **مذكرات محمود رياض** (بيروت: دار المستقبل العربي، ١٩٨٦)، ج ٢: **الأمن العربي بين الانجاز والفشل**، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٧.

السعودية. وفي عام ١٩٦٥ جرى التوقيع على صفقة مساعدات عسكرية، أمريكية - بريطانية، مع المملكة(٤٠).

لقد حصل عبد الناصر على فائدة سياسية كبيرة من القمة الثانية. هذا ومع أنه كان يستطيع إيقاف أي تحرك معادٍ ضده بواسطة بلدان عربية أخرى، إلا أنه لم يكن يستطيع السيطرة على أعمال هذه البلدان. واستخدمت الأطراف الفاعلة في المنطقة أساليب عبد الناصر للمحافظة على حريتها في المناورة، وكانت تتطلع الى الشرق والغرب كليهما لموازنة الضغوط المصرية. وكان عبد الكريم قاسم يعتمد على الاتحاد السوفياتي للحصول على المساعدات. أما فيصل فكان يعوّل على خدمات الولايات المتحدة وبريطانيا لمساعدته في إخراج الجيش المصري من اليمن. كان من الواضح أن العلاقة بين بلدان المنطقة والدول الكبرى كانت معقدة وذات أبعاد متعددة أكثر مما كانت مستكنة وذات هرمية واحدة.

خامساً: أزمة في العلاقات الأمريكية - المصرية

ان اهتمام عبد الناصر بموضوع الاطاحة بخروتشوف لم يكن نابعاً فقط من مسائل إقليمية مجهولة الأبعاد، وإنما من عوامل عالمية كذلك. ففي نهاية عام ١٩٦٤ بلغت العلاقات الأمريكية - المصرية حد الأزمة، وذلك بفعل تطورات متعددة: (١) اعتماد مصر المتزايد على الاتحاد السوفياتي في الميدانين الاقتصادي والعسكري؛ (٢) انشغالها بالصراع العربي - الاسرائيلي؛ (٣) دعمها العسكري والسياسي للثوار في الكونغو؛ (٤) وجودها المسلح في اليمن؛ (٥) إحراق مكتبة كينيدي في القاهرة؛ (٦) إسقاط طائرة مدنية أمريكية في مصر؛ و(٧) التهديدات الاقتصادية الأمريكية الموجهة ضد القاهرة(٤١).

شعرت ادارة جونسون بالحاجة الى إعادة تقييم سياستها في المنطقة. شكك السفير الأمريكي الجديد في القاهرة، لوشيوس باتل، بالطرح القائل بالتبادلية في العلاقات بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة والتي اتخذت أساساً للنهج الذي سار عليه كينيدي نحو مصر. ذكر السفير أن مجالات المصلحة المشتركة بين الدولتين كانت آخذة

---

(٤٠) Nadav Safran, *Saudi Arabia: The Ceaseless Quest for Security* (Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University; Ithaca, NY: Cornell University Press, 1985), p. 119; Abir, *Saudi Arabia in the Oil Era: Regime and Elites; Conflict and Collaboration*, pp. 98 and 109, and Laqueur, Ibid., p. 62.

(٤١) «Cairo to Department of State, No. 2251, 30 December 1964,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969*, reel 8; Heikal, *Sphinx and Commissar: The Rise and Fall of Soviet Influence in the Arab World*, p. 149; **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، فبراير ١٩٦٢ إلى يوليو ١٩٦٤**، ج ٤، ص ٦٢٢، و**مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، يوليو ١٩٦٤ - يونيو ١٩٦٦**، ج ٥ (القاهرة: مصلحة الاستعلامات، ١٩٦٧)، ص ٦٥ و١٠٣ - ١٠٤.

بالانحسار وكانت تحل محلها مجالات الصراع، وأضاف يقول: إذا كان هذا صحيحاً فإن على الولايات المتحدة اذن أن تحاول «تركيع عبد الناصر» وذلك لتقليل قدرته على الإضرار بالمصالح الأمريكية. وأوحى السفير باستراتيجية جديدة من التعاون التكتيكي الهادف الى تفحص أدق لسياسات عبد الناصر، واستخدام المساعدات كأداة ضغط لحمله على تعديل تصرفه(٤٢).

كانت مسألة الكونغو بنظر الولايات المتحدة هي القضية الخلافية الأشد حدةً التي تسمم الجو بينها وبين مصر، فقد كانت وزارة الخارجية الأمريكية قلقة جداً بشأن الصلة المتزايدة بين القاهرة والثوار في الكونغو وأوصت بأن يكون استمرار المساعدات الأمريكية الى عبد الناصر متوقفاً على تعديل موقفه. بيد أن من اللازم التشديد على أن الولايات المتحدة لم تكن آنئذٍ ميالة الى الدخول في مواجهة مع مصر. كان السفير باتل وغيره من المسؤولين قد أوضحوا بجلاء أن سياسةً تقضي بالمواجهة ستكون باهظة الكلفة للولايات المتحدة وأصدقائها، وضربوا مثلاً على ذلك بالاخفاق الذريع الذي لحق بمبدأ آيزنهاور. لم يكن غريباً أن يكتفي جونسون بتخفيض المساعدات الى مصر لا أكثر(٤٣).

ظل عبد الناصر، على الرغم من صعوبات مصر الاقتصادية، صامداً في رفضه الاستسلام لأي شكل من أشكال الابتزاز الاقتصادي الذي تمارسه ضده دولة عظمى. كان يفهم جيداً الروابط الوثيقة بين الاستقلال الاقتصادي والاستقلال السياسي وما كان ليفرط بالأول لئلا يفقد الثاني. بيد أنه أخفق في تقدير الوظيفة الحقيقية للمساعدات الأجنبية: فالولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي كانتا تعتبران ذلك نوعاً من الاستثمار تتوقعان منه مردوداً سياسياً كبيراً. في مذكرة صريحة وكاشفة كتبها وزير الخارجية الأمريكية دين راسك الى الرئيس جونسون عن موضوع المساعدة الأمريكية الى مصر جاء فيها أن الغرض منها هو غرض استراتيجي: «المساعدة هي شارع ذو ممرين. انها تفتح أبواب الدولة المتلقية أمام منتجات الدولة المانحة واستثماراتها. والقبول بها هو تنازل جزئي عن السيادة ـ وهذه ميزة من الممكن تطويرها مع الزمن الى نفوذٍ آمر»(٤٤).

كانت الولايات المتحدة ترجو أن تستحصل على تنازلات سياسية من مصر لقاء المساعدات التي تتيح، بنظر راسك، أحسن الفرص لإقناع مصر بالخضوع للضغط

---

(٤٢) «Cairo to Secretary of State, No. 2016, 9 December 1964 [4 sections],» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969*, reel 8.

(٤٣) «Department of State to Embassy, Cairo, No. 3275, 5 December 1964»; «Department of State to Embassy, Cairo, No. 3560, 18 December 1964,» and «Cairo to Secretary of State, No. 2016, 9 December 1964 [section 2 of 4],» in: Ibid.

(٤٤) «The White House, Memorandum for the President by Dean Rusk, Subject: The Protection of American Interests in the Near East, 23 September 1965 (enclosure 4),» in: Ibid.

الأمريكي. وبهذا المعنى كانت المساعدات تستخدم كمورد للقوة لمكافأة الأصدقاء، وعقاب الخصوم. مثلاً، حَدَثَ مشتريات مصر للأسلحة من المعسكر الاشتراكي وما أعقب ذلك من اعترافها بالصين ادارة آيزنهاور الى سحب عرضها بشكل غير منتظر لتمويل بناء السد العالي في أسوان. كانت ادارتا أيزنهاور وجونسون كلتاهما تميل على العموم الى المبالغة في تقدير المنفعة السياسية للمساعدات الاقتصادية. كان هذا الى حدٍ ما نتيجة للتطبيق الخاطىء للتجربة الداخلية في الولايات المتحدة على العلاقات الأمريكية - المصرية(٤٥).

استخدم الاتحاد السوفياتي كذلك، في تعامله مع العالم النامي، موضوع المساعدات الأجنبية كسلاح سياسي. والفارق الوحيد في طريقة هذا الاستخدام هو أن الكرملين لم يهدد قط بشكل صريح بتخفيض أو إنهاء المساعدات بسبب خلافات سياسية. وعلى سبيل المثال، لم يحدث على الرغم من الحرب الكلامية التي استعرت بين عبد الناصر وخروتشوف حوالى عام ١٩٥٩ أن قام الزعماء السوفيات بإيقاف تدفق المساعدات المرسلة الى مصر، ولم يهددوا حتى بتخفيضها.

كان عبد الناصر مولعاً، في خطاباته ومقابلاته الصحفية، بالمقارنة بين الموقف السوفياتي الكريم بشأن المساعدات وموقف الولايات المتحدة الذي كان برأيه محكوماً باعتبارات سياسة القوة. ان من الأسباب الرئيسية التي كانت وراء إعجاب الزعيم المصري بكينيدي هو أن الرئيس الأمريكي لم يكن متفقاً مع نظرية الحرب الاقتصادية في المعاملة مع مصر ولم يطبقها. كان كينيدي يأمل في تحويل اهتمام الاستراتيجية الأمريكية في عالم عدم الانحياز من المجال السياسي الى المجال الاقتصادي، وكان يقدر كل التقدير الصعوبات التي تواجه الأقطار النامية ويعتقد بأن «نضوج» القومية العربية الثورية سيسير جنباً الى جنب مع التنمية الاقتصادية. ومن هنا كان من الضروري التقليل من اتباع السياسات المثيرة للجدل لصالح سياسات أخرى تبحث عن نقاط اتفاق. كذلك اهتم كينيدي اهتماماً مباشراً وناشطاً بالتطور الداخلي الجاري في مصر، كما أنه لم يدع خلافاته مع عبد الناصر - بشأن اليمن وغير ذلك من الأمور - تعيق تعاونهما المتبادل. ونتيجةً لهذا ظلت المساعدات الأمريكية الى مصر متواصلة خلال حكم كينيدي، ما ساعد على تحسين العلاقات الأمريكية - المصرية(٤٦).

على الضد من ذلك، لم يكن لدى جونسون ما يمنعه من استخدام المساعدات كسلاح سياسي. أمرت وزارة الخارجية الأمريكية بإيقاف إرسال المساعدات الى مصر في

---

(٤٥) المصدر نفسه؛ «Anwar al-Sadat, President of the U.A.R. National Assembly, Background Paper: U.S. - U.A.R Relations, 22 - 26 February 1966,» in: Ibid, and Burns, *Economic Aid and American Foreign Policy toward Egypt, 1955 - 1981,* pp. 202 - 203.

(٤٦) «W. R. Polk to Mr. Rostow, Subject: Our Policy toward the UAR, Department of State, Policy Planning Council, 7 April 1964,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969,* reel 7, and Burns, Ibid., p. 205.

نهاية عام ١٩٦٤، وذلك لكي تبين لعبد الناصر مدى الخطورة التي توليها الولايات المتحدة لسياسته تجاه الكونغو[٤٧]. وجاء رفض السفير باتل أن يبحث ذلك القرار مع المسؤولين المصريين ليؤكد شكوكهم بأن جونسون يحاول تجويع مصر ليجبرها على الخضوع والاستسلام. كان ذلك أمراً غير مقبول بالنسبة الى عبد الناصر، فألقى خطاباً في شهر كانون الأول/ديسمبر ١٩٦٤ انتقد فيه دور الولايات المتحدة في الكونغو وأعلن على الملأ أن مصر سترسل السلاح الى الثوار هناك للإطاحة بنظام الحكم الموالي لأمريكا. ثم ذهب في خطابه الى أبعد من ذلك إذ وعد بدعم حركات التحرر الوطني أينما كانت[٤٨].

وأضاف عبد الناصر في خطابه ذاك قائلاً إن الحكومة الأمريكية مخطئة في افتراضها ان بوسعها استخدام المساعدات الاقتصادية لإملاء الشروط على سياسة مصر الخارجية، فالمصريون سيشدون الأحزمة على بطونهم لمنع المساعدات الأمريكية من السيطرة على مصيرهم؛ وان مصر لن تستسلم لإرادة الدول الكبرى. كان عبد الناصر يرى في مواجهته مع جونسون رمزاً لصراع أكبر بين الدول الصغيرة والدول العظمى. لم تكن القضية الحقيقية بنظره هي قضية الكونغو بل قدرة دول المنطقة على العمل بشكل مستقل من دون إكراه خارجي. وقد نذر على نفسه الوقوف بحزم وعدم التفريط بحرية مصر في اتخاذ قراراتها، فإذا لام أحدٌ مصر «سنقطع لسانه. إننا لن نقبل بالضغط أو الوقاحة ولن نتخلى عن كرامتنا. ولئن استاء الأمريكيون من سلوكنا فليشربوا البحر»[٤٩].

فسّرت إدارة جونسون ذلك الخطاب بأنه يمثل نقطة تحول في العلاقات الأمريكية ـ المصرية. وعلى حد ما قاله راسك سبّب الخطاب مشاكل كبيرة وأثار العداء في الأوساط الرسمية في الولايات المتحدة. لذلك وجدت الادارة أن من الصعب عليها تجديد اتفاقية المساعدات المعقودة مع مصر. واعتبرت وكالة المخابرات المركزية الخطاب بأنه «أكثر الهجمات مرارةً تشنّ على الولايات المتحدة منذ عام ١٩٥٦». ورأت الوكالة أن الخطاب يعكس إقرار عبد الناصر بمشاكل بلاده الاقتصادية، وتصميمه مع ذلك على دعم حركات التحرر الوطني مهما كان الثمن[٥٠]. وقد رفض جونسون، إظهاراً لإصراره على رأيه، أن يبحث مسألة المساعدات مع عبد الناصر. قال مستشار رئيس الجمهورية مكجورج باندي بالحرف الواحد إن على الولايات المتحدة ألا تكون «مهتمة اهتماماً خاصاً بإطعام اليد التي

---

(٤٧) «Department of State Cablegram to Cairo, 4 May 1964,» in: Ibid., reel 7.

(٤٨) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، يوليو ١٩٦٤ ـ يونيو ١٩٦٦،** ج ٥، ص ١٠٣ ـ ١٠٤؛ «CIA, Intelligence Memorandum, Nasir's Port Said Speech of 23 December 1964, No. 2854/64, 24 December 1964,» in: Ibid., reel 8.

(٤٩) المصدران نفسهما.

(٥٠) «Department of State to Embassy, Cairo, No. 4008, 12 January 1965,» and «CIA: Office of Current Intelligence, Intelligence Memorandum, 24 December 1964,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969*, reel 8.

تعض، ذلك الإطعام الذي يتظاهر غروراً بالكرم للتأثير في الغير»[٥١].

سادساً: الربط بين السياسات الاقليمية والدولية

بحلول منتصف الستينيات أدرك عبد الناصر حدود قوته ونفوذه. وعلى ما قاله السادات فإن أخطاء جسيمة ارتكبت في ذلك العقد[٥٢]. لقد أخفقت محاولة عبد الناصر في إنشاء ائتلاف عربي موحد. وأدى ظهور مصر بصفتها الدولة المهيمنة في الساحة العربية في نهاية الخمسينيات الى بدء سياسات موازنة متقابلة في داخل المنطقة وخارجها. كانت عقيدة مصر في الوحدة العربية تهدد بتقويض استقلالية البلدان القطرية العربية، وتعرّض مصالح دول المنطقة والدول الكبرى الى الخطر. والمفارقة هي أن المعارضة العربية لعبد الناصر جاءت من كلا المعسكرين الثوري والمحافظ. كذلك كانت إدارة جونسون أقل تقبلاً لطموحات الزعيم المصري الاقليمية مما كانت عليه ادارة كينيدي. إن عالماً عربياً موحداً بزعامة عبد الناصر كان يعني بنظر جونسون سياسة موحدة نفطية جيوسياسية. وقد حذّر بعض مساعديه أنه في حالة الوصول الى هذه المرحلة من التطور في السياسة العربية فسيقع صدام مباشر بين المصالح الأمريكية والعربية: «إن مصلحة الولايات المتحدة تتطلب أن يكون لدى أمريكا وحلفائها منفذ ثابت يعوّل عليه لنفط الشرق الأدنى لا علاقة له بتقلبات السياسات الدولية»[٥٣].

خلال منتصف الستينيات تمكن الاتحاد السوفياتي من التوفيق بين المتناقضات الموجودة في سياسته في المنطقة وأخذ يتقرب أكثر فأكثر من مصر الناصرية، أما الولايات المتحدة فكانت متذبذبة في موقفها. إن التسامح الذي أبداه كينيدي في أوائل الستينيات حيال حركة القومية العربية كان متناقضاً مع الموقف الفاتر الذي اتخذه جونسون حيالها في أواسط العقد المذكور. وقد أعرب الرئيس الأمريكي عن استيائه من عبد الناصر باستخدام المساعدات الاقتصادية كسلاح سياسي، وحاول كذلك من خلال استخدام هذه المساعدات أن يعزز القاعدة المادية لأنظمة الحكم العربية المحافظة[٥٤].

(٥١) «McGeorge Bundy to the President, the White House, 24 December 1964,» in: Ibid.

(٥٢) El-Sadat, *In Search of Identity: An Autobiography*, p. 154.

(٥٣) «Cairo to Department of State, Subject: U.S. - UAR Relations, 11 April 1964,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969*, reel 7.

(٥٤) «London to Secretary of State, No. 4713, 25 March 1964,» and «Cairo to Secretary of State, No. 3410, 29 March 1965,» in: Ibid., and John S. Badeau, *The American Approach to the Arab World*, Policy Books of the Council on Foreign Relations (New York: Harper, 1968), p. 147.

كان ما قامت به الدولتان العظميان من اعادة تقييم لمواقفهما في المشرق العربي في منتصف الستينيات من أعراض التوترات المتزايدة في المسرح العالمي. إن منظومة عالمية يسودها الاستقطاب الحاد كانت تمعن في إشعال فتيل الحرب الباردة. وأدى الدفع الذي مارسته إدارة جونسون لإيقاف انتشار الشيوعية الى تدخلها الواسع في فيتنام، فصحب ذلك ما صحبه من ردود فعل محلية وإقليمية ودولية. أما الاتحاد السوفياتي فكان يقوم بتدريب وتسليح حركات التحرر الوطني في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية. وبالنظر الى تساوي القوة النووية لدى الدولتين العظميين فقد وجدتا أن من الأسلم لهما شن حملاتهما العقائدية عن طريق حروب تجري بالوكالة عنهما بعيداً عن أوروبا. وجرى تسهيل مهمتهما بفعل اعتماد البلدان العربية عليهما اقتصادياً اعتماداً واسعاً وبفعل وجود عداوات محلية كانت تدفع الأطراف الفاعلة العربية الى السعي للحصول على مساعدات خارجية.

سابعاً: حرب اليمن

في عام ١٩٦٥ كانت هناك اثنتان من أكثر قضايا الصراع الاقليمي إلحاحاً هما قضية الصراع العربي ـ الاسرائيلي وقضية النزاع في اليمن. لم يستطع عبد الناصر وفيصل تسوية خلافاتهما حول اليمن خلال مؤتمر القمة العربية الثالث الذي انعقد في الدار البيضاء في المغرب في أيلول/سبتمبر ١٩٦٥. إن عدداً من العوامل الداخلية والخارجية قد أجبرت الزعيم المصري على السعي لتحقيق تسوية في اليمن. أولاً، كان اقتصاد مصر في حالة رثة. ثانياً، على الرغم من الاسهام الايجابي الذي قدمته مؤتمرات القمة الثلاثة ظلت العلاقات بين البلدان العربية قلقة ومتقلبة. وأخيراً وليس آخراً دفع التدهور في العلاقات بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة، وما رافق ذلك من تغير في القيادة في موسكو، بالزعيم المصري الى محاولة استنقاذ جيشه من المأزق في اليمن. ففي كانون الأول/ديسمبر ١٩٦٤ لمح للمرة الأولى بوجود بعض التناقضات في داخل اليمن أخذت تستغلها العناصر الرجعية والصهيونية(٥٥).

وجواباً على مطالبات الولايات المتحدة بالانسحاب من اليمن أعرب عبد الناصر عن استعداده للتفاهم مع فيصل بشرط أن يكون هذا الأخير أيضاً راغباً حقاً بحلٍ ما، حتى انه طلب من رئيس وزراء الكويت الشيخ جابر الأحمد الوساطة في النزاع. في آب/أغسطس ١٩٦٥ ذهب عبد الناصر جواً الى جدة واتفق مع فيصل على صيغة سلمية لإنهاء حرب اليمن(٥٦)، غير أنها لم تسفر عن شيء. وتفيد الوثائق الأمريكية التي رفعت عنها

---

(٥٥) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، يوليو ١٩٦٤ ـ يونيو ١٩٦٦،** ج ٥، ص ١٠٨؛ محمد حسنين هيكل، **نحن... وأمريكا** (القاهرة: دار العصر الحديث، ١٩٦٧)، ص ١٤٥ ـ ١٤٧، وأحمد، **الدور المصري في اليمن، ١٩٦٢ ـ ١٩٦٧،** ص ٣٢٤ و٣٣٠ ـ ٣٣١.

(٥٦) Mohamed Ahmed Mahgoub, *Democracy on Trial: Reflections on Arab and African Politics* (London: Deutsch, 1974), pp. 154 - 155, and

أحمد، المصدر نفسه، ص ٤٦٢.

السرية أن فيصلاً لم يكن مهتماً بتسوية ما: «إن تصلبه تجاه حل في اليمن يوحي برغبته بإذلال عبد الناصر»[٥٧].

لم يتفق مسؤولو وزارة الخارجية الأمريكية مع دعوى فيصل بأن عبد الناصر قد بقي في اليمن بطلب من السوفيات دعماً لأهدافهم في جنوب شبه الجزيرة العربية، وإنما كانوا يعتقدون أنه بحاجة الى تأكيد قصير الأجل بأن العائلة المالكة اليمنية المخلوعة لن تعود الى الحكم وأن يتيح النظام الداخلي هناك مجالاً للانسحاب الآمن لقواته. ومع أن ادارة جونسون رحبت بحرارة باتفاقية جدة إلا أنها لم تضغط على فيصل للالتزام بشروطها. على العكس، تنامى التعاون الأمريكي ـ السعودي، العسكري منه والاقتصادي والسياسي. من الأمثلة على ذلك قرار الولايات المتحدة في عام ١٩٦٥ بتوسيع القوات المسلحة السعودية وتحديثها[٥٨].

كان عبد الناصر عند اجتماعه بممثلي الولايات المتحدة يقارن بين محنته في اليمن والورطة الأمريكية في فييتنام، لا بل حتى طلب منهم أن يبينوا لفيصل بوضوح الحاجة الى حل وسط وأن يشعروه بضرورة احترام اتفاقية جدة[٥٩]. ان عدم ورود جواب لطلبه واستمرار الضغط الاقتصادي عليه من الولايات المتحدة قد أقنعاه بشكوكه بالازدواجية التي تمارسها. كان يعتقد أن جونسون يحاول توريطه في اليمن، ولم يكن ذلك أمراً مبالغاً فيه، فقد قال السفير الأمريكي السابق في مصر، بادو، إن جونسون اتبع سياسة كأنها تقول «ما هي إلا فتنتك» تُترك مصر من خلالها لتصبح أكثر تورطاً في اليمن فتعاني النتائج المحتمة[٦٠].

لذا ينبغي النظر الى الصراع في اليمن ليس فقط كمصدر لعدم الاستقرار والانقسام في المنطقة، وإنما كذلك كعامل مهم وراء التدهور في العلاقات الأمريكية ـ المصرية في الستينيات. كما أنه يعتبر أيضاً مثلاً آخر على الروابط بين السياسات الداخلية والخارجية. لم يفلح حكام السعودية عند بداية الصراع في الحصول على تأييد ناشط من كينيدي ضد الوجود في اليمن، بيد أنهم نجحوا في ذلك مع جونسون، فقد كان له ولفيصل معاً

---

(٥٧) «Cairo to Secretary of State, No. 3653, 18 April 1965 [section 4 of 4],» and «Anwar al-Sadat, President of UAR National Assembly, Background Paper: The UAR and Yemen, 22 - 26 February 1966,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969*, reel 8.

(٥٨) المصدر نفسه.

(٥٩) «Cairo to Secretary of State, No. 3653, 18 April 1965 [section 3 of 4],» and «Cairo to Secretary of State, No. 1311, 24 November 1965,» in: Ibid.

(٦٠) Badeau, *The American Approach to the Arab World*, p. 147, and
أحمد، **الدور المصري في اليمن، ١٩٦٢ ـ ١٩٦٧**، ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣.

مصلحة مشتركة في إيقاف التقدم المصري في شبه الجزيرة العربية. وعلى الشاكلة ذاتها سعى عبد الناصر للحصول على مساعدات سوفياتية في محاربته للسعوديين. ان من الصعب الحكم مَنْ كان يستغل مَنْ.

ثامناً: الصراع العربي ـ الاسرائيلي: ثلاثة منظورات متباينة

برزت المشكلة العربية ـ الاسرائيلية ضمن سياق منظورات متباينة. وقد ذكرنا آنفاً أن نهج سوريا المتشدد نحو هذه القضية قد ساق عبد الناصر الى الدعوة الى اجتماع رؤساء الدول العربية. انعقدت ثلاثة مؤتمرات عربية بين عامي ١٩٦٤ و١٩٦٥ ووضعت مخططات للتعامل مع اسرائيل ومسألة مياه نهر الأردن. وقد استبعدت الحرب ضد اسرائيل كخيار مطروح، وجرى التشديد على عمل جماعي عربي. لكن تلك المؤتمرات وما أعقبها كشفت عن خلافات خطيرة بين البلدان العربية حول قضية اسرائيل. والظاهر أن المؤتمرات كانت ترمي الى تأجيل معالجة هذه المشكلة الشائكة وإتاحة الفرصة لعبد الناصر لالتقاط أنفاسه ليعالج مسألة الحرب في اليمن. ومن الممكن تبين ثلاثة مواقف عربية مختلفة تجاه اسرائيل، هي: (١) موقف الرفض والمواجهة؛ (٢) موقف الردع والدفاع؛ (٣) موقف التراضي.

كانت سوريا تفاخر طوال الستينيات بكونها قلعة الثورية والداعية الأولى «للعمل الثوري» ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية. وكانت اسرائيل بمثابة فرصة سانحة للساسة السوريين لمهاجمة مواقف القبول والرضا للحكام العرب الآخرين، ولا سيما عبد الناصر. رفض النظام الحاكم في سوريا الوضع القائم في المسرح العربي ـ الاسرائيلي، ودعا الى هجوم مشترك من قبل البلدان العربية ضد الدولة العبرية، ولم يكن على ما يظهر مهتماً كثيراً بشأن عدم توازن القوى الاستراتيجي مع اسرائيل. بالنسبة له «سيكون العمل الايجابي للارادة الجماعية للشعب العربي كافياً لتحرير فلسطين ودحر الامبريالية»[٦١].

ونظراً الى مركزية قضية فلسطين لدى الشعب العربي فقد أصبحت رمزاً يضفي الشرعية في السياسات العربية، وصيحة يتنادى بها الحكام العرب يتوسلون بها تأييداً سياسياً لأنظمة حكمهم. كانت مواقف الساسة السوريين آنذاك هي القاعدة لا الاستثناء. ان موقفهم المتشدد نحو اسرائيل كان يرمي الى اكتساب الشرعية والى تحسين مقاديرهم السياسية. كانت القاعدة الشعبية للنخبة السورية الحاكمة ضيقة، وكانت هذه النخبة منهمكة بصراع داخلي. ان عدم الاستقرار يسبب عدم الأمان ويشجع على ابداء ايماءات رمزية كان أحدها الموقف الرافض لإسرائيل. لذا فإن من الممكن القول ان ما

(٦١) حزب البعث العربي الاشتراكي، **نضال البعث: القيادة القومية، ١٩٦٣ ـ ١٩٦٦، من ثورة رمضان وآذار الى ٢٣ شباط ١٩٦٦**، ج ١٠، ص ٢١٤، ٢٣١ ـ ٢٣٢ و٢٦٦ ـ ٢٦٧.

كانت تقوله سوريا من كلام ثوري عن القضية الفلسطينية هو عبارة عن امتداد لسياساتها الداخلية(٦٢).

والسبب الآخر للتشدد السوري هو التخاصم مع عبد الناصر. ان حربه الدعائية ضد البعثيين قوضت شرعيتهم الداخلية. وكانوا يستحدثون قضية الصراع العربي - الاسرائيلي، لإحراج عبد الناصر، ويرجون إحكام سلطتهم وإثبات توجهاتهم الوحدوية. ان فهم هذه التعليلات يفسر كراهية سوريا للقرارات التي اتخذتها مؤتمرات القمة العربية والنتائج التي تمخضت عنها. بيد أن رأي سوريا كان رأي الأقلية في الوطن العربي.

على الضد من ذلك كانت الاستراتيجية المصرية نحو اسرائيل دفاعية بالدرجة الأولى وتقوم على الاحتواء لا على المواجهة. وقد أقر المسؤولون في الولايات المتحدة باعتدال عبد الناصر بشأن اسرائيل، كما ذكرنا سابقاً. كانت معظم البلدان العربية تشارك مصر في موقفها هذا، وتدرك تفوق الآلة العسكرية الاسرائيلية واسناد الولايات المتحدة للدولة اليهودية. ووفقاً لهذا الرأي (وكان سائداً) فإنه سيكون بحكم الانتحار بالنسبة الى العرب ان يشنوا الحرب لأن تكتلات القوى الاقليمية والدولية كانت ضدهم. كان الخيار العقلاني الأفضل هو السعي لإيجاد اجماع عربي وتطوير استراتيجية منسقة تجاه اسرائيل.

لذا، كانت الوظيفة الأساسية لقرارات القمة تنحصر في تنسيق العلاقات بين البلدان العربية ووضع الأسس لاستراتيجية دفاعية جماعية. وقد جرى توجيه اللوم الى سوريا لاتخاذها موقفاً طائشاً يحبذ الحرب. بيد أن بضعة زعماء عرب ذهبوا الى أبعد من الموقف الذي جرت عليه مؤتمرات القمة وذلك بالدعوة الى تسوية سلمية نهائية شاملة مع تل أبيب، وقد قدم هذا الرأي الرئيس التونسي بورقيبة. ففي جولة قام بها في ربيع ١٩٦٥ في الوطن العربي اقترح هذا الزعيم علناً أن على العرب القبول بالوضع القائم في اسرائيل/فلسطين، وحث الزعماء العرب على التوافق مع اسرائيل والقبول بقرار التقسيم الصادر من الأمم المتحدة كأساس لمعاهدة سلام مع الدولة اليهودية. هذا وينبغي التشديد على أن موقف التراضي هذا الذي أعلنه بورقيبة إنما كان يعكس رأي الأقلية الصامتة في الوطن العربي، وعلى أن تونس ليست عضواً أساسياً في المنظومة الفرعية العربية. بيد أن هذه الحقيقة لم تغير شيئاً من أثر الدعوة المبكرة التي أطلقها الزعيم التونسي، ومن ذبذباتها السياسية التي ترددت في أرجاء المنطقة بأسرها(٦٣).

---

(٦٢) منيف الرزاز، **التجربة المرة** (بيروت: دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٦٧)، ص ١٢٥ و١٥٢ - ١٥٤، و Robert W. Stookey, *America and the Arab States: An Uneasy Encounter* (London: John Wiley, 1975), p. 203.

(٦٣) Adeed I. Dawisha, *Egypt in the Arab World: The Elements of Foreign Policy* (London: Macmillan, 1976), p. 45.

كانت حملة السلام التي أعلنها بورقيبة تهدد بتقويض العقيدة السائدة للنظام العربي[٦٤]. فلا غرابة إذن أن يتلقى الرئيس التونسي ادانة تكاد تكون عامة من الحكام العرب. هاجم عبد الناصر بقسوة بورقيبة وخروجه على الاجماع العربي وقال عنه انه يعمل وفق رغبات الولايات المتحدة ومشيئتها. وقد ندد عبد الناصر كذلك بالنهج البعثي المتشدد حيال اسرائيل ووصفه بأنه نهج لا عقلاني ومدفوع بدوافع سياسية[٦٥]. أما حزب البعث الحاكم في سوريا فقد ذهب الى حد اتهام بورقيبة بخيانة القضية العربية، وانه كان يمثل خطاً غربياً في التفكير يرجع تاريخه الى أواخر الأربعينيات. وقد حاولت سوريا، هي ومنظمة التحرير الفلسطينية المؤسسة حديثاً، طرد تونس من الجامعة العربية فلم تفلحا في ذلك[٦٦].

ان السَّرد أعلاه يظهر أن قضية فلسطين قد لعبت دوراً انقسامياً لا دوراً توحيدياً في سياسات الحكومات العربية، ولا سيما في الستينيات. انها قضية وقعت فريسة في الشبكة المعقدة للعلاقات العربية البينية. قال أحمد الشقيري، أول رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية، بالحرف الواحد: «لقد أصبح الشعب الفلسطيني رهينة للظروف العربية»[٦٧]. جادل مالكوم كير بشكل مقنع قائلاً انه في التحليل النهائي كانت طبيعة الشؤون العربية البينية هي التي تقرر هل توحد قضية فلسطين البلدان العربية أو تفرقها[٦٨]. لذا فإن التصعيد في النزاع العربي ـ الاسرائيلي كان متصلاً اتصالاً مباشراً بسياسات البلدان العربية، بعضها تجاه بعضها الآخر.

---

(٦٤) أشار بورقيبة كذلك قاصداً عبد الناصر: أنه احتكر القضية الفلسطينية من دون مشاورات مسبقة مع الزعماء العرب. لم تكن هذه هي المرة الأولى التي تحدى فيها بورقيبة زعامة عبد الناصر للوطن العربي. ففي اجتماع الجامعة العربية المنعقد في شهر ايلول/سبتمبر ١٩٥٨ هاجم بورقيبة هيمنة مصر على الجامعة واستغلالها. جاء هذا الهجوم بعد فترة وجيزة من تشكيل الجمهورية العربية المتحدة فكان عبد الناصر في ذروة سطوته ومكانته. إن من الممكن اعتبار تحدي بورقيبة أول تآكل يجري في مكانة مصر في المنطقة. انظر: المصدر نفسه، ص ٢٥ ـ ٢٦.

(٦٥) Egypt, Ministry of Information, *Speeches of President Gamal Abdel-Nasser, March 1965* (Cairo: Information Department, 1965), pp. 4 - 7 and 13 - 15, and

مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، يوليو ١٩٦٤ ـ يونيو ١٩٦٦، ج ٥، ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩ و٣٤٣.

(٦٦) حزب البعث العربي الاشتراكي، **نضال البعث: القيادة القومية، ١٩٦٣ ـ ١٩٦٦، من ثورة رمضان وآذار الى ٢٣ شباط ١٩٦٦**، ج ١٠، ص ٢١٤ و٢٣٦، والشقيري، **من القمة الى الهزيمة مع الملوك والرؤساء**، ج ١، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ و٢٠٨ ـ ٢٠٩.

(٦٧) الشقيري، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٦٠.

(٦٨) Malcolm H. Kerr, *The Arab Cold War: Gamal Abd al-Nasir and His Rivals, 1958 - 1970*, 3rd ed. (London: Oxford University Press, 1971), p. 114.

تاسعاً: دور اسرائيل في العلاقات بين البلدان العربية والدول الكبرى

لعبت اسرائيل دوراً مهماً ليس فقط في السياسات ما بين البلدان العربية وإنما كذلك في العلاقات بينها وبين الدول الكبرى. وابتداءً من عام ١٩٦٤ أصبح هذا الدور أكثر وضوحاً بعد صدور قرار الحكام العرب المتخذ في مؤتمر القمة العربية الأول القاضي بأن تقوم علاقاتهم مع الدول الأجنبية على أساس موقفها من الصراع العربي ـ الاسرائيلي(٦٩). لقد أضحت فلسطين هي البؤرة الأساسية للعلاقات الدولية العربية والمقياس الذي تفرق به البلدان العربية بين الصديق والعدو. وقد أدى هذا في التطبيق العملي الى إيقاد الشكوك وروح المواجهة بين الوطن العربي والغرب، مما أضعف قدرة العرب على الوقوف بوجه الدول الكبرى ومقاومتها. جاء في احدى وثائق حزب البعث: كانت مشكلة فلسطين من نقاط الافتراق بين الشعب العربي والغرب(٧٠).

جاءت حالة الاختبار الأولى لهذا النهج الجديد في عام ١٩٦٥ حين أصبح معروفاً أن ألمانيا الغربية قد باعت أسلحة الى اسرائيل. أخذ عبد الناصر يهاجم ذلك العمل في خطاب إثر خطاب ويتهم الحكومة الألمانية بأنها أداة امبريالية بيد واشنطن. كما قال إن العرب كانوا يقاتلون ليس اسرائيل وحدها وإنما يقاتلون الدول الغربية التي تقف وراء اسرائيل. كانت الطريقة الوحيدة بنظر عبد الناصر للتعامل مع ألمانيا الغربية هي من خلال عمل عربي جماعي(٧١). وكانت النتيجة أن قطعت عشرة بلدان عربية من مجموع ثلاثة عشر علاقاتها الدبلوماسية مع ألمانيا الغربية في عام ١٩٦٥. ومع أن قرار قطع العلاقات لم يتخذ بالإجماع فقد كان يمثل نصراً سياسياً لعبد الناصر. إن إصراره على موقف عربي موحد كان متفقاً مع فلسفته عن العلاقات الدولية، فقد كان يؤمن بأن العرب اذا اتحدوا فستكون أصواتهم مسموعة وتأخذهم الدول الكبرى مأخذ الجد، حتى أصبحت الوحدة هدفاً أساسياً للسياسة المصرية، الاقليمية والدولية(٧٢). كان من شأن تحقيق هذا الغرض أن يرفع كثيراً من مكانة مصر في العالم.

اتهم عبد الناصر علناً حكومة الولايات المتحدة بأنها كانت الوسيط في مبيعات

---

(٦٩) Egypt, Ministry of Information, *The First Arab Summit Conference, 13 - 17 January 1964* (Cairo: Information Department, 1964), p. 18.

(٧٠) حزب البعث العربي الاشتراكي، **نضال البعث: المؤتمر القومي الثامن، نيسان ١٩٦٥**، ج ٩ (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٢)، ص ١١.

(٧١) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، يوليو ١٩٦٤ ـ يونيو ١٩٦٦**، ج ٥، ص ١٣٧ ـ ١٣٨ و٢١٢ ـ ٢١٣، و Egypt, Ministry of Information, *Speeches of President Gamal Abdel-Nasser, March 1965*, pp. 32 - 35, 55 and 86 - 90.

(٧٢) Egypt, Ministry of Information, Ibid., pp. 62 - 64 and 93 - 104.

الأسلحة من ألمانيا الغربية الى اسرائيل. في هذه الأثناء كان المسؤولون في الحكومة الأمريكية يبدون امتعاضهم مما يبديه العرب من نزعة حربية تجاه اسرائيل، وكانوا يخشون على الأخص من أن هجمات عبد الناصر الشديدة على الولايات المتحدة إنما تعني أنه قد قرر اخراج الصراع العربي ـ الاسرائيلي من حالة التجميد التي هو فيها. لذا بينوا للزعماء العرب بصراحة تامة عزم الولايات المتحدة وتصميمها على استخدام قوتها للمحافظة على الاستقرار وحماية الوضع القائم في الشرق الأوسط. انه لفي هذا السياق أن جعلت ادارة جونسون مسألة المساعدات الى البلدان العربية مشروطة بتجميد المشكلة الفلسطينية. كان راسك، في مذكرة كتبها الى جونسون وأشرنا اليها سابقاً، قد أشار صراحةً الى ضرورة الحصول على مردودات عالية لقاء المساعدات الأمريكية. ان مساعي جونسون وراسك في استخدام المساعدات لتعديل السلوك المصري كانت متأثرة باهتمامات أمريكية داخلية، فقد كانت مجموعات المصالح الموالية لاسرائيل تضغط على الحكومة الأمريكية لإنهاء مساعداتها الى مصر. في دراسة عن المساعدات الاقتصادية الأمريكية وضعها وليم بيرنز استنتج الكاتب أنه منذ الخمسينيات ما من تقلّب في سياسة المساعدات الى مصر يمكن فهمه الا بإحالةٍ ما الى الأولويات المحلية في الولايات المتحدة [٧٣].

بيد أنه سيكون من المضلل أن نعزو التغيير في سياسة الولايات المتحدة إلى أمور محلية فقط، فقد كانت هناك عوامل أخرى تفعل فعلها. كان جونسون ينظر إلى الشرق الأوسط بمنظار صراع الولايات المتحدة مع الشيوعية السوفياتية. كانت القضايا الإقليمية تقيّم على خلفية الحاجة إلى محاربة الشيوعية، وكذلك تقيّم الأطراف الفاعلة في المنطقة على هذا الأساس. كان الخطر السوفياتي يفوق كل خطر آخر بنظر جونسون، وكان بادياً بوضوح في آفاق المنطقة. وكان الرئيس الأمريكي يعتقد أن الاتحاد السوفياتي مصمم بالتواطؤ مع مصر على الهيمنة على الشرق الأوسط وطرد النفوذ الغربي منه. وكان ينظر إلى عبد الناصر والزعماء العرب الثوريين الآخرين على أنهم الأشرار الحقيقيون إذ إنهم يقومون بإرادتهم بخدمة أهداف الكرملين [٧٤]. إن اشتداد حدة الحرب الباردة والتورط الأمريكي الواسع في

---

(٧٣) Burns, *Economic Aid and American Foreign Policy toward Egypt, 1955 - 1981,* pp. 4 - 5 and 203; «Department of State, Memorandum for Mr. McGeorge Bundy, Talking Points, 10 August 1964», «The Secretary of State, Memorandum for the President, Subject: The Nature of the U.S. - UAR Relationship, 21 August 1964»; «The Department of State to Embassy Cairo, 15 February 1965,» and «Department of State to Embassy Cairo, No. 6049, 2 April 1965,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969,* reel 8, and

مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، يوليو ١٩٦٤ ـ يونيو ١٩٦٦، ج ٥، ص ١٣٧ ـ ١٣٨ و٢١٣.

(٧٤) Johnson, *The Vantage Point: Perspectives of the Presidency, 1963 - 1969,* pp. 287 - 290.

فييتنام قد عززا من تصور جونسون لجدية الخطر الشيوعي. لهذه الأسباب كانت إدارة جونسون حذرة من عبد الناصر وتعتبره معادياً لمصالح الولايات المتحدة.

غير أن إسرائيل كان ينظر إليها في ضوء مختلف. فالتوجه الموالي للغرب في سياسة إسرائيل الخارجية كان مناقضاً تماماً لتوجه القوميين الوحدويين العرب. وبالنظر إلى البيئة المعادية لإسرائيل في المنطقة فقد كانت إدارة جونسون متعاطفة مع محنتها. وقد قال جونسون بالحرف الواحد: «كنت أشعر دائماً شعوراً عميقاً بالتعاطف مع إسرائيل وشعبها الذي يبني ببسالة أمة عصرية ويدافع عنها مع وجود معوقات عظيمة»[(٧٥)]. إن مشاعره «الدافئة» نحو إسرائيل كان يبرزها افتقاره للتعاطف مع القومية العربية الثورية التي ينادي بها عبد الناصر[(٧٦)]. وكان الساسة الإسرائيليون يعتبرون جونسون صديقاً للدولة اليهودية. إنه، على حد قول رئيسة الوزراء غولدا مئير، كان موالياً لإسرائيل بشكل لا مراء فيه. ووصفه أحد أعضاء اللوبي اليهودي بأنه «أخلص المساندين للصهيونية في الحكومة الأمريكية»[(٧٧)]. لقد ازدهرت العلاقة بين واشنطن وتل أبيب في عهد جونسون. إن الميول الشخصية والأحوال المادية قد تضافرت لتنتج تحالفاً وثيقاً وحميماً. وتعتبر نتيجة الحرب بين إسرائيل وجاراتها العربية في عام ١٩٦٧ حداً فاصلاً في هذه العملية.

في أواسط عام ١٩٦٥ قام صناع السياسة في الولايات المتحدة بتقييم الوضع في المنطقة فاستنتجوا أن إرسال الأسلحة السوفياتية إلى البلدان العربية الثورية قد أدى إلى حدوث عدم توازن كبير بينها وبين إسرائيل. أولى جونسون اهتمامه لهذا الأمر لئلا يسبب خطراً على السلام إما من خلال المبالغة بالثقة بالنفس أو من خلال اليأس. لذلك كتب جونسون في شهر آذار/ مارس إلى عبد الناصر يعلمه أنه قد قرر بيع معدات دفاعية مشروعة إلى حكومة تل أبيب، وأضاف يقول إن قراره هذا كان مدفوعاً بسلسلة من الأحداث، بضمنها «استمرار توريد الأسلحة السوفياتية بكثرة إلى المنطقة واستمرار التهديدات لإسرائيل»[(٧٨)]. وتوعّد في رسالته قائلاً إذا تحدت البلدان العربية مبيعات الأسلحة الأمريكية إلى إسرائيل فإنه سيتخلى عن النهج المتوازن حتى الآن إزاء الصراع

---

(٧٥) المصدر نفسه، ص ٢٩٧.

(٧٦) William B. Quandt, *Decade of Decisions: American Policy toward the Arab-Israeli Conflict, 1967 - 1976* (Berkeley, CA: University of California Press, 1977), pp. 37 - 48.

(٧٧) Burns, *Economic Aid and American Foreign Policy toward Egypt, 1955 - 1981,* p. 152, and Golda Meir, *My Life: The Autobiography of Golda Meir* (London: Futura Publications, 1976), p. 259.

(٧٨) «Sadat, Background Paper, Subject: Near East Arms Buildup, 22 - 26 February 1966,» and «Department of State to Embassy Cairo, No. 5632, 18 March 1965,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969,* reel 8.

العربي ـ الإسرائيلي. كان غرض جونسون هو إسكات عبد الناصر وتحذيره من مخاطر شن حملة دعائية أخرى ضد الولايات المتحدة. وفي المقابل وعد جونسون الرئيس المصري بأن الحياد وكبح الجماح سيظلان هما أساس سياسة التسليح الأمريكية، وأن الولايات المتحدة ستستمر في الضغط على إسرائيل لمنعها من أن تصبح دولة نووية(٧٩).

أصيب عبد الناصر بالقلق من لهجة تلك الرسالة واعتبرها إنذاراً. لم يكن الزعيم المصري يعتبر صفقة الأسلحة الأمريكية ـ الإسرائيلية عملاً منعزلاً بل متصلاً بتطورات أخرى تنطوي على التهديد. مثلاً، كان يعتقد أن ألمانيا الغربية ما كانت ستبيع سلاحاً إلى إسرائيل إلا بعد ضغط عليها للقيام بذلك وجهته إدارة جونسون، بل كان هناك زعم بأن هذه الإدارة قد مولت شراء إسرائيل للأسلحة من أوروبا. وساور عبد الناصر القلق كذلك من أن يستخدم جونسون المساعدات الاقتصادية كسلاح سياسي. وقد تحققت أسوأ مخاوفه في حزيران/ يونيو ١٩٦٥ حين علقت الولايات المتحدة شحنات الحبوب التي كانت مرسلة إلى مصر بموجب القانون العام رقم ٤٨٠. ولكي يتحاشى عبد الناصر حدوث أزمة غذائية اتصل بالسوفيات فوافقوا على تحويل سير بواخر تحمل ٣٠٠ ألف طن من القمح لتتجه إلى مصر، وكان الاتحاد السوفياتي قد اشتراها من كندا(٨٠).

رأى المسؤولون المصريون في التحركات والأعمال الأمريكية جزءاً من استراتيجية منسقة لمعاقبة مصر على تزعمها لحركة التحرر الوطني، وكانوا يعتقدون أن دعوة مصر للاستقلال والحياد الإيجابي تهدد بتقويض هيمنة الولايات المتحدة على العالم النامي. ثم إن نجاح عبد الناصر في حملته لتوحيد العرب تحت قيادته كان سيعني تضاؤل دور الغرب في إدارة مصادر المنطقة وتسيير شؤونها. لقد فسّر عبد الناصر تعليق شحنات القمح إلى مصر وبيع السلاح إلى إسرائيل في ضوء ذلك(٨١). ومع أن القضايا العالمية كقضية الكونغو وفييتنام والقواعد العسكرية الغربية كانت هي التي تمثل نقاط الخلاف الرئيسية بين مصر والولايات المتحدة في أوائل الستينيات غير أن قضية إسرائيل هي التي هيمنت على

---

(٧٩) «Department of State to Cairo, 18 March 1965,» in: Ibid.

(٨٠) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، يوليو ١٩٦٤ ـ يونيو ١٩٦٦**، ج ٥، ص ٣٧٦؛ **الاهرام**، ٢٥/٧/١٩٦٥؛ أحمد حمروش، **قصة ثورة ٢٣ يوليو**، ج ٥: **خريف عبد الناصر** (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٨٤)، ص ٧٨ ـ ٨٠؛ رياض، **مذكرات محمود رياض**، ج ٣، ص ٢٩ و٣٥ ـ ٣٦؛ Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East*, p. 16; Heikal, *Nasser: The Cairo Documents*, pp. 207 - 209, and «Cairo to Department of State, No. 4511, 23 June 1965,» and «Sadat: U.S. - UAR Relations, 22 - 26 February 1966,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969*, reel 8.

(٨١) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، يوليو ١٩٦٤ ـ يونيو ١٩٦٦**، ج ٥، ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣، ٢٨٢، ٣٣٨ ـ ٣٣٩، ٣٧٢ ـ ٣٧٣، ٣٩١ ـ ٣٩٢، ٣٩٥ و٤٠٢؛ رياض، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٩ و٣٥ ـ ٣٦، وحمروش، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٨٠.

العلاقات بين الدولتين في القسم الأخير من العقد المذكور، ثم تزايد ذلك بعد حرب حزيران ١٩٦٧ التي حولت العلاقات العربية البينية والعلاقات بين البلدان العربية والدولتين العظميين من طور إلى طور. لكن هذا التحول قد حدث نتيجة تغيرات حاسمة في المنظومة الفرعية العربية.

عاشراً: الحرب الباردة العربية الثانية

مع أن اجتماعات القمة ساعدت موقتاً على تضييق شقة الخلافات بين اللاعبين العرب إلا أنها لم تتوصل إلى إجماع في الرأي. كان وضوح ذلك على أشده في القرار الختامي الذي أصدرته القمة الثالثة في الدار البيضاء والقاضي بإعلان ميثاق التضامن العربي وفيه جرى التأكيد على مبدأ عدم التدخل في الشؤون العربية الداخلية وضرورة توقف الهجمات الدعائية. إن مجرد التفكير بضرورة وضع مثل هذا الميثاق يكشف عن الإخفاق في تنسيق العلاقات العربية في اجتماعي القمة الأول والثاني. كادت قمة الدار البيضاء تنهار بسبب خلافات سياسية حول خطة نهر الأردن والقيادة الموحدة. وقد اعتبر عبد الناصر تلك القمة اجتماعاً ناجحاً لمجرد أنها لم تتحول إلى مهزلة[(٨٢)].

ما إن انفض مؤتمر الدار البيضاء حتى أخذت تسمع أصوات المعترضين. كانت الانشقاقات موجودة بين المعسكرين المحافظ والثوري وموجودة كذلك في داخل الكتلة الثورية نفسها. وقد جاء في وثيقة داخلية سرية لحزب البعث أن القمة لم تحقق شيئاً يذكر بسبب التناقضات العقائدية والاقتصادية والسياسية الكامنة في النظام العربي. وبادر بعض الساسة السوريين إلى انتقاد القمة علناً لإخفاقها في تحمل مسؤوليتها التاريخية تجاه فلسطين[(٨٣)]. لهذا فسرعان ما تبددت روحية المصالحة.

في نهاية عام ١٩٦٥ كانت الهدنة المؤقتة في اليمن على وشك الانهيار بالنظر إلى إخفاق محادثات السلام بين الفئات اليمنية. لم يكن فيصل وعبد الناصر مستعدين لإجبار أتباعهما على القبول بشروط اتفاقية جدة أو قادرين على ذلك[(٨٤)]. وكانت النتيجة تصعيد

---

(٨٢) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، يوليو ١٩٦٤ ـ يونيو ١٩٦٦**، ج ٥، ص ٤١٥، و John Creed, «The Impact of Arab Summit on Inter-Arab Relations,» paper presented at: The Middle East Studies Association Conference, San Antonio, Texas, 1990, p. 7.

(٨٣) حزب البعث العربي الاشتراكي، **نضال البعث: القيادة القومية، ١٩٦٣ ـ ١٩٦٦، من ثورة رمضان وآذار الى ٢٣ شباط ١٩٦٦**، ج ١٠، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٩، و Mahgoub, *Democracy on Trial: Reflections on Arab and African Politics,* p. 112.

(٨٤) على حد ما كتبه السفير الأمريكي في مصر فإن عبد الناصر تحدث بشكل نقدي عن الصعوبات التي يلاقيها مع الجمهوريين اليمنيين: «إني أجد من المتاعب مع [الجمهوريين] بقدر ما أجده مع الملكيين. وأنا لا أبالي حقاً من هو المسؤول هناك طالما أن أسرة حميد الدين ليست ذات علاقة. إنهم كلهم سواء بالنسبة إلي باستثناء الاسرة المذكورة. والذي جرى في اليمن لم يكن ثورة حقيقية. لكني لم اكتشف ذلك إلا مؤخراً». انظر: «Cairo to Secretary of State, No. 1311, 24 November 1965,» in: *The Lyndon B.* =

العمليات الحربية وبالتالي تصاعد المهاترات بين العرب. ولغرض إجراء الموازنة بوجه العقيدة الأخاذة للقومية العربية العلمانية بزعامة عبد الناصر قام فيصل باللجوء إلى راية الإسلام الدينية(٨٥). دعا في عام ١٩٦٦ إلى وضع ميثاق إسلامي يضم، بالإضافة إلى البلدان العربية المحافظة، دولاً أخرى مجاورة مثل إيران وتركيا وحتى باكستان.

إن الفكرة وراء هذا الميثاق الإسلامي هي تعبئة المحافظين العرب في جبهة متحدة ضد الثوريين. كان الإخفاق الذي أحاق بحلف بغداد ومبدأ آيزنهاور، قد أقنع السعوديين أن انتفاء المشاركة الغربية المباشرة والناشطة هو شرط مسبق لنجاح أي تجمع إقليمي موالٍ للغرب. لذا فإن الغرض الأساسي من الميثاق الإسلامي هو غرض جيوستراتيجي، على الرغم من الشكل الديني الذي أضفي عليه. استطاع فيصل أن يحظى بالتأييد لمقترحه خلال رحلته التي قام بها إلى إيران والأردن وتركيا والمغرب في عام ١٩٦٦(٨٦).

في موازاة هذه القوة الدافعة لتجميع المحافظين حدث اصطفاف للقوى العربية الثورية. ففي شباط/ فبراير ١٩٦٦ تولت مجموعة من الضباط اليساريين مقاليد السلطة في سوريا. كان نظام الحكم الجديد أكثر ثورية وتكرّساً للعمل الثوري في الداخل والخارج مما كان عليه النظام السابق. إنه «النظام الأكثر تطرفاً الذي لم تعرف سوريا مثيلاً له قط...»(٨٧). هاجم زعماء الانقلاب الحكام العرب الرجعيين وأعلنوا التخلي عن ميثاق التضامن العربي وبذلك انتهى الوفاق وبدأت الحرب الباردة العربية الثانية(٨٨).

دعا الضباط السوريون جميع البلدان العربية التقدمية إلى تشكيل جبهة مشتركة ضد الرجعية والإمبريالية، وكانوا كذلك يحبذون تقارباً أوثق مع الكتلة الاشتراكية الدولية، ولا سيما مع الاتحاد السوفياتي. أما الأمر المنذر بالشر فهو موقفهم الميال للقتال ضد إسرائيل وما نجم عنه من تزايد غارات الفدائيين في داخل فلسطين انطلاقاً من سوريا

= *Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969,* reel 8.

(٨٥) Fred Halliday, *Arabia Without Sultans: A Political Survey of Instability in the Arab World* (Harmondsworth, UK: Penguin, 1974), p. 70.

(٨٦) غسان سلامة، **السياسة الخارجية السعودية منذ عام ١٩٤٥: دراسة في العلاقات الدولية**، سلسلة الدراسات الاستراتيجية؛ ٣ (بيروت: معهد الانماء العربي، ١٩٨٠)، ص ٢٤١ و٦٤٦ ـ ٦٤٨، و**مجموعة خطب الملك حسين: ٢٥ عاماً من التاريخ، ١٩٥٢ ـ ١٩٧٧**؛ ج ١ (لندن: مؤسسة سمير مطاوع للنشر، ١٩٧٨)، ص ٤٠٨، ٤١١ ـ ٤١٤ و٤٤٤.

(٨٧) نقلاً عن: Patrick Seale, *Asad of Syria: The Struggle for the Middle East,* with the assistance of Maureen McConville (London: I. B. Tauris, ©1988), p. 104.

(٨٨) الرزاز، **التجربة المرة**، ص ٢٠٨، ٢١٦ ـ ٢١٨ و٢٤١ ـ ٢٤٢؛ رياض، **مذكرات محمود رياض**، ج ٢، ص ٣١١ ـ ٣١٢؛ Tabitha Petran, *Syria,* Nations of the Modern World (London: Ernest Benn, 1972), pp. 194 - 196, and Rabinovich, *Syria under the Ba'th, 1963 - 1966: The Army Party Symbiosis,* pp. 205 - 208.

والأردن. إلى هذا أسهم النظام السوري، بتشجيعه منظمة التحرير الفلسطينية على مهاجمة إسرائيل، في مزيد من التدهور في العلاقات الأردنية ـ الفلسطينية والعلاقات الأردنية ـ السورية، وهي متوترة أصلاً. بعبارة أخرى، أدى تغيّر نظام الحكم في دمشق إلى زيادة الاستقطاب في المنظومة الفرعية العربية[٨٩].

كان العامل الحاسم هو ما قرره عبد الناصر بالانضمام في عام ١٩٦٦ إلى الثوريين العرب في هجمة جبهوية ضد المحافظين العرب. قام الزعيم المصري في شباط/ فبراير بشن هجوم عنيف على الميثاق الإسلامي الذي اقترحه الملك فيصل، وقارنه بحلف بغداد، وقال إن هذا الاقتراح يرمي إلى اختراق الساحة العربية من الداخل باستخدام الرموز والشعارات الإسلامية. وانتهى عبد الناصر إلى القول إن الاقتراح يستهدف إعادة المنطقة إلى مجال النفوذ الغربي[٩٠].

إن خطاب عبد الناصر كان يرقى إلى مرتبة إعلان حرب على المحافظين العرب وعلى السياسة الأمريكية في المنطقة. ومع أنه لم يعلن رسمياً انتهاء دبلوماسية القمة حتى تموز/ يوليو ١٩٦٦ غير أن روح اجتماعات القمة كانت قد وهنت قبل ذلك بأمد غير قصير. فالهدنة بين البلدان العربية التي أعلنت في القمة الأولى في عام ١٩٦٤ قد انهارت. وكانت المجموعة الحاكمة الجديدة في دمشق أول من تخلى عن الوفاق العربي من جانب واحد. وما كان هذا سيعني كثيراً لولا تعاون مصر وموافقتها ومشاركتها الناشطة. وجاء قرار عبد الناصر لإنهاء التخاصم مع سوريا والوقوف في صفها بمثابة قبلة الموت التي قضت على دبلوماسية القمة ووحدة العمل العربي.

حادي عشر: نهاية اجتماعات القمة: مضاعفات وردود فعل

أنهى الإخفاق الدبلوماسي كافة الادعاءات بتزايد الانسجام والاتحاد في العلاقات العربية. ونظراً إلى عدم وجود منافذ لتصريف التوترات فقد ظلت الخصومات العربية تشتد والانشقاق بين المحافظين والثوريين يتوسع. كذلك حدث توجه جديد في العلاقات الدولية لهذين المعسكرين المتضادّين، فعوضاً من التمنّع عن التماهي مع الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفياتي أخذ كلا المعسكرين يقترب أكثر فأكثر منهما. وهكذا أخذ الاستقطاب في السياسات الإقليمية والدولية يعمل على تقويض الاستقرار والأمن في المجموعة الفرعية العربية وعلى إضعاف مقاومتها للنفوذ الأجنبي والضغوط الخارجية. إن الاستقطاب الثنائيّ الرأس في المسرح الدولي سينعكس على المستوى الإقليمي ويقيّد

(٨٩) **مجموعة خطب الملك حسين: ٢٥ عاماً من التاريخ، ١٩٥٢ ـ ١٩٧٧**، ج ١، ص ٣٦٣ ـ ٣٧٠؛ حمروش، **قصة ثورة ٢٣ يوليو**، ج ٥، ص ٩٠ ـ ٩٢؛ الرزاز، المصدر نفسه، ص ٢٠٨ و٢٤١ ـ ٢٤٢، و Petran, Ibid., pp. 194 and 196.

(٩٠) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، يوليو ١٩٦٤ ـ يونيو ١٩٦٦**، ج ٥، ص ٥٠٤ ـ ٥١٤.

اللاعبين العرب ويحدّ من قدرتهم على المساومة.

أما النتيجة الأهم فهي تحرر العناصر العربية الثورية من أي التزام بإبداء ضبطٍ للنفس إزاء إسرائيل. وكان المعتدلون العرب تحت ضغط أدبي وسياسي عظيم يدفعهم إلى العمل. وكانت إحدى المضاعفات الكبرى الناجمة عن انتهاء اجتماعات القمة تضاؤل نفوذ مصر في السياسات العربية، ما أدى إلى أن تكون للمتشددين الميالين للقتال اليد الطولى. لم يكن عبد الناصر قادراً على توجيه القوى المتنافسة في المنطقة، ناهيك عن السيطرة عليها. كان تخليه عن دبلوماسية القمة عملاً من أعمال القبول بالأمر الواقع. أما محاولاته الأخيرة لاسترداد مكانته فقد استغلها المتطرفون أحسن استغلال. وهكذا ألقى بالتحفظ والحذر أدراج الرياح وانضم إلى أولئك المتشددين الذين كانوا يدعون إلى موقف أكثر تصلباً ضد إسرائيل.

تزامنت هذه الأحداث مع ظهور توجه جديد في استراتيجيات الدولتين العظميين في الشرق الأوسط. فقد أجرى جونسون تغييرات مهمة في أولويات مصالح الولايات المتحدة في العالم. أخذت الحكومة الأمريكية تشدد كثيراً على تخاصمها مع الشيوعية السوفياتية وأصبحت أكثر التزاماً ونشاطاً في سياسة الاحتواء التي تسير عليها. كان التورط الأمريكي المتزايد في فييتنام نتيجةً لهذا التحول في التفكير. أما مغزى هذا التغيير فهو أن حكومة الولايات المتحدة لم تعد مستعدة للتعاون مع، وإرسال المساعدات الاقتصادية، إلى دول ذات علاقات ودية مع الكتلة السوفياتية وليست متقبلة للرغبات الأمريكية. وصار جونسون أكثر تصميماً على ممارسة الضغط على أولئك اللاعبين المعنيين وذلك لإجبارهم على تعديل سلوكهم. وكانت النتيجة تدهور علاقات الولايات المتحدة مع البلدان العربية الثورية، وتأتي في مقدمتها مصر.

وعلى خلاف وضع الولايات المتحدة لم تؤدِ التغييرات التي جرت في زعامة الاتحاد السوفياتي في عام ١٩٦٤ إلى أي تحول رئيسي في أولويات المصالح العالمية. لقد قدّر الذين خلفوا خروتشوف في السلطة المردودات السياسية لاستثمارهم في دول الأقطار النامية. كان ذلك الاستثمار حاسماً في المحافظة على مركزهم في المنطقة العربية وأساسياً في منازلتهم مع الغرب. لم يكن هناك أساس لما أقلق عبد الناصر في البداية. ومع أن الزعماء السوفيات الجدد ظلوا يعتبرون مصر بوابةً للوطن العربي إلا أن علاقاتهم مع بلدان عربية ثورية أخرى سارت نحو التحسن. كذلك أخذ السوفيات يزيدون من تدريبهم وتسليحهم لحركات التحرر الوطني في العالم الثالث. وفي مسعى لتوطيد مركزهم في الشرق الأوسط حاول السوفيات توحيد صفوف الثوريين العرب، وقد أفلح هؤلاء في جر رفقائهم الأقل ثورية إلى هاوية الحرب.

الفصل الثامن

المسيرة نحو الحرب، ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧

أولاً: التوجه الجديد في سياسات مصر الإقليمية والخارجية

ما الذي دفع عبد الناصر في عام ١٩٦٦ إلى التخلي عن الحياد الإيجابي، الدعامة الأساسية لسياسته الخارجية، والارتماء في أحضان المعسكر الاشتراكي؟ وما الذي يقف وراء تغيير سياسة مصر العربية باتجاه الثورية؟ وكيف يفسر انفتاح عبد الناصر نحو الحكم السوري المتشدد بعد سنين من المرارة المتبادلة والعداوة؟ إن فهم التحول في سياسات مصر الإقليمية والدولية يتطلب رحلة فكرية في الحالة الذهنية للزعماء المصريين.

كان عام ١٩٦٦ عاماً صعباً بالنسبة إلى مصر. فالجو العام السائد في البلاد كان كئيباً، وأدى الوضع الاقتصادي المتردي إلى إغضاب عدد كبير من المتعلمين والناس العاديين. وبحسب التقدير الموثوق الذي وضعته وكالة المخابرات المركزية كان الدين الداخلي في مصر قد بلغ أكثر من مليار ونصف المليار دولار. أما الدين الخارجي، وهو عادة من الأسرار التي لا تذاع، فلعله كان أكثر من مليارين ونصف المليار دولار. لذا زعمت دراسة الوكالة المذكورة أن حرية عمل عبد الناصر ستكون محدودة في المدى المنظور. وعمل على ازدياد تفاقم المشاكل المالية في مصر كثرة الالتزامات السياسية والاستراتيجية التي كانت تنافس أهداف البلاد الاقتصادية للحصول على ما يتيسر من الموارد الشحيحة أصلاً. مثلاً، كانت مصر تنفق ٦٠ مليون دولار سنوياً لدعم المجهود الحربي في اليمن. وبقيام عبد الناصر بقطع العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا الغربية فإنه عرض للخطر استمرار الائتمان المالي الممنوح من قبلها ويبلغ ٢٩٠ مليون دولار(١).

وفي الجبهة الإقليمية برزت تحديات خطيرة لمسعى مصر في طلب الزعامة للوطن العربي. وأخفقت دبلوماسية القمة في إعادة قضية الصراع مع إسرائيل إلى حالة التجميد.

---

(١) «The White House, Memorandum for the President by Walt W. Rostow, 18 June 1966,» and «CIA, Memorandum for the White House, Subject: Deficit Financing of Economic Progress in Egypt, 23 June 1966,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969,* Microfilmed from the Holdings of the L. B. Johnson Library, Austin, Texas, 8 reels (Frederick, MD: University Publications of America, 1989), reel 8.

ولم يتحقق الإجماع العربي حول هذا الموضوع بدليل استمرار الخطب ذات النزعة الراديكالية في سوريا التي كانت تصعد من المواجهة مع إسرائيل، وفي المقابل ظهرت دعوة تونس إلى المفاوضات مع الدولة اليهودية. أخفقت دبلوماسية القمة كذلك في ترتيب شؤون البيت العربي. وكان الصراع في اليمن يتطاول وينزف دماً، وأخفقت مبادرات عبد الناصر الشخصية في إنهاء الحرب هناك. وأدى انهيار اتفاقية جدة إلى تصاعد الأعمال الحربية. كانت مصر غارقة في معضلة اليمن العويصة ما وضع مزيداً من الضغط على اقتصادها الذي يعاني الأمرين أصلاً.

إلى هذا رأى عبد الناصر في مسعى فيصل لعقد ميثاق إسلامي تحدياً سياسياً مباشراً لزعامته ومحاولة من إدارة جونسون لعزل مصر في المنطقة. وأصبح المسؤولون في مصر يرتابون بدور الولايات المتحدة في اليمن، وصاروا على قناعة بأن جونسون يساعد فيصلاً سياسياً وعسكرياً للإطاحة بنظام حكم عبد الناصر. وتأكدت شكوكهم حين عقدت الولايات المتحدة وبريطانيا صفقة أسلحة كبيرة مع السعودية لتحديث قواتها المسلحة وتدريبها[٢]. بيد أن عدم ثقة عبد الناصر بنيات الولايات المتحدة لم يكن نابعاً من مسألة اليمن فقط؛ كان مرتبطاً بشكل أوسع بالتدهور المطرد في العلاقات الأمريكية ـ المصرية منذ عام ١٩٦٤.

كان تعليق إرسال المساعدات الأمريكية في عامي ١٩٦٥ و ١٩٦٦ عاملاً جوهرياً في إشاعة المرارة في أوساط الزعامة المصرية. وكان إيقاف إمدادات القمح مؤلماً بشكل خاص؛ وقد حذر السفير الأمريكي، لوشيوس باتل، مرؤوسيه من حدوث مجاعة ما لم تستأنف مبيعات القمح سريعاً. وشعر عبد الناصر أن جونسون كان مصمماً على إذلاله وتجويع بلاده حتى الهلاك التام، وكان يعتقد أن الرئيس الأمريكي عازم على تحطيمه. إن هذا مثل آخر على تأثير شخصيات الأفراد في العلاقات بين الدولتين. رفض عبد الناصر ما وصفه بسياسة أمريكية تهدف إلى «الموت بالتجويع» ونذر على نفسه أن يقاوم أشكال الضغط، السياسية والاقتصادية كافة.

لم تسفر زيارة السادات إلى واشنطن في شباط/ فبراير ١٩٦٦ عن تبديد قلق الزعماء المصريين[٣]. قال جونسون للسادات إن عدداً من الصعوبات القائمة بين البلدين ما هي

---

(٢) «Department of State, Memorandum for Mr. Walt W. Rostow, the White House, Subject: Appointment with UAR Ambassador, 30 June 1966,» in: Ibid.;

مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، يوليو ١٩٦٤ ـ يونيو ١٩٦٦، ج ٥ (القاهرة: مصلحة الاستعلامات، ١٩٦٧)، ص ٥٠٤ ـ ٥١٤، وأحمد الشقيري، **على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء** (بيروت: دار العودة، ١٩٧٢)، ص ١٣٧.

(٣) **خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بمناسبة عيد النصر في بورسعيد، ٢٣ ديسمبر ١٩٦٦** (القاهرة: مصلحة الاستعلامات، [د. ت.])، ص ٢٣ ـ ٢٥ و٢٩ ـ ٣٠؛ أحمد حمروش، **قصة ثورة ٢٣ يوليو**، ج ٥: **خريف عبد الناصر** (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٨٤)، ص ٨٠ و٨٣؛ Anwar El-Sadat, = *In Search of Identity: An Autobiography* (London: Collins, 1978), pp. 154 and 164, and

إلا من قبيل مشاكل العلاقات العامة، وشدد على الحاجة إلى بحث المشاكل المتبادلة بهدوء وبشكل خصوصي غير علني بدلاً من إذاعتها بمكبرات الصوت، وفي هذا إشارة إلى خطب عبد الناصر. كان وزير الخارجية الأمريكية دين راسك قد قال قبل ذلك لنظيره المصري محمود رياض إن حكومة الولايات المتحدة تجد تصريحات عبد الناصر أمراً مضراً بعلاقاتهما المتبادلة ولا يساعدها في شيء، وشدد كذلك على الحاجة إلى دبلوماسية هادئة[٤]. لم يقتنع الرئيس المصري بهذه المحاجات، وكان يرى أن الدبلوماسية الهادئة ستؤدي إلى ركود الثورة المصرية، لا بل حتى إلى موتها. كان مكبّر الصوت أقوى الأسلحة في ترسانته، فقد مكنه من تعبئة الجماهير العربية ومن مواجهة أعدائه بشكل فعال. كان مطلب الولايات المتحدة يرمي، بنظر عبد الناصر، إلى تجريد مصر من سلاحها وذلك بفصله عن قاعدته الشعبية[٥].

بحلول نهاية عام ١٩٦٦ كان عبد الناصر قد توصل إلى نتيجة مفادها أن جونسون يعمل بشكل وثيق مع أعداء مصر في المنطقة وذلك لقلب نظامه، فبالإضافة إلى قيام الإدارة الأمريكية بتزويد إسرائيل والسعودية والأردن بالأسلحة بصورة مباشرة فإنها كانت تشجع فيصلاً على تبني حلف مقدس لعزل مصر في الوطن العربي. إن تعليق المساعدات الغذائية وتزايد نشاط وكالة المخابرات المركزية في داخل مصر وفي المنطقة أقنعا عبد الناصر بوجود مؤامرة أنغلو ـ أمريكية للإطاحة بنظامه. قال السفير المصري في واشنطن لأحد كبار الدبلوماسيين الأمريكيين ان الزعماء المصريين كلهم يعتقدون أن وكالة المخابرات المركزية كانت تسعى للإطاحة بنظام الحكم الناصري[٦].

وفي نظر عبد الناصر فقد كان كلّ من الوضع الدولي والوضع الإقليمي ينذر

Mohammed Hasanayn Heikal, *Nasser: The Cairo Documents* (London: New English Library, = 1972), pp. 210 - 211.

(٤) «Department of state, Memorandum of Conversation, Subject: U.S. - UAR Relations, Yemen, 23 February 1966,» and «Memorandum of Conversation, Subject: U.S. - UAR Relations, 4 October 1965 (part II of III),» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969*, reel 8.

(٥) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، يوليو ١٩٦٤ ـ يونيو ١٩٦٦**، ج ٥، ص ٣٧٢ ـ ٣٧٣؛ **خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بمناسبة عيد النصر في بورسعيد، ٢٣ ديسمبر ١٩٦٦**، ص ٢٩ ـ ٣٠، ومحمد حسنين هيكل، **نحن... وأمريكا** (القاهرة: دار العصر الحديث، ١٩٦٧)، ص ١٥٠ ـ ١٥٢.

(٦) حمروش، **قصة ثورة ٢٣ يوليو**، ج ٥، ص ٨٢ ـ ٨٣؛ أحمد يوسف أحمد، **الدور المصري في اليمن، ١٩٦٢ ـ ١٩٦٧** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١)، ص ٣١٩، و«Department of State, Memorandum of Conversation, Subject: U.S. - UAR Relations, 17 September 1965,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969*, reel 8.

بالخطر. وفي كلمة ألقاها ترحيباً بتيتو عند زيارته لمصر في أيار/مايو ١٩٦٦ تكلم عن وجود ثورة مضادة رجعية - إمبريالية في عالم عدم الانحياز. ورثى حقيقة بعينها هي أن حركات التحرر الوطني كانت تتلقى الهجمات وتتراجع في كل مكان. وضرب مثلاً بالإطاحة بنكروما في غانا وبسوكارنو في إندونيسيا. كما أنه عزا السبب الرئيسي وراء النكسة الحادثة في صفوف التجمع الافريقي - الآسيوي إلى الصراعات الحادة الناشئة بين أعضائه مثل الخصام الصيني - السوفياتي والصراع الصيني - الهندي والنزاع الهندي - الباكستاني[٧].

وأضاف عبد الناصر يقول إن إخفاق الكتلة الافريقية - الآسيوية في حل أزماتها سلمياً يمتص قوتها ويعرضها لعمليات ابتزاز من قِبَل الغرب. فهذا الغرب في حالة هجوم وعالم عدم الانحياز في حالة دفاع، لذا فإن ميزان القوى الدولية قد مال إلى جانبه. وتساءل: ما الذي يجب عمله؟ وكيف يمكن حركات التحرر أن تسترد المبادرة وتصد هذا «الهجوم الإمبريالي المقابل»؟ وكان جوابه بسيطاً: العمل الإيجابي. كان هذا يعني في التطبيق أن على الدول المستقلة حديثاً أن ترص صفوفها وتتحد. ولمصر بالطبع دور أساسي تقوم به لمقاومة هذه الثورة المضادة وإفشالها[٨].

إن تحليل عبد الناصر للصعوبات التي تواجه عالم عدم الانحياز وخططه في التغلب عليها أمر يلقي الضوء على تفكيره. كانت مصر بنظره ونظر زملائه في حالة حصار، وتحيطها المخاطر من كل صوب. والإمبريالية تستهدف مصر بسبب دورها القيادي في حركة القومية العربية والائتلاف الإفريقي - الآسيوي. تساءل الزعيم المصري: كيف يفسر المرء الضغوط الأمريكية الهائلة، الاقتصادية منها والسياسية، التي تتعرض لها مصر، إلا بالتفسير الآنف الذكر؟[٩].

أما إعادة التجمع في صفوف المحافظين العرب فكانت تنظر إليه القاهرة على أنه جزء من هجمة عالمية على أنظمة الحكم التقدمية. والحل يكمن، برأي عبد الناصر، في تضامن قوى حركة التحرر العالمية. إن تصوره للخطر الذي يتهدد أمن نظامه قد دفعه إلى تقريب مصر أكثر فأكثر من المعسكر الراديكالي على أمل مواجهة محتملة مع العرب

---

(٧) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، يوليو ١٩٦٤ - يونيو ١٩٦٦**، ج ٥، ص ٥٥٥ - ٥٦١.

(٨) المصدر نفسه، ص ٥٥٧ و٥٦٠ - ٥٦١، انظر ايضاً تقرير وكالة المخابرات المركزية عن محادثة سرية بين عبد الناصر وبعض الزعماء الآسيويين في: «CIA, Intelligence Information Cable, Subject: Nasir's Account of his Talks with Chou En Lai, Sukarno, Ayub Khan, and Shastri, 3 July 1965,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969,* reel 8.

(٩) **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، يوليو ١٩٦٤ - يونيو ١٩٦٦**، ج ٥، ص ٥٨٠ و٥٩٠؛ المشير محمد عبد الغني الجمسي، «حرب اكتوبر: شهادتي للتاريخ والاجيال،» **اكتوبر** (١٠ ايلول/ سبتمبر ١٩٨٩)، ص ٣٨، وهيكل، **نحن... وأمريكا**، ص ١٥٠.

المعتدلين وحلفائهم الغربيين. هذا هو المفتاح لفهم قرار عبد الناصر بإنهاء دبلوماسية القمة في تموز/يوليو ١٩٦٦ والدعوة إلى وحدة القوى الثورية العربية: وجاء تغيير السياسة الخارجية المصرية إلى الراديكالية ليعمق التوترات السائدة في المنطقة. أخذ عبد الناصر يراقب التصعيد الجاري على الجبهة السورية ـ الإسرائيلية بقلق متزايد لأنه لم يعد قادراً على تهدئة السوريين من خلال آلية اجتماعات القمة العربية. إن رغبته في استعادة شيء من السيطرة على صنع السياسة في دمشق لعبت دوراً سياسياً في قراره بالتوقيع على اتفاقية دفاع مشترك مع السوريين في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٦ تعهد فيها بالوقوف إلى جانبهم إذا تعرضت بلادهم إلى هجوم شامل(١٠).

ثانياً: واشنطن والقاهرة: في الطريق إلى المواجهة

بارك الزعماء السوفيات الدعوة إلى وحدة القوى التقدمية وشجعوا عليها، ولعب هذا الموقف دوراً مهماً في حسابات عبد الناصر. وعندما قام رئيس الوزراء كوسيغين بزيارة مصر في أيار/مايو ١٩٦٦ أقنعها وأقنع سوريا بأن يخففا من تخاصمهما وأن يتعاونا في ما بينهما عسكرياً. بحلول ذلك الوقت كان عبد الناصر قد فقد أمله بالسياسة الأمريكية التي كان ينظر إليها على أنها موالية لإسرائيل ومناهضة لمصر بشكل لا رجوع عنه(١١). كان المناخ السائد في واشنطن في عام ١٩٦٦ معادياً كذلك، وقد كتب هارولد سوندرز، أحد كبار المسؤولين في مجلس الأمن القومي والمكلف بالشرق الأوسط، يقول: «نحن لسنا غاضبين [من عبد الناصر]؛ نحن قد نفد صبرنا»(١٢). وقال السفير باتل

---

(١٠) Patrick Seale, *Asad of Syria: The Struggle for the Middle East,* with the assistance of Maureen McConville (London: I. B. Tauris, ᶜ1988), p. 126; Adeed I. Dawisha, *Egypt in the Arab World: The Elements of Foreign Policy* (London: Macmillan, 1976), p. 47;

مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، يوليو ١٩٦٤ ـ يونيو ١٩٦٦، ج ٥، ص ٥٦٣، ٥٧١ و٥٩٧ ـ ٥٩٨، **وخطاب الرئيس جمال عبد الناصر بمناسبة عيد النصر في بورسعيد، ٢٣ ديسمبر ١٩٦٦،** ص ٤٧.

(١١) Mahmoud Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East* (London: Quarter Books, 1981), p. 16; Tom Little, *Modern Egypt,* Nations of the Modern World (London: Ernest Benn, 1967), p. 231; Jaan Pennar, *The U.S.S.R. and the Arabs: The Ideological Dimension* (London: Hurst, 1973), pp. 75 - 76; Tabitha Petran, *Syria,* Nations of the Modern World (London: Ernest Benn, 1972), p. 194; Mohammed Hasanayn Heikal, *Sphinx and Commissar: The Rise and Fall of Soviet Influence in the Arab World* (London: Collins; New York: Harper, 1978), pp. 161 - 162 and 165 - 167, and

حمروش، **قصة ثورة ٢٣ يوليو،** ج ٥، ص ٨٣ ـ ٨٤ و٩٤.

(١٢) «Hal Saunders, Recommend Clearing Cable from Hare to Battle with Added Final Sentence, 4 June 1966,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969,* reel 8.

كذلك إن هناك قدراً كبيراً من عدم اليقين والتوتر والشعور بتثبيط العزائم كان يسود في العلاقات بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة، وزعم أن البلدين كانا «على منحدرٍ زلق يتجه نحو مواجهة من النوع الذي حدث في ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨». وقد حذر مرؤوسيه في واشنطن مطالباً بأن يتذكروا أنهم يتقربون من حدٍ فاصل في علاقاتهم مع مصر(١٣).

بيد أن كلا الطرفين أدرك الضرر الذي قد يصيب مصالحه من جراء هذا التصادم. وقد لجأ إلى قنوات دبلوماسية سرية في مسعى لمنع وقوع القطيعة في العلاقات. ذكر علوي حافظ، النائب في مجلس الشعب المصري، في كتاب سيرته الذاتية أن عبد الناصر قد خوله القيام بمهمة سرية إلى واشنطن كحلقة اتصال بين الدولتين. يقول حافظ في سيرته إن كلاً من جونسون وعبد الناصر كان مرناً ومیالاً لحل الخلافات بين الطرفين(١٤). إلى هذا كان عبد الناصر قد خول سفيره في واشنطن أن يقوم بإبلاغ جونسون ببعض الأفكار المعينة التي كانت مصر على استعداد للعمل بموجبها إسهاماً منها في تحسين العلاقات الأمريكية ـ المصرية بشكل عام، وهي: (١) إن مصر ستقبل بإجراءات التفتيش على منشآتها النووية إذا استطاعت الإدارة الأمريكية أن تقنع إسرائيل بالقبول بها؛ (٢) وهي ستستمر في الإبقاء على قضية إسرائيل في حالة تجميد؛ (٣) إن عبد الناصر يريد أن يخرج من اليمن، وهو يأمل أن تدعم الولايات المتحدة جهود الوساطة الكويتية(١٥).

أرسل عبد الناصر برلمانياً مصرياً آخر هو سيد مرعي إلى واشنطن في مهمة سياسية للتفاوض مع الحكومة الأمريكية بشأن تمويل مصنع لتنقية المياه في مصر. ذكر مرعي أن مسؤولي وزارة الخارجية الأمريكية أخبروه في البداية أنهم مهتمون بالمشروع لكنهم غيروا رأيهم بعدئذٍ. وقال أيضاً إن عبد الناصر لم يندهش من التغيير المفاجىء في موقف الإدارة الأمريكية وذلك بسبب حالة عدم اليقين التي كانت سائدة في العلاقات بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة(١٦). هذا ولم يكن جونسون كذلك راغباً في مواجهة مع عبد الناصر، على الرغم من اعتقاد هذا الأخير بعكس ذلك. وفي ربيع عام ١٩٦٦ أخذ القلق يساور المسؤولين في الولايات المتحدة من جراء التطابق المتزايد في وجهات

---

(١٣) «Cairo to Secretary of State, No. 3062, 25 May 1966 [sections one and two of two],» in: Ibid.

(١٤) علوي حافظ، **مهمتي السرية بين عبد الناصر وأمريكا** (القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٧٦)، ص ١١٠ ـ ٢٧٠.

(١٥) «The White House, Memorandum for the Record, 10 August 1966,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969,* reel 8.

(١٦) سيد مرعي، **أوراق سياسية: من أزمة مارس الى النكسة** (القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٧٨)، ص ٤٧٤ ـ ٤٨٣.

النظر السوفياتية والمصرية. وقد لاحظوا باهتمام الأخطار الكامنة في الاستقطاب الجاري في المنطقة وفق اتجاهات الحرب الباردة. وترددت في داخل الإدارة الأمريكية بعض الأصوات المنادية بضبط عبد الناصر وتحجيمه. لكن الرأي السائد كان يقول بأن على سياسة الولايات المتحدة في المنطقة أن تستمر في التركيز على مصر بصفتها الدولة العربية الأهم والأكثر نفوذاً[١٧].

في مذكرة إلى الرئيس جونسون كتبها وزير خارجيته راسك في أيلول/ سبتمبر ١٩٦٥ قال فيها إن مصر ستستمر في كونها مركز السياسات العربية وستستمر «في رسم المواقف العربية سواء مع وجود مساعدات اقتصادية أمريكية أو عدم وجودها، وسواء مع وجود عبد الناصر أو عدم وجوده». ورأى راسك أن موقف الولايات المتحدة نحو الزعيم المصري يمكن أن يقرر ليس فقط طبيعة العلاقات المصرية ـ الأمريكية وإنما يقرر كذلك مجرى الأحداث في الشرق الأوسط.

لذلك نصح الوزير بالمرونة والاعتدال نحو عبد الناصر وأوصى بأن تسترشد الحكومة الأمريكية بأفعاله لا بأقواله[١٨].

بعد سنةٍ من ذلك ذكر راسك أن الادارة قد توصلت الى نتيجة مفادها أن الحفاظ على علاقة عمل مع مصر أمر جوهري للاستمرار في علاقات مرضية مع المنطقة ككل، وقال: «إن مصالحنا في الشرق الأدنى متصل بعضها ببعض بشكل متداخل». وأضاف ان التجربة قد أظهرت لنا أن هذه المصالح سيلحق بها الضرر حين تصطدم الولايات المتحدة اصطداماً مباشراً مع مصر[١٩]. وبحلول نهاية عام ١٩٦٦ كان الرأي السائد في واشنطن يفيد بأنه لا مصلحة لإدارة جونسون في محاولة ازاحة عبد الناصر، وأنه من الضروري ابقاء الباب مفتوحاً مع مصر والحيلولة دون تدهور الوضع فيها الى حد الفوضى التامة[٢٠].

---

(١٧) The White House, Memorandum for the President by Dean Rusk, Subject: The Protection of American Interests in the Near East, 23 September 1965 [enclosure 4]»; «Embassy Cairo to Secretary of State, No. 2139, 21 February 1966 [section two of two]»; «Embassy Cairo to Secretary of State, No. 3062, 25 May 1966 [section two of two]»; «Department of State to Embassy Cairo, No. 5762, 14 April 1966,» and «Department of State to Embassy Cairo, No. 6581, 4 June 1966,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969,* reel 8.

(١٨) «Memorandum for the President by Dean Rusk, 23 September 1965,» in: Ibid.

(١٩) «Department of State, Memorandum for Discussion by Dean Rusk, 16 June 1966,» in: Ibid.

(٢٠) «The White House, Current State of U.S. - UAR Relations, 12 August 1966,» in: Ibid.

بيد أنه كانت هناك بعض التناقضات الملازمة لسياسة الولايات المتحدة. كانت الادارة الأمريكية تواقة من جهة للحفاظ على صلات وثيقة مع مصر، وكانت من جهة أخرى تطبق اجراءات اقتصادية متشددة سلبية ضد عبد الناصر لتضطره الى الاستسلام والقبول بشروطها. ان عدم الاتساق هذا كان نابعاً من فرضية تقول ان قطراً صغيراً يعاني المشاكل كمصر لا يمكنه أن يقاوم الضغوط الاقتصادية والسياسية التي تسلطها عليه دولة عظمى. ووفقاً لهذه الفرضية قررت الإدارة الأمريكية ألا تفعل شيئاً وأن تنتظر الى حين انهيار المقاومة المصرية[٢١].

ان هذا التحليل يبالغ في تأثير مشاكل مصر الداخلية في سياستها الخارجية، ويبالغ كذلك في سطوة المساعدات الأمريكية وما لها من نفوذ. كتب السفير باتل في أيار/مايو ١٩٦٦ مثلاً عن تزايد التذمر المحلي من عبد الناصر في أوساط الطبقات العليا وتكهن بإمكانية وقوع انقلاب موالٍ للغرب ضد الزعيم المصري قائلاً: ان عبد الناصر «في أزمة،» وإن قراراً أمريكياً بإرسال المساعدات أو عدم إرسالها يمكن أن يقرر مستقبل نظام حكمه[٢٢]. لقد بالغ باتل في مدى التذمر الداخلي في مصر. كانت الطبقات العليا أقل الفئات اقتداراً على القيام بتحدٍ حقيقي للنظام، فهي قد قاست كثيراً تحت حكم الضباط الأحرار فغدت على الهامش. أما إمكانية حدوث تمرد ضد عبد الناصر فقد كان باتل يعتمد في ذلك على الاشاعات مصدراً لمعلوماته.

ان مما يقلل من مستوى التقييم الذي وضعه باتل أنه لا يأخذ بالاعتبار قدرة نظام عبد الناصر على التكيف وقابليته لتحمل الشدائد، كما أنه يتجاهل طاقة مصر على استغلال تكتلات القوى الاقليمية والدولية لمقاومة الضغوط الأمريكية. ان التحول الثوري في السياسة المصرية في عام ١٩٦٦ ينبغي أن ينظر اليه في هذا الضوء. كان تحالف عبد الناصر مع سوريا وتقاربه مع الاتحاد السوفياتي مرتبطين ارتباطاً مباشراً بتصوره لحملة غربية ترمي الى تجويعه، إما الى حد الاستسلام أو الى حد الهلاك التام. وكما أظهر هذا الكتاب فإن الأطراف الفاعلة المحلية تتطلع الى دعم خارجي كلما وقع عليها ضغط شديد. في أوائل عام ١٩٦٧ قرر عبد الناصر «أن ينفض يديه من الغرب» وذلك بإبلاغ السفير الأمريكي المغادر باتل بأن مصر لن تجدد طلبها للمعونات. ان تخاوف الولايات المتحدة بأن الاستقطاب في المنطقة سيكون وفق توجهات الحرب الباردة قد تحققت فعلاً.

كانت النتيجة أن وجدت الولايات المتحدة ومصر في عام ١٩٦٧ أنهما على طرفي

---

(٢١) «Embassy Cairo to Secretary of State, No. 2139, 21 February 1966 [sections one and two of two],» and «Embassy Cairo to Secretary of State, No. 3062, 25 May 1966 [section two of two],» in: Ibid.

(٢٢) «Embassy Cairo to Secretary of State, No. 3062, 25 May 1966 [section two of two],» in: Ibid.

نقيض. وصار لا مفر من وقوع الاصطدام. كان عبد الناصر، من كانون الثاني/يناير ١٩٦٧ حتى حرب حزيران في السنة نفسها، يشن هجوماً دعائياً قاسياً جداً على الإمبريالية الأمريكية وعملائها العرب. كان جونسون بنظره مصدراً لمعظم المؤامرات والانقسامات التي ابتلي بها الوطن العربي. ان استحواذ شبح جونسون الشخصي على تفكير عبد الناصر قد أدى الى تصعيد حرب الكلام ضد الولايات المتحدة. وحل مكبر الصوت محل الدبلوماسية باعتباره الأداة المفضلة للحوار السياسي لدى عبد الناصر. ان قراءة دقيقة لخطبه في هذه المرحلة تقود المرء الى الاعتقاد بأنه كان قد تخلى عن عدم الانحياز لصالح العمل الثوري.

ثالثاً: مسألة اسرائيل في الحرب الباردة العربية الثانية

بحلول عام ١٩٦٧ كانت مصر تعتمد كل الاعتماد على المساعدات الاقتصادية السوفياتية. ومع أن موسكو كانت سباقة في دعم عبد الناصر إلا أنها لم تكن تستطيع تزويده بذلك الحجم من المساعدات الذي يحتاج اليه. كان على المصريين أن يشدوا أحزمتهم أكثر فأكثر. وقد رسم السادات صورة قاتمة لروح الأمة فقال: «في أوائل عام ١٩٦٧ كانت الكآبة متفشية في أرجاء مصر كلها. البلاد مفلسة؛ وخطة التنمية الاقتصادية طموحة جداً وما من أموال متاحة لتمويلها»[(٢٣)].

كانت الصعوبات الاقتصادية والسياسية تتفاقم في مصر بفعل الاستقطاب المتزايد في بيئة المنطقة. فزعامة عبد الناصر للمنظومة الفرعية العربية تتآكل، والمعسكر المحافظ العربي يتحد بكل فئاته ضد مصر، والكتلة الثورية تفتقر الى وحدة الهدف. وبالاضافة الى حالة الاستعصاء العسكري في اليمن. كانت المناوشات الكلامية الفتاكة تنهش صفوف الجمهوريين وتفرقهم شيعاً. وثبت أن تهدئة المشاعر السورية كانت أمراً مستحيلاً. وكان فيصل يقترح الاسلام كقوة سياسية بديلاً عن القومية العربية العلمانية ويمضي في اقتراحه على نحو جدي.

وظهرت علامة أكثر شؤماً هي الخلافات بين البلدان العربية حول مسألة اسرائيل. كانت القضية الفلسطينية تلعب مرة أخرى دوراً انقسامياً في السياسات العربية. وكان نظام الحكم السوري الجديد أكثر تطرفاً من سلفه في نظرته للصراع العربي ـ الاسرائيلي. وقد كان لدى عبد الناصر أمل في التوقيع على ميثاق دفاعي مع سوريا في شهر تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٦.

ثمة عامل آخر أخذ يعقد الخلافات العربية هو منظمة التحرير الفلسطينية. حين جرى إنشاؤها في عام ١٩٦٤ كان الحكام العرب يتصورونها أداة طيّعة بيد المنظومة

(٢٣) El-Sadat, *In Search of Identity: An Autobiography*, pp. 164 and 168, and Little, *Modern Egypt*, p. 230.

الفرعية للبلدان العربية، وأغفلوا إمكانية قيامها بتحدي الوضع القائم بالانحياز الى الانظمة التصحيحية. وتماهى الفلسطينيون مع الكلام الثوري الصادر من دمشق والقاهرة، وكانت كلتا العاصميتن تعد الفلسطينيين المحرومين من دولة بخلاص مبكر من خلال التحرير. ومع أن مصر كانت تسيطر على جهاز المنظمة الرسمي إلا أن سوريا ساندت الفئات المنشقة وأخذت تدرب مليشيات المنظمة وتسلحها، وتشجع المنشقين على القيام بغارات في داخل فلسطين انطلاقاً من الأراضي الأردنية(٢٤).

كان لا بد أن يؤدي ما تقوم به اسرائيل من غارات انتقامية عقابية ضد الأردن الى تعقيد العلاقات بين الأردن والفلسطينيين من جهة وبينه وبين سوريا من جهة أخرى. الى هذا كان الملك حسين معارضاً بإصرار لاقتراح رئيس المنظمة أحمد الشقيري القاضي بتعبئة الفلسطينيين الموجودين في الضفة الغربية والأردن، وكان يرى أن في هذا الاقتراح تجاوزاً على سلطته وخروجاً على المهمة الأصلية التي خولت بها المنظمة. ان زعماء المنظمة، وكذلك زعماء مصر وسوريا، كانوا كلهم بنظر الملك قد وقعوا تحت سيطرة الشيوعية الدولية(٢٥). وكان قلقاً بشكل خاص بشأن مساعدة مصر وسوريا لمنظمة التحرير في داخل الأردن. أما السوفيات فقد كانوا يقدمون دعماً معنوياً للفلسطينيين وذلك باتهام العاهل الأردني بالتواطؤ مع اسرائيل ضدهم. وأصبح الملك مقتنعاً بوجود مؤامرة شيوعية للإطاحة به، ما جعله أكثر تصميماً، كما قال في ما بعد، للدفاع عن مملكته ومقاومة استيلاء الشيوعيين على العالم الاسلامي. وذكر أيضاً أن ادارة جونسون لم تتخل عنه في ساعة العُسْرَة، بل دعمته سياسياً وزودته بكميات كبيرة من الأسلحة لموازنة ما يقوم به الاتحاد السوفياتي من ارسال الأسلحة الى مصر وسوريا والعراق(٢٦).

وبالاضافة الى إغلاق مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية في الأردن قام الملك حسين ورئيس وزرائه وصفي التل بتحذير سوريا بألا ترسل الفدائيين الفلسطينيين عن طريق الأراضي الأردنية لمهاجمة إسرائيل. كانت النتيجة أن بلغت العلاقات السورية ـ الأردنية حافة القطع. وأخذ الملك ورئيس وزرائه يندان بقبول عبد الناصر ببقاء قوات الأمم المتحدة في سيناء والسماح لإسرائيل بحق المرور في خليج العقبة. واتهم راديو عمان عبد الناصر أنه اختار الخروج من الصراع العربي ـ الاسرائيلي وذلك «بالاختفاء وراء غطاء قوات الطوارىء التابعة للأمم المتحدة». جاء هذا التحدي المباشر لزعامة عبد الناصر للوطن العربي في وقتٍ تزايدت فيه الغارات العقابية الإسرائيلية ضد سوريا وقواعد

(٢٤) Seale, *Asad of Syria: The Struggle for the Middle East*, pp. 123 - 124.

(٢٥) **مجموعة خطب الملك حسين: ٢٥ عاماً من التاريخ، ١٩٥٢ ـ ١٩٧٧**، ج ١ (لندن: مؤسسة مطاوع للنشر، ١٩٧٨)، ص ٤٤٢ ـ ٤٤٣.

(٢٦) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٤٣، وحسين، ملك الأردن، **مهماتي كملك** (عمان: الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧٨)، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٧.

الفلسطينيين في الأردن[٢٧].

كان الغرض السياسي من وراء سياسة الانتقام التي انتهجتها اسرائيل ليس فقط تلقين سوريا درساً بل فضح الضعف في مصر وإهانة عبد الناصر. وبحلول أواخر عام ١٩٦٦ وأوائل عام ١٩٦٧ كان المسؤولون في إسرائيل قلقين جداً بشأن التحالف الجديد بين الاتحاد السوفياتي والبلدان العربية الثورية، ولا سيما سوريا، وساورهم القلق أيضاً بشأن اعادة الصلات بين القاهرة ودمشق وبشأن ميثاق الدفاع الجديد الذي عقد بين مصر وسوريا بمباركة الاتحاد السوفياتي. ان اسرائيل، بمهاجمتها سوريا، كانت تريد إظهار العجز في الميثاق المذكور وبالتالي إظهار ضعف عبد الناصر[٢٨].

هذا ولفهم موقف اسرائيل المتصلب نحو جاراتها العربيات فهماً كاملاً يجب التركيز على الوضع السياسي المحلي وعلى التقييم الذي يجريه زعماء اسرائيل لقوة الردع التي لديهم. وقد رسم عدد من المؤلفين الاسرائيليين صورة زاهية لاضطراب الحالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي كانت تنتاب المجتمع الاسرائيلي في ذلك الحين. ان حلول ليفي إشكول محل بن غوريون رئيساً للوزراء زاد من حدة المنافسة السياسية الجارية بين قواهما. وهذا التخاصم جعل سياسة ضبط النفس والتراضي التي يتبعها إشكول تجاه البلدان العربية سياسة يصعب الاستمرار فيها. إن ديناميات السياسات الحزبية أخضعت إشكول لضغط متواصل وجعلته يرد بعنف على الاستفزاز الخارجي لمسايرة صورة الضراوة التي كان يتحلى بها بن غوريون[٢٩].

كانت اسرائيل منقسمة داخلياً كما لم تنقسم في السابق قط: «شيء واحد فقط يمكن أن يزيل الخلافات ويعيد تماسكها الباطني - حدوث خطر خارجي يتهددها»[٣٠]. يزعم ديفيد كيمحي ودان باولي انه كان من السهل العثور على هذا الخطر في الغارات المتبادلة بين العرب وإسرائيل. وقد استنتج هذان الكاتبان أن شعبية إشكول التي كانت في الحضيض تصاعدت الى عنان السماء بعد إسقاط ست طائرات سورية مقاتلة في نيسان/

(٢٧) **مجموعة خطب الملك حسين: ٢٥ عاماً من التاريخ، ١٩٥٢ - ١٩٧٧**، ج ١، ص ٥٢٣ - ٥٢٥؛ حسين، ملك الأردن، المصدر نفسه، ص ٢٠٦؛ وصفي التل، **كتابات في القضايا العربية** (عمّان: دار اللواء للصحافة والنشر، ١٩٨٠)، ص ٢٤٥، و Peter John Snow, *Hussein: A Biography* (London: Barrie and Jenkins, 1972), pp. 170 - 171.

(٢٨) Abba Eban, *An Autobiography* (London: Weidenfeld and Nicolson, 1977), p. 314; David Kimche and Dan Bawly, *The Sand Storm: The Arab-Israeli War of June 1967; Prelude and Aftermath* (New York: Stein and Day, 1968), p. 45; Yair Evron, *The Middle East: Nations, Superpowers, and Wars,* International Relations Series; vol. 5 (London: Elek Books; New York: Praeger, 1973), pp. 67 and 72, and Petran, *Syria,* pp. 196 - 197.

(٢٩) Kimche and Bawly, Ibid., pp. 62 and 69; Evron, Ibid., pp. 67 - 68, and Eban, Ibid., p. 315.

(٣٠) Kimche and Bawly, Ibid., p. 69.

ابريل ١٩٦٧[٣١]. ان هذا الحادث، والاشتباكات الدموية الأخرى مع الأردن، قد أدت الى تصعيد التوتر في الساحة العربية ـ الاسرائيلية. وقد هدد فريق من صناع السياسة في اسرائيل الحكومة السورية بألا تستمر في أعمالها «العدائية». وفي يومي ١٢ و١٣ أيار/مايو ١٩٦٧ قام رئيس الوزراء إشكول ورئيس أركانه الجنرال اسحق رابين بإنذار سوريا بأن إسرائيل سترد رداً حازماً جداً على الاستفزاز المستمر[٣٢]. وتدخل المسؤولون السوفيات لكبح جماح الإسرائيليين ولتطمين السوريين، فقد أعلموا السفير الإسرائيلي في موسكو أن هجوماً على سوريا سيؤدي الى عواقب خطيرة، كما نبهوا وزير الخارجية أبا إيبان إلى الخطر في القيام بأية مغامرة عدوانية[٣٣].

شعر السوريون بالقلق من التهديدات الاسرائيلية وكانوا يخشون وقوع هجوم يستهدف الإطاحة بنظام حكمهم. وقد أدى التدهور في علاقاتهم مع المحافظين العرب ومع الغرب بشكل عام الى زيادة قلقهم. فأخبروا عبد الناصر بأن اسرائيل قد قامت بتعبئة ١٨ فرقة على حدودهم، ودعوه الى تنفيذ تعهده بنجدتهم. الى هذا أضاف الزعماء السوفيات أصواتهم الى أصوات السوريين وأبلغوا الزعيم المصري بأنهم يفضلون ردع إسرائيل. يقول السادات ان السوفيات أخبروه في أيار/مايو ١٩٦٧ ـ وكان يترأس وفداً برلمانياً مصرياً في زيارة رسمية الى موسكو ـ بأن اسرائيل قد حشدت عشر فرق على الحدود السورية. وقال عبد الناصر في خطاب ألقاه في تموز/يوليو ١٩٦٧ ان السوفيات كانوا قد صرحوا للسادات بأن غزو سوريا بات وشيكاً[٣٤].

---

(٣١) المصدر نفسه.

(٣٢) المصدر نفسه، ص ٨٨؛ Eban, Ibid., p. 319, and Robert Henry Stephens, *Nasser* (London: Penguin Books, 1972), p. 467.

ذكر عن الجنرال رابين تهديده النظام السوري إذا لم يضع نهاية لغارات فتح في داخل اسرائيل. انظر: *Le Monde,* 13/9/1966, and Petran, *Syria,* p. 196.

لم يتمكن المراقبون من العثور على بينة قاطعة تثبت قول رابين هذا أو تحدد الصياغة الدقيقة لتفوهات المسؤولين الاسرائيليين عن سوريا (مراسلة خاصة مع كوانت). ثمة روايات متعددة ذكرت. لكن، في التحليل النهائي، كان الأمر الأهم هو كيفية تأويل الزعماء السوريين لها.

(٣٣) Karen Dawisha, *Soviet Foreign Policy towards Egypt* (London: Macmillan Press, 1979), p. 39, and Eban, *An Autobiography,* p. 317.

(٣٤) El-Sadat, *In Search of Identity: An Autobiography,* p. 172, and

جمال عبد الناصر، **وثائق عبد الناصر، خطب، أحاديث، تصريحات: يناير ١٩٦٧/ ديسمبر ١٩٦٨** (القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ١٩٧٣)، ص ٢٤٢. يزعم ريتشارد باركر، مستشار سياسي في السفارة الأمريكية في القاهرة في حزيران/يونيو ١٩٦٧، «أن السوريين أرادوا، لغرض الحصول على استجابة مصرية، أن يستفزوا الاسرائيليين عمداً، ثم تحدثوا عن حشود القوات الاسرائيلية، وسوّقوها الى السوفيات؛ فقام هؤلاء بإبلاغها كما يقضي الواجب الى المصريين». انظر: Richard Parker, «The June War: Whose Conspiracy?,» *Journal of Palestine Studies,* vol. 21, no. 4 (Summer 1992), p. 8.

ان الوضع القلق في بلاد الشام قد أتاح لمصر فرصاً سياسية وألقى عليها تبعات كذلك. ان الغارات الاسرائيلية داخل سوريا والأردن قد كشفت عن تفوق الآلة العسكرية لعدوتهما. وكان معظم العرب يعتقدون أن مصر هي الدولة الوحيدة في المنطقة التي تتمتع بقوة قادرة على ردع الدولة اليهودية. وقد أسهمت خطب عبد الناصر في تكوين هذا الرأي، وهو رأي كان يحمله المراقبون العرب والأجانب معاً. وواجه عبد الناصر محنةً حين ناشدته سوريا في ربيع عام ١٩٦٧ المبادرة لمساعدتها وحين اتهمه بعضهم بالتردد وبالتخلي عن الكفاح الفلسطيني.

لا بد أن عبد الناصر كان قد قدّر أن كل ما يحتاج إليه هو نصر سياسي للتعويض عن الأداء الاقتصادي داخل بلاده وعن الاستعصاء العسكري في اليمن. انه بإقدامه على الدفاع عن سوريا سيمسك بالمبادرة في الوطن العربي ويسكت خصومه منهياً بذلك عزلته، كما أنه سيسترد ما تنازل عنه الى اسرائيل في عام ١٩٥٦ ويعوض سوريا عن خسائرها التي لحقت بها في عام ١٩٦١. وهو سيصبح مرةً أخرى معبود الجماهير العربية وزعيم الوطن العربي بلا منازع. كذلك ستتوقف المؤامرات الأمريكية - البريطانية الرامية الى زعزعة نظام حكمه. الى هذا ستكون الولايات المتحدة ملزمة بالاعتراف بدوره الفعال في المنطقة فتضطر الى التفاهم معه[٣٥].

ان هذا السيناريو المفرط في التفاؤل سيعتمد في تنفيذه على قدرة عبد الناصر في لعب أوراقه بشكل صحيح وعلى تجنب سوء الحساب وعدم الكفاءة. كان الزعيم المصري مدركاً للمخاطر الكامنة في مواجهة إسرائيل. ولم يكن العرب بنظره في وضع يمكنهم من الاشتباك مع اسرائيل عسكرياً. وقد جاء في ورقة لمجلس الأمن القومي لشرح الخلفية أن عبد الناصر يشعر «باحترام واقعي للقدرات العسكرية الاسرائيلية المدعومة من الولايات المتحدة وأنه كان قوة تنادي بالاعتدال في المحافل العربية». وأن استراتيجيته نحو اسرائيل كانت قائمة على الردع لا على المواجهة[٣٦]. وقد صرح عبد الناصر في مناسبات متعددة انه سيكون من العبث بالنسبة الى العرب، لا بل سيكون عملاً انتحارياً لهم، قيامهم باستفزاز اسرائيل لتبدأ بشن أعمال عدوانية ذلك أن ميزان القوى لم يكن في صالحهم. وفي خلال الأيام الساخنة من شهر أيار/مايو ١٩٦٧ نصح عبد الناصر وزير خارجية سوريا بأن يكون حذراً ونبهه الى ضرورة عدم اعطاء اسرائيل ذريعة لمهاجمة سوريا[٣٧].

---

(٣٥) سامي جوهر، **الصامتون يتكلمون: عبد الناصر.. ومذبحة الإخوان** (القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٧٥)، ص ١١٦، ومحمد فوزي، **حرب الثلاث سنوات، ١٩٦٧/ ١٩٧٠: مذكرات الفريق أول محمد فوزي وزير الحربية الأسبق** (دمشق: دار طلاس، ١٩٨٦)، ص ٦٩ - ٧٠.

(٣٦) «Background Paper: UAR - General Information, 22 - 26 February 1966,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969,* reel 8.

(٣٧) حمروش، **قصة ثورة ٢٣ يوليو**، ج ٥، ص ١١٥.

وعلى الرغم من ارتياب المسؤولين الأمريكيين بوجود طرق هدامة قد يستخدمها الزعيم المصري فإنهم جادلوا بالقول بأن استخدام القوة العسكرية لم يكن أسلوبه المفضل. وفي تقرير تحليلي كتبه السفير بادو جاء فيه أن عبد الناصر «كان على غير استعداد للمخاطرة بنظام حكمه باتخاذ قرار عسكري حاسم في أي مكان»[٣٨]. كان سلوك الزعيم المصري ابتداء من عام ١٩٦١ حتى ربيع عام ١٩٦٧ الذي سلكه تجاه اسرائيل يؤيد هذه الحقيقة.

رابعاً: أزمة أيار/مايو ١٩٦٧: اللاعبون الأساسيون واستراتيجياتهم

يبدو أن العامل المحيّر في الأحداث التي أدت الى حرب حزيران ١٩٦٧ هو أن عبد الناصر كان قد تخلى عن حذره. فابتداءً من منتصف أيار/مايو قام الزعيم المصري باتخاذ خطوات متعددة وضعته في مواجهة مباشرة مع اسرائيل. في ١٤ أيار/مايو ظهرت العلامة الأولى للأزمة حين أمر أعداداً متزايدة من قواته بعبور قناة السويس الى سيناء، ان هذا العمل بذاته ما كان سيؤدي الى حرب اذ كان من الممكن أن ينظر اليه كإجراء دفاعي لردع اسرائيل من مهاجمة سوريا. ان وجود قوات الطوارىء الدولية الكثيرة العدد على طول الحدود بين سيناء واسرائيل كان من شأنه أن يبدد المخاوف من ضربة أولى يقوم بها أيٌّ من الطرفين. بيد أن عبد الناصر طلب في ١٦ أيار/مايو من الأمين العام للأمم المتحدة يوثانت أن يسحب قوات الطوارىء الدولية من سيناء. وبعد يومين أمر يوثانت القوات بالانسحاب. وفتح قراره السريع هذا الطريق لمزيد من حشد القوات على الجانبين. وبدا أن المسيرة نحو الحرب صارت أمراً لا يمكن إيقافه. كان المصريون والاسرائيليون قد دخلوا في صراع لم يكن من الممكن لهما التراجع عنه من دون خسارة المكانة والنفوذ.

كان عبد الناصر قد حقق بحلول ذلك الوقت معظم أغراضه: ان شعبيته في الوطن العربي شقت عنان السماء؛ انه أظهر استعداده وقدرته على الوقوف بوجه جبروت اسرائيل العسكري؛ وأثبت بما لا يقبل الشك أن مصر هي مركز المنظومة الفرعية العربية الذي تدور حوله سياسات المنطقة. الى هذا تركز انتباه العالم على مصر. كان هذا بنظره تأكيداً على أن من غير الممكن تجاهل القاهرة في الساحة العالمية. ومع أن مصر لا تستطيع كسب الحرب بشكل حاسم في اليمن إلا أنها تستطيع مع ذلك أن تسيطر على بيئة المنطقة وتمسك بمفتاح السلام العالمي. ولفترة وجيزة صارت النكسات المصرية السابقة طي النسيان السريع. وبدا أن عبد الناصر قد كسب الجولة. كان حُسْنُ المسألة كلها بنظره يتجلى بأن كلفة تحدي اسرائيل لا تكاد تذكر حتى الآن والمردودات السياسية كبيرة جداً. لو كانت اللعبة عقلانية لكان يتوقع من عبد الناصر أن يخفف من حدة المواجهة مع اسرائيل

(٣٨) «Cairo to Department of State, Subject: U.S. - UAR Relations, 11 April 1964,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969*, reel 7.

ويتقاضى مكاسبه. لكن نظريات العلاقات الدولية تعلمنا أن العقلانية مفهوم واهٍ. وقد أشار مكيافيللي، فيلسوف فلورنسا، ببصيرته الثاقبة الى الحقيقة التي مفادها أن أصحاب الطموح لا يعرفون متى يتوقفون.

لم يكن عبد الناصر في مزاج يتيح له القبول بحل وسط مع اسرائيل، فهو لم يحقق بعد أهدافه كلها، ومنها إغلاق خليج العقبة بوجه الملاحة الاسرائيلية ـ وهو أمر جدلي جداً في الدعايات العربية المتبادلة. كانت البلدان العربية المحافظة منذ عام ١٩٦٢ تستخدم مسألة المرور الاسرائيلي في خليج العقبة سلاحاً سياسياً للتنديد بسلبية عبد الناصر تجاه اسرائيل، وبحلول عام ١٩٦٦ كانت وسائل الاعلام السعودية والأردنية تستغل هذه القضية كل الاستغلال. وها قد سنحت الفرصة له لإسكات منتقديه العرب وإحياء صورته الكارزمية الجذابة، وإحراز نصر سياسي آخر ضد عدوته التقليدية اسرائيل(٣٩). وعلى هذا أعلن عبد الناصر في خطاب له ألقاه يوم ٢٢ أيار/مايو ١٩٦٧ عن إغلاق خليج العقبة بوجه الملاحة الاسرائيلية. لا بل أخذ يتحدث عن الحرب قائلاً: «اليهود يهددون بالحرب. . . ونحن نقول لهم أهلاً وسهلاً، اننا على استعداد للحرب»(٤٠).

وفي خطاب أكثر صرامة ألقاه الزعيم المصري بعد أربعة أيام حذّر اسرائيل بألا تقوم بأي اعتداء على مصر أو على سوريا، وقال بأعلى صوته إنها اذا فعلت ذلك «فسيكون هدفنا الرئيسي تدمير اسرائيل». كان القتال بالنسبة اليه لا يقتصر على اسرائيل وحدها وإنما يشمل الدول التي تقف وراءها أيضاً، ولا سيما الولايات المتحدة. أما الاتحاد السوفياتي فقد رأى عبد الناصر أنه يساند الوضع العربي وأنه قد وعد مصر بالمساعدة في منع وقوع أي تدخل خارجي أو عدوان في المنطقة. وأنهى خطابه بحثّ العرب على التمييز بين الأصدقاء والأعداء قائلاً: «إن من الواضح أن أمريكا هي عدوة العرب لأنها منحازة كلياً نحو اسرائيل»(٤١).

كيف يمكن المرء أن يفسر هذا التحول في سلوك عبد الناصر؟ ولماذا اتخذ تلك الخطوة، أي غلق خليج العقبة، التي أعطت ذريعة لحرب ماحقة، حرب كان يقول الى ما قبل أيام انه يريد تحاشيها؟ ينبغي أن نتذكر الآن أن الأوضاع المادية لكلا المتخاصمين لم تتغير. وكانت تكتلات القوى لما تزل تحابي اسرائيل. وعلى هذا فإن عبد الناصر لم يخطىء الحساب فقط وإنما أغفل كذلك أولوياته ذاتها وأغفل الميزان الفاصل بين الأهداف والوسائل. كان الزعيم المصري يعوّل على تدخل دولة عظمى لمنع الاندلاع الفعلي

---

(٣٩) المشير محمد عبد الغني الجمسي، «حرب اكتوبر: شهادتي للتاريخ والاجيال،» اكتوبر (٢٠ آب/اغسطس ١٩٨٩)، ص ٤٠، ومجموعة خطب الملك حسين: ٢٥ عاماً من التاريخ، ١٩٥٢ ـ ١٩٧٧، ج ١، ص ٩٠ ـ ٩٣ و٥٢٣ ـ ٥٢٥.

(٤٠) عبد الناصر، وثائق عبد الناصر: خطب، أحاديث، تصريحات: يناير ١٩٦٧/ديسمبر ١٩٦٨، ص ١٧٥.

(٤١) المصدر نفسه، ص ١٨١ ـ ١٨٢.

للحرب. بيد أنه أخفق في تقدير الوضع الدولي المتغير في النصف الثاني من الستينيات، فالولايات المتحدة غارقة في فييتنام ومن غير المحتمل أن يقوم جونسون بتغيير ما يشغله لكي ينقذ عبد الناصر من ورطته. من جهة أخرى لم يكن الاتحاد السوفياتي في وضع قويّ يمكّنه من التأثير في أعمال دول المنطقة.

ان قرار عبد الناصر بإعادة ضرب الحصار على الملاحة الاسرائيلية في مضائق تيران غيّر طبيعة الأزمة تغييراً جذرياً. فقد اعتبر الزعماء الاسرائيليون غلق الخليج سبباً مبرراً لإعلان الحرب، لأن هذا الخليج يعتبر بنظرهم «مصلحة قومية حيوية»[٤٢]. وقيل عن إشكول انه غمغم قائلاً لسكرتيره السياسي ان الظاهر أنه «ليس هناك مخرج آخر إلا الحرب». وشعر معظم المسؤولين الاسرائيليين بالحاجة الى اتخاذ عمل مصيري وحاسم ضد مصر، وكان من رأيهم ألا يسمح لعبد الناصر بأن يمسك بالمبادرة لأن ذلك سيجعله «بطلاً في العالم العربي». لذا فإن المسألة بنظر الزعماء الاسرائيليين «لم تكن هل الحرب يمكن تجنبها، بل كانت متى ستندلع هذه الحرب»[٤٣]. وعلى حد قول أبا إيبان ان القرار لإجبار عبد الناصر على التراجع كان قد اتخذ في يوم ٢٣ أيار/مايو. كان الاجماع منعقداً في اسرائيل على أنه يجب أن تكسر مشيئته وسطوته[٤٤].

وذُكر عن بن غوريون قوله ان قرار عبد الناصر يرقى الى مرتبة اعلان حرب ضد اسرائيل، فقد كان يرى أن لا بديل سوى اعادة فتح المضائق بالقوة. وقد شاطره الرأي في ذلك الجنرال موشي دايان، الذي عيّن وزيراً للدفاع يوم الثاني من حزيران/يونيو، وكان هذا أيضاً يرى أن الحرب لا محالة ناشبة. وقد تبددت الشكوك المتبقية بشأن الحكمة من خوض غمار الحرب بعد أن قام الملك حسين بزيارة مفاجئة الى القاهرة يوم ٣ حزيران/يونيو وتوقيعه على اتفاقية دفاع مشترك مع عبد الناصر. وهكذا لم تعد مصر وسوريا وحدهما هدفاً لهجوم اسرائيلي؛ فالأردن يعاني الآن المصير نفسه. وقد قال ريتشارد هولمز، مدير وكالة المخابرات المركزية: «ان رحلة الحسين الى القاهرة جعلت الأردن بنظر اسرائيل مسجلاً في قائمة التصفية»[٤٥]. أما اذا كانت هناك أية شكوك تساور

(٤٢) Eban, *An Autobiography,* pp. 326 and 328.

(٤٣) David Sling, *Shimon Peres: The Armies of Israel* (London: Weidenfeld and Nicolson, 1970), pp. 229 - 230; Kimche and Bawly, *The Sand Storm: The Arab-Israeli War of June 1967; Prelude and Aftermath,* p. 138, and Lyndon Baines Johnson, *The Vantage Point: Perspectives of the Presidency, 1963 - 1969* (New York: Holt, Rinehart and Winston, 1971), p. 295.

(٤٤) Moshe Dayan, *Story of My Life* (London: Weidenfeld and Nicolson, 1976), p. 252; Johnson, Ibid., pp. 236 - 237, and Eban, Ibid., p. 334.

(٤٥) «Richard Helms, CIA, to Walt Rostow, Subject: Israeli Objectives in the Current Crisis - Soviet Policy Miscalculation, 6 June 1967,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969,* reel 1; Kimche and Bawly, =

إشكول بشأن الحكمة في الاسراع بخوض الحرب فقد تغلب عليها الضغط السياسي الداخلي الساعي الى حل عسكري استباقي. سلم اشكول حقيبة وزارة الدفاع الى دايان، وقد اعتبر ذلك تطوراً قاطع الدلالة على تحبيذ الحرب(٤٦).

والسؤال المحيّر هو لماذا قرر الملك حسين الانضمام الى عبد الناصر في ائتلاف الحرب؟ لقد كان أحدهما يهاجم الآخر هجوماً مريراً خلال ثمانية عشر شهراً سبقت ذلك الانضمام، كما أن العاهل الأردني كان قد ذكر أن قرار عبد الناصر بغلق المضائق في وجه الملاحة الاسرائيلية أصابه بالصدمة. لقد كان يخشى ما هو أنكى، ذلك أن العرب لم يكونوا مهيأين لدخول الحرب ضد اسرائيل، وكان مقتنعاً كذلك أنه اذا نشبت الحرب فإن الأردن سيكون في خضمها لأن اسرائيل لن تكترث بالتمييز بين هذا وذاك من العرب. قال ان هذا يفسّر خطوته بالانضمام الى التحالف العربي والقتال الى جانب مصر(٤٧).

بيد أن الحكاية كانت أعقد من ذلك بكثير. فقد صرح زيد بن شاكر، وهو من أقرباء الملك، أنه لو لم يشترك الأردن في مواجهة عام ١٩٦٧ لاندلعت حرب أهلية فيه. وقال رئيس الوزراء الأردني السابق زيد الرفاعي: «لو عُزلنا عن التيار العام للسياسات العربية لصرنا هدفاً سهلاً»(٤٨). وصرح الحسين نفسه في مقابلة صحفية معه أن ثمة سبباً آخر وراء قراره الانضمام الى ائتلاف عبد الناصر وهو خشيته من حدوث الفوضى في بلاده لو كان الأردن قد اختار البقاء على هامش الأحداث. لذا كان قرار الملك مدفوعاً بتقدير واقعي للقيود الداخلية والخارجية المفروضة عليه وبالرغبة في تأكيد الصفات العربية التي يتحلى بها الأردن. كان الملك مدركاً أن الأردن لا يسعه أن يبقى متباعداً فذلك كان سيؤدي الى غليان داخلي عنيف ويهدد بقاء عرشه بالذات. لقد شعر بضرورة الاشتراك في الحرب بالرغم من هزيمة عسكرية محتملة، فالشرعية السياسية جاءت قبل الاعتبارات الاستراتيجية(٤٩). وهكذا يتكشف مرة أخرى الارتباط الوثيق بين السياسات الداخلية

Ibid., p. 155, and William R. Polk, *The Arab World,* 4th ed. (Cambridge, MA: Harvard = University Press, 1980), p. 219.

(٤٦) Sling, *Shimon Peres: The Armies of Israel,* p. 240.

(٤٧) حسين، ملك الأردن: **مهماتي كملك**، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩، **وحربنا مع اسرائيل**، ترجمة فيك فانس وبيار لوير (بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٦٨)، ص ٢٦ ـ ٣٠.

(٤٨) حسين، ملك الأردن، **مهماتي كملك**، ص ٢٠٩، و Samir A. Mutawi, *Jordan in the 1967 War,* Cambridge Middle East Library (Cambridge, MA: Cambridge University Press, 1987), pp. 100 - 101.

(٤٩) Adeed I. Dawisha, «Jordan in the Middle East: The Art of Survival,» in: Patrick Seale, ed., *The Shaping of an Arab Statesman: Sharif Abd al-Hamid Sharaf and the Modern Arab World* (London; New York: Quartet Books, 1983), p. 65; Uriel Dann, *Iraq under Qassem: A Political History, 1958 - 1963* (Jerusalem: Israel Universities Press, 1969), pp. 160 - 163; Mutawi, Ibid., p. 103, and Snow, *Hussein: A Biography,* p. 173.

والسياسات الجارية في المنطقة، كما تتكشف الطبيعة ذات الصلة المترابطة للسياسات العربية البينية. لا تستطيع البلدان العربية أن تتجاهل ضرورات النظام الاقليمي إلا على حساب تحملها الأخطار الناجمة من ذلك.

خامساً: الاتحاد السوفياتي وأزمة أيار/مايو ١٩٦٧

بالنظر الى ما قامت به الدولتان العظميان من نشاط في الشرق الأوسط طمعاً بجني المردود من ذلك فقد كان من المتوقع أن تلعبا دوراً فعالاً في كبح جماح حليفاتهما. فكيف تصرفت حكومتا الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي حيال الأزمة؟ والى أي مدى كانتا قادرتين على التأثير في سلوك حلفاء كل منهما؟ وهل أخبرت الأطراف الاقليمية الدولتين العظميين بأعمالها مسبقاً، وهل نسقت تلك الأطراف سياساتها معهما؟ ان موقف الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ازاء أزمة أيار/مايو ١٩٦٧ يصور طبيعة العلاقة بين الدولتين العظميين ودول المنطقة والحدود التي يقف عندها نفوذهما السياسي.

ان أزمة أواسط شهر أيار/مايو قد فاجأت الدولتين العظميين، فهما ما كانتا تتوقعان أن يتدهور الوضع بين اسرائيل وجاراتها العربيات بسرعة كبيرة حتى يصل الى درجة الانفجار. وهذا يفسر الى حدٍ ما الموقف الأولي الانفعالي للدولتين العظميين ويفسر عجزهما في النهاية على حل الأزمة سلمياً. لكن يجب العثور على تفسير أعمق يعزى اليه إخفاق دبلوماسية تَيْنك الدولتين. ان اللاعبين الاقليميين، كما حاججت سابقاً، ما إن يتصوروا مصالحهم الأساسية وقد أصبحت على محك الأخطار حتى يميلوا نحو اتخاذ قرارات تنطوي على المغامرة بصرف النظر عن الثمن المدفوع. كان الزعماء العرب والاسرائيليون منهمكين في شهر أيار/مايو ١٩٦٧ في صراع ارادات يتعلق بالمكانة والسمعة والكبرياء، الوطنية منها والشخصية. لم يكن مما يدعو الى الاستغراب إذن أن يعمل الطرفان بشكل مستقل من دون الأخذ بنصيحة الدولتين العظميين آنذاك.

وجد الزعماء السوفيات أنفسهم، مثلاً، في وضع لا يحسدون عليه. ومع أنهم أرادوا أن يحشد عبد الناصر بعض قواته لردع اسرائيل من مهاجمة سوريا إلا أن الأدلة لا تشير الى أنهم شجعوه على القيام بأكثر من ذلك[٥٠]. كان المسؤولون السوفيات على معرفة بالانقسامات العميقة في الوطن العربي وبالتفوق العسكري الاسرائيلي على الجيوش العربية مجتمعةً. وبالنظر الى انشغال زعماء الكرملين في مسائل مختلفة في الداخل والخارج فقد كانوا أيضاً ضد قيام حرب في الشرق الأوسط قد تورطهم في صدام مباشر مع الولايات

---

(٥٠) انظر: Richard Bordeaux Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, Indiana Series in Arab and Islamic Studies (Bloomington, IN: Indiana University Press, ©1993), pp. 3 - 35.

المتحدة، وما قد ينجم من ذلك من عواقب وخيمة[٥١].

كان السوفيات في البداية مهتمين بشأن مدى الحشود المصرية في سيناء، فكانوا يرون أن عبد الناصر يذهب الى أبعد مما ينبغي وبأسرع مما ينبغي، ولذلك قاموا مع وسائل اعلامهم بالنصح بالاعتدال. وقد أبلغوا مصر أن الأحداث تتلاحق بأسرع مما يجب، وأن أي سوء تصور وسوء حساب يمكن أن يزجّا المتصارعين في حرب ماحقة. ان المراقبين العرب والغربيين يتفقون على أن عبد الناصر لم يستشر الكرملين قبل اغلاق خليج العقبة بوجه الملاحة الاسرائيلية، ومن الواضح أن موسكو قد قلقت من هذه الخطوة الخطيرة[٥٢]. وعلى حد ما جاء في تقرير لوكالة المخابرات المركزية كان السوفيات قد حذروا عبد الناصر من القيام بمثل هذه المبادرات المحفوفة بالأخطار وأوضحوا له بأن عليه ألا يتوقع تدخلاً سوفياتياً مباشراً في الصراع العربي ـ الاسرائيلي[٥٣].

ان عدم قيام عبد الناصر بالتشاور مع الكرملين مسبقاً يدل على اتجاه لدى اللاعبين المحليين في المنطقة بأن يحاولوا دائماً تأكيد استقلالهم في العلاقات الدولية. ففي عامي ١٩٥٦ و١٩٦٧ قام الرئيس المصري باتخاذ مبادرات خطيرة من دون أن يعبأ بإخبار حليفه المقرب والقوي وهو الاتحاد السوفياتي قبل الاقدام على العمل. ان هذه الدراسة تريد أن تبين أن الدول الصغيرة، حين تكون المنظومة الدولية في حالة استقطاب شديد، تستطيع ليس فقط استغلال التخاصم بين الدولتين العظميين بل تستطيع كذلك أن تفلت من أسر العلاقة التي تقوم بينها وبين الدول الراعية لها. لكن هناك من الحدود والقيود ما لا يستطيع اللاعبون المحليون تجاوزه. كانت هذه الحدود ذاتها هي التي حطمت أحلام عبد الناصر ومطامحه في المنطقة.

كان لدى الاتحاد السوفياتي كدولة عظمى خيارات كثيرة لتهدئة مصر. فبعد فرض الحصار على المضائق تحرك السوفيات على جبهات متعددة لتهدئة الحالة ومنع الانزلاق نحو الحرب. في يوم ٢٤ أيار/مايو أصدروا بياناً رسمياً يحذرون فيه مصر واسرائيل من استخدام القوة. وقد اقترحوا كذلك على حكومتي الولايات المتحدة والمملكة المتحدة اتخاذ خطوات مشتركة لفرض تسوية. الى هذا حاولت موسكو تهدئة الخواطر الاسرائيلية وذلك

---

(٥١) Parker, «The June War: Whose Conspiracy?,» pp. 15 - 17.

(٥٢) المصدر نفسه، ص ١٥؛ El-Sadat, *In Search of Identity: An Autobiography,* p. 173; Heikal, *Sphinx and Commissar: The Rise and Fall of Soviet Influence in the Arab World,* p. 175; Anthony Nutting, *Nasser* (London: Constable, 1972), p. 407; Stephens, *Nasser,* p. 483, and حمروش، **قصة ثورة ٢٣ يوليو**، ج ٥، ص ١١٢ ـ ١١٣ و١٢٢ ـ ١٢٣.

(٥٣) «CIA, Intelligence Information Cable, Subject: USSR Not Informed in Advance of Nasir's Intentions; Posture on Arab/Israeli Conflict, 7 June 1967,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969,* reel 1.

لكي تثني تل أبيب عن اتخاذ قرار بخوض الحرب(٥٤). ومارس الزعماء السوفيات ضغطاً على حلفائهم العرب للتراجع عن مواجهة باهظة الثمن ومجهولة العواقب. مثلاً، أوضح السفير السوفياتي في القاهرة للمسؤولين المصريين أن حكومته تعارض أية ضربة عسكرية استباقية ضد اسرائيل. كذلك أكد رئيس الوزراء كوسيغين لوزير الدفاع المصري، شمس الدين بدران، الحاجة الى ضبط النفس، وكان الوزير قد أرسله عبد الناصر الى موسكو يوم ٢٥ مايو/أيار لإجراء مداولات عاجلة(٥٥).

بيد أن الكرملين لم يكن يتكلم بصوت واحد. كانت بعض العناصر في الهيئة العسكرية السوفياتية تحبذ تقديم دعم قوي لمصر، فيما تحبذ العناصر الأخرى الاعتدال وتخفيف حدة الأزمة. وقد أدى هذا الى حدوث البلبلة، لصدور اشارات مشوشة من موسكو. أوحى وزير الدفاع السوفياتي، المارشال غريشكو، لنظيره المصري بدران أن موسكو ستقف الى جانب مصر اذا هوجمت(٥٦). وبالنظر الى التخاصم الفئوي في مصر بين الجيش والنخبة المدنية الحاكمة، وبالنظر الى انحياز بدران الى الرأي الميال للقتال في القوات المسلحة، فإنه قد ضلل عبد الناصر بإنبائه أن ملاحظة غريشكو تعكس الموقف السوفياتي الفعلي. بل ان بدران، على حد ما قاله أحد الوزراء، قد أكد لمجلس الوزراء المصري أن السوفيات كانوا جاهزين ومستعدين للتدخل مباشرةً نيابةً عن مصر(٥٧).

وبدلاً من أن يدقق عبد الناصر في صحة ما أورده تقرير بدران فإنه تلقى التقرير بقبول تام. وبعد عودة بدران من موسكو صرح الزعيم المصري للملأ أن الحكومة السوفياتية قد أخبرت وزير دفاعه بدعمها للوضع العربي وبأنها لن تسمح بأي تدخل خارجي في المنطقة. كان عبد الناصر قد اعتقد بأن السوفيات كانوا حتى على أهبة للقتال نيابةً عن مصر عند الضرورة. وقال لمجموعة من الضباط الأحرار السابقين في اجتماع

(٥٤) Kimche and Bawly, *The Sand Storm: The Arab-Israeli War of June 1967; Prelude and Aftermath*, pp. 119 - 120, and Nutting, Ibid., p. 407.

(٥٥) أمين هويدي، **حروب عبد الناصر** (القاهرة: دار الموقف العربي، ١٩٨٢)، ص ١٣٠؛ فوزي، **حرب الثلاث سنوات، ١٩٦٧/ ١٩٧٠ : مذكرات الفريق اول محمد فوزي وزير الحربية الأسبق**، ص ٩٦؛ حمروش، **قصة ثورة ٢٣ يوليو**، ج ٥، ص ١٢٣ ـ ١٢٤؛ Heikal, *Sphinx and Commissar: The Rise and Fall of Soviet Influence in the Arab World*, pp. 178 - 179; Dawisha, *Soviet Foreign Policy towards Egypt*, p. 41; Nutting, Ibid., p. 407, and Stephens, *Nasser*, p. 484.

(٥٦) Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, pp. 32 - 33.

(٥٧) ثروت عكاشة، **مذكراتي في السياسة والثقافة**، ج ٢ (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٨٨)، ص ٤٨٦؛ Heikal, Ibid., pp. 28 and 179 - 180; El-Sadat, *In Search of Identity: An Autobiography*, pp. 172 - 173; Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East*, pp. 34 - 35; Stephens, Ibid., pp. 483 - 484; Nutting, Ibid., pp. 407 - 408, and Walter Zéev Laqueur, *The Road to War, 1967: The Origins of the Arab-Israeli Conflict* (London: Weidenfeld and Nicolson, 1968), p. 93.

خاص ان الاتحاد السوفياتي كان يقوم باتخاذ الخطوات الضرورية كلها لمساعدة مصر غير أن الولايات المتحدة لم تتخذ موقفاً واضحاً[٥٨].

هذا وينبغي التشديد على أن سوء الفهم المصري للموقف السوفياتي لا يمكن أن يعزى فقط الى الإشارات المشوّشة الصادرة من موسكو. انه كان كذلك نتيجة لسوء التقدير الذي وقع فيه المصريون لحالة استعدادهم العسكري ونتيجة الصراع على السلطة بين العسكريين (بقيادة عبد الحكيم عامر) والزعامة المدنية السياسية (برئاسة عبد الناصر)[٥٩]. كان لهذا التخاصم، الذي يرجع تاريخه الى حرب السويس في عام ١٩٥٦، عواقب وخيمة على عملية صنع السياسة وعلى التنفيذ الناجز للقرارات. وعزا عدد من المسؤولين المصريين البلبلة وروح المغامرة اللتين سادتا في مصر خلال أزمة أيار/مايو ١٩٦٧ الى هذه الثنائية بين عامر وعبد الناصر. يتهم الجنرال محمد فوزي، الذي أصبح وزيراً للحرب بعد هزيمة حزيران، في مذكراته، عبد الحكيم عامر بنسف استراتيجية عبد الناصر الدفاعية. وزعم فوزي أن عبد الحكيم عامر كان قد وضع خطة لحملة هجومية ضد اسرائيل، وكان يرجو من دحر العدو القوي أن يعوض عن نكساته في السويس وسوريا واليمن[٦٠]. ونعى وزير الخارجية محمود رياض أيضاً وجود التنسيق والتخطيط بين وزارتي الخارجية والدفاع، وأكد أن المعلومات التي زودته بها وزارة الحرب كانت زائفة[٦١]. ان التخاصم بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ولد الشكوك والمزايدات وحجب المعلومات المهمة وذات العلاقة التي كانت ضرورية جداً لاتخاذ القرار الأنسب.

ان الترابط بين السياسات الداخلية والدولية لا يقتصر على مصر وحدها، فقد كان يفعل فعله في اسرائيل وسوريا والأردن. مثلاً، تعرض إشكول الى ضغط كبير من مؤيدي بن غوريون لكي يقوم بفتح خليج العقبة بالقوة. كذلك فإن من غير الممكن فهم السياسة الخارجية للنظام الحاكم في سوريا من دون التركيز على الأحوال الداخلية.

---

(٥٨) عبد الناصر، **وثائق عبد الناصر: خطب، أحاديث، تصريحات: يناير ١٩٦٧/ديسمبر ١٩٦٨**، ص ٢١١، وعبد اللطيف البغدادي، **مذكرات عبد اللطيف البغدادي** (القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٧٧)، ج ٢، ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥.

(٥٩) Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, p. 34.

(٦٠) فوزي، **حرب الثلاث سنوات، ١٩٦٧/١٩٧٠: مذكرات الفريق أول محمد فوزي وزير الحربية الأسبق**، ص ٤٤ و٨٠. يزعم منير حافظ، الرجل الثاني في مكتب عبد الناصر للمعلومات، أن عبد الحكيم عامر خطط، انتهاكاً لتوجيه رئيس الجمهورية، أن يهاجم اسرائيل يوم ٢٩ أيار/مايو ١٩٦٧. ويفيد حافظ أن واشنطن أفسدت مخطط عامر بإخبار عبد الناصر بالأمر. انظر: منير حافظ، «التاريخ السري لحكم جمال عبد الناصر،» **روز اليوسف** (١٢ نيسان/ابريل ١٩٧٦)، ص ١٧٤ ـ ١٧٥.

(٦١) محمود رياض، **مذكرات محمود رياض** (بيروت: دار المستقبل العربي، ١٩٨٦)، ج ٣: **اميركا والعرب**، ص ٤٤.

سادساً: موقف الولايات المتحدة

أدرك المسؤولون في الولايات المتحدة، كنظرائهم السوفيات، المخاطر الكامنة في تصادم عربي ـ اسرائيلي. كان اهتمامهم في الابتداء منصباً على منع حدوث مثل هذا التصادم فأخذوا يتشاورون مع الكرملين، كما وجهوا دبلوماسيتهم في المنطقة للعمل من أجل ذلك. في بداية الأزمة كتب الرئيس جونسون الى كوسيغين مقترحاً بذل مسعى مشترك لتهدئة الحالة ومحذراً من المصاعب التي قد تنشأ نتيجة اندلاع العمليات العدائية بين أصدقائهما(٦٢).

كان أحد الأغراض الرئيسية للدولتين العظميين في زمن الحرب الباردة يتمثل بتحاشي مواجهة مباشرة بينهما. وهذا التفاهم المتبادل والضمني قد جدّد العلاقة بين الدولتين العظميين وحليفاتهما في المنطقة. بيد أن هذا التفاهم كان موقفاً سلبياً اذ لم تشأ كلتا الدولتين تطويره الى عمل إيجابي لتسوية المشاكل الاقليمية، وأزمة أيار/مايو ١٩٦٧ تدل على ذلك. فقد تشاورت حكومتا الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي احداهما مع الأخرى وجرى اقتراح بآلية مشتركة لحل النزاع لكن شيئاً ملموساً لإيقاف المسيرة نحو الحرب لم يتبلور من قبل أي من الدولتين. انهما بذاتهما قد أصبحتا فعلياً رهينتين للحرب الباردة. ويعكس اخفاقهما في معالجة الأزمة بشكل فعال شدة تخاصمهما العقائدي والاستراتيجي وفقدان سيطرتهما على من ترعيان من دول المنطقة.

كان جونسون قد كتب، قبل غلق المضائق، الى كل من عبد الناصر وإشكول يحثهما على ضبط النفس والاعتدال. وقد قال لإشكول بصراحة تامة إن على اسرائيل ألا تتوقع تأييداً تاماً من الحكومة الأمريكية لقراراتها الا اذا جرت المشاورة معها قبل اتخاذها. أما بعد فرض الحصار المصري على خليج العقبة فقد نشطت الدبلوماسية الأمريكية كل النشاط، وأصدر جونسون بياناً شدد فيه على أن الخليج ممر مائي دولي، وقال كذلك ان قرار مصر ينتهك تعهداً قدمته الولايات المتحدة الى اسرائيل يضمن لهذه حرية المرور في الخليج، واعتبر الحصار غير شرعي «وقد يؤدي الى كارثة تصيب قضية السلام»(٦٣).

ثمة ثلاثة أغراض أملت على الولايات المتحدة استراتيجيتها: (١) محاولة كبح جماح اسرائيل وتأخير ضربتها الاستباقية وتحذير المصريين والسوفيات من أي تصعيد آخر؛

---

(٦٢) Johnson, *The Vantage Point: Perspectives of the Presidency, 1963 - 1969*, pp. 290 - 291, and William B. Quandt, «Lyndon Johnson and the June 1967 War: What Color Was the Light?,» *Middle East Journal*, vol. 46, no. 2 (Spring 1992), pp. 201 - 202.

(٦٣) Johnson, Ibid., p. 291; Quandt, Ibid., pp. 202 - 204; William B. Quandt, *Decade of Decisions: American Policy toward the Arab-Israeli Conflict, 1967 - 1976* (Berkeley, CA: University of California Press, 1977), pp. 40 and 42; Polk, *The Arab World*, p. 218, and Stephens, *Nasser*, p. 483.

(٢) إيجاد دعم في أوساط الرأي العام والكونغرس لفكرة القيام بمسعى متعدد الجنسيات لفك الحصار المفروض على المضائق؛ (٣) القيام بجهد في مجلس الأمن الدولي لفتح المضائق. وكتب جونسون في مذكراته يقول إن الرأي كان مجمعاً في البيت الأبيض والكونغرس على أن حكومة الولايات المتحدة لا تستطيع أن تبقى متنائية عن الوضع الناشىء لأن ذلك سيعني التخلي عن حق البواخر الاسرائيلية في المرور بالخليج. بيد أن الظاهر هو أن جونسون كان متردداً بين أمرين «إما النظر في عمل أمريكي من جانب واحد أو إطلاق العنان لاسرائيل كخيار ثانٍ»[٦٤].

وفي اجتماع مع أبا إيبان في ٢٦ أيار/مايو أكد جونسون له «أنه سيتخذ الاجراءات الممكنة كلها للابقاء على المضائق مفتوحة»، لكن العنصر الرئيسي في سياسة جونسون كان يتمثل بفكرة بريطانيا لإنشاء قوة بحرية متعددة الجنسيات، وكانت هذه الفكرة هي الذريعة للتحذير الذي قدمه الرئيس مرةً ثانية الى اسرائيل بألا تسارع الى ضربة استباقية. وقد شدد على إيبان عدم البدء بعمليات عدائية: «ان اسرائيل لن تكون وحدها الا اذا قررت أن تسلك الطريق وحدها»[٦٥]. هذا وينبغي ألا يحجب موقف جونسون هذا وجود مدرستين للتفكير لدى مستشاريه وكل منهما تنافس الأخرى للحصول على تأييده. فمن جهة كان كل من وزير الخارجية راسك ووزير الدفاع مكنمارا يتخذ موقفاً قوياً يقول بأن اسرائيل تكون بمفردها اذا قررت أن تضرب الضربة الأولى.

ومن جهة أخرى كان هناك ايب فورتاس عضو المحكمة العليا والمستشار غير الرسمي لجونسون وكان شديد التمسك بإسرائيل. ان هذا كان يقول بضرورة اتاحة المجال لاسرائيل لتولي المبادأة اذا لم تكن الولايات المتحدة مستعدة لاستخدام القوة لإعادة فتح المضائق. وعلى حد ما يكتبه كوانت كان جونسون في بداية الأزمة يسترشد بما يسمعه من راسك ومكنمارا من آراء، لكنه صار في نهاية شهر أيار/مايو أكثر تجاوباً مع آراء فورتاس وأصبح يصيخ السمع له أكثر من السابق[٦٦]. لا يفسر كوانت الأسباب التي كانت وراء التحول التدريجي في موقف جونسون سوى بالقول ان الرئيس قد وطّن نفسه لاتجاهٍ يدع اسرائيل تعمل على مسؤوليتها. ويردد ريتشارد باركر هذا التفسير الذي أخذ به كوانت، وهو تفسير يرجح الايمان بالقضاء والقدر، فيقول، أي باركر، ان جونسون «كان في

---

(٦٤) Johnson, Ibid., pp. 291 - 292 and 296; Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East,* pp. 110 - 112, 115 and 121; Quandt: «Lyndon Johnson and the June 1967 War: What Color Was the Light?,» p. 205, and *Decade of Decisions: American Policy toward the Arab-Israeli Conflict, 1967 - 1976,* pp. 43 - 44, and Polk, Ibid., pp. 218 - 219.

(٦٥) Johnson, Ibid., p. 293; Eban, *An Autobiography,* p. 359, and Quandt, «Lyndon Johnson and the June 1967 War: What Color Was the Light?,» pp. 206 and 208.

(٦٦) Quandt, Ibid., p. 212.

أواخر أيار / مايو قد توصل الى نتيجة مفادها أن الحرب قادمة مهما فعل»(٦٧).

ومع أن إيبان قدم تقريراً ايجابياً عن اجتماعه مع جونسون الا أنه لم يكن راضياً تماماً مما سمعه في واشنطن من أقوال عمومية غامضة وحذرة. انه، بعبارة أخرى، لم يكن يعتقد بأن جونسون مؤمن بفكرة القوة البحرية إلا اذا كانت قوة دولية حقاً(٦٨). ولم يكن جونسون نفسه مقتنعاً بأن إيبان قد صدّق بحجة الولايات المتحدة، وما إن انتهى ذلك الاجتماع حتى التفت الى مساعديه من المستشارين قائلاً: «لقد فشلت. ان اسرائيل ستضربهم [أي العرب]»(٦٩). والمفارقة هي أن هذا كان هو الانطباع الذي استخلصه صناع السياسة الاسرائيليون من زيارة إيبان. قالت غولدا مئير ان إيبان عاد من باريس ولندن وواشنطن «خالي الوفاض». واستنتج دايان وآخرون من زملائه أن ادارة جونسون لم تكن مستعدة لفتح المضائق بالقوة وبذلك تركت الكرة في ملعب اسرائيل. كان هذا يعني بالنسبة الى دايان أن تل أبيب حرة في إطلاق العنان لماكنتها العسكرية(٧٠).

وعلى حد ما تذكره المصادر الاسرائيلية فإن التأويلات والتقييمات المختلفة لزيارة إيبان كانت، بحلول نهاية أيار/مايو، قد وضعت جانباً. يزعم شمعون بيريس أن مسؤولين أمريكيين معينين قد بثوا كلاماً مفاده «أن المخرج من الطريق المسدود هو اسرائيل نفسها» - وفي هذا دعوة مباشرة لاسرائيل لتتخذ خطوات ايجابية ضد مصر. وذكر بيريس أن رأي الولايات المتحدة هذا قد طرق سمع صُناع السياسة في اسرائيل. وذهب بعض الدبلوماسيين الاسرائيليين الى أبعد من ذلك فزعموا أن الادارة الأمريكية قد أعطت تل أبيب الضوء الأخضر لتحجيم عبد الناصر. وقال إيبان ان حكومته تلقت، اعتباراً من أول حزيران/يونيو فصاعداً، تلميحات رسمية وغير رسمية بأن الحكومة الأمريكية لم تعد تعارض القيام بعمل عسكري اسرائيلي. هذا وزعم مسؤولون اسرائيليون أن ادارة جونسون وعدت اسرائيل بمقاومة أية ضغوط دولية محتملة تقع عليها، ولا سيما من الاتحاد السوفياتي. وهكذا استنتج وزير الخارجية الاسرائيلي وآخرون من زملائه أن

---

(٦٧) المصدر نفسه، ص ٢١٤، و Parker, «The June War: Whose Conspiracy?,» p. 18.

(٦٨) Eban, *An Autobiography*, pp. 338 - 339 and 355, and «Department of State, Circular, Subject: Briefing for Ambassadors of Western European Countries on Middle East Situation, No. 208722, 6 June 1967,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969*, reel 1.

(٦٩) نقلاً عن: Quandt, *Decade of Decisions: American Policy toward the Arab-Israeli Conflict, 1967 - 1976*, p. 54.

انظر ايضاً: Quandt, «Lyndon Johnson and the June 1967 War: What Color Was the Light?,» p. 214.

(٧٠) Dayan, *Story of My Life*, pp. 273 - 274, and Golda Meir, *My Life: The Autobiography of Golda Meir* (London: Futura Publications, 1976), p. 298.

جونسون قد أعطى اشارة البدء بالعمل(٧١).

في الثلاثين من أيار/مايو أرسلت اسرائيل مدير استخباراتها مئير أميت الى واشنطن. وبحسب ما يقوله كيمحي وباولي فإن أميت حصل على انطباع بأنه اذا أخذت اسرائيل الأمور بيدها فإن ذلك لن يعتبر أمراً سيئاً. ويزعم الكاتبان المذكوران «أن هذا التغيير في الموقف لم يغفله الاسرائيليون وكان له تأثير عميق في مداولاتهم»(٧٢). ان الأدلة لا تبرهن على ما يزعم من أن جونسون قد أعطى اسرائيل الضوء الأخضر لمهاجمة جاراتها العربية،(٧٣) الا أنها تلقي ضوءاً على تصورات اسرائيل للموقف الأمريكي. وفي التحليل النهائي كان المهم هو قراءة اسرائيل لموقف الولايات المتحدة: ان جونسون لن يعارض ضربة عسكرية اسرائيلية بشرط أن تكون حاسمة وألا تجر الولايات المتحدة الى حرب شاملة.

كان زعماء اسرائيل على ثقة أنه اذا حدثت الحرب فستقف الولايات المتحدة بوجه أي تحرك سوفياتي للتدخل في الصراع وستستخدم ثقلها السياسي لتأييد تل أبيب في مجلس الأمن الدولي والأمم المتحدة(٧٤). وكما فعلت مصر مع الاتحاد السوفياتي كان المسؤولون الاسرائيليون يميلون الى قراءة ما بين السطور والى رؤية ما يريدون رؤيته، لا أكثر. لكن حتى لو أن ادارة جونسون كانت قد عارضت بشكل قاطع استخدام القوة فإن الاسرائيليين ربما كانوا سيسعون وراء مصالحهم الحيوية. كانت الدول المؤثرة في المنطقة مثل مصر واسرائيل عازمة على حماية حريتها في العمل.

بيد أن الزعماء المصريين كانوا قد تصوروا دوراً أمريكياً مختلفاً جداً في أزمة أيار/مايو. كانوا يعتقدون أن ادارة جونسون قد تواطأت مع اسرائيل لتوجيه ضربة ماحقة لقوى القومية العربية الثورية. وقد قالوا ان الولايات المتحدة استحصلت على تعهد من مصر بألا تطلق النار أولاً غير أنها أخفقت في استحصال وعد مشابه من اسرائيل. وبحسب المصادر المصرية كانت مصر قد تعرضت لضغط شديد جداً من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي معاً لكي لا تطلق الرصاصة الأولى. كما أن الحكومة الأمريكية شددت

---

(٧١) Eban, *An Autobiography*, pp. 359, 384 - 385 and 393 - 395; Sling, *Shimon Peres: The Armies of Israel*, p. 236, and Kimche and Bawly, *The Sand Storm: The Arab-Israeli War of June 1967; Prelude and Aftermath*, p. 124.

(٧٢) Kimche and Bawly, Ibid., p. 132, and Quandt, *Decade of Decisions: American Policy toward the Arab-Israeli Conflict, 1967 - 1976*, p. 57.

(٧٣) انظر: Quandt, «Lyndon Johnson and the June 1967 War: What Color Was the Light?,» pp. 198 - 228, and Parker, «The June War: Whose Conspiracy?,» pp. 5 - 21.

(٧٤) Dayan, *Story of My Life*, pp. 273 - 274, and Eban, *An Autobiography*, pp. 334 - 336.

على الزعماء السوفيات أن يطلبوا عاجلاً من حليفتهم مصر أن تقلع عن القيام بأية مغامرة عسكرية. ولإظهار حسن النية أعلن عبد الناصر على الملأ أنه لن يكون البادىء بالأعمال العدوانية، وقال انه قد أعطي انطباعاً بأن اسرائيل قد ألزمت نفسها كذلك بألا تطلق النار أولاً. وكان من الطبيعي أن يشعر المسؤولون المصريون بمرارة شديدة بعد أن قامت اسرائيل بتوجيه ضربتها الاستباقية يوم الخامس من حزيران/يونيو. لقد شعروا بأن الولايات المتحدة قد خدعتهم، واعتقدوا كذلك بأنها قد ورطت السوفيات من حيث لا يدرون في استراتيجيتها الرامية الى تضليل مصر(٧٥).

ان هذا الكلام يغفل معالجة نقاط جوهرية متعددة. كانت ادارة جونسون تحاول، منذ بداية الأزمة حتى نهاية شهر أيار/مايو، أن تكبح جماح اسرائيل وتؤخر اتخاذها أي عمل عسكري(٧٦). ولم يسحب جونسون، على ما يبدو، اعتراضه على أعمال اسرائيل الا في أواخر أيار/مايو، بيد أن هذا لا يعفي الزعماء المصريين من مسؤوليتهم، فهم قد تصرفوا وكأن سياسات العالم لم تتغير منذ عام ١٩٥٦. انهم أخفقوا كذلك في ادراك قدرة اسرائيل على العمل على مسؤوليتها الخاصة سواء بالتواطؤ مع دولة عظمى أو من دونه. ومع أن عبد الناصر قد راعى التحذيرات السوفياتية والأمريكية إلا أن قراره بألا يهجم أولاً كان قائماً على اعتبارات استراتيجية. لقد كان مدركاً تماماً تفوق اسرائيل العسكري وكان يعرف أن هجوماً تشنه مصر سيقابل بمقاومة أمريكية وسيدان من الرأي العام العالمي.

كانت حكومة الولايات المتحدة تحاول، حتى في أواخر أيار/مايو، بشكل متحمس محموم تأجيل المسيرة نحو الحرب. فقد أرسل جونسون مبعوثين الى القاهرة لاستكشاف امكانية التوصل الى تسوية. وأظهر المصريون مرونةً فاقترحوا ارسال زكريا محيي الدين نائب رئيس الجمهورية الى الولايات المتحدة يوم ٧ حزيران/يونيو لبحث الأمور ذات العلاقة كلها مع مسؤولي الولايات المتحدة والأمم المتحدة. وبعد أن حققت مصر أغراضها السياسية صار من مصلحتها أن تتوصل الى تسوية يُتفاوض عليها وتستبعد ضربة استباقية تقوم بها اسرائيل. ولكن ماذا كانت أغراض اسرائيل في المدى البعيد وهل كان من مصلحتها التخفيف من حدة المواجهة؟

---

(٧٥) انظر: صلاح الدين الحديدي، **شاهد على حرب ٦٧** (القاهرة مكتبة مدبولي، ١٩٧٤)، ص ١٨٠؛ ضياء الدين بيبرس، **الأسرار الشخصية لجمال عبد الناصر** (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٧٦)، ص ١٦٥؛ حمروش، **قصة ثورة ٢٣ يوليو**، ج ٥، ص ١٣٨ - ١٣٩ و١٤١، ورياض، **مذكرات محمود رياض**، ج ٣، ص ٤٠ - ٤٢.

(٧٦) قال راسك، وزير الخارجية الأمريكية، في مذكراته: «على حد علمي لم تتلق اسرائيل تشجيعاً سرياً من الولايات المتحدة للبدء بالحرب». انظر: Dean Rusk, *As I Saw It* (New York: W. W. Norton, ©1990), p. 387.

سابعاً: مصر واسرائيل: الصراع من أجل النفوذ

لم ترق تلك التسوية كثيراً لزعماء اسرائيل، فهي ستقتضي تقديمهم تنازلات الى عبد الناصر، ما سيعتبره العرب والعالم عموماً انتصاراً سياسياً له. كان من شأن هذه التسوية أن يعود الزعيم المصري الى الظهور بطلاً للشعب العربي بما فيه من فلسطينيين، وأن تتعالى مكانته وسطوته الى عنان السماء في المنطقة والعالم معاً، وهذا مسلسل الكابوس بعينه بالنسبة الى الدولة اليهودية. كان المسؤولون في اسرائيل يصرون بعناد على حرمان عبد الناصر أي مكسب سياسي، ناهيك عن تمكينه من البروز بطلاً عربياً. (الأبطال رجال خطرون ويوحون الى شعوبهم القيام بأعمال تكون عظيمة أو مريعة). أوجز إيبان بدقة موقف اسرائيل حيال الصراع مع عبد الناصر بقوله: «كانت القضية قد تحددت بوضوح تام ـ ان الذي ستكسر شوكته سيكون إما هو أو نحن»[٧٧]. كان آخر ما تريده اسرائيل صيغة دبلوماسية أمريكية لإنقاذ ماء الوجه وذلك لإخراج عبد الناصر من المصيدة.

كانت اسرائيل تفضل أن يكون النظام الاقليمي مغلقاً لتبقى الدولتان العظميان في خارجه. ان مثل هذا الوضع يخدم مصالحها بصفتها القوة العسكرية المتفوقة في المنطقة، فبوسعها أن تهزم بسهولة أي بلد أو مجموعة من البلدان في الوطن العربي[٧٨]. كان المسؤولون الإسرائيليون يركزون جل اهتمامهم في بداية الأزمة على الموقف السوفياتي في حالة حدوث صدام مسلح مع البلدان العربية المجاورة. وبالتالي أصبحت الولايات المتحدة بؤرة الاهتمام للدبلوماسية الاسرائيلية اذ إنها كانت الدولة العظمى الوحيدة في العالم القادرة على اجراء توازن مع الاتحاد السوفياتي. وما إن أقنع الإسرائيليون حكومة الولايات المتحدة بالحاجة الى تحييد السوفيات حتى صاروا على غير استعداد للسماح لعبد الناصر أن ينجو عن طريق درب سياسي، بل كان لا بد له بالأحرى أن يهزم فيحطم في نهاية المطاف. عندئذٍ تبرز اسرائيل بصفتها الدولة المهيمنة في المنطقة. لم يكن الاصطدام المصري ـ الاسرائيلي يدور فقط على حرية الملاحة في خليج العقبة، إنما كان صراعاً على الهيمنة الاقليمية وإثبات الوجود في المنطقة. ان تحليل الصراع بين الدولتين ينبغي أن يجري في هذا السياق الأوسع نطاقاً.

منذ عام ١٩٥٥ ومصر تحاول أن تشيد مجموعة متماسكة من البلدان العربية بزعامتها. وكان هذا الهدف يتطلب استبعاد اسرائيل، بصفتها دولة طارئة، من التفاعلات الاعتيادية الجارية في المنظومة الفرعية العربية. بيد أن الدولة اليهودية كانت عازمة على أن تصبح جزءاً لا يتجزأ من الصعيد الاقليمي وذلك بإجبار دول المنطقة على القبول بشرعية عضويتها وعلى الاعتراف بوجودها. وكانت مصر بنظر الاسرائيليين هي التي تمسك بيدها

(٧٧) Eban, *An Autobiography*, p. 334.

(٧٨) Evron, *The Middle East: Nations, Superpowers, and Wars*, pp. 79 - 80.

مفتاح البوابة الى الوطن العربي، لذا اذا أرادت اسرائيل المشاركة في شؤون الشرق الأوسط فإنها تحتاج إما الى موافقة عبد الناصر أو الى تحييده. ففي السياسات الدولية تكمل الدبلوماسية والقوة إحداهما الأخرى. ان اسرائيل بمهاجمتها مصر في يوم الخامس من حزيران/ يونيو انما كانت تخوض مباراة سياسية باسم آخر.

وما إن حيّدت الدولتان العظميان احداهما الأخرى وتحول ضوء جونسون الأحمر الى ضوء أصفر حتى شعرت اسرائيل أنها حرة لتخويل جنرالاتها بإنهاء حالة الاستعصاء السائدة مع مصر. وقد حققت بمدة ستة أيام فقط نصراً عسكرياً مذهلاً على جاراتها العربية الثلاث ـ مصر والأردن وسوريا. وظهر أن الحسابات الاستراتيجية الاسرائيلية لا شائبة فيها. مع هذا كانت أغراض اسرائيل الاستراتيجية بعيدة عن التحقيق، ولم يستطع كبار المسؤولين فيها أن يترجموا انتصارهم الباهر الى نفوذ حقيقي على أعدائهم والحصول على تنازلات منهم. وقد ذكر عن دايان أنه قال بعد انتهاء الحرب مباشرةً ان كل ما على اسرائيل أن تفعله هو انتظار نداء هاتفي من عبد الناصر أو الحسين التماساً للسلام(٧٩). ان ملاحظة دايان هذه الطافحة بالثقة تصور بجلاء الفجوة الموجودة في التفكير الرسمي الاسرائيلي والفاصلة بين الاستراتيجية والسياسة.

أما مصر وسوريا فقد عانتا من المشكلة المضادة، وهي عدم القدرة ابتداءً على ادراك المضاعفات السياسية لهزيمتهما العسكرية الساحقة ولخسارتهما مساحات كبيرة من أراضيهما. كانت سوريا، وهي تتخذ موقفاً وكأن شيئاً لم يقع، تهاجم «الامبريالية» الأمريكية وتلومها على النتيجة التي حصلت. كذلك صبت سوريا سيلاً من الاهانات على الأنظمة العربية الرجعية التي ظلت على الهامش خلال آخر جولة من العمليات الحربية بين العرب واسرائيل. بيد أن السوريين ظلوا صامتين خلال أول يومين من القتال وبشأن استجابتهم البطيئة للمناشدات الملحفة من مصر والأردن طلباً للعون(٨٠). في تقرير للسفارة الأمريكية في الأردن كتب في يوم ٦ حزيران/يونيو عن الوضع العسكري على الجبهة الاسرائيلية ـ الأردنية ورد ذكر للاستجابة السورية الضعيفة بأنها كانت «حداً أدنى من المساعدة منذ بدء الصراع»(٨١). ويتعين أن يقاس هذا الموقف على خلفية بعينها حقيقتها أن دمشق كانت منذ أوائل الستينيات تدفع نحو مواجهة مسلحة مع اسرائيل. وقد أشار باتريك سيل أن من الممكن تفسير تصرف الزعماء السوريين بأن الحرب كانت ذات مدى وسرعة أخذتهم على حين غرة وأربكتهم وهم في حالة عدم تهيؤ ذهني لحرب

---

(٧٩) نقلاً عن: المصدر نفسه، ص ٨٣، و Eban, Ibid., p. 446.

(٨٠) Seale, *Asad of Syria: The Struggle for the Middle East*, pp. 138 - 139 and 144, and المشير محمد عبد الغني الجمسي، «حرب اكتوبر: شهادتي للتاريخ والاجيال،» **اكتوبر** (٢٧ آب/اغسطس ١٩٨٩)، ص ٤٧.

(٨١) «Amman to Department of State, No. 4098, 6 June 1967,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969*, reel 1.

الصاعقة التي شنتها اسرائيل على الجبهات كافة[٨٢].

ان الهزيمة التي لحقت بجيش عبد الناصر مع احتلال اسرائيل لسيناء قد أدت الى اختفاء هدف الزعيم المصري الطويل الأمد لخلق نظام عربي جديد. وأصيبت رموز القومية العربية وأفكارها التي كانت من لبنات هذا النظام بالفشل، وعلى الرغم مما كانت تشغله قضية فلسطين في الشؤون العربية على المستوى النظري فإن مقاتلة اسرائيل لم تكن من أولويات عبد الناصر. ففي عامي ١٩٦٣ و١٩٦٦ تدخلت مصر لتهدئة سوريا ومنعها من تصعيد العمليات العدائية ضد اسرائيل. كان المصريون يعرفون جيداً أن ميزان القوى يميل الى جانب اسرائيل وسيظل كذلك في المستقبل المنظور. وتبرهن الأدلة على أن السبب الرئيسي وراء قيام عبد الناصر بالتوقيع في عام ١٩٦٦ على اتفاقية دفاع مع سوريا كان تطمين السوريين وحملهم على الاعتدال. غير أن الذي حدث كان هو العكس تماماً، وذلك نتيجة خطأ في الحساب من جانب عبد الناصر.

ثامناً: جدول جديد بالأرباح والخسائر في المنطقة

عندما انقشع الغبار عن ساحة المعارك وجد عبد الناصر جل جيشه مدمراً، ومساحة كبيرة من أرض مصر محتلة، ومستقبله السياسي في الميزان. لقد خسر ما هو أكثر من الانهزام في معركة، فقد كانت الهزيمة تامة. إن «أقوى دولة في الشرق الأوسط» قد هزمت هزيمة ساحقة من قبل دولة صغيرة، فتية وقوية. كانت حرب الأيام الستة مختلفة تماماً عن أزمة السويس. فمع أن عبد الناصر كان قد خسر عسكرياً في عام ١٩٥٦ إلا أن بوسعه أن يزعم بحق أن القدرات المصرية لم تكن لتضاهي مجموع القوات من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل. لقد نجح حتى في قلب الأداء العسكري الضعيف إلى نصر سياسي باهر. لم يوجَّه لوم داخلي، كما لم يتم تعلم دروس مفيدة. وكان الرضا عن النفس سائداً في القوات المسلحة المصرية.

كان عبد الناصر في البداية متردداً في لوم الدول الغربية على الهجوم الإسرائيلي المباغت على قواته الجوية. لكن ما إن علم بمدى التدمير حتى غيّر رأيه فأصدر مع الملك حسين بياناً مشتركاً اتهم فيه الولايات المتحدة وبريطانيا بأنهما كانتا شريكتين في الهجوم الجوي الإسرائيلي. ومع أن الارتباك والمعلومات المغلوطة هي التي أدت إلى ذلك غير أنه كانت هناك قضايا أوسع نطاقاً قد وضعت على المحك بالنسبة إلى مصر[٨٣]. تقول المصادر المصرية إن عبد الناصر كان يحتاج بشكل ما أن يبرر هذه الهزيمة لشعبه. لقد كان يرجو من توجيه اللوم إلى واشنطن ولندن على إسنادهما الفعال لإسرائيل أن يقلل من الضرر الذي لحق بنظام حكمه إلى الحد الأدنى. إن المصريين سيكونون أكثر استعداداً للقبول

---

(٨٢) Seale, Ibid., pp. 138 - 139.

(٨٣) حسين، ملك الأردن، حربنا مع اسرائيل، ص ٦٧ ـ ٦٩.

بهزيمة شاملة على يد دولة عظمى من قبولهم بها على يد دولة صغيرة(٨٤). لكن هل كان عبد الناصر يرمي إلى شيء آخر؟ هل كان الاتحاد السوفياتي هو الهدف غير المباشر من كلامه؟ هل كان الزعيم المصري يتوقع أن يتدخل السوفيات في الصراع أم كان يوجه ضغطاً عليهم لحملهم على التدخل؟

يقول كبار المسؤولين المصريين، الذين كانوا إلى جانب عبد الناصر وعبد الحكيم عامر خلال أيام الحرب العصيبة، ما معناه أن الزعامة المصرية كانت قد ناشدت موسكو بإلحاف طلباً للعون. فماطل السوفيات، وذُكر عن عبد الناصر قوله «بأنهم كانوا يهابون أمريكا»(٨٥). نفت إدارة جونسون أي مشاركة في القتال. وأكد وزير الخارجية راسك في بيان أصدره يوم ٦ حزيران/يونيو أن الاتهامات المصرية «تهم زائفة جملةً وتفصيلاً». إلى هذا اتهمت وزارة الخارجية الأمريكية عبد الناصر وزملاءه بأنهم كانوا «إما يهيئون ذريعةً لتغطية هزيمتهم العسكرية أو [يرجون] زج السوفيات في دور عسكري ناشط، أو كلا هذين الأمرين معاً»(٨٦).

كان عبد الناصر مخطئاً في افتراضه أن السوفيات سيتدخلون في حرب الشرق الأوسط. كان الأهم للزعامة في الكرملين هو الاستعصاء النووي - أو ميزان الرعب الرهيب - مع الولايات المتحدة والمشكلة المزمنة الخاصة بالأمن الدولي. وفي حرب الأيام الستة كان صناع السياسة في الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي على اتصال دائم على أعلى المستويات لاحتواء الصراع ومنعه من الانتشار والتوسع. وقد مارسوا ضغطاً كبيراً على حلفائهم في المنطقة لكي يقبلوا بوقف إطلاق النار. هذا ولجأت الدولتان العظميان إلى استعمال الخط الساخن بانتظام لإزالة أي سوء فهم قد يودي بهما إلى مواجهة(٨٧).

ومع أن السوفيات انتقدوا أعمال إسرائيل وأيدوا العرب إلا أنهم لم يتخذوا إجراءات فعلية لمساعدة أصدقائهم، حتى انهم لم يستطيعوا دعمهم كثيراً في مجلس الأمن

---

(٨٤) الجمسي، «حرب اكتوبر: شهادتي للتاريخ والاجيال،» ص ٤٣، وحمروش، **قصة ثورة ٢٣ يوليو**، ج ٥، ص ١٦٢ - ١٦٣.

(٨٥) البغدادي، **مذكرات عبد اللطيف البغدادي**، ج ٢، ص ٢٩٨ - ٢٩٩، وحمروش، المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٢٦ - ١٦٣.

(٨٦) «Department of State, Circular to All Near East Posts and to All African Posts, No. 208457, 6 June 1967,» and «Department of State, to All Posts, No. 209202, 8 June 1967,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969,* reel 1, and Johnson, *The Vantage Point: Perspectives of the Presidency, 1963 - 1969,* p. 299.

(٨٧) «Draft Message to Chairman Kosygin, 8 June 1967,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969,* reel 1, and Johnson, Ibid., p. 298.

الدولي لأن الولايات المتحدة كانت تعارض أي قرار ينص على انسحاب إسرائيل إلى ما وراء خطوط الهدنة. لم يكن بوسع المندوب السوفياتي أن يفعل أكثر من إدانة العدوان الإسرائيلي والمساعي الأمريكية للعرقلة(٨٨). لم يتحرك الاتحاد السوفياتي إلى أن أزف يوم العاشر من حزيران/يونيو حين اتخذ خطوة حاسمة لإيقاف التقدم الإسرائيلي على الجبهة السورية، وبحسب ما يقوله جونسون قام كوسيغين باستخدام الخط الساخن لإخباره أنه نتيجةً لتجاهل إسرائيل قرارات مجلس الأمن كافة الداعية إلى وقف إطلاق النار فقد حلت لحظة حاسمة جداً. كان كوسيغين يتنبأ بخطر وقوع «كارثة جسيمة» إلا إذا أنهت إسرائيل بلا قيد أو شرط عملياتها العسكرية خلال الساعات القلائل القادمة. وحذر رئيس الوزراء السوفياتي أنه بخلاف ذلك فإن حكومته ستتخذ «الأعمال الضرورية كافة، بما في ذلك الأعمال العسكرية». بالإضافة إلى هذا قطع الاتحاد السوفياتي علاقاته الدبلوماسية مع إسرائيل وتوعد باتخاذ إجراءات أقوى إلا إذا أوقفت هذه الأعمال العدائية حالاً(٨٩).

ومع أن جونسون كان مدركاً لحساسية الاتحاد السوفياتي بشأن علاقته الخاصة مع سوريا غير أنه قال إنه عازم على مقاومة تطفل السوفيات في الشرق الأوسط. كان جوابه الفوري هو إصدار الأوامر للأسطول السادس للتوجه قريباً من الساحل السوري تحذيراً للكرملين: «ثمة لحظات تكون فيها الحكمة والاستقامة من الأمور المهمة جداً في الحكم الذي يصدره رئيس الجمهورية على الأمور. لقد كنا في لحظة من تلك اللحظات. إن السوفيات قد اتخذوا قراراً. وكان عليّ أن أجيب»(٩٠).

لكن لم يكن لدى الولايات المتحدة ولا لدى الاتحاد السوفياتي العزم الكافي لتحمل وقوع اصطدام بينهما. كان السوفيات يعرفون أن ضغطاً من حكومة الولايات المتحدة هو الطريقة الوحيدة لإيقاف التغلغل الإسرائيلي عميقاً في الأراضي السورية. وكان تحذيرهم الموجه إلى جونسون يرمي إلى إقناعه بالحاجة إلى إيقاف تقدم إسرائيل نحو دمشق. وقد ثبت أن حسابات السوفيات كانت مصيبة. وبحسب ما يقوله أحد كبار المسؤولين الإسرائيليين إن إدارة جونسون أبلغت حليفتها بتاريخ ١٠ حزيران/يونيو أن الوضع قد بلغ نقطة الخطر وأن التدخل السوفياتي لم يعد أمراً غير قابل للتصور. وافقت إسرائيل على وقف إطلاق النار في اليوم ذاته، بعد احتلالها مرتفعات الجولان السورية(٩١).

---

(٨٨) «Memorandum for Mr. Rostow: The Security Council Meeting of 6 and 7 June 1967,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969,* reel 1.

(٨٩) إن دول اوروبا الشرقية كلها، باستثناء رومانيا، قد قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع تل أبيب. انظر: *Pravda,* 10/6/1967; Johnson, Ibid., p. 302; Eban, *An Autobiography,* p. 423, and Dayan, *Story of My Life,* p. 304.

(٩٠) Johnson, Ibid., p. 302.

(٩١) تشير الأدلة الى أن واشنطن باركت، إن لم تكن شجعت، حملة اسرائيل الهجومية ضد سوريا. =

وهكذا تم تحاشي وقوع أزمة بين الدولتين العظميين. إن اتصالاتهما إحداهما بالأخرى على أعلى المستويات قد منعت بشكل فعال حدوث صدام مكشوف. وعلى حد ما ذكرته وكالة المخابرات المركزية لم يكن لدى الاتحاد السوفياتي النية في التدخل عسكرياً في الحرب لذا فإنه قام بما يستطيع لتجنب المواجهة. وجاء في تقييم استخباراتي وضعته الوكالة المذكورة أن الاهتمام الرئيسي الآخر لدى زعماء الكرملين كان الحيلولة دون هزيمة عربية منكرة من شأنها أن تجعل الكرملين هدفاً للانتقادات العربية(٩٢).

تاسعاً: أثر الحرب في العلاقات العربية ـ السوفياتية

كان لإخفاق السوفيات في تقديم إسناد عسكري مباشر للعرب ردود فعل مهمة في العلاقات السوفياتية ـ العربية. وقد خاب ظن الزعماء المصريين على الأخص من جراء عدم تقديم مساعدة سوفياتية ملموسة، وساورهم الشك بأن موسكو قد ضحت بحلفائها العرب على مذبح الوفاق مع واشنطن. وقد ثارت ثائرة عبد الناصر بسبب الموقف السوفياتي غير الفعال، فقال في خطاب استقالته بعد الهزيمة إن قراره بحشد القوات المصرية في سيناء كان ناجماً من معلومات قدمها له بعض المسؤولين السوفيات. وقد ذكر كذلك أن السوفيات حذروه من أن يهاجم إسرائيل أولاً. وقد أدرك الساسة العرب، وليس عبد الناصر وحده، أن تحالفهم مع الاتحاد السوفياتي لم يكن مطلقاً، ولم يسعهم إلا مقارنة الدعم الأمريكي لإسرائيل بالتزام الكرملين الفاتر. وأدرك الحكام العرب أن متطلبات الأمن العالمي لحليفتهم الدولة العظمى تقدمت على الاهتمامات الإقليمية(٩٣).

= قال إيبان إن مسؤولي الولايات المتحدة أخبروه إنه يتعين ألا تخرج سوريا سالمة. شعر إيبان بالقلق في يوم ٨ حزيران/ يونيو لئلا يقر مجلس الأمن قراراً بوقف إطلاق النار وبذلك تخرج سوريا من المصيدة. ويقول إيبان انه أخبر مجلس الوزراء الاسرائيلي، خلال مناقشاته التي دارت حول اجتياح مرتفعات الجولان من عدمه، أن واشنطن ستكون مسرورة إذا هزمت سوريا. وتظهر كذلك الوثائق الأمريكية التي رفعت عنها السرية أن مسؤولي الولايات المتحدة كانوا يأملون «أن تسرع اسرائيل بما فيه الكفاية» لخلق «أمر واقع» على الجبهة السورية قبل إقرار مجلس الأمن قراراً بوقف إطلاق النار. انظر: Eban, Ibid., pp. 421 - 422; «Walt Rostow to the President, 6 June 1967,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969,* reel 1; Quandt, *Decade of Decisions: American Policy toward the Arab-Israeli Conflict, 1967 - 1976,* p. 63; Steven L. Spiegel, *The Other Arab-Israeli Conflict: Making America's Middle East Policy from Truman to Reagan* (Chicago, IL: University of Chicago Press, ©1985), p. 151, and Dayan, Ibid., p. 304.

(٩٢) «CIA, Memorandum of Walt W. Rostow, Subject: Objectives of the Middle East Combatants and the USSR, 6 June 1967,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969,* reel 1.

(٩٣) عبد الناصر، **وثائق عبد الناصر: خطب، أحاديث، تصريحات: يناير ١٩٦٧/ ديسمبر ١٩٦٨،** ص ٢٢٦ و٢٤٢ ـ ٢٤٣؛ رياض، **مذكرات محمود رياض،** ج ٢: **الأمن العربي بين الانجاز والفشل،** ص ٤٦؛ حمروش، **قصة ثورة ٢٣ يوليو،** ج ٥، ص ١٨٨ ـ ١٨٩؛ «Cairo to Secretary of State, =

لم تكن هذه الآراء مقتصرة على الدوائر الرسمية فقط بل كانت منتشرة في أوساط الجماهير. وحين أصبح مدى الهزيمة معروفاً للناس قامت بعض العصابات المسلحة بالتوجه نحو السفارة السوفياتية عازمة على نهبها. كان هؤلاء وكثير غيرهم من المصريين يعتبرون الاتحاد السوفياتي «مسؤولاً عن الفشل العسكري»(٩٤). وقد ظهرت الشكوك في أرجاء الوطن العربي بشأن إخلاص السوفيات وإمكانية الاعتماد عليهم. إن حرب ١٩٦٧ قد وضعت، بهذا المعنى، حداً فاصلاً في العلاقات العربية ـ السوفياتية. فقد بدأ الحكام العرب يعيدون التفكير في طبيعة تحالفهم مع الكرملين ويشككون بجدوى هذا التحالف. إن من الممكن القول إن أحد الأسباب الرئيسية لتراجع النفوذ السوفياتي في الوطن العربي في أوائل السبعينيات يكمن في التصورات العربية لموقف موسكو خلال حرب حزيران ١٩٦٧. لقد تلقت صورة الاتحاد السوفياتي ومكانته في أعقاب الحرب صفعة شديدة. إن الرموز مهمة في السياسة. لقد أدرك الزعماء العرب فجأة أنهم لا يستطيعون الاعتماد على السوفيات لكي يقدموا على نجدتهم عسكرياً، قال أنور السادات في كتاب سيرته الذاتية، وكان قد خلف عبد الناصر في عام ١٩٧٠ وجعل سياسة مصر الخارجية في صف واشنطن وبعيداً عن موسكو، قال إن زعماء الكرملين قد شوشوا الزعماء المصريين بإرسال إشارات مختلفة(٩٥).

وقوبلت الاتهامات ومشاعر الاستياء بمثلها، فقد أصيب زعماء الكرملين بالصدمة من جراء التدمير الشامل للأسلحة السوفياتية الصنع والانهيار الذي أصاب الجيوش العربية السوفياتية التدريب. وقد أعرب أولئك الزعماء عن انتقاداتهم من خلال قنوات خاصة وعامة. وأنحى المعلقون السوفيات باللائمة على ما أظهرته القيادة العسكرية المصرية من عدم اقتدار وعدم كفاءة وعدم ولاء. ومع أن هؤلاء المعلقين لم يذهبوا إلى حد توجيه اللوم صراحةً إلى النخبة السياسية لكن المعنى الضمني كان واضحاً. وأفادت جريدة **برافدا** أن هزيمة البلدان العربية كانت أمراً يمكن التنبؤ به بالنظر إلى البنية البرجوازية لقواتها المسلحة. وأكد أحد مساعدي عبدالناصر المقربين أن الذي أثار ثائرة الرئيس هو ما سرّبه السوفيات من أقوال إلى جرائد أوروبا الغربية تفيد بأنه كان سيخرج بنتائج أفضل لو انه

No. 3292, 7 June 1967,» and «Soviet Objectives in the Middle East, No. 41, 2 January 1968,» = in: Ibid., reels 1 and 7 respectively, and Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East*, pp. 29 - 30 and 36 - 37.

(٩٤) Anouar Abdel - Malek, *Egypt: Military Society; the Army Regime, the Left, and Social Change under Nasser*, translated by Charles Lamm Markmann (New York: Random House, 1968), p. viii.

(٩٥) El-Sadat, *In Search of Identity: An Autobiography*, pp. 172 - 173;

منير حافظ، «التاريخ السري لحكم جمال عبد الناصر،» **روز اليوسف** (٢٦ نيسان/ابريل ١٩٧٦)، ص ٢٢ ـ ٢٣، والبغدادي، **مذكرات عبد اللطيف البغدادي**، ج ٢، ص ٢٩٨.

أصغى لنصيحة موسكو[٩٦].

قام بريجينيف وكوسيغين بإعلام كل من الرئيس الجزائري بومدين والرئيس العراقي عبد الرحمن عارف، اللذين ذهبا جواً إلى موسكو في ١٧ حزيران/يونيو للتحقق من عمق الالتزام السوفياتي، بأن حلاً سياسياً هو الخيار الأقرب للتنفيذ نظراً إلى تدمير القدرات العسكرية العربية. وبحسب ما جاء في محاضر اجتماعات عبد الناصر مع بومدين وعارف فإن كوسيغين كان قد قال إن العرب ليسوا في وضع يمكنهم من اتباع سياسات متشددة ورافضة وإن أصدق نصيحة لهم هي أن ينتهجوا نهجاً مرناً في الأمم المتحدة وأن يتحدثوا مع الأمريكيين الذين سيلعبون بالتأكيد دوراً رئيسياً في حسم الصراع. وذكر عن رئيس الوزراء السوفياتي أنه حذّر محدثيه بأن الشعارات الثورية ينبغي أن تستند إلى قوة حقيقية لا إلى مجرد أقوال خطابية[٩٧].

وفي ما أثنى بريجينيف على حالة الاستعداد في إسرائيل فقد وجه نقداً شديداً للجيوش العربية. وقال لبومدين وعارف بصراحة تامة ان الميزان الاستراتيجي بين إسرائيل وجاراتها العربية لا يسمح بأي عمل عسكري، ونصح بأن على العرب إنهاء حالة الحرب مع إسرائيل. وبحسب ما جاء في محضر الاجتماع اختلف زعماء الكرملين صراحةً مع الضيفين العربيين بشأن كيفية المعالجة لعواقب الهزيمة وبشأن الاستراتيجيات التي ينبغي السير بمقتضاها في المرحلة اللاحقة. أما رئيس الجمهورية السوفياتية بودغورني فقد قال لعبد الناصر، خلال زيارته إلى القاهرة بعد الحرب مباشرةً، إن القوة العسكرية ليست خياراً عملياً مثمراً بالنسبة إلى مصر. وأضاف يقول إنه إذا اندلعت الحرب مرة أخرى فإن من غير المحتمل أن تكون للاتحاد السوفياتي صلة بها[٩٨].

عاشراً: علاقات العرب مع الاتحاد السوفياتي بعد حرب ١٩٦٧

إن اتضاح الموقف السوفياتي لعب دوراً حاسماً في قرار عبد الناصر بالموافقة على عقد مؤتمر للرؤساء العرب في الخرطوم في نهاية آب/أغسطس ١٩٦٧. كان الغرض من

---

(٩٦) *New Times* (27 September 1967), p. 9; *Current Digest of the Soviet Press,* no. 19 (July 1967), pp. 6 - 8; Dawisha, *Soviet Foreign Policy towards Egypt,* pp. 43 - 44;

حافظ، المصدر نفسه، ص ٢٣، وروز **اليوسف** (٢ ايار/مايو ١٩٧٦)، ص ١١.

(٩٧) عبد المجيد فريد، **من محاضر اجتماعات عبد الناصر العربية والدولية، ١٩٦٧ - ١٩٧٠** (بيروت: مؤسسة الابحاث العربية، ١٩٧٩)، ص ٥٢ و٥٤ - ٥٧. رواية فريد تدعمها مصادر اخرى انظر مذكرات وزير الخارجية المصري محمود رياض، في: Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East,* pp. 49 - 50; Heikal, *Sphinx and Commissar: The Rise and Fall of Soviet Influence in the Arab World,* pp. 185 - 188, and

حمروش، **قصة ثورة ٢٣ يوليو**، ج ٥، ص ٢٨٨.

(٩٨) فريد، المصدر نفسه، ص ٤٠، ٥٠ - ٥١ و٥٨ - ٦٠؛ حمروش، المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٩٩؛ Heikal, Ibid., pp. 187 - 188, and Riad, Ibid., pp. 49 - 50.

هذا الاجتماع وضع استراتيجية عربية جماعية نحو إسرائيل والغرب. وفي ذلك الاجتماع أضاف عبد الناصر صوته إلى أصوات المعتدلين المنادين بحل سياسي للصراع العربي ـ الإسرائيلي. إنهم فضلوا كذلك الإبقاء على الحوار مفتوحاً مع الغرب والاستمرار في ضخ النفط إليه. لقد وجدوا أن ذلك ضروري للمصالح العربية(٩٩). من ثم وافقت مصر والأردن على قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٢ الذي كان قد صدر بالإجماع في شهر تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٧.

كان سلوك عبد الناصر متأثراً بالضغط المعتدل وغير المباشر الذي مارسه عليه السوفيات. لقد كان يرى نفسه معرّضاً لقبول مطالب الكرملين، إذ إن قراره بقطع العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة وبريطانيا حرمه من الخيارات في السياسة الخارجية. قال لوزير دفاعه فوزي إنه لا خيار أمامه سوى التعاون مع الكتلة الشيوعية وذلك للحصول على السلاح ولإعادة بناء الجيش المصري(١٠٠). كان عبد الناصر قد تحرك سريعاً بعد الحرب مباشرة لوضع حدٍ للبغضاء التي كانت تنهش العلاقات العربية ـ السوفياتية، فأصبح في السنوات الثلاث التالية معتمداً الاعتماد كله على المساعدات السوفياتية.

أثنى عبد الناصر علناً على زعامة الكرملين لدعمها السياسي والاقتصادي والعسكري، وقام بإبلاغ المسؤولين السوفيات أن مصر على استعداد للتوقيع على أي ميثاق أو اتفاقية لتنظيم وهيكلة العلاقة بين بلديهما على أساس أكثر دواماً. وذهب عبد الناصر إلى أبعد من ذلك بأن قال لبودغورني إنه مستعد لوضع المرافق البحرية المصرية تحت تصرف الأسطول السوفياتي في البحر الأبيض المتوسط، وقد نفذ ذلك بعد فترة وجيزة. كانت استراتيجيته ترمي إلى إدخال السوفيات في المنطقة على نحوٍ أعمق وذلك لكي يشاركوا في أعباء إعادة تسليح مصر(١٠١). كانت هذه الإجراءات مناقضة تماماً لأحد المبادىء الأساسية التي تقوم عليها سياسة عبد الناصر الخارجية، ألا وهو حماية استقلال مصر والحفاظ على حريتها في المناورة. إن مشاركة موسكو المتزايدة مع مصر وسوريا جعلت الصراع العربي ـ الإسرائيلي يدخل بشكل أعمق في خضم الحرب الباردة الجارية بين الدولتين العظميين. وهكذا أصبح اللاعبون المحليون منشبكين في شراك سياسات

---

(٩٩) فريد، المصدر نفسه، ص ٨١. كان لقمة الخرطوم نتائج بعيدة المدى على المستويين الاقليمي والدولي، وستبحث في ما بعد.

(١٠٠) فوزي، **حرب الثلاث سنوات، ١٩٦٧/ ١٩٧٠: مذكرات الفريق أول محمد فوزي وزير الحربية**، ص ١٨٩. انظر أيضاً تصريح عبد الناصر لوزير خارجيته، في: رياض، **مذكرات محمود رياض**، ج ٢، ص ٤٥، و Riad, Ibid., p. 25.

(١٠١) عبد الناصر، **وثائق عبد الناصر: خطب، أحاديث، تصريحات: يناير ١٩٦٧/ديسمبر ١٩٦٨**، ص ٢٦١؛ فريد، المصدر نفسه، ص ٤١؛ فوزي، المصدر نفسه، ص ١٨٩ و١٩٤ ـ ١٩٥، و Riad, Ibid., pp. 42 - 45.

الدول الكبرى. وبهذا المعنى مثلت حرب ١٩٦٧ منعطفاً جديداً في علاقات العرب بالدولتين العظميين. إن المنظومة الفرعية العربية قد فقدت ما كانت اكتسبته من استقلال ذاتي في العقد الماضي.

قابل السوفيات ولاء مصر بالمثل. فقاموا بنقل كميات ضخمة من المعدات جواً للتعويض عما خسرته مصر وسوريا من أسلحة. وبما أن للاتحاد السوفياتي مقام الدولة العظمى فقد كان على زعمائه الوقوف إلى جانب المعتمدين عليه في المنطقة، إذ ان له سمعة وصورة يتعين الحرص عليهما. كانت مصر منذ عام ١٩٥٥ بمثابة بؤرة الاتحاد السوفياتي في العالم النامي. لم يفتح عبد الناصر فقط أبواب الوطن العربي للاتحاد السوفياتي بل قاوم كذلك المحاولات الصينية المنسقة الرامية لاستبعاد موسكو من المشاركة في مؤتمرات عدم الانحياز. إن مصر ستستمر، بنظر السوفيات، على الرغم من هزيمتها، في لعب دور أساسي في العالمين العربي والنامي، وسيظل عبد الناصر مفيداً سياسياً لترويج المصالح السوفياتية في العالم. كذلك كانت مصر مهمة استراتيجياً بالنسبة إلى العسكريين السوفيات، أما قادة الأسطول السوفياتي فقد كانوا يعتبرون وضع المرافق البحرية المصرية لاستخدامهم جائزةً كبرى. وبحسب رواية وزير الخارجية المصري فإن الكرملين كان قد طالب منذ ١٠ حزيران/يونيو بقواعد عسكرية في مصر[١٠٢].

لا بد أن النتائج المباشرة للحرب كانت بنظر السوفيات مدعاة للامتنان. إن هزيمة عبد الناصر الساحقة قد خفضت جناحه فأصبح أكثر تقبلاً للطلبات السوفياتية. لم يعد بوسعه أن يتحدى نفوذ موسكو في المنطقة كما فعل في عام ١٩٥٩؛ وهذا طمأن السوفيات. لقد علمتهم حرب ١٩٦٧ الحاجة الماسة لممارسة سيطرة أكبر على حلفائهم في المنطقة، ومكنتهم نتائجها وآثارها من فعل ذلك. سيكون للاتحاد السوفياتي، بإدارته لتدفق شحنات الأسلحة إلى مصر وسوريا، نفوذ أكبر في سياساتهما. لم تترك موسكو أي شك لدى عبد الناصر بأنها تفضل حلاً سلمياً للصراع العربي ـ الإسرائيلي[١٠٣]. وقد ماطل زعماء الكرملين مراراً وتكراراً وامتنعوا عن تزويد أصدقائهم العرب بأسلحة هجومية. ستصبح مسألة تسليم الأسلحة في السنوات الثلاث التالية من أدوات الضغط الفعالة التي حصل عليها السوفيات لاستخدامها تجاه العرب.

شعر المصريون بالإحباط من الطريقة التي يعاملهم بها الكرملين. ووصف السادات المرحلة التي أعقبت حرب ١٩٦٧ بأنها صدام بين مصر والاتحاد السوفياتي. وفي خلال اجتماع عقده عبد الناصر مع تيتو فقد الزعيم المصري أعصابه عند البحث في موقف الكرملين من طلباته للأسلحة فقال: «أرجو أن تقول للاتحاد السوفياتي، انني سأكون أكثر

---

(١٠٢) Riad, Ibid., p. 41.

(١٠٣) المصدر نفسه، ص ٨٤، وفوزي، المصدر نفسه، ص ٣٤٦.

استعداداً لقبول الهزيمة ـ لقبول أي شيء في الواقع ـ من قبول معاملتي على هذا النحو»[١٠٤]. ولكن هذا التهديد لم يؤثر في شيء بالرجال الواقعيين في الكرملين. بيد أن الزعماء السوفيات أوفوا بوعدهم للتعويض عما خسره العرب من معدات باستثناء الأسلحة الهجومية. وتزايد النفوذ السوفياتي السياسي والمادي كثيراً في الوطن العربي، فالخبراء العسكريون السوفيات يرسلون بأعداد متزايدة إلى القاهرة ودمشق للدفاع عن أهداف استراتيجية وصناعية تقع في أعماق أراضي القطرين، بيد أن الوجود السوفياتي المزدهر في المنطقة كانت تكتيكياً ومؤقتاً، فهو ثمرة غليان شديد جعل من مصر المركز العصبي للمنظومة الفرعية العربية، مع قليل من الخيارات الدولية.

وعلى الرغم من الدعم السياسي الضخم الذي قدمه الاتحاد السوفياتي فإن العرب كان قد خاب ظنهم بسلوكه قبل صراع حزيران وخلاله وحتى بعده. كانت بذور الشك وعدم الثقة قد زرعت في العلاقات العربية ـ السوفياتية، لكن عبد الناصر لم يكن يسعه إجراء قطيعة نهائية مع العملاق الشيوعي، ولا سيما بعدما قطعت مصر روابطها السياسية مع الدول الغربية. وأصبح الاتحاد السوفياتي ملجأ عبد الناصر الأخير. سيقتضي الأمر تولي زعيم جديد مقاليد السلطة بعد عبد الناصر لإحياء الصلة القديمة مع الولايات المتحدة، على حساب الكرملين وحده.

حادي عشر: العلاقات الأمريكية ـ العربية: ارتياب ومواجهة

لا يمكن فهم الاعتماد المتزايد لدول المواجهة العربية على الاتحاد السوفياتي إلا بالفهم المتعمق لمواقف العرب نحو الغرب. لقد شعر العرب باستياء وغضب عظيمين تجاه الولايات المتحدة، أثارتهما في البداية الاتهامات الرسمية بأنها شاركت مع إسرائيل في الهجمات الجوية الأولى ضد القوات العربية. ومع أن هذه الاتهامات لا أساس لها فإنها أكدت ما هو شائع من القوالب العربية الجاهزة لعداوة الغرب. يؤكد محمود رياض وزير الخارجية المصري أن عبد الناصر أراد حرف المرارة العربية بعيداً عن الغرب عموماً وتوجيهها نحو الولايات المتحدة وحدها. كان هذا واضحاً في خطب عبد الناصر بعد الحرب مباشرة. حيث أثنى على موقف فرنسا الشريف وصب جام هجماته على الحكومة الأمريكية. هذا وقد كان يقول إن الأمريكيين لم يشتركوا اشتراكاً فعلياً بالقتال لكن ما أسهموا فيه لتحقيق النصر الإسرائيلي كان إسهاماً كبيراً حاسماً[١٠٥].

كان عبد الناصر يقول إن الولايات المتحدة قد لعبت دوراً حاسماً في هزيمة مصر،

(١٠٤) نقلاً عن: El-Sadat, *In Search of Identity: An Autobiography*, pp. 187 and 197, and Heikal, *Sphinx and Commissar: The Rise and Fall of Soviet Influence in the Arab World*, p. 193.

(١٠٥) عبد الناصر، **وثائق عبد الناصر: خطب، أحاديث، تصريحات: يناير ١٩٦٧/ ديسمبر ١٩٦٨**، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٧، ٢٥٠ و٢٦١، و Riad, Ibid., p. 46.

فهي لم تكتف فقط بتهديد القاهرة إذ بدأت أولاً العمليات الحربية، لكنها «خدعتها» و «احتالت عليها» كذلك بدفعها إلى حالة من الاطمئنان وذلك بالتأكيد لها أن تل أبيب لن تقوم بإطلاق الرصاصة الأولى. ويقول عبد الناصر ان الحكومة الأمريكية قد ساعدت إسرائيل بطرق متعددة وذلك بتزويدها بالأسلحة والمعلومات الاستخبارية، ويبين كذلك أن إدارة جونسون كانت تعرف مسبقاً بخطط إسرائيل الحربية وأنها وافقت عليها. إن من الممكن إلى حدٍ ما تفسير الأقوال الخطابية التي كان يدلي بها الزعيم المصري بحاجته إلى تبرير هزيمة العرب وتبرير سوء التقدير الذي وقع فيه. بيد أنه كان يعتقد أن الولايات المتحدة قد تواطأت مع إسرائيل لتوجيه ضربة «للأنظمة العربية الثورية التي رفضت أن تكون جزءاً من منطقة النفوذ الغربي»(١٠٦).

آمن الزعيم المصري بأن نظام حكمه كان الهدف الرئيسي للهجوم الإسرائيلي برعاية الولايات المتحدة. قال لشعبه بعد الحرب إنها كانت استمراراً لقطع المساعدات الأمريكية قبل وقوع الحرب بسنتين وأضاف: ما إن أخفق جونسون في إخضاع مصر عن طريق الحرب الاقتصادية حتى قام بتحريض إسرائيل باستخدام القوة المادية بدلها(١٠٧). وعلى الرغم من عنف هجومه على السياسة الأمريكية فإنه لم يكن في وضع يمكنه من مواجهة الولايات المتحدة في المنطقة. كان ما تبقى من جيشه يعاني الأمرين في الصحراء، وباتت خزائنه خالية. وبلغت مكانة عبد الناصر أدنى مستوى لها بعد حرب ١٩٦٧ مباشرة.

تحول ميزان القوى في المنطقة تحولاً كبيراً لصالح المحافظين العرب، فقد أصيب المثل الأعلى الثوري في السياسية العربية بالضعف. ولم يكن الاتحاد السوفياتي مهيّأً لدعم الحليفتين مصر وسوريا، وهما في ضائقة شديدة، دعماً فعالاً. وكان بصفته دولة عظمى أكثر اهتماماً بعلاقته مع الولايات المتحدة من اهتمامه بتعهدات عويصة تجاه شركائه في المنطقة. إن منطق سياسات الدول العظمى يسبق في أولويته المصالح الأخرى. وقد عمل عبد الناصر، عبر قطع العلاقات الدبلوماسية مع الحكومة الأمريكية ـ وبإطلاقه الاتهامات ضد الولايات المتحدة، على استعداء جونسون وجعله أكثر عزماً على منعه من استعادة مركزه في الزعامة العربية الوحدوية(١٠٨).

جاء مدى الهزيمة العربية مفاجئاً للمسؤولين في الولايات المتحدة، فقد كانوا يتوقعون أن تنتصر إسرائيل لكنهم لم يكونوا واثقين من أمد الحرب أو من نتائجها

(١٠٦) عبد الناصر، المصدر نفسه، ص ٢٤٦.

(١٠٧) المصدر نفسه، ص ٢٤٤ و٢٤٦. كان يشارك عبد الناصر في آرائه معظم الطبقة الحاكمة في مصر.

(١٠٨) خلال اجتماعه الأول الذي عقده الرئيس جونسون مع الملك حسين بعد الحرب قال لضيفه: إنه كان «غاضباً» من مصر. انظر: حسين، ملك الأردن، **مهماتي كملك**، ص ٢٢١، و Johnson, *The Vantage Point: Perspectives of the Presidency, 1963 - 1969*, p. 303.

المباشرة. وهذه الشكوك تفسر تردد جونسون قبل الحرب بإلزام الولايات المتحدة بالدفاع عن إسرائيل في حالة قيامها بالعمل على نحو مستقل. قال جونسون بصراحة تامة لإيبان في أيار/مايو إن تل أبيب لن تكون وحدها إلا إذا قررت خوض الحرب وحدها[١٠٩]. وانعكس عدم اليقين وعدم الارتياح لدى الإدارة الأمريكية في اليوم الأول من الحرب في دعوتها المتقاتلين جميعاً إلى العمل لوقف إطلاق النار والعودة إلى المواقع القديمة[١١٠]. بيد أن الموقف الأمريكي تبدل تبدلاً كبيراً جداً حالما اتضح للجميع مستوى النصر. وفي مذكرة رفعها وولت روستو، المساعد الخاص لرئيس الجمهورية، إلى جونسون بتاريخ ٧ حزيران/يونيو جاء أن النصر الإسرائيلي قد خلق ظروفاً جديدة وعلى حكومة الولايات المتحدة أن تتحرك بسرعة لاستغلالها. وفي اليوم التالي كتب روستو محذراً من أن الخطر الأكبر هو في عدم تقدير العواقب السياسية لانتصار إسرائيل العسكري. وأوجز الموقف الرسمي الأمريكي بأن يكون معارضاً لأي قرار في الأمم المتحدة يتطلب من إسرائيل أن تتنازل عن مكاسب حربية إلا لقاء تسوية نهائية عربية ـ إسرائيلية[١١١].

كانت إدارة جونسون تأمل باستخدام الوضع الجديد لاستخلاص معاهدات سلام مع العرب والاعتراف بوجود إسرائيل من قبلهم. وقد حاول مسؤولو الإدارة بالقول إن الهزيمة التي لحقت بمصر وسوريا قد أتاحت للولايات المتحدة فرصة ذهبية لاتخاذ إجراءات سياسية «ضخمة» في المنطقة لأن «السياسة السوفياتية كانت قد أصيبت بالخراب»[١١٢]. وقد توصلت الإدارة الأمريكية حتى قبل انتهاء الحرب إلى نتيجة مفادها أن مصير عبد الناصر قد تقرر. وكان دبلوماسيو الولايات المتحدة في المنطقة واثقين من أن انتفاضة عامة معادية لعبد الناصر ستهز مصر والوطن العربي هزاً؛ وأن بقاء نظام حكمه في مصر مشكوك فيه، كما أن ولاء البلدان العربية الأخرى له هو موضع الشك أيضاً[١١٣].

واعتقدت وكالات الاستخبارات الأمريكية كذلك أن أيام الزعيم المصري باتت معدودة، وبدأت تفكر جدياً بمرحلة ما بعد عبد الناصر. وعلى هذا المنوال ظنت وزارة الخارجية الأمريكية أن سقوط نظام عبد الناصر سيؤدي ليس فقط إلى إعادة علاقات

(١٠٩) Johnson, Ibid., p. 293, and Eban, *An Autobiography*, p. 329.

(١١٠) «Harriman to the President and Secretary of State, No. 19914, 6 June 1967,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969*, reel 1.

(١١١) «Walt Rostow to the President, No. 299, 7 June 1967,» and «Department of State to Embassy Paris, No. 209550, 8 June 1967,» in: Ibid.

(١١٢) «Department of State, Embassy Tehran, Subject: Middle East Crisis, No. 209086, 7 June 1967,» in: Ibid.

(١١٣) «Cairo to Secretary of State, No. 3292, 7 June 1967,» in: Ibid.

الولايات المتحدة مع مصر وإنما أيضاً إلى بعث المصالح الأمريكية من جديد في الساحة العربية بأسرها(١١٤). كان الرأي السائد في واشنطن منعقداً على عدم قبول الحلول التجميلية المستعجلة أو الحلول الوسط الموقتة الرامية إلى كسب الوقت فقط. وعلى حد قول إيفريل هاريمان، نائب وزير الخارجية الأمريكي للشؤون السياسية، إنه لن يتسنى للولايات المتحدة فرصة مواتية أخرى كهذه لمعالجة المشاكل الأساسية التي ابتليت بها هذه المنطقة المضطربة، «وهي منطقة حيوية جداً لأمن بلادنا وأمن أوروبا الغربية»(١١٥).

جرى تحديد الخطوط الرئيسية لاستراتيجية الولايات المتحدة في المدى الطويل على النحو التالي: (١) وقف العمليات الاعتدائية بين إسرائيل وجاراتها العربية؛ (٢) اعتراف العرب بإسرائيل؛ (٣) دعم القوى العربية المعتدلة على حساب القوى الراديكالية؛ (٤) دور أكبر لتركيا وإيران في الشرق الأوسط؛ (٥) ترتيبات إقليمية لمراقبة التسلح؛ (٦) آلية جديدة للتنمية الاجتماعية والاقتصادية(١١٦). إن فك عقدة الحرب أتاح، بنظر الولايات المتحدة، فرصة عظيمة لحل الصراع العربي ـ الإسرائيلي المزمن، ولإعادة رسم الخريطة السياسية للمنطقة من جديد. أما العنصر المركزي في هذه الاستراتيجية فهو تقليص مكانة عبد الناصر ونفوذه في الوطن العربي وتعديل الاصطفافات السياسية في المنطقة.

إن تحقيق هذا الغرض يتطلب إشراكاً فعالاً لكل من تركيا وإيران وإسرائيل. كانت هذه الدول تنافح مدة عقدٍ من الزمن لتكون من اللاعبين الحقيقيين في المنظومة الفرعية العربية. وقد جاء في تقييم استخباراتي أعدته وكالة المخابرات المركزية أن إسرائيل كانت تأمل قبل الحرب في أن تقيم ائتلافاً فضفاضاً يضم إيران وتركيا والأكراد والعرب المعتدلين. وبالتالي فإن هدفها الأول من حربها كان تحطيم عبد الناصر كزعيم للحركة القومية العربية الوحدوية. كان المسؤولون في إسرائيل يفترضون أنه إذا أمكن تحقيق هذا الهدف فإنها وتركيا وإيران ستكون الأطراف المهيمنة في المنطقة لأنها ستسيطر على ميزان القوى العسكرية(١١٧).

في أعقاب الحرب عملت كل من إسرائيل وإيران على الأخص على التأثير في

(١١٤) المصدر نفسه، و «CIA, Memorandum for Walt W. Rostow, 6 June 1967,» and «Department of State, Subject: Middle East Crisis, Embassy Tehran, No. 209086, 7 June 1967,» in: Ibid.

(١١٥) «Harriman to the President, No. 6577, 8 June 1967,» and «Department of State to Embassy London, No. 208887, 7 June 1967,» in: Ibid.

(١١٦) «Walt Rostow to the President, No. 299, 7 June 1967»; «Department of State to Embassy London, No. 208887, 7 June 1967,» and «NSC, Memorandum for Walt Rostow, Subject: Reactions to Your Paper of 7 June 1967, 8 June 1967,» in: Ibid.

(١١٧) «Richard Helms, CIA, to Walt Rostow, Subject: Israeli Objectives in the Current Crisis – Soviet Policy Miscalculation, 6 June 1967,» in: Ibid.

الحكومة الأمريكية لكي تساند دوراً أكبر لهما في المنطقة، فقد أبلغ المسؤولون الإسرائيليون نظراءهم في الولايات المتحدة أن النصر الذي حققوه ضد العرب خلق فرصاً جديدة لبناء نظام قابل للبقاء في الشرق الأوسط أكثر مما كان موجوداً في السابق. وأضافوا أن الولايات المتحدة وحلفاءها الإقليميين سيكونون المستفيدين الرئيسيين من هذا النظام[١١٨]. كذلك أبلغ شاه إيران الإدارة الأمريكية «أن عبد الناصر يجب أن ينهى إذ بغير ذلك سيتمكن مرة أخرى من إلهاب المشاعر العربية». وأضاف أن إيران سيسرها كثيراً أن تلعب دوراً أنشط وأن تكون دعامة صلبة في المنطقة كما هو حال اليابان في الشرق الأقصى[١١٩].

تركت هذه الحجج أثرها في أوساط إدارة جونسون، فقبلت بوجهة نظر تل أبيب بألا يتم أي انسحاب إلا لقاء معاهدة سلام رسمية. ورفض جونسون أن يقوم بالضغط على إسرائيل لكي تتنازل عن أي أرض كما فعل آيزنهاور في عام ١٩٥٧، وقال إن إسرائيل يجب أن تقبل كواقع قائم في المنطقة ويجب أن يعترف بها العرب[١٢٠]. ولم يختلف الإسرائيليون والعرب في أن المبادىء الخمسة الكبرى للسلام التي وضعها جونسون تعتبر مؤيدة لإسرائيل بالتمام. إن تلاقي المصالح بين واشنطن وتل أبيب كان تاماً[١٢١]. وقد سجلت حرب الأيام الستة بداية لعلاقة خاصة بينهما. واستنتج جونسون أن من غير الممكن عقد أية صفقة مع مصر طالما كان عبد الناصر في الحكم. إن هذا الموقف يفسر التحفظ المتباعد الذي أبدته الإدارة الأمريكية نحو قضية السلام بين العرب وإسرائيل[١٢٢]. فبعد أن استبعدت الحكومة الأمريكية إمكانية التعاون مع عبد الناصر قامت بإنشاء صلات أوثق مع إسرائيل وإيران وتركيا والبلدان العربية المحافظة[١٢٣]. وقد تعهدت بالإبقاء على ميزان القوى في صالح حلفائها. كان النظام العربي الثوري في حالة تراجع خطير، وأراد جونسون أن يلحق به هزيمة نهائية.

---

(١١٨) «Embassy Tel Aviv to Secretary of State, No. 3998, 7 June 1967,» in: Ibid.

(١١٩) «Department of State, Embassy Tehran, Subject: Middle East Crisis, No. 209086, 7 June 1967,» and «Harriman to the President, No. 6577, 8 June 1967,» in: Ibid.

(١٢٠) Johnson, *The Vantage Point: Perspectives of the Presidency, 1963 - 1969*, pp. 303 - 304.

(١٢١) Kimche and Bawly, *The Sand Storm: The Arab-Israeli War of June 1967; Prelude and Aftermath*, pp. 279 and 281, and Quandt, *Decade of Decisions: American Policy toward the Arab-Israeli Conflict, 1967 - 1976*, p. 64.

(١٢٢) «NSC, Memorandum for Walt Rostow, 8 June 1967,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969*, reel 1.

(١٢٣) استثني الأردن من الدول المحافظة بسبب اشتراكه في حرب حزيران/يونيو. وحين اجتمع جونسون والحسين لم يستطيعا الاتفاق على وجهة نظر مشتركة. انظر: Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, p. 174.

ثاني عشر: قمة الخرطوم: مضاعفات إقليمية

كان الأمر بالنسبة الى الراديكاليين العرب ـ سوريا والعراق والجزائر ومنظمة التحرير الفلسطينية، واليمن ـ يقتضي هجمة مضادة عاجلة لإيقاف التقدم الأمريكي في المنطقة عند حد. كان قطع العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة لا يكفي برأيهم لإجبارها على تغيير سياستها، فأخذوا ينادون بفرض مقاطعة تامة معها وبعقد تحالف استراتيجي مع الاتحاد السوفياتي. أما على المستوى الاقليمي فقد طرحوا فكرة شن حرب شعبية ضد اسرائيل وحملة شاملة ضد الأنظمة العربية المحافظة.

غير أن بومدين وعارف أفاقا بعد زيارتهما القصيرة الى موسكو. من ثم وافق عبد الناصر على عقد قمة لرؤساء الأقطار العربية في الخرطوم في نهاية آب/اغسطس، فجاءت هذه القمة لتمثل حداً فاصلاً في العلاقات الداخلية والخارجية للوطن العربي، ولتنهي عهداً وتبدأ عهداً آخر. كانت أهمية هذه القمة تكمن، على المستوى المحلي، في أن عبد الناصر قد قبل الوضع القائم وتخلى عن طموحه القديم بإنشاء تجمع من البلدان العربية يقرر مسائل السياسة الاقليمية والدولية بزعامته. لقد صار يقدر الصعوبة التي ينطوي عليها مثل هذا المخطط، نظراً الى غلبة مصالح الدول المختلفة في السياسات العربية. وبات الآن يتحدث عن الحاجة الى خلق «منظومة اقليمية عربية جديدة» تقوم على التعاون والتنسيق والمجهود المشترك. وإن هذا يتطلب تقوية الجامعة العربية لكي تستطيع أن تؤدي دوراً أكثر فعالية[١٢٤].

في الخرطوم قبل عبد الناصر بشرعية البلدان العربية المتعددة وأولوية مقامها، ووعد بألا يتدخل في شؤونها الداخلية. انه بجرة قلم واحدة غيّر السنّة القديمة التي سارت عليها سياسته العربية، ألا وهي السعي من أجل الوحدة العربية. ان هذا السعي ذاته كان من العوامل الأساسية التي أسهمت في نشوء الحرب الباردة العربية. يعود السبب في الاستقطاب الذي شاب العلاقات العربية البينية في الخمسينيات والستينيات الى محاولات عبد الناصر الدائبة لانشاء تجمع متماسك من البلدان العربية تكون له سياسة خارجية واحدة وحسنة التحديد. لقد استخدم عقيدة القومية العربية بمثابة نداء للتجمع ضد فريق من الحكام العرب الذين كانوا يعارضون سياسات عبد الناصر وكانوا كذلك مصممين على حماية مصالحهم المكتسبة. وكانت النتيجة عدم الاستقرار وروح الانقسام. ان التغير في موقف عبد الناصر في الخرطوم يمثل قبولاً متأخراً بفشله لتحويل المنظومة الفرعية للأقطار العربية المستقلة تحويلاً جذرياً من طور الى طور. ويعكس هذا التغير كذلك الظروف المادية اليائسة التي حلت في مصر بعد الحرب.

---

(١٢٤) عبد الناصر، **وثائق عبد الناصر: خطب، أحاديث، تصريحات: يناير ١٩٦٧/ديسمبر ١٩٦٨**، ص ٣٢٩.

لم يعد بوسع عبد الناصر الدخول في معركة عقائدية مطولة أخرى مع القوى المحافظة. لقد كان بحاجة الى المساعدات المالية من البلدان المحافظة لإعادة بناء جيشه وللتعويض عن الخسائر في عائدات قنال السويس الناجمة من إغلاقه. بالمقابل قدم عبد الناصر تنازلات الى فيصل في اليمن. وقد اجتمع الزعيمان في منزل رئيس وزراء السودان، محمد محجوب، واتفقا على خطة لسحب القوات المصرية من اليمن(١٢٥).

ثالث عشر: قمة الخرطوم: مضاعفات دولية

أظهر عبد الناصر كذلك مرونة تجاه الدول الغربية. فقد عارض اقتراح المتشددين بإيقاف ضخ النفط العربي وقال ان ذلك سيضر بالاقتصادات العربية أكثر مما يضر باقتصادات الغرب، وسيؤدي بالتأكيد الى استعدائه. وتجلت واقعية عبد الناصر الجديدة بعدم قيامه بالطلب من الأنظمة العربية المحافظة قطع علاقاتها الدبلوماسية مع حكومة الولايات المتحدة. ونظراً الى امتنانه من قرار الملك حسين بدخول الحرب الى جانب مصر فقد أخبره أن له ملء الحرية بالسعي لتحقيق تسوية منفردة سلمية ـ بضمنها التوقيع على معاهدة دفاعية مع الولايات المتحدة ـ وذلك لاسترداد الضفة الغربية والقدس(١٢٦).

لم يكن سلوك عبد الناصر يرمي فقط الى اصلاح ذات البين مع العرب المحافظين وإنما يرمي كذلك الى ابقاء مجال اتصالاته مفتوحاً مع الولايات المتحدة. لم يكن مقتنعاً بالحجج التي قدمتها سوريا والعراق ومنظمة التحرير الفلسطينية لقطع الروابط كلها مع واشنطن. ان الحرب وما أعقبها جعلت الزعيم المصري يدرك بشكل حاد وزن التأثير الذي للولايات المتحدة في المنطقة. لذا طلب من فيصل أن يكون قناته للاتصال مع ادارة جونسون(١٢٧). انه انفصل حتى عن الراديكاليين العرب المنادين بحرب شاملة ضد الدولة اليهودية حلاً للصراع العربي ـ الاسرائيلي، اذ لم يقتنع بذلك. كان يعرف تماماً أن ميزان

---

(١٢٥) Mohamed Ahmed Mahgoub, *Democracy on Trial: Reflections on Arab and African Politics* (London: Deutsch, 1974), p. 140.

(١٢٦) غير أن الحسين أصر على استراتيجية عربية جماعية نحو قضية السلام مع اسرائيل. انظر: المصدر نفسه، ص ١٤١ و١٤٥؛ رياض، **مذكرات محمود رياض**، ج ٣، ص ٤٧ ـ ٤٨؛ حسين، **ملك الأردن، مهماتي كملك**، ص ٢٢٨؛ فريد، **من محاضر اجتماعات عبد الناصر العربية والدولية، ١٩٦٧ ـ ١٩٧٠**، ص ٨٢، ٩٠ و٩٢؛ الجيار، «الأسرار الشخصية لناصر،» **روز اليوسف** (٢ شباط/فبراير ١٩٧٦)، ص ١١ ـ ١٢؛ حمروش، **قصة ثورة ٢٣ يوليو**، ج ٥، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣، و Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East*, pp. 46 - 47 and 56.

(١٢٧) يزعم أحد الضباط الأحرار السابقين أن عبد الناصر طلب من رئيس الاستخبارات المصرية الإبقاء على الاتصالات مع وكالة المخابرات المركزية. في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٧، صرح عبد الناصر أن مصر تتحدث مع الولايات المتحدة لأننا «لا يسعنا أن ندع الغضب يقرر سياستنا». انظر: عبد الناصر، **وثائق عبد الناصر: خطب، أحاديث، تصريحات: يناير ١٩٦٧/ديسمبر ١٩٦٨**، ص ٢٨٨؛ حمروش، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٨٨؛ فريد، المصدر نفسه، ص ٩٨، و Riad, Ibid., p. 56.

القوى الاقليمي يميل الى صالح اسرائيل التي كسبت أيضاً تعاطف الرأي العام العالمي واحترامه وصار لها كذلك ميزة حاسمة في الدبلوماسية الدولية. يضاف الى ذلك أن الاتحاد السوفياتي ودول عدم الانحياز قد أعلمت العرب أنها تفضل إيجاد طريقة سلمية للخروج من متاهة الصراع العربي ـ الاسرائيلي(١٢٨).

لكل هذه الأسباب انضم الرئيس المصري الى المعتدلين المشاركين في مؤتمر الخرطوم تأييداً لحل سياسي للصراع بدلاً من الحل العسكري. هذا ولا ينبغي الخلط بين هذه الحقيقة واعلانات القمة الثلاثة بشأن اسرائيل ـ «لا صلح، لا مفاوضات، لا اعتراف». وقد قال محجوب، رئيس الوزراء السوداني، إن هذه اللاءات الثلاث إنما أقرت كاستجابة عملية لموقف منظمة التحرير الحدي. أما في ما بعد فقد أوضح عبد الناصر والحسين وغيرهما من المسؤولين العرب في تصريحاتهم الخاصة والعامة أنهم على استعداد لعقد صلح مع إسرائيل لقاء انسحابها الكامل من الأراضي العربية التي احتلتها في عام ١٩٦٧ ولقاء حل عادل لمشكلة فلسطين(١٢٩).

كانت قرارات قمة الخرطوم استراتيجية وليست تكتيكية اذ إنها أعلنت عن تحول جذري في العلاقات الداخلية والخارجية للبلدان العربية. كان هذا التحول ثمرة المزاج المتغير، النفساني والسياسي، وثمرة الأحوال المادية في الوطن العربي. ان الحروب عملت، تاريخياً، كعوامل مساعدة للتغييرات الدرامية في المنظومة العالمية، وليست حرب ١٩٦٧ وما أشعلته من نيران استثناء لذلك. لقد قوضت تلك الحرب شرعية العقيدة السائدة في النظام العربي. وقد بدأت شعارات القومية العربية والوحدة والاشتراكية تفقد جاذبيتها بنظر السكان. هذا وسينتقل هذا الإرث الى عناصر متشددة أخرى كالأصولية الاسلامية والفاعلية الفلسطينية لتتولى الكفاح. وبهذا المعنى تكون حرب ١٩٦٧ قد بذرت بذور الصحوة الاسلامية.

رابع عشر: ظهور نظام شرق أوسطي جديد

أما في السياسات العربية البينية فقد انتقل ميزان القوى العام انتقالاً حاداً الى جانب المحافظين الذين لديهم قوة المال والذين أسمعوا صوتهم في الخرطوم. أدرك عبد الناصر هذه الحقيقة وتخلى عن دعواه الوحدوية بقبوله النظام العربي القائم. ووعد كذلك بالاقلاع

(١٢٨) Mahgoub, *Democracy on Trial: Reflections on Arab and African Politics*, p. 145.

(١٢٩) المصدر نفسه، ص ١٤٦؛ «United Arab Republic, No. 41, 2 January 1968,» in: *The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969*, reel 7; Riad, Ibid., pp. 53 - 56; Stephens, *Nasser*, p. 523;

عبد الناصر، المصدر نفسه، ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠؛ حسين، ملك الأردن، **حربنا مع اسرائيل**، ص ٩٧ ـ ٩٩؛ **مجموعة خطب الملك حسين: ٢٥ عاماً من التاريخ، ١٩٥٢ ـ ١٩٧٧**، ج ١، ص ٦٦٢؛ فريد، المصدر نفسه، ص ٩٢، وحروش، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٣٥ و٢٤٤.

عن الحملات، بما فيها الدعاية(١٣٠). وتخلت مصر المنهكة والمعزولة عن رسالتها التحررية وانصرفت الى الجبهة الداخلية بما تبقى لديها من طاقات. ان قبول عبد الناصر بالوضع القائم قدّم نصراً للعرب المحافظين الذين كافأوه والملك حسين على حسن تصرفهما في الخرطوم مكافأة كريمة بتقديم معونة سنوية كبيرة لبلديهما.

هذا ولم تتلق سوريا، التي قاطعت القمة، أية مساعدة مالية وانضمت الى منظمة التحرير في قرع طبول الثورة. بيد أن الخطاب الثوري العربي والعمل الثوري العربي قد أصيبا بنكسة، ولا سيما بعد انسحاب مصر من الساحة. وظلت المقاومة الفلسطينية تمثل الى حين التحدي الراديكالي الوحيد الذي يحن الى الماضي بوجه النظام العربي القائم. كانت الأنظمة المحافظة ثابتة الأقدام وعازمة على إجهاض أي تهديد محتمل لأمنها. لم يكن الفدائيون نداً مضاهياً للسلطة المنظمة ذات الموارد التي يتمتع بها العرب المحافظون وكانوا قد قاوموا بنجاح هجمات عبد الناصر العنيفة في الخمسينيات والستينيات وحافظوا على بقائهم. ان حرب ١٩٦٧ وما بعدها قد سجلت التراجع النهائي للقوميين الوحدويين العرب.

الى هذا أدى تدمير القوة المصرية وما نتج عن ذلك من تراجعها من مراكز القوة في السياسات العربية البينية الى مضاعفات اقليمية ودولية أوسع نطاقاً. فقد اختفى النظام العربي في باطن منظومة فرعية شرق أوسطية أوسع من منظومته وانفتحت بوابات الوطن العربي أمام أطراف فاعلة ومعتقدات غير عربية. أخذت دول مثل ايران وتركيا تلعب دوراً أكثر نشاطاً في الشؤون العربية، وتستخدم الاسلام كعقيدة منافسة أو بديلة لعقيدة الوحدة العربية، وذلك للتغلغل في النادي المغلق للأقطار العربية واختراقه. وفي الستينيات كانت احدى القضايا الخلافية الجدلية في العلاقات العربية البينية تدور حول ادخال وحدات اسلامية غير عربية أو عدم ادخالها في المنظومة الفرعية العربية. وقد قادت السعودية الحملة التي كانت ترمي الى جعل النظام الاقليمي منفتحاً غير منغلق، ذلك أن ادخال أطراف أخرى من شأنه أن يوازن النفوذ المتسيّد للقوميين العرب. ان ذوبان المنطقة العربية في المنظومة الفرعية الشرق أوسطية الأوسع نطاقاً كان بمثابة نصر آخر للقوى المحافظة. وعلى الرغم من جوار اسرائيل الجغرافي وتفوقها العسكري ظلت قناة تفاعلها مع البلدان العربية مقتصرة على استخدام القوة.

على المستوى الدولي كانت قرارات مؤتمر الخرطوم تتميز بالاعتدال ازاء الدول الغربية. لم يضغط عبد الناصر على البلدان المنتجة للنفط لقطع علاقاتها الدبلوماسية مع الولايات المتحدة وبريطانيا. على العكس، كانت الآراء التي قدمها حاسمة في رفع الحظر

---

(١٣٠) أوفى عبد الناصر بوعده خلال السنوات الثلاث الباقية من حكمه. من الامثلة على ذلك عدم قيام مصر بإظهار تأييد علني للانقلاب العسكري في السودان في عام ١٩٦٩ لئلا تفقد المساعدات المالية من الانظمة العربية المحافظة. قال الزعيم المصري لزميل سابق هو حمروش إن حقائق السياسة العربية البينية قد أجبرته على أن يحجم عن إبداء التأييد العلني للانقلاب. انظر: حمروش، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٤٤ و٢٥٤.

النفطي عنهما وعن ألمانيا الغربية. لكن جونسون ظل مع ذلك رافضاً أية صلة مع عبد الناصر وأقدم على تطوير صلات وثيقة مع اسرائيل. ونتيجة لذلك أصبحت مصر أكثر اعتماداً على الاتحاد السوفياتي من أجل الدعم العسكري والاقتصادي والسياسي. شعر محمود رياض وزير الخارجية المصري بالحيرة أمام ذلك العنصر المدمر للذات في السياسة الأمريكية، ما يدفع العرب الى أحضان السوفيات(١٣١). كان اعتماد مصر وسوريا على الاتحاد السوفياتي ناشئاً عن ضرورة لا عن اختيار، فقد كانتا تعتقدان أن لا خيار آخر لهما بالنظر الى عناد اسرائيل وموقف الولايات المتحدة العدائي. وكانت النتيجة مزيداً من الاستقطاب في الصراع العربي ـ الاسرائيلي وفق توجهات الشرق والغرب، ما جعل تسوية النزاع أكثر صعوبة.

ان الاشتراك الناشط للدولتين العظميين في النزاع العربي ـ الاسرائيلي قيّد حرية العمل للأطراف المحلية بجعلها أكثر اعتماداً على الراعيتين لهم. كانت مصر وسوريا كلتاهما قد هزمت فتركتا من دون خيار آخر من حيث الواقع العملي. بعبارة أخرى ان الحرب تركت الراديكاليين العرب تحت رحمة المساعدات السوفياتية السياسية والمادية. في الوقت عينه، وبقيام مصر وسوريا بإحراق جسورهما مع الدول الغربية، فإنهما خسرتا بذلك كثيراً من قدرتهما على المناورة الدولية. وبدأ زعماء الكرملين يمارسون نفوذاً كبيراً على السياسة الخارجية للقطرين، كما أنهم وجهوا ضغطاً شديداً على حلفائهم في المنطقة للتخفيف من التطرف في وجهات نظرهم والقبول بتسوية سياسية. كان التكتيك المفضل هو ايقاف شحنات الأسلحة أو تأخيرها.

بعد الأداء المفجع الذي أظهره حلفاء السوفيات العرب في حرب ١٩٦٧ أراد هؤلاء السوفيات أن يثبتوا لحلفائهم المعتمدين عليهم أن أي خيار عسكري هو خيار غير مرغوب فيه وغير قابل للتحقيق. ان أزمة أيار/مايو ١٩٦٧ التي لعب فيها سوء التقدير السوفياتي دوراً مهماً قد أقنع زعماء الكرملين بألا يرسلوا إشارات غامضة قد يساء تفسيرها من قبل أصدقائهم في المنطقة. كانوا يدركون الخطر الكامن في نشوب أي قتال في الشرق الأوسط. وكانت مخاطر حدوث صدام مباشر مع الولايات المتحدة ماثلة في أذهانهم. الى هذا فإن العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي قد تحسنت في أواخر الستينيات تحسناً كبيراً، لم يعد من المسموح به للنزاع العربي ـ الاسرائيلي أن يخل بالسلام العالمي وذلك بشبك الدولتين العظميين إحداهما بالأخرى. ومع أن هاتين الدولتين كانتا تسلحان حلفاءهما الا أنهما لم تكونا ترغبان في أن يتحول الصدام مرة أخرى الى مواجهة كبرى قد تحول انتباههما عن مسارح أخرى في العالم. وفي حين كانت الولايات المتحدة غارقة في فييتنام كان الاتحاد السوفياتي يمد جسوره الى الغرب آملاً بكسب تنازلات اقتصادية وسياسية. ان تصعيداً في العمليات العدائية بين العرب واسرائيل كان من شأنه أن يعرض للخطر النهج السوفياتي الجديد، ما يفسر ممارسة السوفيات ضغوطاً على أصدقائهم العرب.

---

(١٣١) Riad, Ibid., p. 77.

لم يعد بوسع الثوريين العرب أن يختلفوا علناً مع الاتحاد السوفياتي. كان عليهم أن يعانوا بصمت. لقد ولت مثلاً تلك الأيام التي كان عبد الناصر فيها ينتقد السوفيات لتدخلهم في السياسات العربية. وولى كذلك تأكيده السابق على الحاجة الى الاستقلال التام وحرية العمل الكاملة في العلاقات الدولية. بيد أنه في المدى الطويل ولّد السلوك السوفياتي الشك والمرارة في الصفوف العربية، ولا سيما في مصر. لذا كانت المسألة مسألة وقت فقط قبل أن يتمرد المصريون على ما كانوا يعتبرونه تجبراً من قبل الاتحاد السوفياتي.

وباختصار، مرت العلاقات الدولية للوطن العربي بعد عام ١٩٦٧ بتغير كبير. لقد أصبح النزاع العربي ـ الاسرائيلي قضية السياسة الخارجية الأولى في علاقات البلدان العربية مع العالم. وهكذا تحول موضوع عدم الاستقرار والصراع في المنطقة من كونه بؤرة الاهتمام الأساسية في السياسات العربية البينية الى كونه كذلك في التفاعلات العربية ـ الاسرائيلية. وقامت بلدان المواجهة العربية، لأسباب تكتيكية، بالوقوف صفاً واحداً مع الكتلة السوفياتية وأسقطت من خطابها السياسي مدعياتها كلها بعدم الانحياز والحياد الايجابي. لقد أخل اعتمادها الكبير جداً على موسكو باستقلالها، وأصبح المسرح العربي تابعاً للمنظومة الفرعية للدول الكبرى بشكل غير متناسب.

ان هذه المرحلة تعتبر مثلاً كلاسيكياً على أثر الصراع العربي ـ الاسرائيلي في علاقات البلدان العربية مع الدولتين العظميين. فمنذ منتصف الستينيات فصاعداً كان لهذا الصراع تأثير كبير على مجمل علاقاتها، وقد سمم على الأخص الجو السائد بين العرب والغرب وجعل العرب أكثر اعتماداً على الكتلة الشيوعية. وقيّدت حرية المناورة للأطراف الفاعلة العربية تقييداً كبيراً في أواخر الستينيات. ان حرب حزيران/يونيو ١٩٦٧ قد أسهمت الى حد غير قليل في حل العقدة السالفة، كما أظهر هذا الفصل.

والمفارقة هي أن عبد الناصر وزملاءه قد أمضوا أكثر من عقد من الزمن وهم يكافحون لتوكيد استقلالهم في عالم تسود فيه الدول الكبرى. وقد لعب الزعيم المصري دوراً كبيراً في تشكيل حركة عدم الانحياز. كانت نصيحته للدول الصغيرة نصيحة بسيطة: ابتعدوا عن التخاصم بين الشرق والغرب. وما إن أصيب بالصدمة من جراء كارثة حزيران/يونيو ١٩٦٧ حتى زال من أمام بصره هذا المبدأ الأساسي. وهرع الى اقتراح التوقيع على معاهدة دفاع مع الكرملين وسارع الى السماح للأسطول السوفياتي باستخدام المرافق البحرية المصرية.

كان هناك مقوم واحد يتحكم باستراتيجية عبد الناصر بعد حرب ١٩٦٧ ألا وهو استعادة الأراضي المصرية والعربية التي احتلت في القتال. ان كل شيء آخر سيكون ثانوياً أمام هذا الهدف؛ وكان الرجل مستعداً لتغيير اتجاهه وإعادة هيكلة الأهداف الاستراتيجية الرئيسية. انه لم يقبل فقط بشرعية النظام العربي القائم وإنما قام كذلك بالوقوف صفاً واحداً مع الاتحاد السوفياتي. ان سلوك عبد الناصر كانت له نتائج بعيدة المدى بالنسبة الى اتجاه الوطن العربي في المستقبل، وهو سلوك أنهى عهداً قديماً ودشن عهداً جديداً في السياسات العربية الداخلية والخارجية.

خاتمة

ركزت هذه الدراسة على طبيعة العلاقات بين الدولتين العظميين والبلدان العربية في الشرق الأوسط من عام ١٩٥٥ حتى عام ١٩٦٧، وعلى القوى المحركة في هذه العلاقات. وقدمت الدراسة ثلاث فرضيات. الفرضية **الأولى** تقول إن العلاقة بين الدولتين العظميين وبلدان المنطقة لم تكن أبداً علاقة هرمية أو طريقاً ذا ممر واحد، بل كانت علاقة معقدة ومتشابكة ولم يترتب عليها نشوء منظومة فرعية ولا هيمنة تفرضها إحدى الدولتين العظميين. لقد وجدت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي نفسها أكثر من مرة غير قادرة على التأثير في مجرى الأحداث في المنطقة. وكلتاهما لم تستطع ترجمة قوتها المادية المتفوقة إلى نفوذ سياسي مباشر، ذلك أن الأطراف الفاعلة المحلية كانت لديها الوسائل والإرادة لصياغة سياسات خارجية تختارها بنفسها ولتنفيذ هذه السياسات. حدد هذه الفرضية متغيران معينان أثرا في طاقات الدول الصغيرة على رسم علاقاتها مع الدولتين العظميين. أحدهما هو السياق الهيكلي للحرب الباردة والآخر هو التماسك النسبي للنظام الإقليمي.

الفرضية **الثانية** تقول إن العلاقات بين الدولتين العظميين ذاتهما قد أثرت في علاقاتهما مع البلدان العربية. إن التخاصم الشديد بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي أدى بهما إلى التنافس بضراوة من أجل الحصول على ولاء اللاعبين في دول العالم الثالث. هذا التخاصم زاد من قدرة هؤلاء اللاعبين على المناورة ومكنهم من استغلال الاستقطاب في المنظومة الدولية لجني تنازلات سياسية واقتصادية وعسكرية. والواقع أن قوة المساومة للدول الصغيرة حيال الدولتين العظميين تزايدت بنسبة طردية مع تعاظم العداء بينهما، والعكس بالعكس، إذ إن التحسن في علاقات الدولتين العظميين أثر سلباً في الاستقلال النسبي لدول المنطقة.

والفرضية **الثالثة** تقول إن إسرائيل قد لعبت دوراً انقسامياً في السياسات العربية، وليس هذا فقط، بل إنها أثرت كذلك في علاقات الأطراف الفاعلة المحلية مع الدول الخارجية وذلك بتقليل قدرة البلدان العربية على مقاومة الضغوط الخارجية. مثلاً، أدى التصعيد في الصراع العربي ـ الإسرائيلي في الستينيات إلى إلهاب مناخ الارتياب بين البلدان العربية والدول الغربية، مما جعل الأولى أكثر اعتماداً على الاتحاد السوفياتي. كانت

النتيجة تقييد حرية العمل للبلدان العربية وإضعاف مركزها التساومي إزاء الدولتين العظميين.

تبين الأدلة التاريخية بوضوح أن العلاقة بين الدولتين العظميين والأقطار المحلية لم تكن تتفق مع أي نموذج بعينه من نماذج العلاقات الدولية. خير ما توصف به العلاقة المذكورة هو السيولة والدينامية. لم يكن اللاعبون في المنطقة يمتثلون إلى غيرهم بل كانوا يتخذون قرارات خطيرة كلما تصوروا أن مصالحهم تتهددها الأخطار. لقد استغلوا الاستقطاب في المنظومة الدولية استغلالاً جسوراً لخدمة أغراضهم ذاتها. مثلاً، حين رفضت إدارة آيزنهاور بيع الأسلحة إلى مصر قام عبد الناصر بعقد صفقة سلاح مع الاتحاد السوفياتي. كان عبد الناصر يعرف جيداً نتائج عمله؛ إن استعداده لاتخاذ مثل هذه المبادأة المقدام والمخاطرة بحدوث مواجهة مع الولايات المتحدة ـ إن لم نقل مع بريطانيا وفرنسا، ومع إسرائيل أيضاً في أغلب احتمال ـ دليل على الأولوية العليا التي كان يوليها لتسليح مصر. إن إخفاقه في إعداد جيشه لم يؤد فقط إلى فضح ضعف مصر العسكري وإنما أيضاً إلى تعريض مركزه الداخلي إلى الخطر. كانت قضية التسلح بالنسبة إلى الضباط الأحرار قضية حياة أو موت، ومن هنا استعدادهم للقيام بالمخاطرات التي قاموا بها فعلاً.

إن قيام عبد الناصر بدعوة السوفيات إلى المشاركة في دبلوماسية الشرق الأوسط قد كسر الاحتكار الغربي في ميداني السلاح والسياسة في المنطقة. لقد «استورد» بذلك الحرب الباردة إلى المنطقة وذلك للسير قدماً بأغراض سياسته الخارجية. استخدمت مصر تخاصم الشرق والغرب لتدويل السياسات الإقليمية فكسبت بذلك على ما يبدو أداة ضغط لاستخلاص شروط أفضل لها، من المعسكرين معاً. إن دخول السوفيات إلى المنطقة حرر العرب من اعتمادهم على الغرب، ومنحهم مجالاً أوسع للمناورة في الشؤون العالمية، وجعل الدولتين العظميين تنافس إحداهما الأخرى لنيل الحظوة لديهم. لم تكن الأطراف الفاعلة في المنطقة لتتمكن من رسم علاقتها مع الدولتين العظميين من دون السياق الهيكلي للحرب الباردة. إن هذا السياق قد منح الدول الصغيرة حرية عمل واسعة، إنما كانت له بعض الأضرار أيضاً.

مثلاً، أدى الوجود السوفياتي الجديد إلى تعقيد الأمور وذلك بجعل المنطقة ساحة للمنافسة الحادة بين الدولتين العظميين. إن وجود قطبين على المسرح الدولي انعكس على المستوى الإقليمي؛ لقد أخرجت المنازعات والمخاصمات المحلية من بيئتها المباشرة وأخضعت للتدخل الخارجي. وجاء تطفل الحرب الباردة على السياسات الإقليمية ليفاقم صراعات المنطقة ويجعل حلها أعسر منالاً. كان لهذا التطفل مضاعفات مدمرة بالنسبة إلى أمن المنطقة كلها واستقرارها، والمشكلة العربية ـ الإسرائيلية دليل على ذلك. إن وقوع هذا النزاع في شراك التخاصم الأمريكي ـ السوفياتي قد عقّد المشكلة وجعل بلدان المنطقة أكثر اعتماداً على الدولتين العظميين آنذاك.

يعتبر قرار عبد الناصر بتأميم قنال السويس في عام ١٩٥٦ مثالاً آخر على تحدي

دولة صغيرة لمنطق القوة وما تمليه من مشيئة: عمل من أعمال التحدي الذي كان سيؤدي إلى نتيجة غير معروفة العواقب إن لم نقل انتحارية، خلال عصر النفوذ الأوروبي. لقد ولّت الأيام التي كانت فيها بريطانيا وفرنسا تمارسان سيطرة مطلقة على مصير المنطقة. إن النظام الاستعماري القديم قد مات، وحلت محله منظومة يسودها الاستقطاب العقائدي ومن الممكن استغلالها بسهولة ويسر. وتفسِّر قدرة مصر على استغلال التناقضات في هذه المنظومة كيف استطاعت أن تحول هزيمتها العسكرية الساحقة في السويس إلى نصر سياسي. إن عصر الهيمنة الإمبريالية في الشرق الأوسط لم تعقبه السيطرة من دول كبرى بل استقلال أوسع للدول المحلية الصغيرة.

ولهذا أقنعت حرب السويس عدداً من العرب بقدرتهم على الوقوف بوجه الدول الكبرى لتوكيد حقوقهم. كان الوطن العربي قد أصبح بالنسبة إلى هؤلاء قوة يحسب لها حسابها في العالم؛ فالدولتان العظميان بحاجة إلى معالجة اهتماماتها وأولوياتها بشكل جدي. مثل هذه المواقف ظلت تواجه المقاومة خارج الشرق الأوسط. إن موقف الدولتين العظميين خلال حرب السويس لم يكن متصلاً بتحول جوهري وأخلاقي عميق نقلهما من طور إلى طور، وإنما كان نتاج التغير في ميزان القوى الدولي منذ عام ١٩٤٥ والتحول التدريجي في تصورات الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وفي مصالحهما. هذا وقد ظلت هاتان الدولتان تتشاطران ذلك الرأي التقليدي في السياسات العالمية المشابه للرأي الذي كانت تحمله سالفتاهما بريطانيا وفرنسا في ما مضى. كان جوهر هذا الرأي هرمي التركيب: إن الدول العظمى هي التي تلعب الدور الحاسم في إدارة المنظومة الدولية. وبالنظر إلى هذا التناقض الحاد في آراء الدولتين العظميين والبلدان العربية كان الصدام بينهما محتماً.

في الخمسينيات والستينيات قاد عبد الناصر في مصر التحدي الإقليمي الرئيسي ضد هيمنة الدول الكبرى. وقد أظهر التحليل التطبيقي أن مصر كانت مركز العصب للمنظومة الفرعية العربية. إن دور مصر الأساسي وتحولها بعد عام ١٩٥٥ إلى الثورية هو الذي رسم مسار العلاقات بين البلدان العربية والدولتين العظميين. كان سعي عبد الناصر بحثاً عن استقلال أوسع في الشؤون الخارجية وطلباً لزعامة الوطن العربي يمثل تحدياً مباشراً للتيارات السائدة في السياسات العالمية. بيد أن السلوك المصري لا يمكن تفسيره فقط من خلال سياسات القوة أو علاقات القوة غير المتكافئة. إن الاستقطاب في المنظومة الدولية، والعلاقات السائدة بين الدولتين العظميين ذاتهما، أمور أفادت ومكنت الأقطار المحلية من أن تضرب العملاقين أحدهما بالآخر، وكان عبد الناصر على الأخص ماهراً في هذا المضمار. أما الثمن الباهظ لهذه القابلية على المناورة فقد كان أن وقعت المنطقة في التخاصم بين الشرق والغرب. وتم تدويل السياسات الإقليمية، كما أن الوطن العربي أصبح مهماً لأنه أصبح مسرحاً للصراع الدولي وليس لسبب آخر. وصارت قيمته الاستراتيجية والاقتصادية نقمةً عليه بدلاً من أن تكون نعمةً له.

مثلاً، لقد تمت مقاومة جهود عبد الناصر للصعود في المنطقة ليس فقط من قبل الأطراف الفاعلة المحلية، غيرةً وارتياباً من تصاعد السطوة المصرية، وإنما كانت تقاوم كذلك من قبل الدولتين العظميين. لم تكن لهاتين الدولتين الرغبة في أن تهيمن مصر على المنطقة لأن ذلك سيعني خسارة سيطرتهما عليها وتضاؤل نفوذهما فيها. وهكذا نجد أمامنا منشأ الصدام بين الدولتين العظميين والثوريين العرب. إن هذا التصادم قد زاد من حدة الحرب الباردة العربية ومن تدخل الدول الكبرى في المنطقة. وإن المواجهة بين الثوريين العرب والدولتين العظميين لم تحرر الساحة العربية من التدخل الأجنبي بل إنها في واقع الأمر قد رفعت من درجة الاعتماد المحلي على قوى خارجية.

وكما أظهرنا في التحليل التاريخي فإن العرب قد سهلوا التدخل المؤثر للدولتين العظميين. كانت البلدان العربية منقسمة انقساماً عميقاً وفق التوجهات المحافظة والثورية، والتوجهات الثورية المختلفة كذلك. وكان الحكام العرب دون استثناء يطلبون العون في غالب الأحيان من هذه الدولة العظمى أو تلك لتعزيز مراكزهم الهشة في الداخل والتغلب على خصومهم المحليين. مثلاً، حصل الأردن في عام ١٩٥٧ على تعهد أمريكي بنجدته وذلك بإثارته مخاوف الولايات المتحدة من التغلغل الشيوعي في الوطن العربي. كذلك كانت استراتيجية الرئيس شمعون في لبنان في عام ١٩٥٨ ترمي إلى تدويل النزاع اللبناني لإقحام الولايات المتحدة فيه. وهكذا تم تحويل المخاصمات المحلية الصرف إلى أزمات دولية.

لقد قلل الحكام العرب من المخاطر الكامنة في تدخل الدولتين العظميين في شؤونهم الداخلية. إنهم لم يقدروا حق التقدير ما في منظومتهم الفرعية من استعداد للتعرض إلى الأخطار وللاختراق من الخارج. ونسيت الأقطار المحلية أن الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بوسعهما كذلك استخدامها كوكلاء لتخوض معاركهما العقائدية نيابةً عنهما. وفيما كانت الدول المحلية تستغل الدولتين العظميين كانت هاتان الدولتان بدورهما تستغلان هذه الأقطار، وعند وضع الأمرين في الميزان نجد أن النظام العربي هو الذي لحقت به خسارة حقيقية في المدى الطويل نتيجة التدخل المباشر والمتعسف من الدولتين العظميين. إلى هذا فإن الافتقار إلى نظام إقليمي متماسك بعض الشيء قد أضعف من قدرة البلدان العربية على العمل باستقلالية عن الدول الكبرى. في الخمسينيات كانت قدرة مصر على صياغة سياساتها الخارجية وتنفيذها تعتمد على قدرتها على توحيد الصفوف العربية، ولا سيما صفوف المعسكر الثوري، كما كانت تعود إلى عدم وجود تحديات فعالة من المحافظين لزعامة عبد الناصر. أما في الستينيات فإن ضعف مقاومة البلدان العربية إزاء الدولتين العظميين كان نتيجة تفكك التحالف الثوري وما أعقب ذلك من تصعيد في المخاصمات العربية.

لذلك، ولغرض فهم العلاقات بين الأطراف الفاعلة المحلية والدول الخارجية فإن على المرء أن يأخذ بالحسبان الدور المهم الذي لعبته القوى الفاعلة في ما بين البلدان

العربية ولا سيما مصر. أظهر التحليل التطبيقي أن سلوك الحكام العرب في المسرح الإقليمي والدولي قد تأثر بمواقعهم في داخل المنظومة الفرعية العربية وبمتطلبات التحالفات الإقليمية. كان الوطن العربي في الخمسينيات والستينيات في حالة غليان كما كان يمر بتحول ثوري وكان عبد الناصر قد أطلق العنان لزوبعة من المشاعر القومية والأحاسيس الرومانسية في أرجاء الوطن العربي كله. وسجلت الوحدة بين مصر وسوريا في عام ١٩٥٨ أعلى نقطة بلغها النفوذ المصري في المنطقة. وبدت القومية العربية من النوع الذي ينادي به عبد الناصر، سواء للمراقبين المحليين أو الأجانب، حركة لن تتوقف ويحتمل أن تطيح بالأنظمة التقليدية العربية الموالية للغرب. وأصبح المحافظون العرب، خوفاً منهم على بقائهم السياسي، مصممين على مقاومة الأفكار الثورية المنطلقة من القاهرة بكل ما أوتوا من الوسائل المتاحة، بما فيها طلب التدخل الخارجي.

وكما رأينا دعت بلدان المنطقة الدولتين العظميين للتدخل نيابةً عنها، إلا أنها لم تكن بمثابة وكلاء يمتثلون للأوامر وإنما كانت تتخذ مبادرات خطيرة وتحاول أن تشبك الراعيتين القويتين في نزاعاتها المحلية. وحين جرى إرسال مشاة البحرية الأمريكيين إلى لبنان بعد الثورة العراقية في تموز/يوليو ١٩٥٨ ذهب عبد الناصر على الفور جواً إلى موسكو للحصول على تعهد سوفياتي بدعم مصر. وطوال الصدام المصري ـ السعودي في اليمن في الستينيات طالب كل من سعود وفيصل الحكومة الأمريكية باتخاذ موقف علني إلى جانبهما. وفي أزمة أيار/مايو ١٩٦٧ حاول الإسرائيليون والمصريون معاً استحصال دعم حليفتيهما العظميين.

هذا وكانت الدولتان العظميان أكثر من مجرد متفرجتين في هذه المباراة. لقد أرادتا اشتراكاً ناشطاً وكانتا على استعداد له. إن انشغالهما الدائب بقضايا الأمن في العالم دفعهما إلى النظر إلى الساحة من حيث ميزان القوة الدولي. كانت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي تتصوران على العموم أن الدول الصغيرة ما هي إلا بيادق في صراع الشرق والغرب، وما كانتا توليان للقضايا والهموم المحلية إلا قليلاً من الاهتمام، باستثناء ما كان يبديه بعض دبلوماسيي الدولتين في المنطقة؛ وحتى حين كانتا تظهران الاهتمام فقد كان ينظر إلى المشاكل المحلية في سياق الحرب الباردة. والمثل الذي يدل على ذلك هو الأزمة التي حدثت بين الولايات المتحدة وسوريا في عام ١٩٥٧. فقد فسرت الحكومة الأمريكية صراعاً داخلياً على السلطة تفسيراً يدعو إلى الويل والثبور، على اعتبار أن سوريا كانت قد وقعت ضحية للمكائد الشيوعية. كان سقوط دمشق بيد الشيوعيين يعتبر بنظر الولايات المتحدة أمراً يحدث آثاراً متلاحقة في أرجاء المنطقة كلها وما وراءها. هكذا جرى تركيب نظرية الدومينو (Domino). (التي تعني تسلسل سقوط الدول الموالية لقطب ما) وما جرى بعدئذٍ كان سلسلة من الأحداث انتهت باتجاه سوريا نحو السياسة المصرية.

كان لا بد أن يؤدي اندماج سوريا ومصر إلى اشتداد المخاصمات العربية البينية. ومع أن هذه المخاصمات كانت تتفاقم بفعل الصراع بين الشرق والغرب إلا أن جذورها

تمتد أساساً في التناقضات الداخلية الناجمة من تصادم المصالح الوطنية والزعماء الطامحين. إن هذه التناقضات تفسر الانقسامات العميقة في المنظومة الفرعية العربية وتفككها. وجاءت الوحدة المصرية ـ السورية لتثبّت مصر بؤرةً لهذه المنظومة فتمثل بذلك خطراً على وجود المحافظين العرب وعلى الشيوعيين كذلك. كان هؤلاء يساورهم القلق من أن يصيروا على الهامش بل حتى من أن يجرفهم تيار الوحدة العربية القوي. وأخذت استراتيجية المحافظين العرب تهدف إلى إعادة تجميع قواهم والاتحاد في حملة منظمة لفصم عرى الوحدة المصرية ـ السورية.

وعلى الرغم مما بدا لحين من الوقت أن القوميين العرب مقدمون على تقويض النظام العربي المحافظ القائم غير أنهم سقطوا هم أنفسهم ضحايا للعناصر المعادية ذاتها التي تشق الصفوف العربية وتمزقها. كانت الوحدة المصرية ـ السورية من ضحايا هذه العملية.

سجل انفصال وحدة الجمهورية العربية المتحدة حدوث التشرذم في الحركة القومية العربية، وكشف عن التصدعات العميقة في داخل المعسكر الثوري. إن انفصال سوريا على الأخص قد وجه ضربة لآمال عبد الناصر في صياغة سياسة خارجية عربية موحدة وفي إنهاء الضغوط الخارجية. واجه صعود نجم مصر في سماء السياسة الإقليمية تحدياً جاداً بعد عام ١٩٦١ قام به المحافظون والثوريون معاً، فوجد عبد الناصر نفسه منعزلاً. تصاعدت التوترات بين البلدان العربية بشكل محفوف بالأخطار. وقرر الزعيم المصري أن ينتهك قاعدة أساسية من قواعد سياسته العربية ـ باستعمال قوات عربية مسلحة في اليمن ولأول مرة تحولت الحرب الباردة العربية إلى حرب ساخنة في اليمن، مما سهل كثيراً على الدولتين العظميين توكيد سطوتهما ونفوذهما وتعزيز مكاسبهما في المنطقة.

كان انحلال الجمهورية العربية المتحدة وما أعقبه من إضعاف للنفوذ المصري بمثابة الأخبار السارة بالنسبة إلى الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي معاً. كان عبد الناصر مشغولاً بالمشاكل القائمة بين البلدان العربية فلم يكن يولي اهتماماً كافياً للعلاقات الدولية. ولم تعد مصر بنظر الدولتين المذكورتين ذات خطر يتهدد مصالحهما الإقليمية، إذ لم يعد يسعها تعبئة البلدان العربية الأخرى ضد التطفل الأجنبي. أضحى الوطن العربي من جديد منشغلاً بصراعات داخلية، فأفسح بذلك في المجال لكي تستغله الدول الكبرى بالتلاعب به مجدداً. وباختصار، إن الاستقطاب المتزايد في السياسات العربية والافتقار إلى مركز قوي ومتماسك قد سهلا للدولتين العظميين أمر اختراقهما للمنظومة الفرعية العربية. وجاء وجودهما في المنطقة ليحد من قابلية البلدان العربية على صياغة سياسات خارجية تضعها باختيارها وعلى تنفيذ هذه السياسات.

ونتيجة لاضمحلال النفوذ المصري في السياسة العربية صار للمتشددين اليد العليا. أخذ السوريون وغيرهم من المتشددين في حملتهم من أجل إثبات وجودهم والاعتراف بهم وكسب الاحترام لهم، يسابقون المعتدلين حول القضية الفلسطينية. وقد استخدموا مراراً وتكراراً مسألة إسرائيل عصا يضربون بها خصومهم. وأصبح الصراع العربي ـ الإسرائيلي

متداخلاً بالحرب الباردة العربية. إن قضية إسرائيل/فلسطين لم توحد الصفوف العربية، بل لعبت دوراً انقسامياً في السياسات العربية. وعلى الرغم من المساعي الدبلوماسية كلها أخفق عبد الناصر في كبح جماح الثوريين العرب الميالين إلى القتال، وأخفق أيضاً في تجميد الصراع العربي ـ الإسرائيلي. لم يكن عبد الناصر يستطيع، في النصف الثاني من عقد الستينيات، أن يواجه القوى المتنافسة في المنطقة، ناهيك عن الهيمنة عليها. أما محاولاته اللاحقة لاستعادة مكانته المفقودة فلم تؤد إلا إلى اتجاهه نحو الثوريين. ورمى بالتحفظ والحذر أدراج الرياح فانضم إلى أولئك الثوريين الذين كانوا يدعون إلى اتخاذ موقف صلب ضد إسرائيل. لذا يمكن القول إن التنازع بين البلدان العربية كان ارهاصاً إلى حدٍ ما بحدوث دورة التصعيد التي أدت في نهاية المطاف إلى اندلاع حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧.

إلى هذا، فإن أهمية إسرائيل المتزايدة بالنسبة إلى البلدان العربية قد أثرت في علاقات هذه الأخيرة مع الدول الكبرى. كانت مسألة إسرائيل من القضايا المهمة التي أسهمت في تدهور العلاقات بين إدارة جونسون ومصر الناصرية. وبلغ ذلك التدهور ذروته في تعليق المساعدات الاقتصادية الأمريكية إلى القاهرة في منتصف الستينيات، كما أنه يفسر عدم استعداد الرئيس الأمريكي جونسون للضغط على إسرائيل للانسحاب من الأراضي العربية المحتلة بعد حرب ١٩٦٧. إن المعضلة الإسرائيلية قد سممت الأجواء ليس فقط بين مصر والولايات المتحدة وإنما كذلك بين البلدان العربية والدول الغربية بأسرها. وكانت النتيجة أن القوميين العرب اعتمدوا بشكل كبير على الاتحاد السوفياتي من أجل الدعم فحدوا بذلك من خياراتهم الخارجية وقيدوا حريتهم في العمل.

بعد عام ١٩٦٧ أصبح النزاع العربي ـ الإسرائيلي هو القضية الأولى في العلاقات الخارجية للبلدان العربية. وتحول مدار الاهتمام بعدم الاستقرار في المنطقة وأسبابه الرئيسية من السياسات العربية البينية إلى التفاعلات العربية ـ الإسرائيلية. وأصبحت بلدان المواجهة العربية أكثر اعتماداً على مساعدات الكرملين المادية والسياسية. وأوضح ما كان عليه هذا الاعتماد هو في مصر وسوريا، فقد تركتا تحت رحمة حسن نية الاتحاد السوفياتي، ولم يعد بوسعهما تحدي القرارات السوفياتية. لقد ولت، مثلاً، تلك الأيام التي كان عبد الناصر يقف فيها بوجه السوفيات وينتقدهم على التدخل في السياسات العربية البينية. وفي التحليل النهائي أدى التصعيد في الصراع العربي ـ الإسرائيلي إلى إضعاف الوضع التفاوضي للبلدان العربية، وإضعاف مركزها التساومي إزاء الدولتين العظميين.

إن عبد الناصر ونظراءه من الثوريين العرب قد أنفقوا أكثر من عقدٍ من الزمان وهم يكافحون من أجل توكيد استقلالهم وترسيخه في عالم تسود فيه الدول الكبرى، إلا أنهم مع ذلك قد اتخذوا خطوات محفوفة بالخطر من «دون» إجراء التحليل الوافي للنتائج المحتملة.

المراجع

١ ـ العربية

كتب

أبو دية، سعد. **عملية اتخاد القرار في سياسة الأردن الخارجية: الضوابط والمقومات**. عمّان: دائرة الثقافة والعلوم، ١٩٨٣.

أحمد، أحمد يوسف. **الدور المصري في اليمن، ١٩٦٢ ـ ١٩٦٧**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١.

البغدادي، عبد اللطيف. **مذكرات عبد اللطيف البغدادي**. القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٧٧.

بيبرس، ضياء الدين. **الأسرار الشخصية لجمال عبد الناصر**. القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٧٦.

البيطار، صلاح الدين. **السياسة العربية بين المبدأ والتطبيق**. بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٠.

التل، وصفي. **كتابات في القضايا العربية**. عمّان: دار اللواء للصحافة والنشر، ١٩٨٠.

الجمالي، محمد فاضل. **العراق الحديث، آراء ومطالعات في شؤونه السياسية**. بيروت: [د.ن.]، ١٩٦٩.

جنبلاط، كمال. **في مجرى السياسة اللبنانية: أوضاع وتخطيط**. بيروت: دار الطليعة، ١٩٥٨.

جودت، علي. **ذكريات علي جودت، ١٩٠٠ ـ ١٩٥٨**. بيروت: مطابع الوفاء، ١٩٦٧.

جوهر، سامي. **الصامتون يتكلمون: عبد الناصر.. ومذبحة الإخوان**. القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٧٥.

حافظ، علوي. **مهمتي السرية بين عبد الناصر وأمريكا**. القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٧٦.

الحديدي، صلاح الدين. **شاهد على حرب ٦٧**. القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٧٤.

حزب البعث العربي الاشتراكي. **نضال البعث: القيادة القومية، ١٩٥٥ ـ ١٩٦٢، من تشكيل القيادة القومية حتى نهاية الانفصال.** ط ٢. ج ٨. بيروت: دار الطليعة، ١٩٧١.

ـــــ. **نضال البعث: القيادة القومية، ١٩٦٣ ـ ١٩٦٦، من ثورة رمضان وآذار الى ٢٣ شباط ١٩٦٦.** ج ١٠. بيروت: دار الطليعة، ١٩٧١.

ـــــ. **نضال البعث: المؤتمر القومي الثامن، نيسان ١٩٦٥.** ج ٩. بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٢.

حسين، ملك الأردن. **حربنا مع إسرائيل.** ترجمة فيك فانس وبيار لوير. بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٦٨.

ـــــ. **مهماتي كملك.** عمّان: الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧٨.

حلو، شارل. **مذكراتي ١٩٦٤/١٩٦٥.** عاريا، لبنان: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٨٤.

حمروش، أحمد. **قصة ثورة ٢٣ يوليو.** ٥ ج.

ط ٢. ج ٣: **عبد الناصر والعرب.** القاهرة: مكتبة مدبولي، [د. ت.].

ج ٤: **شهود ثورة يوليو.** القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٨٤.

ج ٥: **خريف عبد الناصر.** القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٨٤.

خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بمناسبة عيد النصر في بورسعيد، ٢٣ ديسمبر ١٩٦٦. القاهرة: مصلحة الاستعلامات، [د.ت.].

دانكوس، هيلين كارير. **السياسة السوفياتية في الشرق الأوسط، ١٩٥٥ ـ ١٩٧٥.** ترجمة عبد الله اسكندر. بيروت: دار الكلمة للنشر، ١٩٨٣.

الرزاز، منيف. **التجربة المرة.** بيروت: دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٦٧.

رياض، محمود. **مذكرات محمود رياض.** بيروت: دار المستقبل العربي، ١٩٨٦.

ج ٢: **الأمن العربي بين الانجاز والفشل.**

ج ٣: **أميركا والعرب.**

الريماوي، عبد الله. **المنطق الثوري للحركة العربية الحديثة.** القاهرة: دار المعرفة، ١٩٦١. (سلسلة الوعي العقائدي؛ ١)

الرئيس جمال عبد الناصر في زيارة للاتحاد السوفياتي. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، [د.ت.].

السادات، أنور. **يا ولدي هذا عمك جمال.** القاهرة: مكتبة العرفان، [١٩٥٨].

سعيد، عبد المنعم. **العرب ومستقبل النظام العالمي.** بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧. (مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي، محور العرب والعالم)

سلامة، غسان. **السياسة الخارجية السعودية منذ عام ١٩٤٥: دراسة في العلاقات الدولية.** بيروت: معهد الانماء العربي، ١٩٨٠. (سلسلة الدراسات الاستراتيجية؛ ٣)

السويدي، توفيق. **مذكراتي: نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية**. بيروت: دار الكاتب العربي، ١٩٦٩.

السياسة الخارجية والداخلية. القاهرة: الدار القومية، ١٩٦٤.

السيد سليم، محمد. **التحليل السياسي الناصري: دراسة في العقائد والسياسة الخارجية**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٣. (سلسلة اطروحات الدكتوراه؛ ٣)

الشاهد، صلاح. **ذكرياتي في عهدين**. القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٦.

الشقيري، أحمد. **على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء**. بيروت: دار العودة، ١٩٧٢.

ــــــ. **من القمة الى الهزيمة مع الملوك والرؤساء**. بيروت: دار العودة، [١٩٧١].

عبد الناصر، جمال. **فلسفة الثورة**. القاهرة: الدار القومية، [د.ت.]. (كتب قومية، مكتبة الرئيس جمال عبد الناصر؛ العدد ٣٠٣)

ــــــ. **نحن والعراق والشيوعية: من أقوال جمال عبد الناصر**. بيروت: دار النشر العربية، ١٩٥٩.

ــــــ. **وثائق عبد الناصر: خطب، أحاديث، تصريحات: يناير ١٩٦٧/ديسمبر ١٩٦٨**. القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ١٩٧٣.

العراق، مجلس النواب. **الحقائق في السياسة العربية**. بغداد: مطبعة الحكومة، ١٩٥٥.

العظم، خالد. **مذكرات خالد العظم**. بيروت: الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٢. ٣ ج.

عفلق، ميشيل. **في سبيل البعث**. ط ٣. دمشق: دار الطليعة، ١٩٥٩.

عكاشة، ثروت. **مذكراتي في السياسة والثقافة**. ج ٢. القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٨٨.

عودة، محمد، فيليب جلاب وسعد كامل. **قصة السوفيات مع مصر**. بيروت: دار ابن خلدون، [د.ت.].

فريد، عبد المجيد. **من محاضر اجتماعات عبد الناصر العربية والدولية، ١٩٦٧ ـ ١٩٧٠**. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٧٩.

فوزي، محمد. **حرب الثلاث سنوات، ١٩٦٧/ ١٩٧٠: مذكرات الفريق أول محمد فوزي وزير الحربية الأسبق**. دمشق: دار طلاس، ١٩٨٦.

كبة، محمد مهدي. **مذكراتي في صميم الأحداث، ١٩١٨ ـ ١٩٥٨**. بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٥.

المجالي، هزاع. **مذكراتي**. عمّان: [د.ن.]، ١٩٥٨.

مجموعة خطب الملك حسين: ٢٥ عاماً من التاريخ، ١٩٥٢ ـ ١٩٧٧. ج ١. لندن: مؤسسة سمير مطاوع للنشر، ١٩٧٨.

مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، فبراير ١٩٦٢ الى يوليو ١٩٦٤. ج ٤. القاهرة: مصلحة الاستعلامات، [د.ت.].

مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الأول: ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨. القاهرة: مصلحة الاستعلامات، [د.ت.].

مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، يوليو ١٩٦٤ ـ يونيو ١٩٦٦. ج ٥. القاهرة: مصلحة الاستعلامات، ١٩٦٧.

محاضر محادثات الوحدة، مارس ـ ابريل ١٩٦٣. ج ١. بيروت: دار المسيرة، ١٩٧٨.

محاضر محادثات الوحدة، ١٩٦٣. ط ٣. ج ٢. بيروت: دار المسيرة، ١٩٧٩.

مرعي، سيد. **أوراق سياسية: من أزمة مارس الى النكسة**. القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٧٨.

مصر وأمريكا: عرض تاريخي لتطور العلاقات المصرية ـ الأمريكية وتسجيل لرحلة الرئيس السادات. القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ١٩٧٦.

مطر، جميل وعلي الدين هلال. **النظام الاقليمي العربي**. ط ٣. القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٣.

مطر، فؤاد. **بصراحة عن عبد الناصر: حوار مع محمد حسنين هيكل**. ط ٢. بيروت: دار القضايا، ١٩٧٥.

نجيب، محمد. **مذكرات محمد نجيب: كنت رئيساً لمصر**. ط ٥. القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٨٨.

النشاشيبي، ناصر الدين. **الحبر أسود... أسود: قصة الصحافة والحكام والثوار في الشرق الأوسط**. باريس: قرطاج، ١٩٧٧.

ـــــ. **ماذا جرى في الشرق الأوسط؟**. بيروت: المكتب التجاري، ١٩٦١.

نصر، صلاح. **عبد الناصر وتجربة الوحدة**. القاهرة: الوطن العربي، ١٩٧٦.

ـــــ. **مذكرات: ثورة ٢٣ يوليو بين المسير والمصير، الأصول**. القاهرة: مؤسسة الاتحاد، ١٩٨٦.

هويدي، أمين. **حروب عبد الناصر**. القاهرة: دار الموقف العربي، ١٩٨٢.

هيكل، محمد حسنين. **الانفجار، ١٩٦٧**. القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٠. (حرب الثلاثين سنة)

ـــــ. **سنوات الغليان**. القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٨٨. (حرب الثلاثين سنة)

ـــــ. **ما الذي جرى في سوريا؟**. القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٢. (كتب قومية)

ـــــ. **ملفات السويس: حرب الثلاثين سنة**. القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٨٦.

ـــــ. **نحن... وأمريكا**. القاهرة: دار العصر الحديث، ١٩٦٧.

دوريات

الجمسي، محمد عبد الغني (المشير). «حرب اكتوبر: شهادتي للتاريخ والأجيال.» **اكتوبر**: ٢٠ آب/اغسطس ١٩٨٩.

ـــــ. ـــــ. **اكتوبر**: ٢٧ آب/ اغسطس ١٩٨٩.
ـــــ. ـــــ. **اكتوبر**: ١٠ أيلول/ سبتمبر ١٩٨٩.
الجيار. «الأسرار الشخصية لناصر.» **روز اليوسف**: ٢ شباط/ فبراير ١٩٧٦.
حافظ، منير. «التاريخ السري لحكم جمال عبد الناصر.» **روز اليوسف**: ١٢ نيسان/ ابريل ١٩٧٦.
ـــــ. ـــــ. **روز اليوسف**: ٢٦ نيسان/ ابريل ١٩٧٦.

٢ ـ الأجنبية

Books

Abdel-Malek, Anouar. *Egypt: Military Society; the Army Regime, the Left, and Social Change under Nasser*. Translated by Charles Lamm Markmann. New York: Random House, 1968.
Abdel-Nasser, Gamal. *The Philosophy of the Revolution*. With an introduction by John S. Badeau; biographical sketch by John Gunther. Buffalo: Smith, Keynes and Marshall, 1959. (Economica Books; E - 16)
Abir, Mordechai. *Saudi Arabia in the Oil Era: Regime and Elites; Conflict and Collaboration*. London: Croom Helm, 1988.
Abu Jaber, Kamel S. *The Arab Ba'th Socialist Party: History, Ideology, and Organization*. Foreword by Philip K. Hitti. Syracuse, NY: Syracuse University Press, 1966.
Adams, Sherman. *First-Hand Report: The Inside Story of the Eisenhower Administration*. London: Hutchinson, 1962.
Agwani, M. Shafi (ed.). *The Lebanese Crisis, 1958: A Documentary Study*. London: Asia Publishing House, 1965.
Aron, Raymond. *Peace and War: A Theory of International Relations*. Translated from the French by Richard Howard and Annette Baker Fox. London: Weidenfeld and Nicolson, 1962.
Badeau, John S. *The American Approach to the Arab World*. New York: Harper, 1968. (Policy Books of the Council on Foreign Relations)
Badeeb, Saeed M. *The Saudi-Egyptian Conflict over North Yemen, 1962 - 1970*. Boulder, CO: Westview Press, 1986.
Bar-Siman-Tov, Yaacov. *Israel, the Superpowers, and the War in the Middle East*. New York: Praeger, 1987.
Bar-Zohar, Michel. *The Armed Prophet: A Biography of Ben-Gurion*. Translated from the French by Len Ortzen. London: Arthur Barker, 1966.
——. *Ben-Gurion*. Translated by Peretz Kidron. London: Weidenfeld and Nicolson, 1978.
Batatu, Hanna. *The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq: A Study of Iraq's Old Landed and Commercial Classes of Its Communists, Ba'thists and Free Officers*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 1978.

Behbehani, Hashim S.H. *The Soviet Union and Arab Nationalism, 1917 - 1966*. London: Routledge and Kegan Paul, 1986.

Ben-Gurion, David. *Ben-Gurion Diary*. Reproduced in: Troen, Selwyn Ilan and Moshe Shemesh (eds.). *The Suez-Sinai Crisis*. New York: Columbia University Press, 1990.

Binder, Leonard (ed.). *The Study of the Middle East: Research and Scholarship in the Humanities and Social Sciences*. New York: John Wiley, 1976.

Birdwood, Lord. *Nuri as-Said: A Study in Arab Leadership*. London: Cassell, 1959.

Brown, Leon Carl. *International Politics and the Middle East: Old Rules, Dangerous Game*. London: I. B. Tauris; Princeton, NJ: Princeton University Press, 1984.

Bull, Hedley. *The Anarchical Society: A Study of Order in World Politics*. New York: Columbia University Press, 1977.

Burns, William J. *Economic Aid and American Foreign Policy toward Egypt, 1955 - 1981*. Albany, NY: State University of New York Press, 1985.

Burton, John. *Systems, States, Diplomacy, and Rules*. Cambridge: Cambridge University Press, 1968.

Campbell, John C. *Defense of the Middle East: Problems of American Policy*. New York: Harper, 1958.

Cantori, Louis J. and Steven L. Spiegel. *The International Politics of Regions: A Comparative Approach*. Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall, 1970.

Caractacus. *Revolution in Iraq: An Essay in Comparative Public Opinion*. London: Gollancz, 1959.

Chamoun, Camille. *Crise au Moyen-Orient*. Paris: Gallimard, 1963. (L'Air du temps)

Childers, Erskine B. *The Road to Suez: A Study of Western-Arab Relations*. London: McGibbon and Kee, 1962.

Claude, Inis L. *Swords into Plowshares: The Problems and Progress of International Organizations*. 3rd ed. New York: Random House, 1959.

Copeland, Miles. *The Game of Nations: The Amorality of Power Politics*. London: Weidenfeld and Nicolson, 1969.

Cremeans, Charles Davis. *The Arabs and the World: Nasser's Arab Nationality Policy*. New York: Praeger, 1963.

Dann, Uriel. *Iraq under Qassem: A Political History, 1958 - 1963*. Jerusalem: Israel Universities Press, 1969.

Dawisha, Adeed I. *Egypt in the Arab World: The Elements of Foreign Policy*. London: Macmillan, 1976.

—— and Karen Dawisha (eds.). *The Soviet Union in the Middle East: Policies and Perspectives*. London: Heinemann for the Royal Institute of International Affairs, 1982.

Dawisha, Karen. *Soviet Foreign Policy towards Egypt*. London: Macmillan Press, 1979.

Dayan, Moshe. *Diary of the Sinai Campaign*. New York: Dacapo Press, 1991.

——. *Story of My Life*. London: Weidenfeld and Nicolson, 1976.

Dougherty, James E. and Robert L. Pfaltzgraff (Jr.). *Contending Theories of International Relations: A Comprehensive Survey*. 2nd ed. New York: Harper and Row, c1981.

Dowty, Alan. *Middle East Crisis: U.S. Decision Making in 1958, 1970 and 1973*. Berkeley, CA: University of California Press, 1984.

Eban, Abba. *An Autobiography*. London: Weidenfeld and Nicolson, 1977.

Efrat, Moshe and Jacob Bercovitch (eds.). *Superpowers and Client States in the Middle East: The Imbalance of Influence*. London: New York: Routledge, 1991.

Egypt. *The Charter*. Cairo: Ministry of National Guidance, State Information Service, 1962.

——. *The UAR Year Book*. Cairo: Information Department, 1963.

——, Ministry of Information. *The First Arab Summit Conference, 13 - 17 January 1964*. Cairo: Information Department, 1964.

——. *President Gamal Abdel-Nasser's Speeches and Press Interviews*. Cairo: Information Department, 1958.

——. ——. Cairo: Information Department, 1959.

——. ——. Cairo: Information Department, 1960.

——. ——. Cairo: Information Department, 1961.

——. *The Second Arab Summit Conference, 1964: Documents*. Cairo: Information Department, 1964. *Cairo: Information Department, 1964*.

——. *Speeches of President Gamal Abdel-Nasser, March 1965*. Cairo: Information Department, 1965.

Eisenhower, Dwight. *The White House Years: Waging Peace, 1956 - 1961*. New York: Doubleday, 1960.

Eveland, Wilbur Crane. *Ropes of Sand: America's Failure in the Middle East*. London; New York: W. W. Norton, 1980.

Evron, Yair. *The Middle East: Nations, Superpowers, and Wars*. London: Elek Books; New York: Praeger, 1973. (International Relations Series; vol. 5)

Farouk-Sluglett, Marion and Peter Sluglett. *Iraq since 1958: From Revolution to Dictatorship*. London: KPI, 1987.

Fawzy, Mahmoud. *Suez: An Egyptian Perspective*. London: Shorouk International, [n. d.].

Fernea, Robert A. and William Roger Louis (eds.). *The Iraqi Revolution of 1958: The Old Social Classes Revisited*. London: I. B. Tauris, 1989.

Freedman, Robert Owen. *Soviet Policy toward the Middle East since 1970*. London; New York: Praeger, 1975.

Gallman, Waldemar J. *Iraq under General Nuri: My Recollections of Nuri al-Said, 1954 - 1958*. Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press, 1964.

Gazit, Mordechai. *President Kennedy's Policy toward the Arab States and Israel*. [Tel Aviv]: Shiloah Center for Middle Eastern and African Studies, Tel Aviv University, c1983. (Studies Series/ Shiloah Center for Middle Eastern and African Studies, Tel Aviv University)

Glubb, John Bagot. *A Soldier with the Arabs*. London: Hodder and Stoughton, 1957.

Halliday, Fred. *Arabia without Sultans: A Political Survey of Instability in the Arab World.* Harmondsworth, UK: Penguin, 1974.

Hammond, Paul and Sidney S. Alexander (eds.). *Political Dynamics in the Middle East.* New York: American Elsevier, 1972. (Middle East: Economic and Political Problems and Prospects)

Heikal, Mohammed Hasanayn. *Cutting the Lion's Tail: Suez through Egyptian Eyes.* London: Corgi Books, 1986.

——. *Nasser: The Cairo Documents.* London: New English Library, 1972.

——. *Sphinx and Commissar: The Rise and Fall of Soviet Influence in the Arab World.* London: Collins; New York: Harper, 1978.

Hoffmann, Stanley. *Contemporary Theory in International Relations.* Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall, 1960.

——. *The State of War.* London: Pall Mall Press, 1965.

Hoopes, Townsend. *The Devil and John Foster Dulles.* Boston: Little, Brown, 1973.

Hourani, Albert Habib. *A History of the Arab Peoples.* London: Faber and Faber, 1991.

——. *A Vision of History: Near Eastern and Other Essays.* London: Constable, 1961.

Hudson, Michael C. (eds.). *The Arab Future: Critical Issues.* Washington, DC: Georgetown University, Center for Contemporary Arab Studies, 1979. (CCAS Studies in Arab Development)

Hurewitz, Jacob Coleman (ed.). *Soviet-American Rivalry in the Middle East.* New York: Columbia University Press, Academy of Political Science, 1969.

Hussein (King of Jordan). *Uneasy Lies the Head: An Autobiography.* London: Heinemann, 1962.

Ismael, Tareq Y. *International Relations of the Contemporary Middle East: A Study in World Politics.* Syracuse, NY: Syracuse University Press, 1986.

Jensen, Merrill (ed.). *Regionalism in America.* Madison, WI: University of Wisconsin Press, 1951.

The John F. Kennedy National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1961 - 1963. Microfilmed from the Holdings of the J.F. Kennedy Library, 3 reels. Frederick, MD: University Publications of America, 1989.

Johnson, Lyndon Baines. *The Vantage Point: Perspectives of the Presidency, 1963 - 1969.* New York: Holt, Rinehart and Winston, 1971.

Johnston, Charles Hepburn. *The Brink of Jordan.* With a preface by Harold Macmillan. London: Hamilton, 1972.

Kaplan, Morton. *System and Process in International Politics.* New York: John Wiley, 1957.

Kerr, Malcolm H. *The Arab Cold War: Gamal Abd al-Nasir and His Rivals, 1958 - 1970.* 3rd ed. London: Oxford University Press, 1971.

Khadduri, Majid. *Independent Iraq, 1932 - 1958.* London: Oxford University Press, 1960.

——. *Modern Libya: A Study in Political Development*. Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press, 1963.

——. *Republican Iraq: A Study in Iraqi Politics since the Revolution of 1958*. London; New York: Oxford University Press, 1969.

Kimche, David and Dan Bawly. *The Sand Storm: The Arab-Israeli War of June 1967; Prelude and Aftermath*. New York: Stein and Day, 1968.

Korany, Bahgat. *Social Change, Charisma, and International Behaviour: Toward a Theory of Foreign Policy-Making in the Third World*. Geneve: A. W. Sijthoff; Leiden: Institut universitaire de hautes études internationales, 1979.

—— and Ali E. Hillal Dessouki (eds.). *The Foreign Policies of the Arab States*. Boulder, CO: Westview Press, 1984.

Korbany, Agnes G. *U.S. Intervention in Lebanon, 1958 and 1982: Presidential Decision-Making*. New York: Praeger, 1991.

Kyle, Keith. *Suez*. New York: St. Martin's Press, 1991.

Laqueur, Walter Zéev. *Communism and Nationalism in the Middle East*. London: Routledge and Kegan Paul, 1956.

——. *The Road to War, 1967: The Origins of the Arab-Israel Conflict*. London: Weidenfeld and Nicolson, 1968.

——. *The Soviet Union and the Middle East*. New York: Praeger, 1959. (Praeger Publications in Russian History and World Communism; no. 81)

——. *The Struggle for the Middle East: The Soviet Union and the Middle East, 1958 - 1968*. London: Routledge and Kegan Paul, 1969.

Lauren, Paul Gordon (ed.). *Diplomacy: New Approaches in History, Theory, and Policy*. New York: Free Press, 1979.

Lesch, David W. *Syria and the United States: Eisenhower's Cold War in the Middle East*. Boulder, CO: Westview Press, 1992.

Lieber, Robert J. *Theory and World Politics*. London: George Allen and Unwin, 1973.

Little, Tom. *Modern Egypt*. London: Ernest Benn, 1967. (Nations of the Modern World)

Louis, R. and Roger Owen (eds.). *Suez 1956: The Crisis and Its Consequences*. Oxford : Clarendon Press; New York: Oxford University Press, 1989.

Love, Kennett. *Suez: The Twice-Fought War: A History*. New York: McGraw-Hill, 1969.

The Lyndon B. Johnson National Security Files, the Middle East: National Security Files, 1963 - 1969. Microfilmed from the Holdings of the L.B. Johnson Library, Austin, Texas, 8 reels. Frederick, MD: University Publications of America, 1989.

Mackenzie, J. M. *Politics and Social Science*. London: Penguin Books, 1967.

Mahgoub, Mohamed Ahmed. *Democracy on Trial: Reflections on Arab and African Politics*. London: Deutsch, 1974.

McClelland, Charles. *Theory and the International System*. New York; London: Collier-Macmillan, 1966.

McClintock, R. *The Meaning of Limited War*. Boston: Houghton Mifflin, 1967.

Meir, Golda. *My Life: The Autobiography of Golda Meir*. London: Futura Publications, 1976.

Meo, Leila Marie-Therese. *Lebanon, Improbable Nation: A Study in Political Development*. Bloomington, IN: Indiana University Press, 1965. (Indiana University, International Studies)

Micunovic, Veljko. *Moscow Diary*. Translated by David Floyd; introduction by George Kennan. London: Chatto and Windus, 1980.

Monroe, Elizabeth. *Britain's Moment in the Middle East, 1914 - 1956*. Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press, 1963. (Britain in the World Today)

Murphy, R. *Diplomat among Warriors*. New York: Doubleday, 1964.

Mutawi, Samir A. *Jordan in the 1967 War*. Cambridge, MA: Cambridge University Press, 1987. (Cambridge Middle East Library)

Nolte, Richard H. (ed.). *The Modern Middle East*. New York: Prentice-Hall, 1963.

Nutting, Anthony. *Nasser*. London: Constable, 1972.

——. *No End of a Lesson: The Story of Suez*. London: Constable, 1967.

O'Ballance, Edgar. *The War in the Yemen*. London: Faber and Faber, 1971.

Odeh, B. J. *Lebanon: Dynamics of Conflict, a Modern Political History*. London: Zed Books, 1985.

Parker, Richard Bordeaux. *The Politics of Miscalculation in the Middle East*. Bloomington, IN: Indiana University Press, ©1993. (Indiana Series in Arab and Islamic Studies)

Pennar, Jaan. *The U.S.S.R. and the Arabs: The Ideological Dimension*. London: Hurst, 1973.

Peres, Shimon. *David's Sling: The Armies of Israel*. London: Weidenfeld and Nicolson, 1970.

Petran, Tabitha. *Syria*. London: Ernest Benn, 1972. (Nations of the Modern World)

Polk, William R. *The Arab World*. 4th ed. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1980.

Quandt, William B. *Decade of Decisions: American Policy toward the Arab-Israeli Conflict, 1967 - 1976*. Berkeley, CA: University of California Press, 1977.

Qubain, Fahim Issa. *Crisis in Lebanon*. Washington, DC.: Middle East Institute, 1961.

Rabinovich, Itamar. *Syria under the Ba'th, 1963 - 1966: The Army Party Symbiosis*. Jerusalem: Israel Universities Press, 1972.

El-Rayyes, Riad Najib and Dunia Nahas (eds.). *The Dragon and the Bear: A Study of Communist Involvement in the Arab World*. Beirut: An-Nahar Arab Report Research Staff, 1973.

Riad, Mahmoud. *The Sruggle for Peace in the Middle East*. London: Quarter Books, 1981.

Ro'i, Yaacov. *From Encroachment to Involvement: A Documentary Study of Soviet Policy in the Middle East, 1945 - 1973*. New York: John Wiley, 1974.

Rosenau, James, Kenneth W. Thompson and Gavin Boyd. *World Politics: An Introduction*. New York: Free Press, 1976.

Rusk, Dean. *As I Saw It*. New York: W. W. Norton, c1990.

Russett, Bruce. *International Regions and the International System: A Study in Political Ecology*. Chicago, IL: Rand McNally, 1967.

El-Sadat, Anwar. *In Search of Identity: An Autobiography*. London: Collins, 1978.

Safran, Nadav. *Israel: The Embattled Ally*. Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University Press, 1978.

——. *Saudi Arabia: The Ceaseless Quest for Security*. Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University; Ithaca, NY: Cornell University Press, 1985.

Sayed-Ahmed, Muhammad Abdel-Wahab. *Nasser and American Foreign Policy, 1952 - 1956*. London. Laam, 1989.

Schmidt, Dana Adams. *Yemen: The Unknown War*. London: Bodley Head, 1968.

Seale, Patrick. *Asad of Syria: The Struggle for the Middle East*. With the assistance of Maureen McConville. London: I. B. Tauris, c1988.

——. *The Struggle for Syria: A Study of Post War Arab Politics, 1954 - 1958*. London: Oxford University Press, 1965.

—— (ed.). *The Shaping of an Arab Statesman: Sharif Abd al-Hamid Sharaf and the Modern Arab World*. London; New York: Quartet Books, 1983.

Shoemaker, Christopher C. and John Spanier. *Patron-Client State Relationships: Multilateral Crises in the Nuclear Age*. New York: Praeger, 1984.

Shwadran, Benjamin. *Jordan: A State of Tension*. New York: Council for Middle Eastern Affairs Press, 1959.

Sling, David. *Shimon Peres: The Armies of Israel*. London: Weidenfeld and Nicolson, 1970.

Smolansky, Oles M. *The Soviet Union and the Arab East, 1947 - 1957: A Study in Diplomatic Relations*. Lewisburg, PA: Bucknell University Press, 1974. (Modern Middle East Series; 6)

Snow, Peter John. *Hussein: A Biography*. London: Barrie and Jenkins, 1972.

Spiegel, Steven L. *The Other Arab-Israeli Conflict: Making America's Middle East Policy from Truman to Reagan*. Chicago, IL: University of Chicago Press, c1985.

Stephens, Robert Henry. *Nasser*. London: Penguin Books, 1972.

Stookey, Robert W. *America and the Arab States: An Uneasy Encounter*. London: John Wiley, 1975.

Talbott, Strobe (ed.). *Khrushchev Remembers*. London: Book Club Associates; Deutsch, 1971.

Thayer, Charles W. *Diplomat*. New York: Harper and Brothers, 1959.

Torrey, Gordon H. *Syrian Politics and the Military, 1945 - 1958*. Columbus,

OH: Ohio State University Press, 1964.
Trevelyan, Humphrey. *The Middle East in Revolution*. London: Macmillan, 1970.
United States, Department of State. *American Foreign Policy: Current Documents, 1957*. Washington, DC: Government Printing Office, 1957.
——. *Foreign Relations of the United States, 1952 - 1954: The Near and Middle East*. vol. 9, parts 1 and 2. Washington, DC: Government Printing Office, 1986.
——. *Foreign Relations of the United States, 1955 - 1957: Arab-Israeli Dispute, 1955*. vol. 14. Washington, DC: Government Printing Office, 1989.
——. *Foreign Relations of the United States, 1955 - 1957: Arab-Israeli Dispute, January 1 - July 26, 1956*. vol. 15. Washington, DC: Government Printing Office, 1989.
——. *Foreign Relations of the United States, 1955 - 1957: Near East Region; Iran; Iraq*. vol. 12. Washington, DC: Government Printing Office, 1991.
——. *Foreign Relations of the United States, 1955 - 1957: Near East Regions; Jordan; Yemen*. vol. 13. Washington, DC: Government Printing Office, 1988.
——. *Foreign Relations of the United States, Suez Crisis, 1956*. vol. 16. Washington, DC: Government Printing Office, 1989.
——. *Foreign Relations of the United States, 1957: Arab-Israeli Dispute*. vol. 17. Washington, DC: Government Printing Office, [n. d.].
——. *Foreign Relations of the United States, 1958 - 1960: Lebanon and Jordan*. vol. 11. Washington, DC: Government Printing Office, 1992.
Waltz, Kenneth. *Theory of International Politics*. Reading, MA: Addison-Wesley, 1979.
Wenner, Manfred Wilhelm. *Modern Yemen, 1918 - 1966*. Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press, 1967. (Johns Hopkins University, Studies in Historical and Political Science; ser. 85, no. 2)
Wright, John L. *Libya*. London: Ernest Benn, 1969. (Nations of the Modern World)
Yapp, M.E. *The Near East since the First World War*. vol. 2. London; New York: Longman, 1991.
Young, Oran R. *Systems of Political Science*. Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall, 1968.

Periodicals

Banks, Michael. «Systems Analysis and the Study of Regions.» *International Studies Quarterly:* vol. 13, no. 4, December 1969.
Barnett, Michael N. «Superpowers and Client States in the Middle East: The Imbalance of Influence.» *American Political Science Review:* vol. 87, no. 1, March 1993.
Bina, Cyrus. «A Prelude to Internationalization of the Post-War Economy.» *Journal of Economic Democracy:* vol. 2, no. 2, January-March 1992.
——. «The Rhetoric of Oil and the Dilemma of War and American

Hegemony.» *Arab Studies Quarterly:* vol. 15, no. 3, Summer 1993.
Binder, Leonard. «The Middle East as a Subordinate International System.» *World Politics:* vol. 10, no. 3, April 1958.
Brecher, Michael. «International Relations and Asian Studies: The Subordinate State System of Southern Asia.» *World Politics:* vol. 15, no. 2, January 1963.
——. «The Middle East Subordinate System and Its Impact on Israel's Foreign Policy.» *International Studies Quarterly:* vol. 13, no. 2, June 1969.
«The Contribution of Regional Studies to an Understanding of World Politics.» *International Studies Quarterly:* vol. 12, March 1968.
Danilov, S. «Provocation in Kirkuk.» *International Affairs* (Moscow): no. 9, September 1959.
Department of State Bulletin: 24 September 1956; 12 November 1956; 21 January 1957; 9 June 1958; 1 September 1958; 22 October 1958, and 27 October 1958.
Farouk-Sluglett, Marion.) «Contemporary Iraq: Some Recent Writing Reconsidered.» *Review of Middle East Studies:* no. 3, 1978.
Goodman, J. S. «The Concept of «System» in International Relations Theory.» *Background:* vol. 8, February 1965.
Hoffmann, Stanley. «An American Social Science: International Relations.» *Daedalus:* vol. 106, no. 3, 1977.
Keddie, Nikki R. «Is there a Middle East?.» *International Journal of Middle East Studies:* vol. 4, no. 3, 1973.
Khalidi, Walid. «Thinking the Unthinkable: A Sovereign Palestinian State.» *Foreign Affairs:* vol. 56, no. 4, July 1978.
Malik, Charles. «Call to Action in the Near East.» *Foreign Affairs:* vol. 34, July 1956.
Modelski, George. «International Relations and Area Studies: The Case of South-East Asia.» *International Relations:* vol. 2, no. 3, April 1961.
Parker, Richard. «The June War: Whose Conspiracy?.» *Journal of Palestine Studies:* vol. 21, no. 4, Summer 1992.
Pearcy, George Etzel. «The Middle East, an Indefinable Region.» *Department of State Bulletin:* March 1959.
Quandt, William B. «Lyndon Johnson and the June 1967 War: What Color Was the Light?.» *Middle East Journal:* vol. 46, no. 2, Spring 1992.
Smolansky, Oles M. «Moscow and the Suez Crisis, 1956: A Reappraisal.» *Political Science Quarterly:* vol. 80, no. 4, December 1965.
Terekhov, V. «Aden British Colonialists New Maneuver.» *International Affairs* (Moscow): no. 3, 3 March 1963.
Thompson, William R. «The Arab Subsystem and the Feudal Pattern of Interaction, 1965.» *Journal of Peace Research:* vol. 7, no. 2, 1970.
——. «Delineating Regional Subsystems: Visit Networks and the Middle Eastern Case.» *International Journal of the Middle East:* vol. 13, 1981.

——. «The Regional Subsystem: A Conceptual Explication and a Propositional Inventory.» *International Studies Quarterly:* vol. 17, no. 1, March 1973.

Young, Oran R. «Political Discontinuities in the International System.» *World Politics:* vol. 20, no. 3, April 1968.

Documents

Dwight D. Eisenhower Library, Abilene, Kansas.

Dwight D. Eisenhower Papers as President, J. F. Dulles Papers, C.A. Herter Papers, C.D. Jackson Papers, D.D.E. Diaries, National Security Council Series, Draper Committee, Sprague Committee, White House Central Files, White House Office Files, Ann Whitman File, Office of Staff Secretary Files, Office of the Special Assistant for National Security Affairs, U.S. President's Committee on Information Activities Abroad, and Oral History Transcripts.

Miscellaneous Archival Records, Marine Corps Historical Center, Naval Historical Center, and Central Intelligence Agency.

National Archives and Records Administration, Washington, DC, and Suitland, MD.

Joint Chiefs of Staff Records, Department of State Files, Central Files, and Regional and Other Files (in Center for Lebanese Studies, Oxford, Britain).

Conferences

The Annual Meeting of the American Political Science Association, Chicago, Illinois, 1974.

The Annual Meeting of the British Society of Middle Eastern Studies in Exeter, 12 - 15 July 1987.

The Middle East Studies Association Conference, San Antonio, Texas, 1990.

University of Texas Conference on Lebanon in the 1950's, 10 - 13 September 1992.

Theses

Alin, Erika. «The 1958 United States Intervention in Lebanon.» (Ph. D. Thesis, the American University, 1990).

Noble, Paul C. «Regional Arrangements and the Management of Conflict under the United Nations: The Case of the Arab System.» (Doctoral Dissertation, McGill University, Montreal, 1972).

فهرس

(أ)

(ب)

(خ)

(د)

(غ)

(ف)

(ق)

(ن)

الدكتور فواز جرجس

- من مواليد قرية تل عباس، عكار ـ لبنان.
- حصل على شهادة الدكتوراه في العلاقات الدولية ودراسات الشرق الأوسط من جامعة أوكسفورد البريطانية.
- عمل باحثاً في جامعة برنستون لمدة عامين.
- قام بالتدريس في جامعتي أوكسفورد وهارفرد لعدة سنوات.
- يعمل حالياً أستاذاً للشؤون الدولية ودراسات الشرق الأوسط في جامعة ساره لورنس في نيويورك.
- له كتاب بعنوان **الخطر الجديد من الشرق؟ السياسة الخارجية الأمريكية نحو الإسلام السياسي**.
- نشرت كتاباته وتعليقاته في عدد من الدوريات والصحف العربية والأجنبية.

الثمن: ١٢ د
أو ما يعا

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور» شارع ليون
ص.ب: ٦٠٠١ ـ ١١٣ ـ بيروت ـ لبنان
تلفون: ٨٦٩١٦٤ ـ ٨٠١٥٨٢ ـ ٨٠١٥٨٧
برقياً: «مرعربي» ـ بيروت
فاكس: ٨٦٥٥٤٨ (٩٦١١)